

من عرب جنوب الصحراء الكبرى

القبائل البيضانية

في الحوض والساحل الموريتاني

وقصة الاحتلال الفرنسي للمنطقة

تأليف
بول مرتي

تعريب
الدكتور محمد محمود وَدّادي

إهـــــداء ٢٠٠٩
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
الجماهيرية العربية الليبية

القبائل البيضانية

في الحوض والساحل الموريتاني

وقصة الاحتلال الفرنسي للمنطقة

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

الطبعة الأولى

الفاتح - سبتمبر

1369 من وفاة الرسول ﷺ

2001 مسيحي

رقم الإيداع: 2001/4141

دار الكتب الوطنية بنغازي

الرقم الدولي الموحد

ردمك: ISBN 9959 - 28 - 029 - 2

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

دار الكتب الوطنية

بنغازي ـ ليبيا

هاتف: 9090509 - 9096379 - 9097074

بريد مصور ـ 9097073 (0021861)

البريد الالكتروني: net - Lib - Libya @ hotmail - Com

الإهداء

إلى أبنائنا الذين يحتاجون في تربيتهم وتكوينهم إلى معرفة ماضيهم، والظروف التي كان يعيشها المجتمع الموريتاني، والتضحيات التي قدمها أجدادهم الذين رفعوا راية الجهاد ضد الغزو الأجنبي، رغم قسوة الطبيعة وبعد النجدة، فحافظوا على ثقافتهم ودينهم، وتركوا مجداً ما نزال ننهل منه إلى اليوم؛ آملين أن يكون هذا العمل إسهاماً في التعريف بحقبة مهمة من التاريخ، وأعني بها فترة الاحتلال الاستعماري الغاشم للبلاد؛ وأن يكون حافزاً لهم على الاحتفاظ بتلك الخصوصية الفذة للموريتانيين، مع المثابرة للّحاق بركب الحضارة، حتى لا نمكن لاستعمار آخر من الهيمنة علينا، والله ولي التوفيق،،،

محمد محمود وَدّادي

توطـئة

بهذا الكتاب نكون قد أنجزنا بعون الله ما وعدنا به من مواصلة التعريف بالإسلام والعرب في منطقة غرب إفريقيا سواء في موريتانيا أو في الدول المجاورة، وذلك عن طريق تعريب كتب الباحث الفرنسي "بول مرتي" صاحب الباع الطويل في هذا المجال .

ورغم التجربة السابقة، فإننا واجهنا أيضا في هذا الكتاب العديد من المصاعب، خاصة احترام النص؛ ورغم التزامنا في الكتب السابقة بذلك حرفيا، فإننا هذه المرة قد حذفنا عبارات قليلة غير ملائمة، تنعت بعض المجموعات والأفراد، كما حذفنا مقاطع تتعلق بشؤون إدارية بحتة، لوجودها في أماكن أخرى بدقة وتفصيل، مثل عدد المواشي المسجلة، وقيمة الضريبة عليها، ولكننا حافظنا على جوهر النص بأمانة؛ وأضفنا إلى متنه مجموعة من الزيادات داخل الأقواس المغلقة [ ].

وقد حرصنا على كتابة أسماء الأعلام ــ في أغلب الأحيان ــ حسب أصلها العربي، عكسا للأعلام غير العربية، التي كتبناها حسب نطقها، وذلك في غيبة مصطلح عام متفق عليه في القطر الموريتاني؛ وأثبتنا كتابة أسماء أصبحت شائعة، مثل "الطوارق" بدل التوارق، وهي الأصح؛ واستخدمنا الكاف ذات الشرطة الفوقية ((گ)) لتنطق جيما مصرية، مقابل الحرف اللاتيني ((G)) وذلك في الأسماء ذات الأصل غير العربي، كما وضعنا فصولا للكتاب، وفهارس للأعلام البشرية والقبائل والأفخاذ والعائلات والأسماء الجغرافية والطرق الصوفية. وصححنا ــ حسب ما توفر لدينا من معلومات ــ شجرات النسب، كما توسعنا في بعضها وزدناه، مثل أولاد مبارك وأهل بابا أحمد بن الشيخ سيدي المختار.

وأخيرا علينا التنبيه إلى أن عبارات "السودان" أو "مستعمرة السودان" أو "السودان الفرنسي" الواردة في النص، هي الاسم الذي كانت فرنسا تطلقه على جمهورية مالي الحالية، عندما كانت تستعمرها، تمييزا لها عن جمهورية السودان الحالية التي كانت في تلك الحقبة محمية مصرية بريطانية. وقد اختارت السودان والسنغال اسم مالي لدولتهما الاتحادية، عند إعلان الوحدة بينهما سنة 1961، ثم احتفظت به السودان بعد الانفصال عن سنغال، وذلك تيمنا باسم الإمبراطورية الإفريقية العظيمة، التي كنت تضم الشرق الموريتاني وشمال ووسط مالي الحالية، ومثلها غانة التي كان مهدها في الأراضي الموريتانية، حيث أطلال عاصمتها ــ على أرجح الأقوال ــ في ولاية الحوض الشرقي الموريتانية، وهي كومبي صالح، وتسمت بها ساحل الذهب تيمنا بها أيضا، سنة 1958.

بسم الله الرحمـــن الرحيم

مقــدمة المــعرب

كتاب "القبائل البيضانية (1) في الحوض والساحل" واحد من سلسلة تضم أحد عشر كتابــا، وثلاثين دراسة، نشرها پول مرتي عن الإسلام وتاريخ شعوبه في المنطقة الواقعة بيـن وادي نون شمالا، ونهري النيجر والسنغال جنوبا، حيث قضى ثماني سنوات لدراستها، مـــا بيــن 1912 و1920.

ويشمل الكتاب مقدمة عن تاريخ القبائل البيضانية من حيث أصولها وأنسابها، وهجرتـــها إلى الجزء الغربي من الصحراء الكبرى، وصراعها فيما بينها، للاستئثار بالنفوذ والسـيطرة، وعلاقاتها بجيرانها، خاصة منهم القبائل الزنجية والطارقية، التي اختلطت بها، ممـــا شــكل أساسا متينا للتعايش والاستقرار، في كنف الإسلام واللغة العربية.

واعتمد المؤلف في حديثه عن تلك الحقبة، الممتدة من القرن الرابع عشر للميلاد (تــاريخ الهجرات العربية الكبرى) حتى بداية القرن الحالي، على جملة من المصادر الهامة، معظمــها للرحالة والمؤرخين العرب، وعلى المصادر المحلية من "تواريخ" (حوليات) المدن التاريخيــة، كولاتة والنعمة وتشيت، التي تسجل يوميا الحوادث المختلفة في المنطقة بأســـرها؛ وعلـــى المخطوطات الغنية بالمعلومات المختلفة، عن أنساب القبائل والعائلات وغيرها، إضافة إلـــى المصادر الشفهية.

وقد تحدث المؤلف عن تلك القبائل بتفصيل، كتعدادها، وأسماء الأفخاذ والعائلات، وعـــن ثرواتها ومناطق رعيها، ومناهلها المائية، وزعمائها الروحييـــن والزمنييـن، ووجهائــها، ونفوذهم السياسي والديني، بينما ترك العديد منها دون التعرض له أصلا، مثل أهل ســـيدي محمود وإديبُسات .. ويعود السبب في ذلك إلى أن معظمها كان يعيش في مستعمرة موريتانيا آنذاك.

ثم تطرق إلى تاريـــخ العلاقة بين السلطات الفرنسية في مستعمرتها في السودان (مالي) ، بعد احتلاله، وسكان الحوض؛ وهي الفترة التي وقع فيها أهله بين فكي الكماشة الفرنســية، بعد ثماني سنوات من احتلال الأجزاء الشمالية والغربية من موريتانيا، وعشرين ســـنة مـــن احتلال التخوم الجنوبية والشرقية لأرض البيضان، مما مهد لاحتـــلال ولاتـــة ســـنة 1912 والسيطرة على أرض البيضان كاملة تقريبا؛ فأصبح سكان الحوض مقطوعين من جذورهـــم في موريتانــيا، ومحرومين من العيش بحرية في مجالهم المعهود بين الصـــحراء شمـــالا

---

(1) ـــ البيضان، وتنطق في الحسانية "البيظان" هي الترجمة التي اخترناها لكلمة MAURE بدلا مـــن العرب أو الموريتانيين.

والأراضي الخصبة القريبة من ضفتي نهري السنغال والنيجر جنوبا، ومن التبادل الحر والمثمر مع سكانهما.

واستعرض المؤلف مع اختصار ملحوظ، أحداث المقاومة التي واجهت الاحتلال الفرنسي في الحوض، مثل ثورة أهل سيدي بقيادة أبناء عبدوكه، والحوادث المرتبطة بانتفاضة سنة 1906، التي شملت كل أراضي البيضان، من وادي نون شمالا، إلى نهري السنغال والنيجر جنوبا، ومن المحيط الأطلسي غربا إلى مستعمرة النيجر شرقا.

وكانت خاتمة الكتاب مكرسة للدروس المستخلصة من السنوات الأولى من تجربة الاستعمار الفرنسي، ومستقبل السكان والمنطقة، التي كانت ضمن ولاية كبيرة تُدعى "الساحل والحوض" وضرورة إعادة النظر في تقسيمها الإداري، وهو ما تحقق جزئيا بإعادة القسم الأكبر من الحوض إلى موريتانيا بعد ذلك بربع قرن.

فقد قسم الاستعمار الفرنسي منطقة غرب إفريقيا بعد استيلائه عليها، على أسس تخدم مصالحه، بغض النظر عن أي اعتبار آخر، وعمد أحيانا إلى تشتيت شعب واحد، عبر توزيعه على عدة مستعمرات، حتى يكسر شوكته، وذلك بعد أن قام أغلب السكان بإعلان الجهاد المسلح، ثم الجهاد الثقافي عبر التمسك بالدين الحنيف واللغة العربية، مقاطعين الثقافة الفرنسية، ومتمسكين بالمؤسسات التعليمية الأهلية، وعلى رأسها "المحاظر".

وبما أن السكان من عرب وسود حملوا لواء المقاومتين الثقافية والعسكرية، فقد أصبحوا الضحية الأبرز لتلك السياسات، ومثلُهم شعب شقيق وجار، لا يقل عنهم تمسكا بدينه وبأصالته، ونعني به شعب الطوارق، الذي كان ضحية أيضا لسياسات التجزئة تلك، وتوزع بين عدة دول.

وتشهد على هذا التقسيم الظالم الحدود المصطنعة التي ورثتها شعوب المنطقة بعد رحيل الاستعمار سنة 1960، وأدت إلى مشاكل لا حصر لها، ولا سبيل لحلها في مستقبل منظور؛ فمنطقتا الحوض والساحل اللتان اقتُطعتا من موريتانيا، وأُلحقتا بالسودان (مالي)، أعيد تقسيمهما مرة أخرى سنة1945، فأعيد الحوض إلى الوطن الأم موريتانيا، بينما بقيت منطقة الساحل بكاملها جزءا من (السودان) مالي، مع قواعدها في النوارة وانيورو و گونبُ (أكنب) وسكولو (كالا) وهي مناطق كانت تخضع للسيطرة الفعلية للقبائل الحوضية، ومعها مراكز ذكرها المؤلف، لم يعد منها لموريتانيا إلا القليل، مثل باسكنو وفصاله انييرى؛ وما تزال الروابط القائمة إلى اليوم مع تلك المنطقة، واحتفاظ سكانها بلغتهم وانتمائهم الحضاري، شاهدا على ذلك الماضي المشترك، وأواصر القربى والدم، رغم القطيعة مع الجذور في موريتانيا.

وكما أشرنا إليه سابقا، فإن الحوض عاد إلى موريتانيا سنة 1945، وهو اليوم ولايتان كبيرتان، هما الحوض الشرقي والحوض الغربي، عاصمة الأولى مدينة النعمة، وعاصمة الثانية مدينة عيون العتروس.

ويبلغ عدد سكان ولاية الحوض الشرقي ما يربوا على 370 ألف نسمة (تقديرات 1997) موزعين على 250،000 كم2، ويضم عدة جهات تُسمى إداريا مقاطعات ومراكز، من أهمها ولاتة وتنبدغه وأمرج وباسكنو وچيگني.

أما الحوض الغربي فيضم (إضافة إلى عاصمته) عدة مدن ومراكز أهمها تامشكط والطينطان وكوبني والطويل، ويبلغ عدد سكانه حوالي 300،000 نسمة (تقديرات 1997). ولفك عزلته، دُشنت في بداية الثمانينات "طريق الأمل" التي بدأ العمل فيها سنة 1975، وتربط بين العاصمة نواكشوط ومدينة النعمة (مرورا بالطينطان والعيون وتنبدغه)، وقد أُقيمت مراكز حضرية عديدة على طولها، مما قد يسبب إفراغ المناطق الواقعة شمالها من سكانها، كما فكت هذه الطريق عزلة الأجزاء الشمالية من جمهورية مالي، التي لا تتمتع بحدود مع البحر.

ومنطقة الحوض ذات أهمية كبرى لموريتانيا، بفضل تجمعاتها السكانية الكثيفة، ومراعيها الخصبة، وثرواتها الحيوانية والزراعية الهامة، وموقعها الاستراتيجي، كنقطة تماس حضاري وبشري بين إفريقيا الشمالية، وإفريقيا الواقعة جنوب غرب الصحراء الكبرى؛ ومع ذلك، فهي تواجه تحديات حقيقية، بسبب هجرة السكان إلى مراكز التجمعات البشرية الجديدة، وعزوفهم عن تربية المواشي المعروفة بجودتها في الحوض، وظهور كارثة الجفاف، وزحف الرمال، الذي يهدد المنطقة بأسرها.

أديس أبابا في 11 ربيع الأول 1420 ـــ 14/6/ 1999م

القبائل البيضانية في الساحل والحوض

المدخل

تعني كلمة الساحل في المصطلحات السودانية تلك الرقعة الفسيحة الممتدة طولا على مسافة 500 كم، وبين 100 إلى 200 كم عرضا، والمحصورة بين أعالي نهري السنغال والنيجر الأوسط، أو بعبارة أدق بين خط طول خاي ـ انيورو، وقطاع نهر النيجر الواقع بين سانساندينگ وماسينا؛ والمصطلح يشير كما يدل على ذلك الاسم إلى ساحل الصحراء الكبرى أي إلى الشريط الفاصل بين بلاد السودان والصحراء الكبرى التي تبدأ من شمال البلدان الساحلية.

وقد درجت العادة على إطلاق كلمة الحوض على كل هذه المنطقة، وسنحتفظ بهذه التسمية، ولكنها ليست صحيحة إلا بصورة جزئية. وفيما يلي نقدم صورة لتعاقب النطاقات الطبيعية استناداً إلى مصطلحات الجغرافيين البيضان.

فإلى الشرق من التخوم التي تفصل موريتانيا عن مجرى نهر السنغال الأعلى ونهر النيجر، أي إلى الشرق من حزام أفلّه والركيز يقع الحوض حيث الآبار على العموم قليلة العمق والمراعي ممتازة كثيرة التنوع سواء بالنسبة للماشية القرناء أو للإبل؛ ونجد فيه بركات (مستنقعات) مستديمة ذات أهمية وأدغالاً كثيفة على شكل بقع متباعدة.

ويحد الحوض شرقا خط يمر إلى الشرق قليلا من النعمة ومن بحيرة فوديره ومن الشمال خط ينطلق من ولاتة متجها نحو بئر زافو، ثم يمر من انّـول(2) وزنگاره وادريس؛ وإلى الشمال الغربي من ذلك تمتد منطقة الأبيار وهي أرض مؤلفة من الكثبان الكبرى البيضاء الرملية حيث تكون الآبار عميقة ونادرة. وتتميز منطقة الأبيار بعرف من التلال يدعى عموما الظهر، وذلك على نقيض الباطن(3) السهل؛ ويربط ظهر النعمة بولاتة وتشيت؛ وإلى الشرق من الحوض، وحتى مقربة من باسكنو تسمى المنطقة كُوشْ ثم تأتي منطقة العكْلة حيث تتميز المراعي بجودتها وتنوعها، ولكن الآبار فيها عميقة. وابتداء من باسكنو في اتجاه الشمال الشرقي تسمى المنطقة الأبيار، وتكون مصادر المياه فيها عبارة عن آبار يتراوح عمقها ما بين ثمانين مترا إلى مئة، تفصل بينها مسافات منتظمة نوعا ما .

وقد أصبحت هذه المنطقة في إعلامياتنا المحلية تعرف باسم خط الأبيار. ونجد إلى الغرب من تشيت وولاتة ورأس الماء تلالاً متحركة قليلة الأحراش يطلق عليها اسم العكلة.

---

(2) ـ انولْ، بتفخيم اللام بئر تقع شمال مدينة تنبدغه أصبحت بها الآن قرية وهي معروفة بمائها الذي يستشفي به الناس بالرغم من ملوحته.

(3) ـ الباطن، هو المقابل لغويا وعرفيا للظهر الذي هو المرتفع الجبلي المحاذي له.

وأخيراً إلى الشمال من حافة الظهر تبدأ الصحراء القاحلة حيث لا ينبت سوى شجرة الحلفاء التي تعافها الماشية وحتى إبل الجنوب، وتشكل حاجزاً على طول 600 كم بين آبار القصيب وآبار المناطق التي نحتلها (4) وتلك هي صحراء الجوف. ولا تتردد على هذه المنطقة سوى حملات الغزو الهابطة من مناطق إكيدي ووادي نون ووادي درعة والمتجهة إلى إفريقيا الغربية الفرنسية متزودة بالماء من القصيب.

وتنتجع في هذه البقاع من بلاد الساحل الشمالي والحوض مجموعة قبائل ذات أصول شتى وبأعداد متفاوتة؛ ومن أكثرها أهمية مشظوف وهي قبيلة صنهاجية مستعربة اكتسبت شهرتها عن طريق عددها ونفوذها، وفي آخر الأمر عن طريق هيمنتها السياسية؛ وقد تجمع حولها في الواقع بصورة وقتية عدد غفير من أفخاذ صغيرة محاربة وزاوية أو زناقية(5) من أخلاط متباينة استردت استقلالها في الوقت الحاضر.

وفيما عدا مشظوف هنالك قبائل على قدر كبير من الأهمية، إما محاربة تسمى حسان، وبالتالي عربية الأصل مثل أولاد داوود وأولاد مْبارك وأولاد محمد[ياحمّد] وأولاد الناصر، أو زاوية ولها على العموم فروع في موريتانيا وأزواد مثل كنتة والاقلال وأهل الطالب مختار وإجمّان والكَلاكَمة وتنواجيو دون التعرض لذكر العدد الكبير من الأفخاذ الصغيرة، زناقية أو غيرها.

وعندما يتصدى أحد في يوم من الأيام لدراسة تاريخ قبائل البيضان في منطقتي الساحل والحوض فلن تعوزه الروايات الشفوية ولا الوثائق المكتوبة (تواريخ صغيرة عن القبائل وشجرات أنساب وحوليات ولاتة والنعمة وتواريخ سودانية منشورة أو غير منشورة)؛ وسنكتفي هنا بإيجاز هذه المصادر.

لقد حدثت الغزوات العربية في الصحراء الكبرى في نهاية القرن الرابع عشر [م] في عصر كان فيه سكان الساحل يتألفون من مزيج من السونينكة وصنهاجة، من المجموعات التي اعتنقت الإسلام؛ وكان الطابع الصنهاجي يجنح للتفوق أكثر فأكثر، مع هيمنة

(4) ــ فرنسا هي المعنية ونوردها أحيانا باسم الإدارة الفرنسية أو الاستعمار الفرنسي وذلك حسب السياق.

(5) ــ زناقة وأزناقة تحريف لصنهاجة، وإلى وقت قريب كانت تطلق على قبيلة إدوعيش، فهم منحدرون من أحد فروع صنهاجة، وعُرفت إمارتهم بإمارة أزناقه أو إدوعيش في مقابل الإمارات الحسانية؛ ومن صنهاجة أيضا عدد من قبائل الزوايا والذين يطلق عليهم أحيانا الطلبة أو المرابطون، وصارت كلمة أزناقه تطلق على طبقة اجتماعية خلال الأزمنة الأخيرة. انظر الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية لصالح بن عبد الوهاب (مخطوط)، وتاريخ إدوعيش لبابا بن الشيخ سيديا، (مخطوط حققه حديثا إزيد بيه بن محمد محمود) وتاريخ بن خلدون.

العرق الأبيض السياسية، وتحول اسم مدينتي شيتو وبيرو السونينكيتين إلى تشيت وإيولاتن؛ وتقهقر الزنوج إلى الجنوب أو اختلطوا بالعنصر الأبيض وتنكروا لأصولهم؛ وقد خص ابن بطوطة بالذكر قبيلتي مسوفة وبردامة "بوردام الطارقية" التين كانتا تتجولان في المنطقة، وهناك في هذا الشأن بعض الصفحات المفيدة التي يمكن الرجوع إليها كما يمكن الرجوع بجدوى أيضا إلى مصدر آخر هو المجلد الثاني من كتاب دلافوس De lafosse (السنغال الأعلى والنيجر). وفي تلك الحقبة وصلت الهجرات العربية المسماة بالحسانية؛ فبنو حسان في القطر الموريتاني يشكلون تلك القبائل المحاربة ذات الأصول العربية الأكيدة؛ تُعرف بهذه التسمية لتمييزها عن قبائل الطلبة أو الزوايا التي يعكف أفرادها على الدراسة وشؤون الدين ولا يحملون السلاح.

وينحدر بنو حسان من المعقل(6) وهو اسم يطلقه المؤرخون العرب على إحدى القبائل العديدة التي انقضّت على إفريقيا الشمالية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر [الميلاديين] ويؤكد هذا النسب الحسن الوزان (ليون الإفريقي Leon L,Africain حيث يقول "تـنقسم معقل إلى أودي وحسان .. الخ" (7). كما يؤكد ذلك مرمول Marmol (8) وتُجمع عليه أيضا الروايات العربية، سواء في موريتانيا أو في الساحل أو في الحوض.

وكانت عصائب معقل تعيش في بداية القرن الثاني عشر[م] في مثلث ملوية ــ تازة ــ الريف واستدعاهم في حدود سنة 1235 [م] لبلاد السوس علي بن يدّر وهو زعيم من قبيلة هنتاتة ثار ضد السلطان الموحدي فاستجابت له القبائل الحسانية وساندته بالقوة حيث أصبحت متخصصة في ذلك "لقد نجح بن يدّر بمعونة حلفائه الجدد في جلب الخراب لبلاد السوس".

وتقدمت عصائب معقل هذه على شكل فريقين هما الشبنات وبنو حسان، فانحاز الأولون عموما إلى جانب لمطة الذين كانوا يسكنون بجانب جبال الأطلس في حين عقد الحسانيون حلفا مع جزولة (الذين بقوا في الصحراء)؛ وهكذا أصبحت قبائل موريتانيا العليا تدعى باسم

---

(6) النسب الثابت لبني حسان هو حسان بن موسى بن حامد بن سعيد بن المختار بن عقيل بن معقل بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب؛ وقد طعن ابن خلدون في هذا النسب وردهم إلى أصل حميري.

(7) ــ كتاب "وصف إفريقيا" لمؤلفه الحسن بن محمد الوزان الشهير بليون الإفريقي، كُتب بالإيطالية في روما سنة 1526، وتُرجم على يد محمد الأخضر ومحمد حجي، ونُشر في المغرب عام 1982.

(8) ــ هو مرمول كرفخال، من مواليد غرناطة في القرن 16 حيث شارك في احتلال مدينة تونس على يد الإمبراطور شرلكان سنة 1535، ثم التحق بالسلاطين السعديين في مراكش، وكانت إقامته في المنطقة قرابة اثنتين وعشرين سنة، وعند عودته كتب كتابه عن إفريقيا، وقد ترجمته عن الفرنسية سنة 1984 لجنة من الأساتذة المغاربة، طبع مكتبة المعارف.

قبائل جزولة، ومنـــها تلك التي كانت تؤلف جزءا من هذا الحلف على شكل أفخاذ أساسية أو حلفاء أو أتباع مع وجود فرع حساني من معقل يمثل العنصر العربي الغازي .

وكانت معقل سواء من الشبنات أو من بني حسان تقدم للقبائل المغربية قسما كبيرا من المرتزقة الذين راحوا يؤججون الحروب الأهلية خلال القرنين الثالث والرابع عشر[م] ويروي ابن خلدون أنهم كانوا يقدمون تلك الخدمات مقابل أجر.

وكانت منطقة الساقية الحمراء في ذلك الوقت تشكل الحد الأقصى الجنوبي لغارات بني حسان؛ وفي هذه الفترة أي حوالي عام 1400[م] قاموا باجتيازها متجهين إلى الجنوب لفتحه؛ غير أن ذلك لا يقارن بتلك الجحافل التي قذفها الشرق لفتح إفريقيا الشمالية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر[م].

ونظرا لإمكانيات الصحراء الكبرى من ناحية، وللعدد القليل للقبائل الحسانية من ناحية أخرى في أيامنا هذه، فهناك ما يدفع للاعتقاد بأن هذه العصائب لم تكن تتألف إلا من عدّة عائلات حيث راحت مع أتباعها وخدمها تبحث عن الثروة في الجنوب .

وهذا ما يفسر لنا في الوقت الحالي كون كل المخيمات الحسانية قادرة على إثبات نسب أسلافها بالتسلسل إلى حسان غير أنه إذا سلمنا أن أجداد هذه المخيمات كانوا مصحوبين آنذاك بالعديد من الأتباع، فمن حقنا التساؤل عن مصير أسلاف اولئك الأتباع.

وكان عدد الفصائل العربية الحسانية التي سيطرت على موريتانيا حوالي العام 1400[م] ثلاثة تنتسب إلى ثلاثة من أبناء حسان هم: أودي وحمُّ ودليم؛ وانحدرت من حمُّ ومن دليم، قبيلتا البرابيش وأولاد دليم، اللتان لا نريد الحديث عنهما هنا، لأن الأولى تنتجع في أزواد والأخرى توجد في شمال تيرس، وقد خصصنا لكل منهما دراسة منفصلة(9).

وقد انحدرت من أودي القبائل الحسانية التي تستوطن القسم الأعظم من موريتانيا الحوض، وكذلك قبائل الأودايه في المغرب؛ ومن الممكن تأكيد هذه الرواية المحلية بفضل المعلومات التي يعطينا إياها الحسن الوزان (ليون الإفريقي) في مطلع القرن السادس عشر فيقول "إن أودي ـــ حسان ينقسمون إلى دليم (وفي مصادر أخرى دوليان) وفودي" وقد أساء ش. شيفر ch.schefer تعريف هذه القبائل التي ينبغي أن نرى فيها طبعا أولاد دليم وأولاد أودي والتي تشكلت منها القبائل الحسانية، أو أودي ـــ حسان العربية.

ونشاهد من جهة أخرى في خريطة (إفريقيا رقم واحد) التي حفرها جيوليو سانوتو sanuto giulio مؤلف ليفيو livio بعد ذلك بسنوات قليلة (1588)، مواطن دلْــيم وأولاد أودي

---

(9) ـــ البرابيش في مجموعة مجلة العالم الإسلامي 1919، (ترجمه محمد محمود ودادي 1984). و"أولاد دليمّ" في نشرة لجنة إفريقيا الفرنسية، ومجلة المعلومات الاستعمارية، مايه سنة 1915، المؤلف.

بصورة دقيقة جدا في مواقعها الصحيحة؛ وتؤكد ذلك أيضا معلومات "ليون الأفريقي" الـــذي تجول في الصحراء الكبرى.

وقد تحدّدت أمكنة "جماعات الدليمي" في الصحراء المواجهة للجزر الخـالدات (الكنـاري) وهي البقعة التي ظلوا ينتجعون فيها على الدوام.

أما قوم "قودي" فهم أكثر انتشارا نظرا لورود اسمهم ثلاث مرات مع إمارة "ولاتة" في قلب الصحراء الغربية حتى قصور "وادي نون"، ولا نزال نجدهم حتى اليوم حيث كـانوا آنـذاك؛ وتعزز الخرائط التي تصحب مؤلف "مرمول" ومتن كتابه بشكل واضح هذه الإشارات إذ يقـول "وتسكن قبيلة أولاد "قودي" في الصحراء بين "إگادن" و"غانة" وهم أمراء إگوادن (ودان) حيث يدفع لهم ملك "غانة" البيضاني الإتاوة، ولديهم ستة آلاف محارب، بينهم عدد قليل من الفرسان، ولكنهم يمتلكون الكثـير من الإبل".

ونجد اليوم في إقليم الساحل والحوض من الشرق إلى الغرب خمس اتحاديات قبلية تدّعـي النسبة إلى هذا الأصل الحساني مقدمين البرهان على انتمائهم إلى أولاد أودي الخمسـة (10) وهي قبائل أولاد داوود بن محمد وأولاد داوود بن عروق وأولاد محمد[يا حمد] وأولاد مبارك وأولاد الناصر؛ هذه هي الأصول استنادا إلى الروايات العامة وشجرات الأنسـاب المعروفـة لدى سائر الناس ما عدا بعض الاختلافات البسيطة.

وتلخص شجرة النسب التالية معطيات الرواية البيضانية التي تقيم النسب العربـي لـهذه القبائل وتربطها بأودي بن حسان.

**

		شجرة أبناء حسان (11) حسان			
عبيد الله إديقب	دليم جد أولاد	أحمد (أودي)	عبد الرحمن		حمّ جد
جد إديقب	دليم		جد الرحامنه		البرابيش
وأهل بايرك الله					
	مغفر	رزق جد أولاد رزق	داوود		يونس جد
					أولاد يونس
		عقبة جد أولاد عقبة	علوش	زيد	جعفر
	ذريتـــهم هي أولاد داوود بن عـــروق				

(10) ــ بل ثلاثة، وهم رزق ومغفر وعروق، والقبائل التي ذكرها المؤلف تنحدر من أودي دون أن يكون أجدادُها الذين تتسمّى بهم أبناءه المباشرين. أنظر شجرة النسب.

(11) ــ كل هذه الشجرات وضعناها حسب المراجع الثابتة لدينا ولم نأخذ بما وضعه المؤلف.

شجرة المغافرة: مغفر بن أدي بن حسان					
الرميث جد الرميثات		عثمان	ناصر جد أولاد الناصر	خليفة جد أولاد خليفه	
علي الأطرش جد الطرشان		محمد	يحيى		عمران
همـــا أولاد العربية			همـا أولاد الزناقية		
			جد أولاد يحيى بن عثمان وأولاد غيلان		
مبارك جد أولاد مبارك		داوود			
				داوود جد	هداج
سليمان جد أولاد نخلة	علي	طلحة جد أولاد طلحة	محمد جد أولاد بله	داوودات	
بوفائدة	منصور	وهم الخووات وأولاد داوود بن محمد		بركني جد البراكنة	تروزجد الترازه

وكان أولاد داوود بن محمد أوائل مستوطني الحوض من العرب (القرن الخامس عشر) وقد اندثروا تقريبا أو انصهروا في القبائل المجاورة؛ ولا ينبغي الخلط بينهم وبين أبناء عمومتهم أولاد داوود بن عروق الذين ورثوا نفوذهم؛ أما القبائل أو الأفخاذ المنحدرة من داوود بن محمد الذين ما زالوا باقين في الوقت الحالي فهم أولاد بلّة والتناگيد وأولاد منصور وأولاد بوفائدة وأولاد طلحة (لدى إدوعيش) وأولاد نخلة (لدى الاقلال) .. الخ؛ وقد أعقب هذا الاجتياح العربي الأول الذي جرى في نهاية القرن السادس عشر اجتياح جديد من قبل أبناء عمومتهم أولاد داوود بن عروق الذين أصبحوا سادة البلاد السياسيين، ويشكلون اليوم خمس قبائل هي أولاد علوش وأهل بوردَة وترمز(12) وأولاد زيد والجعافرة.

وقد وصل إلى الحوض أولاد محمد[با حمد] في القرن السابع عشر، وأحلوا سيادتهم فيه وفي الساحل الأعلى محل سيادة أولاد داوود؛ وقد اضطر الأخيرون بعد هزيمتهم إلى التخلي عن مواطنهم والانكفاء نحو نهر النيجر. ولهذا نجدهم اليوم في الشرق بعد أن أزاحهم أولاد محمد[با حمد] عندما قدموا من موريتانيا مرورا بتگانت وسحقوهم على طول النهر بين رأس الماء وجاره.

وقد كان هذا القرن بحق عصر أولاد محمد[با حمد] شأن القرن التالي؛ لكنهم بعد أن

---

(12) ــ سنرى فيما بعد الملاحظات الخاصة بترمز.

سيطروا على الحوض من حوالي 1650ـ 1750 تغلب عليهم أبناء عمومتهم أولاد مبَارك حيث أصبحوا مهزومين في اتجاه الشرق ليجاوروا أولاد داوود على جانبي دوائر سُكولو وكَونبُ والنوارة؛ وهكذا تتعاقب حسب طبقات متتالية تبدأ من الشرق نحو الغرب (13) درجات قدم الهجرات العربية لبلاد الساحل والحوض.

وبعد أن انهزم أولاد محمد[يا حمد] على أيدي أولاد مبَارك اضطروا لأن يتخلوا لهم عن كل الأفخاذ الصغرى التابعة من الزوايا وأزناقة التي كانت تدفع لهم الإتاوة.

وكـــان مصير ممـــاثل ينتظر أولاد مبَارك على أثـــر وصول أولاد الناصر في بداية القرن التاسع عشر، فقد تمتّعوا بسيطرة لا منازع فيها بدءا من تخوم الساحل وموريتانيا، وطردوا أولاد مبَارك في اتجاه الشرق، ولم يلبثوا إلاّ نصف قرن حتى تـــمّ إخضـــاعهم بدورهم على أيدي مشظوف.

ونجد في الكتاب الثالث لمرمول صفحة خالدة عن الهجرات العربية للحوض والساحل، كما نجد فيه كل التفاصيل عن حياتهم البائسة وبسالتهم في الحروب وتجارتهم وحملات صيدهم ومناظراتهم الأدبية والموسيقية، وتجديدهم لسيرة أجدادهم في جزيرة العرب وحبهم للمجد وكرم الضيافة، وكذلك الطابع الحقيقي لهيمنتهم السياسية عن طريق طرد أو إخضاع القبائل الصنهاجية، وهذا نص مرمول: "إن حياة عرب نوميديا وليبيا غاية في البؤس وكذلك حال أبناء البلاد (أي صنهاجة) ومع ذلك فإن لديهم شيئا أكثر نبلا لأنهم في الحروب بواسل؛ وفضلا عن تجارتهم بالإبل مع الزنوج فلديهم أعداد من الخيول الأصيلة؛ ويمارسون باستمرار صيد "الودّان" (14) والحيوانات البرية الأخرى التي تتوفر بأعداد كبيرة في هذه الأنحاء؛ وهم يتعاطون كثيرا الفلسفة والبلاغة والشعر ويعرفون العروض، حيث يصفون بأشعار موزونة كما في أوروبا [!] حروبهم وحملات صيدهم وشيمهم، وينشدون بعذوبة على دقات الدف وأنغام العود والقيثارة، كما يمارسون نوعا من الرقص المعروف في البرتغال. والكثيرون منهم يحترفون الغناء الذي ينشدونه جماعيا. ويتصفون بالصدق والصراحة الفطريين، وهم غيورون على سمعتهم، ولا يقلل من ذلك كونهم في فقر مدقع؛ وبما أنهم لا يملكون ما يعطونه، فعندما يقصدهم غريب يعتنون به ويسلّونه. ولباسهم يشبه لباس النوميديين (صنهاجة المغرب)، ونسوتهم أكثر عناية نوعا ما بزينتهن؛ وكانت صحاريهم فيما مضى موطن الجيتول والنوميديين، ولكنهم طردوا أولئك الأقوام حتى تخوم السودان، ومكثوا مسالمين مسيطرين على البلاد يتبعهم اصنهاجة الباقون بجوارهم."

ومرمول في بعض كتاباته يكون أقل تمجيدا لهم، فتصدر عنه انتقادات لا يستحقها البيضان، إذ يقول "إن السكان الذين يقــطنون (الصحراء الكبرى السودانية) غلاظ يشبهون الحيوان أكثر من الإنسان، وليس لديهم تطلع للخروج من صحاريهم هذه ليختاروا لأنفسهم موطنا أفضل".

---

(13) ـــ وكذلك من الشمال إلى الجنوب.

(14) ـــ معروف في موريتانيا باسم المهر وهو ظبي أشقر يميل لونه إلى الحمرة أكبر من الغزال.

وعلى العكس ليس هناك واقع أكثر ثبوتا من هجرة البيضان نحو الجنوب، فيقال "إن موريتانيا تنزل" (أي يهبط سكانها إلى الجنوب)؛ ويبدو هذا الأمر جليا من عام لآخر، لأن استتباب الأمن قد زاد في التوالد لدرجة كبيرة. ويهاجر فائض السكان من ساحل المحيط الأطلسي إلى خط تنبكتو، أي نحو البلاد الزنجية لكسب رزقهم، ولكن هذا الواقع كان أقل صحة في الماضي.

ويشهد التاريخ الديني لبلدان الساحل ولوادي النيجر على تدفق مستمر للدعاة والتجار البيضان. ويكفي أن يجتاز الإنسان كل منطقة الساحل من ماسينا إلى انيورو كي يرى قرى جديدة من الحراطين تحمل أسماء عربية، وكذلك آثارا لا شك فيها للدم البيضاني (عربي وصنهاجي) في عدد كبير من قرى إفلان والسونينكه وكا ݣورو والتكارير ولا سيما ݣيرݣنكه؛ وقد انتهت سيادة العرب الحسانيين السياسية في الساحل والحوض (حوالي 1850) وتلقفها مشظوف حتى وصول الفرنسيين بين 1891 ــ 1892.

وإلى الجنوب من انيورو وݣونبْ وسكولو وإلى الشرق من تنبكتو وݣوندام كان الـنفوذ الفرنسي يعم شيئا فشيئا القبائل البيضانية والتي كان حد اصطناعي يفصلها عن أراضي الزنوج الذين وقعت بلادهم تحت الاحتلال بصورة فعلية؛ وكان ذلك النفوذ يقوم على خليط من دبلوماسية حاذقة واستعراض للقوة مما أعطى نتائج ممتازة.

وقد تم إنجاز هذا العمل السياسي على الخصوص بواسطة قبيلة أهل الطالب مختار بدءا من [الشيخ] سيدي الخير، وفي نفس الوقت ابن أخيه [الشيخ] التّراد بن [الشيخ] الحضرمي، ذلك العمل القائم على الملاطفة والنصيحة والتهدئة.

أما بالنسبة لاستخدام القبضة القوية فلدينا مثل من خلال الأسطر التي أرسلها النقيب سانساريݣ Sansaric حاكم انيورو في شهر شتنبر من عام 1893 إلى النقيب ممذ راسين حاكم ݣونبُ: "ما دامت قبيلة مشظوف التي لم تعلن طاعتها للمختار الشيخ ممتنعة عن تقديم خضوعها حاول استدراجهم (أي انتظار الظرف المناسب لتوقع بهم العقاب الذي يستحقونه) وذلك بأن ترسل واحدا أو اثنين منهم لإطلاع رؤسائهم على ما سيلقونه من تنكيل في كل مرة تسنح لنا فيها الفرصة بذلك. ويمكنك أن تلفت نظر المختار الشيخ [بن أحمد محمود بن المحيميد] والآخرين الذين هم ليسوا أعداء لنا، بأننا سنكون سعداء دائما برؤيتهم في أراضينا ولكن بقبول شرط قطعي هو تطبيق أوامرنا". ثم يضيف "لا أريد أن أرى أي بيضاني في بلاد إفلان."

ومن الممكن الاعتقاد أن هذه التعليمات قد جرى تطبيقها بكل دقة، غير أن هذه الفترة التحضيرية (1897 ــ 1912) لم تتخللها إجمالا أية صعوبة حقيقية.

وفي ما بين عامي 1906 ــ 1907 كان جليا أن كل القبائل في حالة انتظار مجيء "قائد" مغربي على رأس قوات مسلحة ببنادق سريعة الطلقات. وتلقى زعماء مشظوف وأولاد

الناصر وأهل الطالب مختار العديد من النداءات لإعلان الجهاد، وضرورة القدوم إلـــى آدرار [التمر] أو مهاجمة الفرنسيين في الساحل.

وقبل ذلك، أي في فترة ما بين 1897 ـ 1898 قامت قبائل كنتـــة أزواد ببعـــض الإشـــارات منادية بالجهاد، غير أن موفدي [الشيخ] عابدين (15) لم يحصلوا على مبتغاهم.

ولكن الاندفاعة الجبارة التي قام بها الجنرال كورو Gouraud في موريتانيـــا، وعمليـــة شراء الجمال في الســـاحل، والتي جعلت الناس يعتقدون بوجود نية لتشكيل أرتال من القوات المتأهبة؛ وأخيرا مجيء مفرزة لافرادير Laverdure من تنبكتو التي وصلت في إبريل ســـنة 1908 عن طريق باسكنو إلى النعمة، كل هذه العوامل أجهضت أية رغبة في المقاومة، هـــذا فيما لو كانت هذه الرغبة قد وُجدت فعلا في يوم ما؛ وهنا أيضا لم يحصل [الشريف] مـــولاي إدريس (16) و[الشيخ] ماء العينين على أية فائدة.

وقد أدى إلغاء الرق في 1908 ـــ 1909 إلى التسبب في إلحاق أكبر ضرر بنا، ولكن قبـــائل إفلان والسونيكه وبنباره هي التي تضررت منه؛ أما لدى البيضان فقد ظلت هـــذه التدابـــير لحسن الحظ غير مطبقة بل ومستحيلة التطبيق.

ثم اقترب موعد احتلال ولاتة الذي سيقود إلى سيطرتنا الفعلية علـــى كـــل هـــذه القبـــائل البيضانية، وقد مهد الوالي اكلوزل Clozel ذلك منذ سنة 1909 عن طريق مفاوضة مشظوف، وفي 14 نونبر من العام المذكور جاء علي محمود الذي سبقه الشيخ التراد مع بعض رجالات أهل الطالب مختار إلى گونبُ على رأس موكب يتألف من مئة رجل؛ وفي مارس ســـنة 1911 ذهب إلى أبعد من ذلك، حيث قام بزيارة الوالي اكلوزل في كولوبا (مقر الوالي في بمـــاكو)؛ وبعد ذلك ببضعة شهور اشترك أخوه لبات في دورية بوليسية جابت منطقة الساحل مع قـــائد تنبكتو.

ومنذ ذلك الحين أصبحت الثمـــرة ناضجة، وصار من الممكن احتلال ولاتة دون طلقة نار

---

(15) ـ هو الشيخ زين العابدين بن الشيخ سيدي محمدْ الكنتي بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير، ولد حوالي 1848 مجاهد كبير، شكل مع أبنائه وأنصاره مراكز للقتال ضد الفرنسيين، فـــي شمال السودان (مالي) ثم في جنوب المغرب، التحق به العديد من رجال المقاومة، توفي في الأربعينات مـــن هذا القرن في جنوب المغرب. انظر كتاب كنتة الشرقيون تأليف بول مرتي تعريب محمـــد محمـــود ودادي، مطبعة زيد بن ثابت دمشق 1985.

(16) ـ مولاي إدريس، من عائلة الشرفاء أهل مولاي إسماعيل سلاطين المغرب، وقد أرسله ابن أخيـــه السلطان مولاي حفيظ، ومعه الشيخ حسنّا بن الشيخ ماء العينين لتنظيم المقاومة ضد الاحتـــلال، وحضـــر معركة النيملان وحصار تجگجه، وبعد الفشل في الأخيرة عاد مع الشيخ حسنّا إلى الشمال، ومعه العديد من المهاجرين إلى المغرب.

واحدة (فاتح يناير سنة 1912)، وسيظل اسم مرتبط بولاتة هو اسم العقيد مـانجو Mangeot أول قائد في الدائرة وقائد سرية المهارى (17) في ولاتة، إذ وجدت "ذكراه في كل مكان".

ولما كان يمارس السياسة البيضانية معتمدا على كل الوثائق المتعلقة بالقبائل وكأنه خبير محنك في المشكلات الأهلية في إفريقيا الصغرى، وباعتباره هجانا محترفا ومقاتلا ناجحا فـي القضاء على عمليات الغزو، فقد ترك في المخيمات كما هو الحال في تقاليدنا الإدارية، ذكرى لن تنسى في وقت قريب؛ وإني لأهدي هذا الكتاب المخصص لقبائل الساحل والحـوض إلـى هذا الاستعماري والهجان الصحراوي.

---

(17) ـ كلمة MAHARIST هي كلمة عربية استخدمها الفرنسيون لركاب الجمال، كما هو مستعمل في أقطار شمال إفريقيا باستثناء موريتانيا التي تستعمل لراكب الجمل: البجاوي، والتسـميتان معروفتـان وكانتا تطلقان على الإبل المملوكة لقبيلتي مهرة وبجاوة حيث تنسب إليهما جيادها، فالمتنبي يقـول عـن مطايا قبيلة مهرة بن حيدان: ويلمها خطة ويلمّ قابلها لمثلها خلق المهرية القود * ويقول عـن مطايـا بجاوة: * وكـل نجاة بجاوية خـنوف وما بي حسن المشى*

الفصل الأول

القبائل الداوودية

(أولاد علوش ـ أهل بوردّة ـ ترمز ـ أولاد زيد ـ الجّعافرة)

لمحة تاريخية

يشمل اسم أولاد داوود بن عروق خمس قبائل تنتجع في الشمال الشرقي، وفي غرب وجنوب غرب إقليم افاكيبين، وأصبحت هذه القبائل منذ تفككها معروفة بصورة أكثر شيوعا، تحت أسمائها الخاصة بها أي أولاد علوش وأهل بوردّة وترمز وأولاد زيد والجعافرة (1)؛ ولهم أصل مشترك، إذ ينحدرون جميعا من داوود بن عروق بن أودي بن حسان.

وكان لداوود عدّة أبناء هم: علوش وزيد وجعفر ويونس وغيلان، وكان علوش ـ عن طريق أولاده الثلاثة: داوود الصغير وبوعلي وبوزيد ـ جدا لقبيلة أولاد علوش الإبل والبقر وأهل بوردّة، أما زيد فهو جد أولاد زيد.

وكان جعفر، عن طريق ابنه رزق جدا لترمز والسكاكنة(2) الذين انصهروا اليوم في قبائل أخرى، وهو عن طريق نجليه هداج ومنصور جد للجعافرة؛ أما يونس فهو جد أولاد زْعيم المنصهرين اليوم في أولاد علوش البقر.

---

(1) ـ أبناء داوود بن عروق ستة هم : عقبة وزيد وجعفر وعلوش وممُ وسعيد، ولا تذكر الحسوة ترمز.

(2) ـ جاء في الحسوة أن السكاكنة هم من ذرية عقبة بن عروق وغيلان الذي ذكره المؤلف هو على أصح الأقوال من ذرية يحيى بن عثمان، أما يونس فهو أخو داوود.

أما رزق الذي ذكره المؤلف، فهو ابن مغفر كما سلف، وهو جد لمجموعة كبيرة من القبائل التي اندثر الكثير منها، او أصبحت مندمجة في بطون أخرى؛ ومنها أولاد بوعلي وأولاد عطية وأولا عبد الواحد وأولاد عسكر وأولاد عايد وأولاد عمران بن رزق والسكاكنة وأولاد خْليفة بن رزق ، وعلى أحد الأقوال ترمز وباسين.

شجرة أولاد عروق: عروق بن أردي بن مغفر (3)					
داوود		يونس			عقبة
		رحمون وزعيم وإعيش وآخرون			
بوكار	مزوك	ياسين		يـــيْ	وآخرون
جعفر عقبة ممُ	زيد	سعيد		علوش	
بوزيد	بوعـلي			داوود الصغير	
هـــؤلاء هـــم: داوود بن عـــروق					

***

ذرية رزق بن مغفر، وهم على أشهر الأقوال اثنا عشر					
	عمران	سكون	خليفة	عطية	عايد
بوكتاب	بوعلي	عايد عبد الواحد	عسكر	ترمز؟	ياسين
جد الكتيبات					

(3) وضعنا هذه الشجرات بتصرف من قبلنا، لتتفق مع المعلومات المتداولة.

أما غيلان، وهو الابن الخامس لداوود، فقد أنجب أولاد غيلان، الذين استــقروا منذ بضعة قرون في آدرار الموريتاني، وليسوا موضع اهتمامنا الآن.

وقد اتجه أحفاد أودي هؤلاء بعد انفصالهم عن أبناء عمومتهم المغافرة وأولاد دليم، نحو تكّانت، وتوقفوا فيها لبعض الوقت، بجوار مرابطي صنهاجة: إدوالحاج. وعندما بدا لهم أن المنطقة أفقر من أن تسمح لهم بالعيش فيها سوية، اضطروا إلى الانفصال من جديد عن بعضهم.

وقد مكث أولاد غيلان مع شطر كبير من الجعافرة في تكّانت، أو صعدوا نحو آدرار، أما بقية أولاد داوود، فاتجهوا تحت رئاسة قائدهم العام داوود الصغير بن علوش، نحو الحوض.

ولا بأس من الإشارة إلى رواية تنسب هذا الانفصال إلى أمر صادر من السلطان الأسود الشهير(4) الذي نجد اسمه في كل الأساطير المغربية؛ إذن، كان أولاد داوود أوائل الفاتحين العرب لمنطقتي الحوض والساحل الأعلى، وسيطــروا سياسيا على هذه الأصقاع خلال مائتي عام تقريبا (القرنين السادس عشر والسابع عشر) ثم اضطروا للهجرة تحت ضغط هجرات عربية أخرى إلى الشرق، وأصيبوا بخسائر على طول طريقهم المحاذي لنهر النيجر من رأس الماء إلى سُكولو، تاركين خلفهم السيادة السياسية لأولاد محمد[با حمد].

وفضلا عن الرواية الشفوية، فإن لدينا برهانا على تقدم القبائل الحسانية هذه نحو نهر النيجر من خلال فقرتــين موجزتين من تاريخ ولاتة، جاء فيهما في فترة 1688 ــ 1689 ارتحل أولاد زعيم من ولاتة إلى النهر" (النيجر).

وجاء في مكان آخر أيضا "فــي عام 1729 قام أولاد بوفائدة بغزو الطوارق، مما أدى إلى فناء عدد كبير منهم على النهر، وهلاك هنوم بن اكدويا.

أمـــا قـــبائل الشمال المعتادة على موطنها الصحراوي، فقد ظلت من كبار البداة، وتتألف ماشــيتها مـــن قطعـــان الإبـــل، ولذلك فهم في حالة تجوال مستديم، وظلوا حسانيين خلّصا، ومحاربيـــن بواســـل وغزاة مدمنين، كما أصبحوا السادة السياسيين لهذا الجزء من الساحل الســـوداني، وفرضـــوا سيطرتهم على إخوانهم الجنوبيين الذين اعتراهم التحول الاجتماعي؛ وقبائل الشمال تلك، هي أولاد علوش الإبل وأهل بوردّة وترمز.

وإذا كانـــت قـــبائل الجنوب تعيش في منطقة أكثر أحراشا ورطوبة تسبب هلاك الإبل، فإن تربـــية ســـائر الماشـــية الأخـــرى تعد ناجحة، وأيضا لما كانت هذه القبائل في أكثر الأحيان تتحالف مع الزنوج المجاورين، فقد فقدت شيئا فشيئا أخلاقها الصحراوية، وتحول أبناؤها

---

(4) أرجح الروايات أن السلطان الأسود هو المولى إسماعيل سلطان المغرب (ت 1727) أو السلطان أبو العنان المريني.

إلى بدو ذوي نفوذ بسيط في الساحل، على نمط جيرانهم من إفلان أواربه، وأصبحوا ملاك قطعان بقر كثيرة وضأن وماعز، حتى أنهم أرسلوا حراطينهم وخدمهم لينشئوا قرى زراعية (مد الله وخليفة ونرى .. الخ) أولئك هم في أيامنا هذه أولاد علوش البقر والجعاقرة وأولاد زعيم؛ وقد خسروا للأسباب السابقة، جزءاً من قيمهم الحربية، واضطروا للإقرار بسيطرة أبناء عمومتهم الذين ظلوا بداة، حيث يشرفون على تعيين زعمائهم الذين يتم اختيارهم مع ذلك، وراثيا في العائلة الحاكمة ذاتها.

وقد حدثت هذه الهجرات وهذه التحولات في القرن السابع عشر، و لم تكن الصحراء الكبرى الجنوبية، المنطقة الوحيدة التي يوجد بها أولاد داوود، فهناك رواية يقدمها أ.ج.ب. مارتان P.MARTIN في كتابه "الواحات الصحراوية " تقول "إن أولاد داوود تمتعوا في نهاية القرن الخامس عشر بنفوذ في كل إقليم تامنتيت، وشيدوا حمّاما للاستخدام العام، وسكّوا عملة؛ وأقرباؤهم هم أولاد داوود المقيمون في تيكورارين".

أولا: أولاد علوش

1 ـ لمحة تاريخية

ينحدر أولاد علوش من علوش بن داوود بن عروق، وهم يجهلون قرابتهم للفخذ الكبير المدعو علوش، الشعانبي، في مطليلي بجنوب الجزائر. وكان لعلوش ثلاثة أبناء هم: داوود الصغير وبوعلي وبوزيد، وقد نشأ من نسل الأول والثالث عدد من الخيام التي أصبح بعضها مع الزمن [أولاد] علوش البقر في حين اندمج الآخرون في أهل بوردة واتخذوا اسمهم؛ ويتألف نسل الثاني أي بوعلي من [أولاد] علوش الإبل الحاليين ومن أهل بوردة؛ أما ابنا بوعلي الأخيران: عثمان والمختار، فقد انحدرت منهما الحلة والعثامنة والمخطرة و[أولاد] علوش؛ وهناك ابن آخر غير محدد ربما كان عزوز، هو الجد الأعلى لأهل بوردة، ومما ترتب على ذلك، نسبة بعض الخيام القيادية من أولاد علوش إلى بوعلي. ولا تنقل لنا الرواية سوى القليل من المعلومات عن علوش الذي عاش في القرن السادس عشر؛ ويقال إنه جاء من الجنوب المغربي، وهو أمر سبقت لنا معرفته، وبلغ ولاتة التي لم يكن فيها حينذاك سوى المحاجيب، أو على الأقل كانت السيطرة لهم، ودخل في خصام مع السكان الحضر في ولاتة ومع أهل الجنوب وذهب بعد ذلك إلى تشيت حيث توفي فيها؛ ولا نعرف الكثير عن بوعلي{2} بن علوش(5) ولا عن نسله في القرنين السابع عشر والثامن عشر، مثل عثمان بن بوعلي{3} وعميرات بن عثمان{4} وبيده بن عميرات {5} ومحمد إبراهيم بن بيده{6} وبابا أحمد بن محمد إبراهيم{7}؛ ولكننا ابتداء من بيده بن بابا أحمد{8} نجد بعض المعلومات التي بدأت في الظهور، ومنها أنه شن حروبا شعواء على أهل الحوض، ومات في باسكنو حوالي 1805 [أو بعد 1190 ـ 1775] ودفن فيها.

واعتمادا على كتاب الطرائف لـ[الشيخ] سيدي محمد(6) فقد خضع شأن معاصريه، لتأثير الشيخ الكنتي الشهير[الشيخ] سيدي المختار الكبير؛ فقد مارس هذا الشيخ في عدة مناسبات نفوذه السلمي على هؤلاء المحاربين المحترفين، وأنقذ في ظرف يذكره الجميع عدة خيام من البرابيش المطاردين من قبل أولاد علوش بعد لجوئهم إلى مخيمه، وحصل على تنازل عام بشأنهم. ومن نفوذه أنه أفلح في تحريضهم على محاربة أولاد بلة الذين كانوا يغزون الساحل

---

(5) الترقيم في الكتاب هكذا:{ } هو للزعماء المتعاقبين على السلطة.

(6) هو كتاب الطرائف والتلائد في مناقب الوالدة والوالد، للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت 1241 ـ 1826) عالم وشيخ صوفية كبير، أخذ عنه العديد من العلماء منهم الشيخ سيديا الكبير، له الكثير من المؤلفات، انظر ترجمته في كتاب كنتة الشرقيون، تأليف بول مرتي، تعريب محمد محمود ودادي، إصدار مطبعة زيد بن ثابت، دمشق سنة 1985.

السوداني؛ فعندما كان أولاد الناصر يهاجمونهم، استطاع أولاد علوش الإجهاز على بقيتهم.

وفي هذه الفترة (نهاية القرن الثامن عشر) احتل أولاد علوش الأراضي التي يسكنونها اليوم، ابتداء من باسكنو حتى افاكيبين، وأخافوا كل المنطقة، بدءا من سُكولو الواقعة على نهر النيجر الأوسط. وقد خلف هنون بن بيده {9} والده حوالي عام 1805، ومات حوالي عام 1825 خلال حملة في منطقة الظهر حيث جرى دفنه هناك. وكانت فترة حكمه متميزة بالحروب مع أولاد محمد [يا حمد] (فكسب معركة كبدة، ولكنه أنكسر في چيگ ه وزگراگه) كما تميز بالخلافات المستمرة مع البرابيش وإگلاد وأولاد الناصر وكنتة.

أما بيده بن هنون {10} الذي خلف أباه، فلا نعرف عنه شيئا؛ وقد خلفه أخوه سيدي {11} واستمر في الحروب ذاتها التي كان يقوم بها والده، وبلغ به بُعد غزوه أن أصطدم بأولاد دليم بين آدرار [التمر] ووادي الذهب، حيث تحتفظ الرواية بذكرى معركة توريين الكبرى بين الجانبين. وهو الذي بنى قرية آغريجيت قرب تشيت حوالي عام 1850، وزودها بآبار وزريبة، وأسكن فيها عبد الله بن المختار الذي التحق به بعد ذلك أناس من أولاد بلّة. وكان سكان هذا القصر يدفعون الغفر لأولاد علوش؛ وقد أثنى سكان منطقة الساحل الثناء العاطر على سيدي بن هنون لإنشائه قرية آغريجيت هذه؛ وقد جرى اغتياله في عام 1857 على يدي أبني أخيه بابا أحمد: بيده وسيدي المختار، ولجأ ابنه الشيخ إلى أهل بوردّة، واستطاع بفضل معونتهم أن ينهك قتلة أبيه بالغارات التي لم تتوقف، لكن القبيلة ظلت في معظمها وفية للقاتلين.

وخلف سيدي في البداية ابن أخيه الشيخ بن بيده {12} الذي مات في عام 1884، ثم الشيخ بن سيدي {13} الذي مات في نهاية عام 1897، وجرى دفنه بين بسيري بوزريبة وبوكندوز. وقد حدث نوع من الانفصال أيام قيادة الشيخ بن بيده، حيث ظل قسم من خيام أولاد علوش مع الشيخ بن سيدي ابن الزعيم السابق، وكانوا ينتجعون معظم الوقت مع أهل بوردّة. ولم تسترد القبيلة وحدتها إلا حوالي عام 1895 عندما أصبح الشيخ بن سيدي زعيمها وأعاد جمع شملها.

وعاش أولاد علوش خلال كل القرن التاسع عشر في تفاهم طيب نوعا ما مع الطوارق المجاورين (كلتدمكت) وإن كانت وقعت بينهم نزاعات مسلحة. ونجد في كتاب الطرائف أن الشيخ الكبير المصلح بين الناس [الشيخ] سيدي المختار الكنتي، قد كتب إلى هنون بن بَيده (حوالي 1810) يعرض عليه وساطته في النزاع بين أولاد علوش الطوارق.

وكانت علاقات البرابيش مع أولاد علوش حسنة بما فيه الكفاية، إلى أن حدث ذات يوم انفصال عدد من خيام البرابيش عن قبيلتهم ليلتحقوا بأولاد علوش (أواسط القرن التاسع عشر)؛ وكان ذلك على أثر معارك ضارية بين فخذين من البرابيش هما أولاد سليمان وأولاد

أحمد هزم فيها الأخيرون، فالتجأ قسم منهم إلى ولاتة، وانصهروا في سكانها، وقصد قسم آخر أولاد علوش.

ولما رفض أولاد علوش رد المنشقين اندلعت الحرب بين القبيلتين؛ وقد باء أول هجوم قام به البرابيش على باسكنو بالفشل، واضطروا للانسحاب بعد أن تكبدوا خسائر، واستمرت الاشتباكات دون توقف حتى شهر يناير سنة 1877، وهو التاريخ الذي عُقد فيه الصلح، ورد البرابيش بموجبه عددا من الخدم الذين كانوا قد سلبوهم، ولكنهم استأنفوا حملاتهم بعد بضع سنوات أي حوالي 1885 وحاصروا باسكنو؛ وقد استطاع أولاد علوش بحركة التفاف على مخيمات البرابيش في أزواد، أن يرغموهم على رفع الحصار، واستمرت الغزوات المتبادلة حتى وصول الفرنسيين.

ومن جهة أخرى وبعد صراعات عديدة، استطاع أولاد علوش وقبيلة كلنصر المجاورة في نهاية الأمر أن يتفاهموا، بيد أننا نرى من خلال رواية الملازم علي صال مندوب الوالي افّديرب FAIDHERBE (7) أنه خلال وجوده في ولاتة سنة 1861 "قام جيش إكلا د المؤلف من 500 رجل فرسانا وهجانة والمسلح بالرماح، بمهاجمة أولاد علوش وأهل بوردّة، غير أنهم لقوا هزيمة منكرة على أيدي العرب المسلحين بأسلحة نارية، واستطاع 70 رجلا منهم فقط العودة سالمين إلى موطنهم."

وتم عقد الصلح فيما بعد بين الطرفين، وصار بمقدور رجال أولاد علوش أن يمروا بأسلحتهم بكل طمأنينة عبر أراضي كلنصر، على شرط ألا يقوموا بالنهب.

ولما كان أولاد علوش قبيلة محاربة محترفة فلم يسمحوا أبدا بغزوات القبائل القادمة من الشمال أو من الغرب: الرقيبات وأولاد بالسبع وأولاد غيلان، وقد شنوا حروبا ضارية على الغزاة الذين عاثوا في المنطقة فسادا. وخرجوا على العموم ظافرين من هذه الاشتباكات، وعلى كل، لم يترددوا في عدّة مناسبات بعد احتلالنا في الالتحاق بهؤلاء الغزاة لمهاجمتنا.

وقد ثابر أولاد علوش على خوض حروب دامية ضد مشظوف، ومنعوهم من تثبيت أقدامهم في منطقة الساحل الشرقي؛ ورغم ذلك، فعندما فرض البرابيش حصارا على قرية باسكنو، أرسلت مشظوف نجدة لأولاد علوش مؤلفة من 400 بندقية ، ولم تكن هذه المعونة عديمة الجدوى، غير أن الهدنة بينهم ومشظوف كانت قصيرة الأمد.

وفي سنة 1905، هبط مشظوف نحو الشمال(8) وأغاروا على بعض مضارب أولاد علوش؛

---

(7) هو الجنرال الويس افّديرب والي السنغال من سنة 1854 ــ 1861، ومن سنة 1863 ــ 1865، أول من حول العلاقات بين أمراء الضفة الموريتانية للنهر وفرنسا إلى علاقات تبعية، مهدت للاحتلال.

(8) بل الجنوب.

وصادفوا عند آبار فصالة جنوب باسكنو قسمين من أولاد زيد فهاجموهم، ووقع عـــدد مـــن القتلى والجرحى بين الفريقين؛ وبعد هذه المعركة قرر زعيم أولاد علوش تجميع قبيلته حـول باسكنو للدفاع عنها إذا لزم الأمر، غير أن الهجوم لم يحدث. وبعد برهة من الزمـــن، نـــهب مشظوف بضعة قطعان من قرية انچوگو، وكان لهذا الحادث أثره خلال بضعة أعـــوام علـــى استقرار الساحل الشرقي.

وفي شهر يوليه من عام 1905 أيضا، دخل أولاد علوش وأهل سيدي في نـــزاع، وتوقـــع الناس معركة شاملة. فقد تم اغتيال اثنين من رجال قوافل أولاد علوش من جانب أهل سيدي، وقام أولاد علوش بإعدام أحد وجهاء أهل سيدي الذي زارهـــم لاســترداد ديـــن لـــه، ثـــأرا لقتيليهما، وأمكن بصعوبة إعادة السكينة من جانب السلطة الفرنسية.

وعند مرور الرحالة لينز lenz بهذه الأنحاء، كاد أن يكون ضحية لهم، فقد كتب "لقد ظـــل الثالث من شهر أغشت من عام 1880 دوما في ذاكرتي." وكان ذلك بكل بساطة عندما التقى بـــهم، حيث اضطر للدفاع عن نفسه والسلاح في يده، ولكنه لم يضطر لاستعماله. ولم يستفد شـــيئا من ادعائه بأنه طبيب تركي ولا من مكانة دليله باعتباره أحد الأشراف تجاه هؤلاء المحاربين الذين كانوا يستهدفون أساسا الإضرار برجال القافلة البربوشية والترمزية المرافقة.

وفي الواقع ظهروا أقل شراسة مما كان يخشاه [الرحالة] منهم، لأن زعيمـــهم أبـــو بكـــر اكتفى بأخذ بعض الأشياء التي تناسبه من أمتعة لينز، ورافقه فيما بعد حتى باسكنو، وبذلـــك حماه من التعرض لعمليات نهب من جانب رجال أولاد علوش.

وكانت فترة زعامة الشيخ بن سيدي حافلة بالعديد من الاغتيالات حسب العادة البيضانيـــة، فقد قام ابنه الأكبر محمد ــ بعد استعانته بأحد أبناء عمه وهو محمد بن هنـــون ــ بمفاجـــأة سيدي المختار بن هنون، وقتله غيلة في عام 1893، ثأرا منه لقتل جدهم المشترك سيدي بن هنون، ولم تكن جريمة القتل البعيدة تلك تقض مضجعي هذين الشابين، ولكن الواجب كـــان يفرض التضامن، واتباع التقاليد الموروثة.

وقد حمل سيدي محمد الملقب أغلى ناسي بن الزعيم المغدور والمرشح لزعامة القبيلة عند موت والده سنة 1913، حقدا رهيبا على أبناء عمومته. وعلى أثـــر وصولنا إلـــى هـــذه البلاد، أرسل الشيخ بن سيدي ابنه للاتصال بسلطات سُكولو، وتـــم التوقيـــع علـــى "وثيقـــة خضوع" غامضة في شهر مايه سنة 1894 مع الوالي اگرودى GRODET الممثَّل بـــالنقيب روستينگ ROSTAING وهذا محتواها:

البند الأول، ابتداء من هذا اليوم 8 مايه سنة 1894 تعترف مختلف الجماعات التي تؤلـــف قبيلـــة أولاد داوود إلى الأبد بالسلطة الكاملة للحكومة الفرنسية؛ ويكون صك الخضوع الكامل الذي وقعه الشـــيخ بـــن سيدي، منطبقا على القبائل الآتية أسماؤها:أولاد علوش، ويضمون الفخذين الملقبين [أولاد] علوش الإبـــل،

و[أولاد] علوش البقر وأهل بوردّة وأولاد زيد والشباهين وأولاد مٌ و[أهل] الشيخ محمد لقظف وديلوبة و[أهل] الحاج الحسن.

البند الثاني، تتعهد هذه القبائل بالا تعقد معاهدة تجارة أو صداقة إلا بواسطة السلطات الفرنسية.

البند الثالث، لن تشن هذه القبائل أي حرب ضد أمم أو قبائل دون ترخيص من السلطات الفرنسية، وستحارب في خدمة القضية الفرنسية إذا ما طلب الوالي منها ذلك بعد أن توافق على ذلك جماعة القبيلة.

البند الرابع، ستضمن هذه القبائل فوق أراضيها وفي مراتعها سلامة القوافل المتجهة نحو المؤسسات الفرنسية، وستحمي كل البعثات أو المسافرين الموفدين أو المدعومين من الحكومة الفرنسية، وتقدم لهم الأدلاء.

البند الخامس، ستحترم الحكومة الفرنسية عادات القبائل فيما يتعلق بالدين والقضاء داخلها واختيار رؤسائها.

البند السادس، يقبل والي السودان الفرنسي بأن يترك لأولاد داوود كما هو الحال في الماضي حق جباية الضريبة المسماة "الغفر" ومقدارها ثلاثون ذراعا من النيلة عن كل حمل جمل، وذلك من القوافل الخاصة بأهل تشيت وآغريجيت وتكنة وأولاد بالسبع والرقيبات وإدوعلي وآمگاريج وأهل أروان فواجي.

البند السابع، ستستخدم الحكومة الفرنسية سلطتها ونفوذها لحماية أولاد داوود من القبائل المعادية، وسترد عنهم المظالم، ولكنها لن تكون مجبرة أبدا على الاشتراك في القتال أو توريط قواتها فيه. وعندما يكون أولاد داوود في حالة حرب مع أعداء الفرنسيين فإن المعونة ستقدم لهم بالتسهيل لرؤسائهم بالتزويد بالأسلحة الذخيرة.

البند الثامن، إن كل الأشخاص المنتسبين لأولاد داوود مخولون بالتجول في المناطق الخاضعة للفرنسيين وبممارسة التجارة والمبادلات مع المؤسسات والقرى المحلية.

البند التاسع، لن تُفرض أي ضرائب على أولاد داوود حتى قرار جديد من الوالي."

ونلاحظ أن زعيم أولاد علوش قد أدمج في عداد رعاياه أهل الحاج الحسن الذين قام هو نفسه بطردهم من باسكنو مع أولاد زيد وعدد من مخيمات الجعافرة، مما أدى لاحتجاجات عنيفة من جانبهم .

وفي الواقع كان الشيخ بن سيدي هو أول من أسقط من حسابه هذه المعاهدة، وقام بغزو جيرانه الخاضعين لنا من قبل، بيد أن إنشاء مركز سامبي سنة 1895، ثم مركزي نرى والنبالة عمل على تقليص ميدان حركة قبيلة أولاد علوش، ولكن ذلك لم يمنع عملياتهم في المناطق المجاورة مباشرة؛ وفي الواقع كان كل المربّع المؤلف من باسكنو ونرى وسامبي ورأس الماء موطنا لأحيائهم، وكانت القوافل تتحاشى هذه المنطقة بسبب اختلال الأمن فيها.

وبما أنه كان من الضروري معالجة هذا الوضع فإنه ابتداء من شهر يوليه سنة 1896 تم تنظيم شبكة استطلاع شبه متصلة على خط الأبيار (رأس الماء باسكنو) وكان نجاحها كاملا بعد الغارات المتبادلة على الماشية بين القبائل، مما أدى إلى انسحاب الأحياء المتنقلة نحو الساحل واستئناف الحركة التجارية.

ومن الضروري القول بأن فرقنا العسكرية كثيرا ما عملت على تأخير حل هذه القضية؛ فبينما كانت هناك مساع مع الرئيس سيدي لمحاولة جره إلى المصالحة، كانت مشكلة خضوعه من جهة أخرى، معروضة على السلطة العليا، وبدت كأنها مشكلة مستعصية على الحل، ولا يمكن أن تحسم إلا بالقوة، ولا سيما بالاستيلاء على باسكنو.

وفي الواقع كان نفوذ قبيلة أولاد علوش ممتدا على منطقتين، أي على الساحل بواسطة دائرة سُكولو ونرى، ومنطقة تنبكتو بواسطة دائرتي سومبي ورأس الماء؛ وقد أعدت كل من المنطقتين مخطط حملة عسكرية، كانت كل منهما تتسابق على تنفيذه.

وقد اضطُر الوالي إلى إصدار أمر شديد اللهجة، كبت فيه الحماسة التي اعتبرها في غير أوانها، ومنع بشكل قاطع مسؤولي الاستطلاع من تجاوز خط الأبيار، وأكد أنه لن يحتل قرية باسكنو إطلاقا، لأنه ارتأى أن ليس من السياسة الحكيمة احتلال مراكز الساحل التجارية؛ وكان ذلك قرارا حكيما لأن عمليات الاستطلاع هذه حظرت على أولاد علوش دخول الأراضي الخاضعة للفرنسيين، حتى يأتوا لتقديم عروضهم السليمة.

وقد تم استدعاء الشيخ بن سيدي من الجانبين، لأن منطقة الساحل كانت تتذرع بالقول بأن باسكنو تقع في نطاق نفوذ سُكولو، ولذلك احتجّت على مساعي منطقة تنبكتو، التي كانت حسب قول منطقة الساحل تمنع المفاوضات عن بلوغ نهايتها، وتطالب بأن تظل وحدها المكلفة بالتفاوض مع رجال أولاد علوش، وقد وافق الوالي على هذا العرض، وأمر المنطقة الشمالية بتحاشي أية نزاعات ضارة بالسلام، والتوقف عن عمليات الاستطلاع، وذلك في نونبر 1896.

وقد تجلى للعيان فيما بعدُ أن الشيخ بن سيدي شدد من موقفه، بسبب هذه الالتماسات المختلفة مؤزّرا بترددنا الواضح، إذ لم يكن له سوى هدف واحد هو تمديد المفاوضات إلى ما لا نهاية، لتحاشي عمل عسكري ضده، وحماية مزروعاته، متعلقا برغبتنا في التفاوض، بينما تستمر أعمال النهب تحت غطاء وعود مراوغة لا تنتهي.

وقد كانت هذه المناورة مكشوفة بوضوح، فبعد أن خدع المراكز العسكرية، قصد بعدئذ كلا من گوندام وسُكولو وسومبي، مدعيا بأنه من الأفضل أن يتحادث مع هذا أكثر من ذلك .. الخ، إلى أن تلقى مختلف قادة الدوائر أمرا حازما بأن يرسلوه إلى سُكولو؛ وأبلغه قائد هذه الدائرة الأخيرة الشروط التي وضعها الوالي من أجل عقد السلم، ومن جديد بدأ بالتسويف، وراح يناقش هذه الشروط نقطة بعد أخرى؛ ولما كان كل شيء يتم بواسطة المندوبين الذين صرحوا في آخر لحظة بأنهم لا يستطيعون أن يقطعوا عليه عهدا وهو غائب، كانت الأيام والشهور تمر، وكانت عمليات الاستطلاع قد توقفت بأمر رسمي لأنها تعيق المفاوضات، هذا في الوقت الذي كان المحاربون لا يجدون أي مانع من استئناف عملياتهم.

وقد وقعت عدّة أعمال سلب هامة في دجنبر سنة 1896، وكذلك في يناير وفبراير من عام 1897 في كل من موقع أورتمشت وتنبولو قرب بحيرتي تندا وگاصه، حيث أصابت القوافل المارة والقطعان التابعة لسكان الحضر. ولما كانت مهمة قائد منطقة تنبكتو المكلف بها، هي تأمين سلامة منطقته، فقد استأنف أعمال الدوريات على طول خط الأبيار.

ولا يمكن تصور القدر الذي عملت فيه هذه المشكلة على تهييج النفوس في هذا القسم من السودان. وحدث أن قام ضابط استطلاعي تصادف مع قسم من قبيلة أولاد علوش بمطاردتهم، وفي خلال برهة من الحماسة ونسيان الأوامر المعطاة، بلغ باسكنو التي اجتاحها دون إطلاق رصاصة واحدة، وهو الملازم ويرث WIRTH (بداية عام 1899) وفي الختام وبغية إعطاء هذه المشكلة طابعها الحقيقي يجدر بنا أن نضيف أن قائد سُكولو قدم استقالته من قيادة الدائرة فور وصول هذا الخبر إليه.

وقد عملت صعوبات نقل الأوامر واتساع المسافات .. الخ، على احتلال باسكنو لمدة ثلاثة شهور دون أي خطر على حاميتها الصغيرة؛ ولما كانت البوادي تحت رحمة أولاد علوش فقد اندفعوا حتى ضواحي النبّالة، وكعملية انتقام، نهبوا قريتي تنداروبه وفوتا انكوبى الواقعتين تحت حماية فرنسا. ولما انتقل قائد منطقة الساحل بناء على الأوامر إلى باسكنو للتعرف على الموقف عن كثب، قام بمباشرة مفاوضات جديدة. وكان من بين أوائل شروط السلام الإضافية المفروضة على الشيخ بن سيدي، الالتزام برد المنهوبات الحديثة، وفي مقابل ذلك كان على الفرنسيين الجلاء عن باسكنو؛ واستمرت المفاوضات كما هي العادة ببطء شديد، وفي نهاية الأمر وبعد نفاذ الصبر غادر القائد الفرنسي باسكنو بعد أن أحرق البلدة ورافقته مجموعة من أهل الحاج الحسن الذين هم تحت حماية أولاد علوش، ولكنهم كانوا قد أعلنوا خضوعهم، وطلبوا إنشاء قرية لهم في النّبالة تحت الحماية المباشرة للفرنسيين.

وإذا كان الوالي لم يكن راغبا في "اجتياح" باسكنو، فذلك لأنه كان مشغولا من جهتي الشرق والجنوب الشرقي، وبالتالي لم يكن قادرا على الشروع في عملية لا يستطيع أن يستشف مخرجا منها؛ وقد أظهر هذا الحادث كمْ كانت قدرة مقاومة هذه القبائل من سكان الساحل ضئيلة ضد رماتنا المتصفين بالانضباط، ومقابل رمايات أسلحتهم ذات المدى البعيد؛ ولكن، وبالإضافة إلى ذلك، وكما سبق أن قلنا، فإن السلطة ارتأت أنه لم يكن من اللازم احتلال المراكز التجارية في الساحل عسكريا لأن التجارة ستنحرف عنها. وبسبب الاقتناع بصحة هذا المبدأ الذي يبدو مع ذلك أكثر من مشكوك فيه، وأيضا لتنفيذ الوعود المقطوعة، فقد أُعطي الأمر أخيرا بإخلاء باسكنو، غير أنه لما كان من الضروري حماية الحدود، فقد شكل الوالي لجنة أنيطت بها مهمة البحث عن موقع مناسب لمركز عسكري صغير يقع بين نرى ورأس الماء؛ وقد تم اختيار منقطة بوكنلوز على خط الأبيار، غير أن الأحداث حالت

دون إشغاله، بل عكس ذلك جرى تخريب بئره؛ ومن ناحية أخرى فإن مخفر الجمرك في بودوبادي الذي كان يراقب المنطقة الواقعة ما بين نرى وسومبي، لم تكن فيه حامية بكل معنى الكلمة؛ وهكذا استمرت أعمال النهب على أشدها، هذا في حين لم تكن أحداث تنبكتو المتعاقبة تسمح باستئناف عمليات الاستطلاع في خط الأبيار.

وقد استؤنفت المفاوضات مع أولاد علوش، واستمر الشيخ بن سيدي في الاستخفاف بنا، وتمسك بخط سلوكه الذي لا يتبدل، فكان يشن غاراته من ناحية ويثير من ناحية أخرى انتباه المنطقة بوعود الخضوع، وبتنفيذ شروط السلم المفروضة، ومنها الالتزام بترميم وصيانة آبار خط رأس الماء حتى باسكنو، ولكنه لم يفعل شيئا، فتعرضت هذه الآبار مع الزمن إلى الردم والخراب، وأصبحت غير صالحة للاستعمال؛ وكان الشيخ بن سيدي يؤكد في الوقت ذاته على حسن نيته، واستحالة إصلاح الآبار، كما كان عليه أن يعيد الأشخاص الذين أسرهم في قريتي تنداروبه وفوتا انكوبى، ولكنه لم يُعد إلا خمسة منهم، معلنا بأن الغنيمة قد جرى اقتسامها مع مشظوف الذين كانوا قد اصطحبوه، ولم يعطوه منها إلا العدد الذي رده، وكان يتذرع أيضا بأن لا نفوذ له على مشظوف حتى يفرض عليهم رد البقية.

كما أن توسط [الشيخ] سيدي الخير وقبيلة أهل الطالب مختار، الذي حث عليه العقيد لاماري LAMARY لم يتمخض عن أية نتيجة ذات بال، بل زاد الطين بلة، إذ جرى اختطاف [محمد] مفتاح الخير أخي [الشيخ] سيدي الخير من باسكنو بعنف بعد ذلك بقليل على يد سيدي بن الشيخ، مما أدى إلى توقف المفاوضات.

وباختصار كانت أكثرية أولاد علوش البقر قد عقدت في نهاية سنة 1896 تحالفا معنا في سُكولو، وأعلنوا خضوعهم الحقيقي، ونقصد بهؤلاء، السكان من أشباه البداة والخدم المستقرين أو الذين استقروا حديثا الخاضعين لأولاد علوش، إلا أن أولاد علوش الإبل وهم الأحرار القاطنون في البادية، ظلوا في حالة تمرد كامل، ويشكلون الخطر.

وكان الشيخ بن سيدي يستقبل في مخيماته أعدائنا، مثل الحاج بن بُكنو [رئيس إفلان] وانكونا [بن حواله رئيس إگلاد] ويحاول أن يجر معه إلى الثورة القبائل التي كانت قد خضعت؛ وابتداء من تلك الحقبة كان القسم الأعظم من أعمال السلب في منطقة رأس الماء وهورو واقاكيبين يُنسب إلى أفراد قبيلته؛ وفي الوقت ذاته كان الشيخ مستمرا في نهجه القديم، فكان يجبي الضرائب من كل القوافل التي تمر بباسكنو؛ وقد استمر هذا الوضع حتى وفاته في 25 أكتوبر سنة 1897، واستؤنف في عهد ابنه سيدي {14} الذي تسلم قيادة القبيلة بعد رفض عمه المختار توليها حتى عام 1905. ففي ذلك التاريخ تم اغتيال زعيم من العثامنة، هو الشيخ بن سيدي أحمد الحسين على يد حننّه أخي سيدي بن الشيخ، وبعد هذه

الإهانة، تقدم فخذ العثامنة إلينا وطلبوا الأمان في 14 شتنبر سنة 1905 وحصلوا عليه دون صعوبة.

وفي الأول من شهر أكتوبر سنة 1905 تقدم المخطّرة بدورهم للخضوع في رأس الماء، غير أن قائد منطقة تنبكتو رأى أن أولاد علوش يتعلقون إداريا بسُكولو، وبما أنه يريد أن يتحاشى أي تجاوز على حقوق هذه الدائرة المذكورة، وعدم إعطاء أية ذريعة للرئيس سيدي بن الشيخ لتفجير نزاع معه، فقد رفض قبول خضوع هذا الفخذ، وكتب إلى سيدي رسالة جاء فيها "لقد علمت من قائد رأس الماء أن المخطّرة طلبوا الخضوع، وبما أنني لا أود أن أنتزع منك جماعتك، أخبرك بأنني رفضت ما طلبوه، اللهم إذا كنت غير راغب فيهم؛ وعلى كل حال فباستطاعتهم أن يرتعوا في أرجاء منطقة رأس الماء بشرط أن يبقوا في سلام مع جماعتنا."

وظل الوضع على هذا الحال إلى أن انتشرت في نهاية نونبر سنة 1906 أخبار عن غزوات الرقيبات وأولاد علوش، الذين جاءوا بنية نهب مختلف القبائل الرحالة في شمال افاكيبين؛ وما أن علم قائد رأس الماء مبكرا بالأمر حتى أعطى الأوامر للقبائل الخاضعة بالاقتراب من الثكنة العسكرية؛ وكان أولاد علوش يستهدفون بشكل خاص فرعا من ترمز يطلق عليه ترمز المخطّرة الذين كانوا يتجولون بين تنبكتو وافّاكيبين، وذلك للثأر منهم لقتلهم أحد حدادي أولاد علوش كان يجمع أموالا في الوسرة؛ وتلقى ترمز أمرا بالهبوط نحو الجنوب، وبتنظيم رجالهم لصد الغزاة، وتنبيه قائد المنطقة عند أول إنذار ليساعدهم بشكل فعال؛ واتجه أولاد علوش في البداية نحو الشرق قبالة شمال افاكيبين لينقضوا على مضارب ترمز التي اعتقدوا أنها لا تزال في تيريكين، ثم انكفؤوا فجأة نحو الجنوب، حيث استولوا على قطيعين من الإبل لترمز في السابع من دجنبر؛ غير أن رجال ترمز البالغين خمسة عشر قاموا بمطاردتهم إلى أن أدركوهم في المساء على مسافة 70 كم، شمال غرب تنبكتو، وخاضوا معهم معركة هزموهم فيها، حيث هرب رئيسهم، تاركا اثني عشر قتيلا، وحاملا معه ثلاثة من الجرحى، في حين لم يصب من ترمز سوى رجل واحد بجرح خفيف في يده؛ وكانت تلك المطاردة متميزة بحيوية فائقة، بحيث لم تُخطَر تنبكتو إلا بعد أن كان الغزو قد تشتت.

وعلى أثر هذه الغارة لم تعد إدارة تنبكتو تستطيع اعتبار الخضوع الذي أعلنه أولاد علوش في سُكولو حقيقيا، فقامت بإخطار فخذ المخطّرة بأن الإدارة تقبل الآن التعامل معهم، وتم تسجيلهم في رأس الماء على أساس أن تكون مساهمتهم الحربية 80 نعجة أو رأسين من الإبل، وأن تكون الضريبة السنوية أربعين نعجة، أو جملا واحدا.

وقد أدى ذلك إلى خضوع سيدي الذي حاول في آخر لحظة القيام ببعض الغارات على إديلبة. وفي شهر يناير من عام 1907 قام رئيس فخذي الكنكات والبرابيش العلوشيين الباقيين عن الخضوع، بطلب السلم.

وفي 11 مارس من نفس السنة، وقع في تنبكتو بين الحاكم مازيليى MAZILLIER قائد المنطقة وسيدي بن الشيخ الممثل بابنه المختار على المعاهدة التالية:

"أولا، يعلن رئيس أهل سيدي (أي على الأصح عائلة سيدي التي هي مخيم الرئاسة لقبيلة أولاد علوش) ومعه أحياؤه، وفخذا الكنكات والبرابيش خضوعه بصورة نهائية للسلطة الفرنسية.

ثانيا، يستمر أولاد علوش التابعين لسيدي المشار إليهم فيما سبق، بالانتجاع حول باسكنو ورأس الماء، وكذلك في شمال الخط وجنوبه، ولكنهم لن يتجاوزا غربا الخط الممتد من الشمال إلى الجنوب المار بآبار جلاك (كحد أقصى).

ثالثا، يظل فخذا العثامنة والمخطّرة مستقلين، وهما اللذان سبق لهما الخضوع للسلطة الفرنسية، وتم الاعتراف باستقلالهما تحت سلطة رئيسيهما.

رابعا، لن يتم دفع أية دية إلى أولاد علوش من القبائل الخاضعة للفرنسيين، لقاء أعمال ثأر ضد بعض جماعات أولاد علوش الذين كانوا سابقا في حالة حرب معهم كما لن يطالب أولاد علوش بأية ديات لحوادث مماثلة وقعت قبل تاريخ عقد هذا الاتفاق.

خامسا، تتعهد جماعات أولاد علوش التابعين لسيدي بأن تلتحق بالقبائل المحاربة لصد كل الغارات مهما كان نوعها، وخاصة تلك التي تستهدف سرقة أموال القبائل الموجودة في منطقة رأس الماء.

سادسا، وتكريسا لخضوع قبيلة أولاد علوش التابعين لسيدي، فسيدفعون 20 رأسا من الإبل لمركز رأس الماء العسكري، عشرة منها خلال شهر من التاريخ المسجل أدناه، والعشرة الأخرى في الشهور الثلاثة التالية.

سابعا، ابتداء من سنة 1908 ستدفع قبيلة أولاد علوش ضريبة مقدارها 6 جمال."

وبعد أن كان سيدي العدو اللدود للنفوذ الفرنسي، أصبح أكثر الزعماء إخلاصا؛ حيث اعترف بأنه لم يخضع "إلا لأن الفرنسيين أقوى منه"، وبعد ذلك لم يعد يسبب أية قلاقل؛ ولما كان رجلا صادقا ومليئا بالحيوية، فقد كان مخلصا دون مذلة.

وهكذا أمكن مواجهة مشكلة إعادة وحدة أولاد علوش ابتداء من عام 1912 لأن سيدي هو الرئيس الوارثي اللامنازع والمرهوب الجانب.

ولسوء الحظ كانت صحته العليلة لا تسمح له بتبوؤ مكانته تماما، ومات بصورة مبكرة في 15 إبريل سنة 1913، وخلف ابنين هما: دشق المولود في عام 1890 والذي سنتكلم عنه فيما بعد، والشيخ، المولود حوالي عام 1907.

وبما أن سيدي كان مرهوبا جدا، فلم يكن مطاعا إلا جزئيا حتى في الفخذين المخلصين له؛ وفي شهر يوليه سنة 1907 استغلت أحياء أهل أمكاي (ورئيساها النميد بن أحمد غمدة وغينا بن سيدي عثمان) التي لم تكن مشمولة باتفاق خضوع سيدي والتي كانت تقيم في بوزريبة دون أعباء ودون ضرائب، أقول استغلت هذا الوضع كي تبتزّ جيرانها، إلا أنها انضمت إلى زعيم أولاد علوش خوفا من الانتقام؛ غير أن سيدي فرض على هذه المخيمات القليلة العدد القسم الأعظم من غرامته الحربية، مما أدى إلى انفصالها عنه في عام 1908؛ كما أن

أحياء أهل عمران والبرابيش وأهل بركة انفصلوا عنه أيضا بعد أن خذله أهل أمُكاي، ولكنهم استمروا في دفع الإتاوة له دون أن ينفذوا أوامره؛ وتشير هذه الوقائع الصغرى إلى الطابع الاستقلالي لهذه القبيلة المحاربة وهو ما ينبغي أن يلفت انتباهنا إلى المرونة واللباقة اللتين يجب أن نحتفظ بهما على الدوام لإدارة هؤلاء البدو.

2 ــ التوزيع والشخصيات الحالية

يضم أولاد علوش مجموعتين:

(1) ــ أولاد علوش الإبل، وهي مجموعة بدوية (النعمة ــ ولاتة).

(2) ــ أولاد علوش البقر، وهي مجموعة من أنصاف البدو شديدة التدين (سكولو).

(1) ــ ينقسم أولاد علوش الإبل إلى خمسة أفخاذ ثانوية هي (أ) الحلّة (ب) العثامنة (ج) المخطّرة (د) الكنكات، (هـ) البرابيش (و) أهل الطالب عبد الله [(ز) باسكنو].

(أ) ــ الحلّة هي كما يشير اسمها حي الرئاسة، وتضم 32 خيمة، وشيخها هو حنّنه بن الشيخ الرئيس العام للقبيلة.

(ب) العثامنة، ويطلق عليهم أحيانا عثمان وحتى فمّان، ويتألفون من 76 خيمة، وابتداء من وفاة اسلماقه (تحريف زنجي لغمارة) بن عدّه سنة 1916 أصبح رئيسهم بن دفناج، ويتألفون من الأحياء التالية: أهل الجود رئيسهم: بن عدّه، وأهل همد بن عيسى رئيسهم: أعمر بن جدًّ، وأولاد بالقاسم رئيسهم: الشيخ بن دفناج، والمقايس رئيسهم: عالي بن خابّة؛ وهم ينتسبون إلى أصل علوشي صميم عن طريق عثمان بن بوعّلي بن علوش.

(ج) المخطْرة، ويتألفون من 38 خيمة، ويرتعون على الخصوص حول بئر الأرنب، ورئيسهم هو سيدي محمد بن معتوق، الذي خلف الزعيم ابّه أحمد بن محمد [بن] إبراهيم الذي قدم لنا خضوعه، ويشتملون على الأحياء التالية: أهل عُبيد رئيسهم: سيدي محمد بن معتوق، وأهل علي بن المختار رئيسهم: محمد بن عبيدً، والمخطّرة وهم من أصل علوشي صميم، وينتسبون إلى المختار الدصّار[المقدام] بن بوعّلي بن علوش.

(د) الكنكات، 36 خيمة، ويضمون المخيمات التالية: أهل بركة، رئيسهم: محمد لقظف، وأهل أمكاي، رئيسهم: أحمد الولي بن أحمد رمظان، وأهل عمران، رئيسهم: سيدي محمد بن الطالب، والرئيس العام للفخذ هو محمد لقظف بن محمد بن علي [مّحمد لعلي].

ويؤلف الكناكات في الوقت الحالي قبيلة كبيرة في جنوب المغرب، وكانوا يرتحلون في الماضي مع أولاد علوش في الصحراء الكبرى الشمالية، وعلى أثر هجرة أولاد علوش نحو الجنوب لم يبق منهم معهم سوى بضع خيام، هي أجداد هذا الفرع (9).

(9) الكنكات، موجودون أيضا بكنتة آدرار، كما أن الحسوة تذكرهم في أولاد الناصر.

(هـ) البرابيش، ويضمون 11 خيمة، ورئيسهم هو سيدي فال بن سيدي أحمد بن عمر باي، ويعودون من حيث الأصل إلى أولاد أحمد (البرابيش)؛ ويقولون إن جدهم هو الحاج علي الذي فر من البرابيش في أواسط القرن التاسع عشر في أعقاب جريمة قتل، والتجأ إلى أولاد علوش حيث تزوج منهم واستقر فيهم.

وينبغي أن نضيف إلى هذه الأفخاذ الخمسة من أولاد علوش الإبل التي تضم 193 خيمة، زوايا أهل الطالب عبد الله، وساكني قصر باسكنو، وذلك كالتالي:

(و) أهل الطالب عبد الله وهم من صميم أولاد علوش، إلا أنهم أصبحوا زوايا، وينتسبون إلى عبد الله بن بوزيد بن علوش الذي سئم حياة أهله، فتاب. وعلى الرغم من ذلك فإن أهل الطالب عبد الله لا يتحلون اليوم بصفات الزوايا، ورئيسهم هو يبّه بن المرابط بن محمد المختار بن محمد بن الطالب عبد الله الجد الذي يحمل الفخذ اسمه.

(ز) باسكنو، وهو عبارة عن قصر صغير، يسكنه مائتا شخص، نشأ على هيئته الحالية خلال القرن التاسع عشر حول بئر يحمل الاسم ذاته. وقد تم حفر البئر في أزمان سابقة كما تقول الرواية، على يد جماعة من قبيلة ينباره الزنجية، غير أنه في بداية القرن التاسع عشر قام بيده وابنه هنون بطردهم، مما سبب بعض ردود الفعل من جانبهم. فاستنادا إلى تاريخ ولاتة اجتاحوا القرية سنة 1832، وقتلوا الكثير من الناس، ومنهم رجل صالح هو الفقيه أباتنا بن أحمد. وكانت قبيلة أولاد علوش ترسل إلى القرية كل عام خدمها وحراطينها للعمل، ثم ارتأوا أنه من الأفضل أن يتركوا فيها عدداً منهم للإقامة الدائمة، ومع الزمن حصل بعضهم على الحرية، ولم يعودوا يدفعون لأولاد علوش سوى إتاوة سنوية.

وقد مر الرحالة لينز بباسكنو سنة 1880 متجها نحو سُكولو، ولم يجد فيها أحدا، حيث كان الشيخ بن سيدي قد انسحب منها وأتلف البئر تحسبا لهجوم فرنسي على أثر رفضه الخضوع سنة 1826.

وبعد ذلك بفترة قصيرة وكما سبق وقلنا، احتل فصيل من القوات الفرنسية قادم من تنبكتو، القصر (10) قبل الاضطرار لإخلائه بعد وقت قصير، وأثناء ذلك تلقى خضوع عدد من رجال أولاد علوش؛ وعادت القوات الفرنسية بصورة فعلية إلى باسكنو في عام 1897، هرب الناس ما عدا رئيسهم الذي قدم نفسه.

وقد مر بباسكنو الرائد لافردير أثناء عملية استطلاع في منطقة الساحل الشرقي في إبريل من سنة 1908 بعد قليل من خضوع أواخر ثوار أولاد علوش؛ ولم يدم احتلاله سوى بضعة أسابيع، واستُرد في عام 1911 كي يُستخدم كقاعدة تموين للرتل الذاهب لاحتلال ولاتة، إلا

(10) القصر، تعني القرية أو المركز الحضري.

أننا لم نبق فيه إلا بصورة مؤقتة؛ وفي سبيل قمع جُنح الرعي، أضيف للحامية المؤلفة من خمسة وعشرين رجلا من الرماة، خمسة عشر رجلا آخرين من هجانة حرس الدائرة المكلفين فضلا عن ذلك، برقابة خط الأبيار الممتد من باسكنو حتى الأرنب؛ غير أن باسكنو وهي قرية صغيرة، سكانها من الحراطين وعديمة الأهمية ومنعزلة تماما، لم تكن أبدا معدة لأن تصبح مركزا إداريا؛ أما القبائل التي ترعى في ضواحيها فهي قليلة العدد، إلى درجة أنه يمكن القول بأننا لا نجد هنا سوى أولاد علوش الإبل أو البقر من الذين كانوا يتبعون منطقتي النعمة أو سُكولو التين كانتا مركزهما الإداري.

أما من وجهة النظر العسكرية، فلا يمكن أيضا إيجاد تبرير للاحتفاظ بهذا المركز العسكري فبادئ ذي بدء تحول التموين المنطلق من تنبكتو ليسلك طريق كُونبُ وبوهمبا، وفيما بعد من خاي إلى انيورو؛ وفضلا عن ذلك فإن دارس الطرق الممكن للغزوات سلوكها، يكتشف أن تلك التي يمكنها أن تتحرك إلى الشرق من الظهر (وهو الحاجز الصخري الذي يقطع من الشمال إلى الجنوب مركز دائرة ولاتة ــ النعمة) كانت تأتي إما من كيدامو، وذلك بتفادي ولاتة أو من منطقة افاكَيبين متجهة سوية، هذه وتلك، نحو غدير دنداره حيث تقوم الأولى بعملياتها خارج نطاق نفوذ باسكنو، في حين كانت الأخرى تسلك طريق الأرنب، وتندفع أحيانا حتى الحاسي الطويل متجهة مباشرة في كلتا الحالتين نحو غدير دنداره الذي يبعد أربعة أيام من المسير في أرض مهمه، إذن، يكون الموقعان نائيان جدا على كل من يمكنه التفكير بالعمل والتحرك ضد هذه العصابات، اعتمادا على موارد مركز باسكنو.

وقد عملت كل هذه الأسباب عملها، فتم الجلاء عن باسكنو نهائيا، وتمت حماية البدو الشرقيين خلال فترة الغزوات بفصيل من الهجانة تدعمه قوات أنصار من أولاد علوش وأهل بِرِدِّة الذين ينصبون خيامهم عادة عند غدير دنداره، ويتجولون في المنطقة.

وتسكن باسكنو اليوم 51 أسرة تضم 208 نسمة، وشيخ القصر هو سويدي بن جواري، وهو رجل شديد الذكاء، وكسائر أتباعه تقريبا، أسود البشرة.

(ح) رئاسة القبيلة، يعتبر رئيس أولاد علوش الإبل هو حننّه {15} بن الشيخ الذي خلف أخاه سيدي السابق الذكر في شهر إبريل سنة 1913 بناء على انتخاب الجماعة، ثم تعيين سيدي له حسب وصيته المكتوبة، حيث أعطى بذلك آخر برهان على عقلية قائد حقيقي باستبعاد ابنه البكر دشّق الذي هو شاب ما يزال غير قادر على قيادة هذه القبيلة المحاربة لمدة عدة سنوات على الأقل؛ وقد ولد حننّه حوالي العام 1878، واشترك في كل غارات والده الشيخ وأخيه سيدي.

وقد انضم بصفته رئيسا لمفرزة أولاد علوش إلى فرقة "القوم" البيضين التي أنشأها الملازم بويسويلوالد BOESWILWALD سنة 1903؛ وتصرف بشكل رائع في مختلف

الاشتباكات التي خاضتها فرقة "القوم" (11) هذه، ضد أعمال الغزو، وقام بخدمات معروفة ضد عصابات محمد محمود بن سيدي الأكحل على الخصوص، في دجنبر سنة 1912، وفي يناير سنة 1913 (12).

غير أن وفاة سيدي في مارس سنة 1913 تركت قيادة القبيلة شاغرة؛ وكان هناك ثلاثة مرشحين هم: حننّه أخوه ودشّق ابنه، وسيدي المختار ابن عمه؛ غير أن حننّه كان الوحيد القادر على أن يفرض نفسه على القبيلة وعلى جيرانه، ويواجه الغزوات، وقد تم انتخابه دونما صعوبات.

وبعد وفاة حمود بن إبراهيم زعيم لحمنات، كان حننّه القدير والشديد الحيوية، هو الزعيم المحلي الوحيد الذي واجه بصورة ناجعة الغزاة الشماليين، وكان سلوكه في عام 1915 في مطاردة بعض الغزاة مرضيا من كل النواحي، كما كان تدخله ناجعا كليا، وقد أصيب خلال ذلك بجروح.

وفي 8 نونبر سنة 1917 برهن إلى جانب الملازم مرسيى MERCIER قائد مفرزة الهجانه الشرقية عن أروع ضروب الشجاعة في معركة شميم، حيث استطاع 26 من الرماة (12 قنّاصا و14 من أولاد علوش بقيادته) أن يلحق الهزيمة بثمانين رجلا من الرقيبات بعد ست ساعات من القتال، حيث انتزعوا منهم كل منهوباتهم وخدمهم وإبلهم، واستولوا على ثلاثة وعشرين جملا وخمس بنادق من طراز 1874، وأحصوا تسعة عشر قتيلا منهم، وقد جُرح حننّه بأول رصاصة، كما أن بندقيته تهشمت بين يديه برصاصة ثانية.

وكان حننّه هو الأول بين كل زعماء البيضان في إفريقيا الغربية الذي نال رتبة فارس من وسام جوقة الشرف.

أما ابن أخيه دشّق بن سيدي فكانت له نهاية مؤسفة، إذ استاء من تفضيل الناس حننّه عليه بانتخابه زعيما للقبيلة، فاستغل أول مناسبة وهي تمرد أهل سيدي (مشظوف) وأعلن الثورة؛ وقد جمع حوله خمسة عشر رجلا من أصدقائه ليغتالوا حننّه في خيمته مستفيدين من ظلام الليل، وقد أصابوه بجرح بليغ ثم التحقوا بالثوار، ولكنهم هلكوا بعد عدة أسابيع في معارك مختلفة مع قوم تشيت، باستثناء اثنين منهما: أنيفه بن بوبّه الذي لجأ إلى مشظوف الموالين، وأمكن توقيفه في سُكولو، وحكمت عليه محكمة دائرة ولاتة بخمس سنوات من

---

(11) القوم، تعني القوات المساعدة المؤلفة من المواطنين.

(12) هو محمد محمود بن سيدي الأكحل بن خجور رفيق الزعيم محمد المختار بن الحامد أحمد زعماء المقاومة في تگانت، كان له دور مشهور، توفي محمد محمود رحمه الله مهاجرا في جنوب المغرب. أنظر ملحقات كتاب كنتة الشرقيون مرجع سابق.

السجن، وإيسلمُ بن شنّان البوردّي وهو صديق لسيدي، وقد اختبأ بدوره لدى مشظوف، وأمكن توقيفه في شهر شتنبر من عام 1917، وحكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات أيضا. وليس لحننّه سوى ابن واحد اسمه سيدي ما يزال صغير السن (مولود حوالي سنة 1913). وينتجعون كما سبق أن قلنا في منطقة الأبيار في شمال باسكنو، وحول بئر الأرنب والحاسي الطويل...الخ؛ ويقع هذا الأخير على مسافة 70 كم إلى الغرب من الأرنب، وهي بئر يبلغ عمقها 55 مترا، وماؤها غزير وعذب، وكان قد حفرها فيما مضى بنبارة الوثنيون [قبل دخولهم الإسلام] وتخلوا عنها عنوة أو عن طيب خاطر لأولاد علوش منذ قرنين من الزمن؛ وما نزال نعثر على بعد مسافة قليلة من البئر، على بقايا أكواخ منهارة من بناء بنباره.

3 ـ أولاد علوش البقر

ينقسم أولاد علوش البقر إلى المجموعات التالية:

(أ) ـ أولاد بوعْلي، رئيسهم محمد محمود [بن بكار].

(ب) ـ أولاد سعيد، رئيسهم محمد جدُّ بن محمد.

(ج) ـ أولاد بوزيد، رئيسهم محمد فاضل بن الشيخ سيدي.

ويكفي أن نعود إلى قائمة الأنساب التي قدمناها في الملحق كي نلاحظ أن هذه الأفخاذ تعود لأصل علوشي صميم.

ويضم الفخذ الأول مخيمين هما قطقاطه، وهو اسم يطلق على مخيم الرئيس، وأهل تيكي؛ كما ينبغي أن ننسب إلى أولاد علوش البقر فخذا رابعا يحذو حذوهم، وهو أولاد زْعيم، وهم الممثلون الوحيدون اليوم للقبيلة القديمة أولاد يونس، ورئيسهم هو الطالب محمد بن بادي.

وهناك خيام أخرى منعزلة، احتفظت بأصلها اليونسي، نعثر عليها في الجعافرة، وأولاد زيد، ويبدو أن أولاد يونس هؤلاء كانوا طليعة مجموعة بدوية ملتصقة بأولاد داوود بن عروق، وهناك تواريخ مختلفة تتكلم عنهم؛ وتسرد تواريخ ولاتة على الخصوص، أنه في عام 1688 ارتحلت قبيلة أولاد زْعيم من ولاتة باتجاه النهر(النيجر).

(د) رئيس القبيلة هو محمد محمود بن بكار بن سيدي بن الناجم بن عبد الله بن عمر .. بن بوعلي بن علوش، وهذه الثغرة ناتجة عن جهل الزوايا الذين سألتهم. وقد خلف محمد محمود المولود حوالي عام 1880، أخاه الكبير محمد المتوفى سنة 1909 دون أن يترك أبناء؛ وقد تحالفت أسرته على الدوام وعن طريق الزواج مع أسرة رؤساء أولاد علوش الإبل.

وترتبط هاتان القبيلتان الشقيقتان اليوم بأطيب العلاقات، وفضلا عن ذلك فإن أولاد علوش البقر على علاقات طيبة وحميمة مع جيرانهم إفلان أورّبه، وينتجعون معهم خلال فصل الخريف باتجاه التّكفايه وباسكنو، وفي فصل الصيف باتجاه چوراه وماسينا على نهر النيجر بين بماكو وتنبكتو.

ولأولاد علوش البقر قرية زراعية هي خليفة، وهـي مركز حراطينهم وخدمهم؛ ولا يمارسون أية تجارة، بل يقومون بتربية الماشية، وكانوا يجدون في الماضي إذا ما تناقصت قطعانهم وسيلة لإكثارها عبر الحروب مع جيرانهم، بل وربما مع مخيمات أقربائهم ذاتها، ويُعترف لهم بأنهم رجال حرب من الطراز الأول.

وكانوا يملكون في الماضي العديد من الخدم الذين يزرعون الأودية القريبة من آبار الطويل والأرنب وبوزريبة وضواحي باسكنو؛ وهؤلاء الخدم الذين تحرروا بالاسم ظلوا في الواقع تحت الهيمنة المعنوية، وقد أصبح جلّهم تقريبا مستقرين، ويقطنون قرى حقيقية، بنوا أكواخها من الطين أو القش، محاطة بأسوار طينية، تماثل قرى بنباره، ولكن أسقفها أقل ارتفاعا بكثير؛ وأهم هذه القرى باسكنو وهي العاصمة، ونـرى وكنچرلا وبادي ومد الله وخلْيفه.

ويختلط أولاد علوش وحتى أبناء عمومتهم ترمز وأهل بوردّة أحيانا عن طريق التزاوج مع الطوارق وإفلان، ويُطلق عليهم زنوج الساحل الاسم المعروف عندهم للبيضان (سُراقه) وأحيانا اسمهم للطوارق (بورْدام).

ويتمتع إخوانهم التّياب من أهل الطالب عبد الله، وبعض شخصيات أهل بوردّة المقيمين بينهم ببعض الاحترام الديني كزوايا؛ ولديهم عادة غريبة تقوم على خلع ثيابهم بحضور عدو أقوى منهم، ورفع بنادقهم في الهواء؛ ويحترم العدو ذلك على الأقل، عندما يكون في منطقة الساحل هذه العادة، وعليه أن يرضى بها، وقال راوي هذه الحكاية إن هذه هي "تنّة" أولاد علوش.

ثانيا:أهل بوردّة

1 ـ لمحة تاريخية

بوردّة كما يقال عموما لاختصار كلمة أهل برردّة هم على وجه الدقة، واستنادا إلى شجرة الأنساب من قبيلة أولاد علوش؛ ويؤلفون اليوم قبيلة مستقلة تماما عنها على الرغم من ارتباطهم بها عن طريق العديد من المصاهرات، ومع ذلك فعندما ينسبهم أحد إلى أولاد علوش يعتبرون الأمر إهانة لهم، ومن الصحيح أن جدهم الذي منحهم هذا الاسم بوردّة، ينتسب إلى بوعْلي بن علوش.

وهناك مخيمات أخرى من القبيلة تنحدر من علوش عن طريق داوود الصغير وبوزيد، وهما ابنان آخران لعلوش.

وبوردّة (الكرار على العدو) (13) هو أول زعيم للقبيلة، وهو جدّها ومنشئها، وكان يعيش

(13) ـ صاحب الكرة، أي الكرار في القتال.

مع أولاد علوش في أواخر القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر، وقد قرر وهو لا يزال فتى يافعا، أن يهجر الحياة التي يعيشها إخوته وينصرف للعبادة، فقصد تشيت التي استقر فيها نهائيا، وقام بدراسات متعمقة بجوار المرابط الشواف (14)، وتزوج إحدى بنات عمه من أولاد ممُّ الداووديين، هي خيْرة بنت كرش، وحصل منها على ولدين هما الحاج وحميد، وقد مات الأخير دون أن يترك أولادا، أو ضاع أثرهم في أهل بوردّة، هذا إن كانوا قد ولدوا أصلا.

أما الحاج واسمه عبد الله الذي كان يعيش في بداية القرن الثامن عشر، فقد غادر مسقط رأسه تشيت في وقت مبكر لأداء فريضة الحج، وبعد عودته استقر في ولاتة، وكان معه سبع خيام من أهله وتلاميذه، شكلوا مع أسرته أسلاف أهل بوردّة، وهنا يدرك الملاحظ عن طريق صدفة سعيدة كيف تتأسس القبيلة. وقد ظل أحفاد الحاج زوايا وذلك من حيث الاسم على الأقل، وشكل الآخرون مجموعة "المهاجريين" (15)، وقد توفي الحاج حوالى العام 1850 (16) وتم دفنه في الظليل إلى الجنوب من ولاتة تاركا بعض الأثر الصالح.

وكان خليفته ابنه سيدي محمد{3} الذي قاد القبيلة خلال الفترة الواقعة بين سنة 1750 و 1774 تقريبا، وذلك استنادا إلى تاريخ ولاتة، وليست لدينا معلومات أخرى عنه.

وترك سيدي محمد أربعة أولاد هم: سيدي المختار{4} وهو الابن البكر الذي امتد حكمه كما تقول الرواية خمسين عاما (1774 ــ 1825)؛ وقد تعرضت قبيلة أهل بوردَة تحت قيادته بتاريخ الأول من أغشت سنة 1821 عند علب [كثيب] الكعب إلى هزيمة منكرة، حيث خسروا كثيرا من الناس، ولكن أعداءهم أهل الطالب مصطف أصيبوا أيضا بالعديد من الخسائر.

وقد تسلم علّي القاظي {5} بن علي غنوة بن سيدي محمد رئاسة القبيلة من سنة 1825 إلى سنة 1835؛ ومن بعده جاء دور سيدي المختار بن حننّه {6} بن سيدي محمد، الذي استلم القيادة، واحتفظ بها تقريبا من عام 1835 إلى عام 1845. وهكذا استقرت السلطة في عائلة سيدي المختار، وقد خلفه أحمد أرشق {7} بين سنة 1845 و1855 تقريبا، ثم حكم ابنا أحمد أرشق: سيدي محمد {8} بين سنة 1855 إلى شهر أكتوبر سنة 1872، والشيخ {9} من سنة 1872 إلى سنة 1905.

وقد تعرضت قبيلة أهل بوردَة تحت قيادة هذا الزعيم الأخير في شهر مارس سنة 1894 إلى أكثر أشكال السلب خطورة ومرارة. فقد فاجأهم رجال قبيلة الهگار [الطارقية] في أروان،

---

(14) هو حمى الله بن محمد المختار الشواف من علماء تشيت في القرن الحادي عشر الهجري.

(15) المهاجرون إلى حياة التدين.

(16) بل توفي عام 1750.

وقتلوا منهم واحدا وثلاثين هم زهرة رجالهم وسلبوهم كل إبلهم.

وقد نتجت عن وفاة الشيخ [ابن أحمد أرشق] في سنة 1905 منافسات بين ذريته وذرية الفرع البكر، ولكن القيادة آلت إلى القله بن الشيخ {10}؛ غير أن أحفاد سيدي محمد الممثلين بدَشق بن محمدي شكلوا المعارضة؛ وقد انتهى النزاع بموت دشّق الذي كان قد حاول بالفعل اغتيال الشيخ عندما كان رئيسا للقبيلة؛ وقد ثأر القله لوالده متخلصا في الوقت ذاته من منافسه دشق، الذي لم يترك سوى ابن واحد رأى النور بعد مصرعه، وأخذ اسم أبيه حسب التقاليد؛ وهكذا أصبح القله بن الشيخ رئيسا للقبيلة، وسنتعرض للكلام عنه فيما بعد.

وقد انصرف أفراد قبيلة أهل بوردّة مع الزمن إلى التدين، فهم لا يُعتبرون اليوم حسانا خلّصا بل زوايا، ولكن من نوع خاص، إذ لا يترددون في الدفاع عن أنفسهم بالسلاح؛ وهم حلفاء لمجموعة ترمز التي يقودها بوبكر [ابن عبد الرحمن] وكذلك لتنواجيو، وقد أشهروا سلاحهم عدة مرات في وجه الرقيبات، بل قاموا بالمبادرة بالهجوم على أعدائهم أحيانا.

وعلى أثر تفكك أولاد داوود اتجه أهل بوردّة نحو ولاتة وأقاموا فيها، ولكن قطعان الماشية العديدة التي يملكونها أرغمتهم على حياة البداوة، وقطع مسافات كبيرة لتنميتها، ويزورون افاكيبين كل عام، ولهذا السبب اقتربوا في عام 1897 من الحصون الفرنسية وطلبوا السلام، لأنه من الممكن قطع الطريق عليهم عند رأس الماء، ومنعهم من الوصول إلى افاكيبين.

وبتاريخ 15 إبريل سنة 1897 قام رئيس القبيلة القله (سيدي محمد) بن الشيخ [ابن أحمد] بن أرشق الذي تمنع الشيخوخة والده من أي تنقل، بعقد المعاهدة التالية، مع المقدم گولدشن GOLDSCHEN في تنبكتو:

"(1) يسمح لقبلية أهل بوردة البدوية بالإقامة عند حلول فصل الصيف في القسم الشمالي من افاكيبين، وبالرعي لقطعانها فيه ابتداء من رأس الماء وحتى بنكور، وفي حالة غياب الرئيس الشيخ [ابن أحمد] أرشق فإن على ابنه سيدي محمد أن يقيم ضمن القبيلة مع الوجهاء الرئيسيين لكي يمثل والده إذا اقتضى الأمر لدى السلطات الفرنسية.

(2) تقوم القبيلة في كل عام بإخطار قائد منطقة رأس الماء مسبقا عن وصولها إلى الأراضي التابعة لفرنسا، وكذلك عند رحيلها عن البحيرة.

(3) أثناء إقامة أهل بوردّة فوق أراضي المنطقة الفرنسية، يكون لهم الحق في التمتع بحماية الأسلحة الفرنسية، وبإمكانهم المطالبة بتدخلها ضد كل من يريد إهانتهم أو نهبهم.

(4) وفي مقابل ذلك يتعهدون بالكف عن إقامة أي نوع من العلاقات في أي فصل من العام مع القبائل المعادية لنا، وعليهم أن يساعدوننا عليها، ويقدموا كل المعلومات التي نطلبها.

(5) يتعهدون بدفع حق حماية سنوي مقداره 300 رأس من الغنم، وأن يقدموا لنا في مقابل كراء مُجْزِء الأدلاء ووسائل النقل التي قد نحتاج إليها.

(6) وأخيرا يأخذ الشيخ [بن أحمد] بن أرشق على نفسه عهدا بأن يقوم بزيارة قائد تنبكتو بمجـــرد أن تسمح له صحته بذلك. وكان القله مصحوبا بعدة وجهاء هم: بونا بن سيدي محمد ومحمـــد بـــن الحبيـــب وسيدينا بن البيني.

وقد تقلصت ضريبتهم بعد ذلك إلى قرابة 250 رأس من الغنم، وبتاريخ 15 يوليـــــه ســـنة 1908، وبقرار من المقدم لافردير، جرى إلغاء هذه الضريبة بسبب صعوبة جبايتـــها، وبعـــد أراضيهم الرعوية، واستعيض عنها بأخرى مقدارها 4 جمال مؤدية تتراوح أعمارها بين ست إلى سبع سنوات.

وقد كان هذا السلم وهميا، لأن أهل بوردّة لم يقيموا أي وزن للمعاهدة التي وقعوا عليها؛ فقد ورد ذكرهم في محاولة اغتيال الشيخ بن عمران الإيديلبي، ومحاولة اغتيال ســـيدنا بـــن سويدي العلوشي، وهما مواليان لنا، وكان ذلك في مركز رأس الماء العســـكري. كمـــا ورد ذكرهم في حادثي نهب قطيع المركز المذكور في سنة 1899، ومهاجمـــة مزدوجـــة لدوريـــة عسكرية، وكذلك في العديد من عمليات السلب في المنطقة، وأخيرا في اغتيال موريتاني من إديلبية كان يعمل دليلا في رأس الماء.

وهـــذه الإساءات فضلا عن العلاقات الطيبة التي كانوا مستمرين في الارتباط بها مع أولاد علوش، جلبت عليهم حملات قمع قاسية؛ فقد تم الاستيلاء في مناسبات عدة إما على أغنامهم أو على قوافل الملح التي كانوا يقومون بحراستها، أو مصاحبتها لحساب أصدقائهم من أولاد علوش؛ وبعد أن سئموا أخيرا هذه الحياة المضطربة قرروا الخلود إلى السكينة، وذلك حوالي العام 1902.

وكان أهل بوردّة منذ قرن مضى تابعين لمشظوف سياسيا، فعندما يحلون بمنطقـــة ولاتـــة كانوا مضطرين لدفع مساهمة لهم، وإذا ابتعدوا عنها كان مشظوف لا يترددون فـــي الســـفر إليهم لاستلامها، وحتى في شهر أغشت من عام 1915 كان القله [بن الشيخ] يود الاقـــتراب من رأس الماء، ولكن مشظوف منعوه وطلبوا منه الانضمام إليـــهم، إلا أنـــه رفـــض ذلـــك؛ ولتلافي سوء التفاهم ولكيلا يفقد ود أهل المحيميد، أرسل إليهم 30 جمـــلا و50 قطعـــة مـــن لباس النيلة (17)؛ وفي المقابل كانت علاقاتهم طيبة على الدوام مع أبنـــاء عمومتـــهم أولاد علوش، ويصونون هذه العلاقات دوما عن طريق تقديم هدايا صغـــيرة حتـــى فـــي الأزمنـــة الأخيرة، حيث كانوا يرسلونها لرئيس أولاد علوش سنويا، وتتألف أحيانا من زوج من الإبل، أو عشر قطع من ملبوس النيلة.

---

(17) ــ هي ملبوس أسود يؤثر على لون البشرة، كانت تلبسه النساء الموريتانيات، وكذلك النساء فـــي الأقطار الإسلامية الشرقية، وكان الرجال يستخدمون منه العمائم.

2 ـــ التوزيع والشخصيات

ينقسم أهل بوردّة إلى:

(أ) أهل الشيخ، 92 خيمة.

(ب) "المهاجريّين"، 87 خيمة.

(ج) البجغاله، 68 خيمة، أي إجمالا 247 خيمة.

(أ) أهل الشيخ كما يشير إليه اسمهم هو فخذ رئيس القبيلة، وهم نسل الحاج بن بوردّة، وبالتالي فهم الوحيدون الذين من صميمهم.

(ب) "المهاجريين"، رئيسهم سيدي المختار بن ديّـه، وينحدرون من تلاميذ الحاج، وينقسمون إلى بيض يعودون لأصول مختلفة، من تركز والجعافرة وقبائل تگانت وأزناقة ..الخ، وإلى سود، تسمّوا بهذه التسمية، لأنهم قدموا من الجنوب، أو من الأرض السوداء، ويعودون من حيث الأصل إلى داوود (أولاد علوش وأولاد زيد).

(ج) البجغاله، رئيسهم هو انگوينه بن محمد الحبيب، ويعودون من حيث الأصل إلى البرابيش، وقد جاء جدهم عمر الموديّه ليستقر في مخيم الحاج بن بوردّة، ومنذ ذاك الوقت لم ينفصل هذان الفخذان عن بعضهما.

وعند وصولنا سنة 1897 كان رئيس الفخذ هو الشيخ بن أحمد أرشق، إلا أنه ترك القيادة لابنه سيدي محمد المشهور بالقله؛ ولهذه التسمية قصة مؤداها أنه منذ أن حمل سيدي محمد بن علي غنوة هذا اللقب، أصبح منتشرا في العائلة، ويطلق على كل الأولاد الذين يحملون اسم سيدي محمد؛ ويتمتع الشيخ بشهرة وسمعة ممتازة لكنه قليل النفوذ.

وقد خلف القله نهائيا والده بعد مماته، بناء على انتخاب الجماعة، وذلك في 30 إبريل سنة 1905؛ وهو مولود حوالي العام 1878، كما أنه رجل ذكي وغني بقطعان الإبل والأغنام؛ وقد اشتهر على الخصوص باستبداده وحماسته، وإذا كان يلجأ للحيلة ليفرض طاعته على الكهول، فلم يكن يتردد في اللجوء إلى العنف لفرض سيطرته على الشبان؛ فعندما يرفض أي منهم دفع الغرامة كان يقصد قطيع إبله، ويقتل اثنتين أو ثلاثة منه بطلقات مسدسه، ويدعو الحاضرين لاقتسام لحومها.

وفي مناسبة أخرى قتل صبرا ابن عمه دشّق بن محمدي الذي كان يحاول أن يحل مكانه في قيادة أهل بوردّة، وهذا الأخير لم يكن في الواقع أقل منه تهورا.

وفي بداية عام 1918 وعلى أثر شجار مع بعض مخيماته التي كانت تريد الرحيل إلى الغرب، عمد القله [بن الشيخ] إلى تجريدها من السلاح عنوة، وأرسل بنادقها إلى المركز العسكري.

وليس لنا رغم ذلك إلا إطلاق الثناء عليه، وقد قمنا من جانبنا بدعم سلطته على الدوام،

وأرغمنا في أكثر من مناسبة بعض خيامه من الذين أرادوا الانضمام إلى ترمز أو إديلبة أو الوسرة على العودة إليه، والدخول في طاعته.

وكان القله [بن الشيخ] شأنه شأن كل أهل بوردّة شديد الارتباط بحَننّه [بن الشيخ] وأولاد علوش، ويسير أحيانا في ركابهم، ولكنه مع ذلك غيور منه؛ وهو في الواقع رجل مقدام تصرف بشكل رائع في المناسبات المختلفة، ولا سيما في الغزو المضاد في سنة 1909 و1914 الذي قام بمطاردة الرقيبات.

وللقله ثلاثة أبناء هم: الشيخ وسيدي محمد (وهما توأمان) ولدا حوالي عام 1906، ودشق المولود حوالي عام 1909؛ وهذا الاسم الذي كثيرا ما نعثر عليه لدى أولاد علوش وأهل بوردّة، كان يحمله شيخ دين مشهور في القرن الثامن عشر في ولاتة.

وكان للقلّة اثنان من الإخوة هما: دشق المولود حوالي عام 1882، وهو رجل ذكي ونشيط، وأعطى في مناسبات عدة براهين على خصال حربية بارزة، وبذاك يعتبر "أفكراش" (العصامي) لدى الشبان الحسانيين في الساحل الشرقي، وسيدي محمد المولود حوالي عام 1898.

أما الوجهاء الرئيسون في القبيلة فهم سيدي محمد بن بيه وهو رجل ذكي، والأبيظ وهو منمّ قديم ومجند قديم وترجمان سابق كان في خدمة مركز رأس الماء وكوندام وولاتة، ولكنه اليوم عاطل؛ ويتمتع بنفوذ كبير في جماعة أهل بوردّة وعلى القله خاصة، وهو رجل نشيط وشجاع.

وترتحل القبيلة من ولاتة إلى العكلة ورأس الماء وباسكنو، وتهبط مع أغنامها إلى افاكيبين، في حين تترك إبلها إلى الشمال من ذلك مسافة أربعة أو خمسة أيام من السير؛ وقد سبق لهم أن ابتعدوا مرارا عن مركز ولاتة قبل احتلالها بعد أن كانوا هدفا لأعمال السلب من جانب أولاد غيلان والرقيبات .. وغيرهم؛ وحتى في سنة 1907 تعرضوا لغارة من جانب [سيدي] أحمد بن عيدّة أمير آدرار (18)، ومن [أولاد] غيلان الذين فروا بعد ذلك في اتجاه تشيت؛ وقد أوفد أهل بوردّة أحد وجهائهم وهو سيدنا بن سيدي الصغير لكي يعيد إليهم منهوباتهم، حيث استجاب الأمير لذلك، ولكن مقابل قلادة من الذهب ومبلغ 300 فرنك، وقد حول تلك الفدية إلى مساهمة سنوية تدفعها له قبيلة أهل بوردّة عن طيب خاطر؛ ولم يكن من العسير إعادة الأمور إلى نصابها خاصة أن أهل بوردّة أصبحوا خاضعين لفرنسا، ومن ثم

---

(18) هو أمير آدرار سيدي أحمد بن أحمد بن عيدّة، توفي في وديان الخروب شمال تيرس، بالقرب من الحدود مع الصحراء الغربية في 19 مارس سنة 1932 خلال معركة مع القوات الفرنسية التي كانت تلاحقه، وهو مهاجر عن البلاد، وقد رفض الفرار أمام تلك القوات، وآثر المواجهة والاستشهاد.

لم يعد أمير آدرار قادرا على فرض أي حق عليهم. وقد تسببت إقامة أهل بوردّة بجوار افاگيبين ومنطقة البحيرات في إلحاق أضرار كبيرة بقطعانهم، ولذلك حصلوا في عام 1912 على ترخيص لاسترداد أراضي مراعيهم القديمة في أطراف ولاتة بناء على إلحاحهم، ومنذ ذلك التاريخ أبدوا امتنانهم الكبير لنا، وبرهنوا على اعترافهم بجميلنا بعدّة أدلّة؛ وقد جرى ربطهم إداريا ابتداء من ذلك التاريخ بمنطقة ولاتة ـ النعمة. ويكرس عدد كبير من أهل بوردّة أنفسهم للتجارة، ولا سيما منها تجارة الملح، وتشترك بضع مئات من جمالهم تبلغ ما بين 400 إلى 800 رأس في أزلاي (19) تاودني؛ وقد اشتركوا في أزلاي أولاد علوش شتاء سنة 1817 بخمسمئة جمل. واكتسب أحد رجالهم نوعا من الشهرة كرجل دين، وهو أحمدُ بن محمد المختار بن عبد المالك، المثقف والمحترم كثيرا، وقد عُرض عليه في السابق عدة مرات قبول منصب القاضي لكنه كان دائما يرفض ذلك إلا أنه لم يبخل أبدا بأن يلعب دور الحكم ورجل المصالحة؛ وفي آخر الأمر، قبل أن يكون قاضيا محلفا في محكمة ولاتة. أما قاضي القبيلة فهو عبد الملك الملقب انّا بن أحمدُ بن انّا، المولود حوالي سنة 1860، وهو رجل ذكي متفتح على الثقافة، ويتمتع بسمعة ممتازة، وقد أتم دراسته بجوار قاضي ولاتة الشهير [الفقيه] محمد يحيى ول أهل ابٍّ، وقد تلقى الورد التيجاني من مْحمدي بن سيدي عثمان الولاتي. وينتسب معظم أهل بوردّة إلى هذه الطريقة بتأثير مْحمدي السالف الذكر؛ أما الأجيال القديمة، فقد ظلت قادرية من أتباع مدرسة قديمة لهذه الطريقة يديرها الطالب بن ابّاتنا، الذي كان رجل دين شهير في زمنه.

وينتشر التعليم في هذه القبيلة، فيذهب معظم الأطفال إلى المدرسة القرآنية، وفي حالة استحالة ذلك يقوم الأب نفسه بتعليم أبنائه مبادئ اللغة العربية والدين. ويوجد عدد كبير من المدارس القرآنية بين ظهرانيهم، وهناك ثلاثة رجال منهم يتمتعون ببعض الشهرة، لأنهم يضيفون بعض دروس في التعليم العام إلى دروسهم القرآنية، وهم بوبكر بن الطالب أحمد المولود حوالي 1889، وبوبكر بن سيدي سي إبراهيم المولود حوالي 1885، ومحمد بن حننّه بن الطالب المولود حوالي 1875، وعموماً يذهب أبناؤهم إلى ولاتة لإكمال تعليمهم العالي.

ثالثا: ترمز

1 ـ لمحة تاريخية

ينحدر ترمز، وهو جد القبيلة ـ كما سبق أن رأينا ـ من رزق بن جعفر بن داوود بن عروق، ويبدو أنه عاش في القرن الخامس عشر، وترك عند وفاته تجمعا حسن التكوين، يضم ثلاثة أفخاذ كانت تحمل اسم أبنائه الثلاثة، وهي أهل الطويلب وأهل آبّي وأهل عْبيد،

(19) هي باللغة الصنهاجية قافلة الجمال التي تحمل الملح، على أكثر الاستعمالات.

ورئيس الفخذ الأخير، هو علي بن عَبيد الذي خلف أباه الذي توفي وهو شاب.

وعلى أثر زحف عربي جديد في بداية القرن السادس عشر، هبطت الأفخاذ الثلاثة مجتمعة من جنوب المغرب نحو آدرار [التمر] وأقاموا مضاربهم حول تنيگي التي كانت حينذاك عاصمة موريتانيا العليا.

غير أن الوئام بين هذه الأفخاذ لم يكن طويل الأجل؛ ففي خلال بضعة أعوام انفصلت جماعة أهل عَبيد عن إخوانهم وعادوا القهقرى إلى وادي درعة؛ وكانت هنالك ثلاثة مخيمات متميزة هي بني الشين وبني شيال وبني مْبيريك الذين كان يطلق عليهم اسم صنبات؛ وكان أهل عَبيد ينتجعون في المنطقة التي يسكنها أولاد المولات، وهي قبيلة لا تزال موجودة بهذا الاسم في الجنوب المغربي، اكتسبت شهرة في الأزمنة الأخيرة، بسبب معاركها مع الثائر الكنتي [الشيخ] عابدين، وقد عقدوا حلفا مع أولاد الملات، ووثقوا الصلة بهم عن طريق زيجات عديدة، وكان الكثيرون يعتبرون أن الاتصهار بينهم أصبح وشيكا، لأن الاتفاق ظل صامداً خلال خمسة أجيال، وذلك بقيادة علي بن عبيد، ثم ابنه الناه (الصديق)، ثم عباد بن الناه، ثم أحمد الملقب كيحل بن عباد، ثم عبيد بن أحمد كيحل، لكنه في فترة رئاسة الخليفة بن عبيد انفصلت أكثرية أهل عَبيد، عن أبناء المولات، وهاجروا إلى أزواد، وهم أجداد قبيلة ترمز الحالية.

وقامت خيام من صنبات ومن بني شيال تحت قيادة بلبيل العم الأكبر للخليفة لم يعجبهم المقام بالالتحاق بأبناء أعمامهم من أهل آبّي الذين سنتحدث عنهم لاحقا.

وأخيرا انفصلت خيمتان واحدة من صنبات والأخرى خيمة الوداني بن عباد بن الناه عن القبيلة وانضمتا إلى كنتة.

أما الفخذان الأخيران من أوائل ترمز، أهل الطويلب وأهل آبّي فقد ظلا في تنيگي وارتبطا بالمصاهرة مع أهل هذا القصر ودخلوا حروبهم إلى أن أصيب بالخراب؛ واضطروا معا إلى التفرق مع الاستمرار في تكاتفهم حتى في أوقات المحنة، وانتهى الأمر بهؤلاء وأولئك إلى الالتحاق بالرجل الصالح [المرابط] سيدي محمود، الذي التف حوله تجمع كبير من تلاميذ مسلحين يطلق عليهم اسم ابكتات (أواسط القرن الثامن عشر).

وقد استطاع أهل الطويلب وأهل آبّي أن يعيدوا ائتلافهم في ظل بركته، ولكن انشقاقا آخر ما لبث أن وقع بينهم، عندما عين المرابط [سيدي محمود] رئيسا عاما على الفخذين، وهو ابن الطويلب، أو على الأقل أحد المنحدرين من نسله؛ ولم يقبل أهل آبّي بهذا القرار، وتركوا قبيلة أهل سيدي محمود الناشئة غاضبين؛ وبعد فترة طويلة اضطروا للعودة لجوار إخوانهم، وأقروا بهيمنة أهل الطويلب، ولم ينفصلوا عنهم بعد ذلك، وقبل أن تسترد القبيلة وضعها

الطبيعي، هبطت نحو منطقة الحوض، وظل أفرادها يرتحلون فيه سنين عديدة، وأخيرا عادوا لمنطقة تگانت حيث يوجدون هناك اليوم.

وهكذا نجد أن قبيلة ترمز الشرق أو ترمز الحاليين المنتشرين بين افاگيبين وأزواد، قد استقروا نهائيا في تلك المنطقة في نهاية القرن الثامن عشر، ووجدوها وقتئذ تحت سيطرة البرابيش الذين كانوا يرتحلون إلى الشمال من تنبكتو، ويدفعون مساهمة إلى قبيلة إلمدن [الطارقية] بواسطة قبيلتي كلنصر المقيمة في بانكور، وقبيلة كاتاوال [الطارقية] المستقرة في داونه.

وعلى الرغم من أن المنطقة كانت على قدر من الخصوبة مما يسمح للجميع بالعيش سوية، فلم يلبثوا أن انفصلوا، فتحرك فخذ أهل مْبيرك والتحق بكنتة، بينما انضم فخذ آخر إلى البرابيش، وهو أهل آبي؛ ويقال إن هذه التحالفات تمت بناء على نصائح [الشيخ] سيدي المختار الكبير.

أما الأفخاذ الأخرى المنضوية تحت اسم ترمز الغرب ــ والذين كانوا تحت قيادة الخليفة بن عْبيد السابق الذكر الذي قاد الهجرة العامة، ثم ابنه الشيخ، ثم الصديق بن الشيخ ــ فقد احتفظوا باستقلالهم الذاتي خلال القرن التاسع عشر، ورفضوا الاندماج في البرابيش الذين عرضوا عليهم ذلك، وأغروهم آنذاك على الأقل بقبول تحالف اتحادي حسب العادة المتبعة في الصحراء الكبرى والتي ستُلزم ترمز بالاشتراك في دفع ديات البرابيش والاشتراك أيضا في دفع الضريبة التي كانوا يقدمونها لإلمدن.

ولما رفض ترمز الغرب ذلك، انتزع منهم سيدي محمد [بن مْهمد] في أروان جملين، وستين عديلة من الملح، وعلى الفور قام الصديق بإعداد حملة وانتزع ثلاثمئة جمل من البرابيش، وقد شكل هؤلاء وهم في غاية الحنق بدورهم رتلا يضم 400 بندقية. وعلى الرُغم من التدخل الحميد لـ(محمد) انگونه زعيم كلنصر، فقد انقضوا على مخيمات ترمز واستولوا على كل قطعانهم، لكن الصديق جمع على الفور كل الرجال القادرين على حمل السلاح في قبيلته، وكذلك بعض رجال أولاد علوش من فخذ المخطّرة، وقام بمطاردة البرابيش، ونشبت معركة كبيرة استرد فيها ترمز قطعانهم، واستولوا على 200 رأس من الإبل و200 بندقية، وسقط من جانب البرابيش 30 قتيلا، في حين كانت خسائر ترمز جريحا واحدا فقط. وفي العام التالي حاول سيدي محمد بن مْهمد أن يثأر لهزيمته، فنظم عملية غزو مضاد، أشرف عليها بنفسه، لكنه بوغت من جانب ترمز وأولاد علوش المتحالفين في موقع بوزريبة إلى الجنوب من افاگيبين، وخسر أيضا في هذه المرة مئة رجل، وسلبه أعداؤه 300 جمل ركوب، وقد هلك في هذه المعمعة اثنا عشر رجلا من وجهاء البرابيش، بينهم دحمان والد محمود الرئيس الحالي للقبيلة.

وعلى أثر هذه الهزيمة الجديدة عقد البرابيش الصلح مع ترمز الغربيين، ولكنهم ظلوا يكنون لهم العداء. وقد وقعت هذه الأحداث تقريبا ما بين 1850 و1886، وكانت لها نتائج محزنة على ترمز، أهمها أنها أدت إلى تفرقهم نهائيا (حوالي عام 1880) (20)؛ وقد استقر الفخذ الثائر الذي رئيسه الصديق بن الشيخ نهائياً في افاگيبين؛ أما الفخذ الآخر الصميم والأهم وهو بقيادة [سيدي] المختار بن الخليفة، فقد ظل يقيم بعيدا جدا إلى الشمال من افاگيبين مجاورا للبرابيش الذين يقيم معهم علاقات أقل توترا.

وفي هذا التاريخ يوليه سنة 1880، انطلق الرحالة لينز من تنبكتو قاصداً باسكنو مروراً بمخيمات ترمز، وقد استُقبل عندهم استقبالاً ودياً، إذ يقول "لقد تم استقبالنا في ترمز حسب أكثر الأساليب إجلالا وأكثرها حفاوة ورسمية، وأُطلقت رشقات من البنادق، وكانت النسوة والأولاد يرددون الأناشيد الترحيبية على شرفنا، وكان سلوك رئيسهم: الصديق [بن الشيخ] حسنا، وحاول أن يجعل إقامتنا ممتعة قدر الإمكان، ولا سيما بتزويدنا بالغذاء".

وظل لينز يثني على فضائل ترمز الكرماء المسالمين .. الخ، ولم تكن هناك شهادة أقل دقة من هذه، وإن كان من الصحيح أن المؤن العديدة التي وجدها لينز هنا، كانت لصالح معدته، وعلى حساب التقييم الموضوعي للأمور.

وقد اشترك الصديق [بن الشيخ] من عام 1894 إلى عام 1896 في كل الغزوات الموجهة ضدنا مع انگونه، حيث شوهد وهو يقوم بعمليات نهب على ضفاف النهر[النيجر] عند كابارا، وعلى مشارف تنبكتو؛ ولما عرض عليه تقديم خضوعه ردَّ بكبرياءٍ على قائد تنبكتو بالرسالة التالية: "إن الذي منعني من إقامة علاقات معك، هو الطريقة التي سلكتها مع البرابيش وترمز وأهل بوردّة والوسرة، فقد انتزعت أموالهم، وقتلت أهلهم. وإذا كنت تنشد السلم الآن معي، فسأعطيك إياه على شرطين، هما أن لا أزورك ولا تزورني، وأن لا أدين لك بشيء، اللهم العشر (المفروض على التجارة) وإذا كنت رافضا ذلك فبلغني بسرعة، والسلام على من اتبع الهدى .

ومنذ انفصال هذا القسم من ترمز عن البرابيش وانتهاء معاركهم العنيفة معهم، أخذوا يعقدون صلات وثيقة مع كلنصر، الذين كانوا يعتمدون عليهم كثيرا للحماية من الغارات التي كان أولاد علوش يشنونها عليهم؛ وفي أعقاب ذلك قدم هذا التجمع طاعته بواسطة رئيس كلنصر علّودة، ذلك المحارب المخيف في عام 1897، وعن طريقه قبلوا دفع الضريبة، وكان الاتفاق الذي تم عقده بين المقدم گولدشن والرئيس الصديق في 14 إبريل سنة 1817، ويضم البنود التالية:

أولا، بناء على طلب رئيس قبيلة ترمز، يضع رجالها أنفسهم تحت أوامر علّوده رئيس كلنصر ويُسمح لهم بالإقامة في الأراضي الواقعة شمال، وجنوب بحيرة افاگيبين، بدءاً من رأس الماء وحتى تنبكتو.

(20) بل عام 1890.

ثانيا، يحق لهم الاحتماء بأسلحتنا خلال وجودهم فوق الأراضي الخاضعة لنا، وباستطاعتهم أيضاً طلب تدخلنا ضد كل من يريد مضايقتهم أو نهبهم، وعليهم إخطار السلطات الفرنسية في أقرب مركز كلما ابتعدوا أكثر من مسيرة يومين إلى الشمال من افاكيبين.

ثالثا، يتعهدون بقطع العلاقات في كل فصول السنة مع القبائل المعادية لنا، وعليهم أن يقفوا معنا ضدهم، ويُزودوننا بالمعلومات التي نطلبها.

رابعا، يتعهدون بأن يدفعوا ضريبة حماية سنوية مقدارها خمسون رأسا من الضأن، تجبى لنا بواسطة علّوده، وأن يقدموا لنا في مقابل أجر، الأدلاء ووسائل النقل التي قد نكون بحاجة إليها.

خامسا، وأخيرا يكون مسموحا لقبيلة ترمز حتى صدور أمر جديد، أن يقدموا لنا بدلا عن الخمسين رأسا من الضأن قيمتها من الصمغ أو من ريش النعام."

وابتداء من ذلك التاريخ ظل الصديق الذي سبق أن اشترك في قضية أكنكان سنة 1896، يقيم هادئا إلى جانب [الحاكم] لابرين Lapperine رغم أواصر القرابة وعلاقات الصداقة التي تربطه مع أولاد علوش الذين كانوا آنذاك في عداد الثوار؛ وظل الكثيرون يزعمون خطأً، أن عملاء أولاد علوش ومشظوف وأولاد غيلان يختبئون في قبيلته لجباية الإتاوات من الوسرة وإديلبة.. الخ؛ وجاء الصديق إلى تنبكتو في شهر فبراير سنة 1898 للمطالبة بإبل انتُزعت خطأً منه، وقد أعيدت إليه.

وقد توفي الصديق في يونيه سنة 1903 دون أن يترك وريثا مباشرا، وقد اختفت وتلاشت معه سلالة الذكور المنحدرين من النّاه؛ ولم يترك سوى ابنة واحدة تزوجت من محمد الشيخ بن عتّام الجكني المقيم منذ زمن طويل بينهم، وأدى رسوخ مبدإ الوراثة إلى جعل هذا الغريب يتسلم قيادة القبيلة لفترة من الوقت، إلا أنه اضطر في عام 1905 وذلك بسبب الصعوبة التي اعترضته من كل جانب إلى الاستقالة، وحل مكانه بوبكر بن عبد الرحمن، وظلت كل الجهود التي بُذلت لإعادة لم شمل القبيلة بلا جدوى، ذلك أن ترمز الشمال بعد عُدة محاولات غير جدية للوحدة، كاتبوا نهائيا مع البرابيش (1903 — 1904).

وقد كانوا فعلياً جزءا منهم خلال بضعة أعوام، بعد أن عقد أهل النح وأهل عبادي وأهل تيكور حلفا مع محمد بن يوسف ومحمد بن رحال زعيمي البرابيش؛ وفي خلال قيادة بوبكر [بن عبد الرحمن] عمد مخيم هام بقيادة الصديق بن سيدي الأمين إلى الانفصال، والتحق بالتجمع الآخر الذي يقوده سيدي المختار [بن الخليفة] ولا يزال معه.

لقد تم انتخاب بوبكر بن عبد الرحمن، المولود في عام 1865، من جماعة ترمز الغربيين كرئيس للفخذ في سنة 1905، وكان ابن عم لسلفه، غير أنه كان على الخصوص ابن [السيدة] منزولة بنت الشيخ بن النّاه التي تزوجت والده عبد الرحمن، فإذن كان ابنا لإحدى بنات عمومة الصديق عن طريق النّاه، ومن ثم حفيدا له.

وكان بوبكر وجيها في القبيلة غنيا معتبرا، يتمتع بشهرة كبيرة في البسالة، عندما كان

قومه يخوضون الحروب، وقدم خدمات كبيرة بفضل معرفته للبلاد، وباعتباره كشافا محاربا، كما قاد عدة حملات غزو مضادة على مخيمات الأعداء، واشترك كمحارب متطوع في عدة معارك.

وبسبب كرمه الحاتمي بدّد ثروته في العطايا، ولكنه لذكائه وحنكته، عرف كيف يعيد تشكيل فخذه الذي كان في أعقاب موت الصديق بن سيدي الأمين في حالة تفكك كاملة، فكان عليه أن يجابه الوجهاء من أمثال حَميده بن سيدي أحمد وسيدي محمد بن سيدي اللذين أرادا إطلاق سراح قتلة أحد عملائنا السابقين ومنَعنا من التدخل في هذه القضية القبلية، وقد هددوه بالتخلي عنه إذا لم يتم إطلاق سراح القتلة، وهم محمد بن جيكانه وعَلي بن محمدي وسويدها بن المختار، وأدانت محكمة تنبكتو عَلي بن محمدي وبرّأت الآخرين، وبذلك عمَّ الهدوء.

ولم يكن بوبكر [بن عبد الرحمن] ينحدر من أصل ترمزي بل هو داوُودي من أصل عريق، وذلك حسب السلسلة التي قدمها لنا بنفسه، والتي توجد بها بعض الثغرات المؤكدة، وهي: بوبكر بن عبد الرحمن بن عَلي بن أحمد بن علي بن محمد بن عيسى بن عمر بن موسى بن بوبكر بن عبيد بن هدّاج بن جعفر بن داوود بن عروق بن أودي بن حسان؛ ولبوبكر [هذا] أخٌ، هو بابا أحمد الذي يقوم بخلافته أحيانا.

أما الفخذ الرئيسي من ترمز فقد ظل تحت قيادة [سيدي] المختار بن الخليفة بعد ما حدث الانشقاق حوالي العام 1885، وأدى إلى استقلال جماعة الصديق بن الشيخ تحت اسم ترمز الغرب. وظل [سيدي] المختار على علاقات مستمرة مع البرابيش، وكان فخذه يُعدّ أحيانا من تلك القبيلة؛ وقد توفي في إبريل سنة 1911، وحل مكانه ابنه حمّه المولود حوالي 1865، وكان أهلا لمنافسة بوبكر [بن عبد الرحمن] في ترمز الغرب لذكائه ووفائه وإخلاصه، وقد قدم خدمات جزيلة جدا للملازم بويسويلوالد على أثر تكوين ""القوم" البيضانيين الذين كان أحد أفرادهم، ثم أصبح رئيسهم. واشترك في العديد من الحملات المضادة، وكان موقفه مواليا بوضوح، ومتضافرا مع موقف الطاهر [زعيم] قبيلة كلنصر، بحيث حال في سنتي 1915 ــ 1916 دون تمرد قبيلة تنچريچف، ومنع اتساع انتفاضة الطوارق في عقفة [نهر] النيجر، حتى لا تشمل مشظوف الساحل.

ولحمّه وضع حرج نوعا ما، فهو الرئيس العام من حيث المبدأ لكل قبيلة ترمز، وعليه أن يتجاهل منافسة بوبكر الذي هو منطقيا تابع إداري له، والذي تعامله فرنسا كند له؛ وعلى كل، فإن بوبكر يعرف كيف يتعامل مع حمّه على قدم المساواة، عندما يكونان في بادية الساحل.

2 ـ التوزيع

يشتمل ترمز في الوقت الحالي كما سبق وقلنا، على مجموعتين هما ترمز الغرب، أو ترمز "القبليين" (21) ورئيسهم هو بوبكر [بن عبد الرحمن]، وترمز الشرق أو ترمز "التليين" (22) ورئيسهم هو حمّه[بن سيدي المختار]. ويتألف "القبليين" من أهل عباد (أهل الخليفة وأهل فدار وأهل عبيد) وأهل الناب وأهل مْبيريك وأهل الشين وأهل الشيعي وأهل تيكوره وأهل محم اخوينا وأهل محمد علي، ويؤلف أهل عباد أسرة الرئيس الحالي. أما أهل النّاه وأهل مْبيرك وأهل تيكوره، فهم من نسل النّاه.

ويتألف "التليين" من أهل فدار وأهل عْبيد وأهل الشين وأهل أحمد عبد الرحمن وأهل عيسى وأهل سي طاهر وأهل الجودة وأهل عدن؛ ويطلق على أهل عيسى أيضا اسم أهل بوجه؛ أما أهل الجودة فهم فخذ من الوسرة اندمجوا في القبيلة، وأهل العدن أو لادم، هم فخذ من قبيلة لادم المعروفة.

وحسب إحصاء سنة 1917 فإن ترمز الصميمين يبلغون 1206 شخص خاضع للضريبة و180 غير خاضع لها.

ويضم كل من فخذي ترمز ولا سيما الغربيين منهم عددا كبيرا من الغرباء من متشردين ومغامرين من أصول شتى، جذبتهم الجماعة لتضخيم عددها، غير أن هذا الضم عوضا عن أن يشكل قوة للقبيلة، أدى إلى تعريضها للمشاكل؛ وترمز هم عرب حسانيون أي محاربون، وذلك أمر لا ينبغي نسيانه.

وتثير هذه المجموعة الصغيرة من المحاربين الجريئين الخوف في كل المنطقة، وقد صمدت معنا في وجه أكثرية عمليات الغزو الشمالية التي ظلت تجتاح منطقة افاكيبين منذ عشرين عاما؛ وينظر العرب المجاورون إليهم كما يعاملونهم على أساس أنهم مغامرون حقيقيون؛ وقد كوّنوا فعلا قوات مساعدة مسلحة من قبلنا حتى عام 1914، وذلك مقابل رواتب رمزية، وبرهنوا على قدرتهم على القبول بنوع من الانضباط؛ وكان لكل من الفخذين ممثل لدى السلطة الفرنسية، أما اليوم فقد انتهى هذا الوضع؛ ومن المناسب أن نستفيد أكبر قدر ممكن من هذه الكفاءات الحربية المتوفرة لديهم، خاصة في بلد جرت فيه مراراً محاولات تكوين فرق مسلحة من قبائل أخرى لم تعط الكثير من النتائج. كما يجدر بنا أن لا ننسى أن ترمز على الرغم من قلة عددهم نجحوا في كسب الرضاء في هذا الصدد؛ وكان استخدامهم موفقا تماما في 1916 ـ 1917 خلال العمليات الأمنية ضد طوارق العققة، أو ضد محمد أحمد

---

(21) ـ الغربيون.

(22)ـ الشرقيون

[بل سيدي محمد بن مْهمد] الذي يكرهونه؛ ومزاجهم الحربي يجعلهم ــ هذا فيما إذا تُركوا لفترة طويلة دون استخدام ــ ينطلقون متمردين أو غزاة ضد الجيران سواء كانوا أصدقاء أو أعداء [!].

ويرتحل بوبكر [بن عبد الرحمن] اليوم بين رأس الماء وداونه، وبذلك يحمي هذه المنطقة، أما حمّه [بن سيدي المختار] فيتجول في اتجاه بيتاكونكو، ولكنه يسيّر أشـوافاً (23) على مسافة كبيرة شمال افاكّيبين ومعه تجكانت، حيث يصلون حتى منطقة المسراح.

وينكفئ ترمز في ترحالهم حتى تنك الحي في شمال شرق تنبكتو، وينصبون فيه خيامهم، وذلك في حالة الخوف من الغزاة حيث يتفرغ الرجال لمقارعتهم.

وكما هو شائع فإن ترمز بجوارهم لكنتة وعلى الخصوص بفضل هيبة الشيخ حمادي (24) أصبحوا ينتسبون للقادرية.

وتنقل لنا الرواية أن هذا الانتساب يعود لزمن بعيد، وذلك بفضل إرشادات الشيخ سيدي المختار الكبير؛ وعلينا أن نذكر فضلا عن أتباع القادرية بعض أتباع التيجانية الذين أخذوها عن شيخي هذه الطريقة في ولاتة وهما [الفقيه] محمد يحيى ول [أهل] ابٍّ ومحمدي بن سيدي عثمان.

وهناك زاويان لهما بعض الشهرة يستحقان إشارة خاصة في هذه القبيلة هما أحمد بن محمد المختار الجعفري المولود حوالي 1880 في ترمز القبيلين، وتضم مدرسته قرابة عشرين تلميذا، وهو على قدر لا باس به من التعليم، وخاصة في علم الأصول؛ ومحمد بن بوبكر الصديق المولود حوالي سنة 1882، وهو رجل متعلم ومعتبر لديه خمسة عشر تلميذا؛ وأصبح ترمز بسبب اتصالهم بالزنوج يؤمنون بالقدرة الخفية لبعض الكائنات (ويسمى في لغة السونگاي كابي)، وهو وضعٌ قل أن تجده في القبائل اليضانية؛ و"كابيهم" هو الغراب، وتقول الأسطورة إنه خلال معركة كبرى "ظل أحد أجدادهم ملقى على الأرض ملطخا بدمائه، إلى أن جاء غراب وشرب دمه، فتمكن من الوقوف والهرب، وابتداء من ذلك التاريخ يحترم رجال ترمز الغراب."

ولدى ترمز قطعان هامة تتشكل من ألف ناقة وعشرين فرسا و600 بقرة و175 حمار و6000 رأس بين الضأن والماعز، ويبدو أن انتباههم قد انصرف منذ استيلائنا على البلاد إلى زراعة الدخن والقمح في افاكّيبين، وابتداء من سنة 1913 طلبوا بانتظام أراض للزراعة، وشكلوا مع خدمهم قرى زراعية.

---

(23) جمع لكلمة شوف الحسانية، ومعناها الرائد، وهي شائعة الاستعمال في الغزوات.

(24) هو حمادي بن سيدي مْحمدْ بن الشيخ سيدي المختار الصغير بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير الذي كان إبان الاحتلال الفرنسي رئيس كنتة أزواد، توفي سنة 1912.

رابعـــا: أولاد زيـــد

1 ـ لمحة تاريخية

ينتسب أولاد زيد إلى زيد بن داوودُ بن عروق أخي كل من علوش وجعفر؛ فهم إذن مـــن أصل عربي حساني عريق، وإن كان نمط حياتهم وتقربهم الجزئي من الزنـــــوج وزيجاتـــهم العديدة معهم قد أثر على ذلك الأصل.

وعند قدومهم إلى الحوض مع القبائل الأخرى من أولاد داوودُ اختلطوا بأولاد علوش الإبل وبزنوج سُكولو؛ ولما أصبحوا يسكنون بقاعا غزيرة المياه والنبات تخلوا شيئاً فشـــيئاً عــن الإبل، وأبدلوها بقطعان وفيرة من الأبقار والماشية الصغيرة، وأصبحوا بذلك أكـــثر عرضـــة للغزو.

ولعدم قدرتهم على الحركة وبعد أن تراخت طباعهم بسبب ثرواتهم والتصاهر مع الزنوج سقطوا تماما تحت هيمنة أولاد علوش الإبل الذين يدفعون لهم الإتاوات ويفوّضونهم لتعييـــن رؤسائهم، ولكن من الذين تحق لهم من ذرية زيد.

وعند وصولنا إلى هذه البلاد كانت قيادة أولاد زيد في يد محمد بن أحمد بن النفع الـــذي كان يقيم تارة في فارابوگو قرب سُكولو، وتارة أخرى في كنچرلا، ولما كان تابعا لسيدي فقـد تقدم معه بخضوعه في سُكولو، ولكنه لاذ بالفرار خوفا من الاعتقال بسبب تورطه الخطير مع أولاد علوش قبْل خضوعهم، ومع سيدي ذاته، وتبعته في فراره بضع خيام من قبيلته؛ وفـــي الوقت نفسه اشترك عدد كبير من أولاد زيد في الانتفاضة ضد قَامَا (25) فـــي سانسـاندينگ حيث لم يزحف محمد بن أحمد شخصيا، ولكنه أرسل قوات يقودها أخوه الخليفة، وقد أدركـها رتل من الشرطة منطلقاً من گونبُ ، واعتقل أفرادها، وكان في عدادهم الخليفة الذي كان قـد نُصب على رأس القبيلة بجهودنا، أما بالنسبة لمحمد فقد ظل في حالة تمـــرد خـــلال بضعـــة أعوام، واشترك في كل غارات سيدي.

وفي بداية عام 1899 طلب بواسطة المرابط عبد الوهاب أن يقوم بتقديم خضوعه، ولكـــن جوابنا كان الرفض؛ ومن الممكن أن ندرك عن بعد أن رغبة أخـــيه الخليفة في أن لا يـــراه خاضعا، لم تكن غريبة عن هذا المـــوقف. وقد تقدم بطلب جديد في عام 1900 وتم قبوله في هذه المرة ولكنه بقي في الإقامة الجبرية بسُكولو لمدة ستة أشهر، ثم عاد إلى قبيلته؛ وهـــو رجل شديد الذكاء متفتح، وأصبح منذ عودته ـ نظرا لقلة كفاءة أخيه الخليفة ـ يمارس

(25) هو ملك السلالة البنبارية التي كانت تحكم كرطه.

فعليا القيادة؛ ومحمد هو من مواليد 1870 بينما ولد الخليفة في حوالي 1877؛ وقد حل محل هذا الأخير ــ عندما أصيب بالصمم والعجز التام في عام 1917 ــ كَدادُ رابع أبناء أحمد، المولود حوالي العام 1882، وذلك بعد رفض أخيه الأكبر منه النفع للمنصب.

وقد قطع أولاد زيد اليوم تقريبا علاقاتهم تماما مع أولاد علوش الإبل واستردوا استقلالهم وأقاموا صلات صداقة مع جيرانهم إفلان لمباره الذين ينتجعون معهم في الصيف في إقليم ماسينا وضواحيها، ويعودون في الشتاء لجوار قرى حراطينهم في كنچرلا وخْليفة وتارسا ومد الله.

ويترأس قرية كنچرلا محمد افْريريك الذي جاء والده أحمد بن النَّفع من تشيت، واستقر في كنچرلا بناء على أوامر الشيخ بن سيدي الذي انفصل عنه فيما بعد وتحالف معنا. أما رئيس قرية خْليفه فهو محمد عبد الله بن باته الذي انفصل عن أولاد علوش في أعقاب حوادث شجار بعد أن كان في الماضي معهم. تلك هي أوصاف هذه القبيلة الهادئة للغاية؛ وإمامها وقاضيها شيخ دين على قدر من النفوذ، وهو سيدي عبد الله بن باته الذي أصبح مقدما للقادرية على يد رئيس الگلاگمة محمد البشير بن محمد، الذي يتمتع بتعليم لا بأس به، ولديه بضعة أتباع في كل أفخاذ القبيلة، وتضم مدرسته عشرة تلاميذ.

2 ــ التوزيع

يضم أولاد زيد الأفخاذ التالية:

(أ) ــ أهل عليٍّ، ومنهم أهل افراري مخيم الرئيس، وهم من العرب الحسانيين.

(ب) ــ أهل محمد التلي، أهل بوغانم، أهل الحاج عمر وهم زوايا وأهل أحمد بوبكر وأهل الحسن وأولاد مَمُّ وهم حسانيون، إلا أن أولاد زيد لا يضمون إداريا إلا الأفخاذ الخمسة الأوائل، ذلك أن أهل الحاج الحسن وأولاد مَمُّ قد انفصلوا عنهم منذ زمن.

ويستمد أهل [الحاج] الحسن اسمهم من رجل دين صالح هو الحاج الحسن بن آغبدّي (26) الذي ينحدر من زيد؛ ولما تاب انفصل نهائيا عن إخوانه من أولاد زيد، وضم حول خيمته التي كانت منصوبة في باسكنو أبناءه وتلاميذه، وكان من بينهم ــ مع أولاد زيد ــ بعض الخيام من العرب والطوارق وإفلان والزنوج، وشكل الحاج الحسن فخذا مستقلا، كانت بركته وعلمه الواسع سبباً في تماسكه (نهاية القرن السابع عشر).

(26) الحاج الحسن بن آغبدي أحد أشهر علماء عصره (1065 ــ 1123هـ / 1655 ــ 1711 م) له صيت ذائع، ففي حجته التقى بالشيخ الخرشي شارح مختصر خليل بالجامع الأزهر، ورد عليه أربعين مسألة في شرحه ذلك؛ يقول عنه الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي في فتح الشكور إنه كان أفقه أهل عصره.

واستمر ابنه الحاج سيدي محمد، وحفيده شيخ الناس في سياسته الدينية واستطاعا بحظوتهما تحقيق وحدة واستقلال الكيان الجديد، وتولى الخلافة بعد شيخ الناس ابنه سيدي عبد الله، ثم سيدي خليفة بن سيدي عبد الله، ثم سيدي أحمدنا بن سيدي خليفة.

وكان سيدي أحمدنا يقود القبيلة أثناء الاحتلال الفرنسي، فقدم منذ البداية خضوعه، ولكنه لم يتأخر عن الفرار والالتحاق بأولاد علوش؛ وقد انطلق رتل عسكري من نرى بتاريخ 31 أكتوبر سنة 1898، ونزل في باسكنو التي كان يقطنها حينذاك أهل الحاج الحسن، فأعادهم إلى الطاعة، وبعد مضي بعض الوقت التمس رئيسهم الأمان، واستأنف مهامه القيادية؛ ولما كان قد بلغ من العمر عتيا فقد طلب في عام 1902 نقل الرئاسة إلى ابنه سيدي خليفة قبل مماته في عام 1908، ونتجت عن ذلك بعض الاضطرابات سببها أخوه الحاج الحسن وابن عمه سيداتي، حيث أراد الأول مثل الثاني استلام القيادة؛ وفي الواقع مارس العم بن الحبيب بن شيخ الناس، والد سيداتي، تلك القيادة لبعض الوقت على أثر هروب سيدي أحمدنا آنف الذكر؛ وعلى كل فقد عين سيدي خليفة [بن سيدي أحمدنا] رئيسا، وانتهى الأمر بالمعارضة إلى التوقف.

ولأهل الحاج [الحسن] اليوم علاقات مستمرة وودية مع إفلان لمباره حيث يصطحبونهم في ترحالهم، ويرتبطون معهم بزيجات عديدة، ووالدة سيدي أحمدنا امرأة إفلانية؛ وهذا الفخذ الذي تمتع بنوع من النفوذ الديني في عصر مؤسسيه من الرجال الصالحين عاد اليوم لوضع عادي، وهو يرتحل مع مجموع أولاد زيد. وتُعتبر كوسنا قرية حراطينه وزراعته، وليست للفخذ اليوم أية شخصية دينية، باستثناء الإمام ومعلم المدرسة أحمد بن الفقيه وهو تلميذ تجاني لقاضي ولاتة [الفقيه] محمد يحيى ول أهل ابٍّ.

وينقسم أولاد مَمٍّ الذين هم كما سبق أن قلنا من أولاد زيد إلى فخذين ثانويين صغيرين يتنقلان في دائرة سُكولو وعيسى بير، ويرتبط كل منهما بإحدى هاتين الدائرتين.

ويحتوي الفخذ الثانوي في سُكولو أي أهل آگي على قرابة عشرين خيمة، ورئيسهم هو محمد بن محمد ددّه؛ ويرتحلون خلال فصل الشتاء إلى القرب من بحيرة تندا، وفي الصيف إلى فاريماكي؛ ويتألف الفرع الثانوي في عيسى بير من أهل آگه، ويقع مركز زراعات وحراطين هذا الفخذ الثانوي في بودوبادي.

خامسا:الجعافرة

أ ـ لمحة تاريخية

الجعافرة هم آخر مجموعة عربية تنحدر من داوود بن عروق عن طريق ابنيْ جعفر بن داوود: هداج ومنصور جديْ الهدادجة والمناصير؛ ومع الزمن حصل انصهار بين الفخذين،

كما انفصلت عنهما بعض الخيام، بينما اندمجت فيهما عناصر أجنبية، مما أدى إلى تشكيلة جديدة.

وقد ظل الجعافرة مقاتلين أشداء حتى القرن التاسع عشر، وطالت غزواتهم أكثر من مرة قبيلة مشظوف، وأشار تاريخ ولاتة في مناسبات عدة إلى انتصاراتهم إلا أنهم في نهاية الأمر أبعدوا ــ مثل كل قبيلة داوود بن عروق ــ إلى أقصى منطقة الساحل الشرقي.

وينقسمون إلى الفروع التالية: الجعافرة الصميمون وأهل الشيخ محمد لقظف والشباهين؛ وكانوا يتحالفون مع أولاد زيد في حروبهم حيث كانوا نوعا ما تحت نمط من التبعية المعنوية لهم، أما اليوم فقد استردوا استقلالهم الكامل.

والجعافرة الصميمون هم منذ سنة 1860 تحت قيادة معايّه الذي قدم خضوعه منذ الاحتلال الفرنسي، وثبت في مركزه؛ وينتسب هذا الرئيس المولود حوالي العام 1840 إلى جعفر عن طريق أبيه علي بن بيّه بن الشيخ بن أحمد بن كويت.. بن هداج بن جعفر، ويتمتع بنفوذ كبير في قبيلته، ويقيم صلات طيبة مع إفلان أواربه في قريتي نرى والنبالة، وينوب عنه ابنه النشيط غير البكر الإمام، المولود حوالي 1882، أما إخوته الأكبر منه فهم علي المولود حوالي 1870، والشيخ لبات المولود حوالي 1975، والشيخ سيدي أحمد، المولود حوالي 1878.

ب ــ التوزيع

ينقسم الجعافرة بشكل فرعي إلى فخذين ثانويين هما الهدادجة والمناصير؛ ويرتحلون خلال فصل الشتاء حتى لحمارات في شمال شرق باسكنو، وفي الصيف باتجاه دائرة چورا وماسينا؛ ولهم مزروعاتهم في قرية مد الله التي هي قرية القبيلة الزراعية ومركز حراطينها وخدمها، ورئيسها هو ددّه بن الشيخ الذي سنتعرض له بعد قليل.

ويشكل الجعافرة نموذجا للانتقال من السلوك الحساني إلى السلوك الزاوي فنصادف لديهم الكثير من الناس المتدينين، أي الذين "تابوا إلى ربهم" جانحين مع الغنى والطمأنينة لممارسة حياة إسلامية تتصف بالورع.

ج ــ أهل الشيخ محمد لقظف

أهل الشيخ محمد لقظف هم فخذ معروف بتدينه منفصل قبل قرن ونصف تقريبا عن القبيلة وهم هدادجة ينقسمون فرعيا إلى أهل الشيخ سيدي أحمد وأهل بونا علي وأهل الشيخ سيدي صلاح وأهل الطالب يوسف وأهل الطالب محمد؛ وكان جدهم الشيخ محمد لقظف بن حماه الله ابن صالح بن لوجيهة بن محمد بن موسى بن بوبكر بن عبيد بن هداج بن جعفر شيخا تقيا

عاش في نهاية القرن الثامن عشر رافضا أن يظل جزءا من قبيلـة تعيـش حيـاة حسـان، فانفصل مع أبنائه وتلاميذه عنهم، وشكل فخذاً مستقلا متمسكا بالتعاليم الدينية.

وترك الشيخ محمد لقظف سمعة كبيرة كرجل صالح، لا سيما باعتباره شيخا صوفيا مـن الطراز الأول، تفوق كراماته الحصر(27)، وكان يلقب بـ"السلطان"، ولهذا السبب فإن عـددا من أحفاده أو أتباعه ممن يحملون اسم الشيخ محمد لقظف يحملون إلى اليوم لقب "السلطان" ويقع ضريحه في المبروك إلى الشمال من النوارة، وهو مزار صغير مبني من الطين يقبـل عليه الكثير من الزوار والمرضى الذين يشفون عادة [بإذن الله].

وقد نجح أوائل أبنائه مثل الشيخ سيدي وحفيده الشيخ سيدي محمد في تشـكيل القبيلـة بصورة نهائية.

وعند الاحتلال الفرنسي كان رئيس القبيلة هو ددّه (الشيخ سيدي أحمد) بن محمـد، وقـد أعلن الطاعة بعد تردده عدة مرات نتيجة الضغط الذي كان يمارسه عليه أولاد علوش الإبـل، وكاد موته في عام 1906 أن يؤدي إلى تفكك القبيلة، فغادرت عدة خيام ـ فيما يبدو نتيجـة الخوف ـ الجماعة، وانضمت إلى أولاد محمد[يا حمد] الذين لم يكونوا خاضعين بعد.

وعلى أثر احتلال الحوض وولاتة عمدت هذه الخيام إلى التسجيل مع أولاد محمد[يـاحمّد]، وشكلوا فخذين صغيرين تحت رئاسة الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي علي، وبونـا بـن الإمام. وقد غادروا إلى سُكولو في سنة 1914 مع جزء من أولاد محمد[يا حمـد] واسـتقروا فيها نهائيا هذه المرة، بينما خرج أولاد محمد[يا حمد] نهائيا إلى النوارة.

وقد كان خليفة ددّه في سنة 1906 أخوه الأكبر انّا (الشيخ سيدي محمد) المولود حـوالي 1880، وهو رجل مثقف وذكي، ولكنه قليل النشاط لأنه رجل دين أكثر منه زعيم قـبيلة، والاعتبار الذي يحيط به يعود على الخصوص إلى الإرث الذي تركه له أجداده. تُرى، ألم تكن هناك نية مبيتة في القضاء عليه، عندما حكم عليه بالسـجن ستة شهور بسبب [دعـوى] شهادة زور بسيطة؟. وقبل بضعة أعوام، قام السلطان (الشيخ محمد لقظف) بن ددّه المولود حوالي 1885 باغتيال زوجته، وجرى توقيفه من جانب أخيه انّا، واقتيد إلى سُكولو ثم هرب، ولكنه أعيد للسجن من جديد، وخضع للتحقيق القضائي في ولاتة، فهرب من السـجن مرة

---

(27) الشيخ محمد لقظف الجعفري هو شيخ المشائخ في عصره تنسب إليه الطريقـة القظفيـة التـي ازدهرت في عصر الشيخ سيدي المختار بن الطالب أعمر بن نوح البصادي وخلفائه خاصة الشيخ محمـد محمود الخلف والشيخ الغزواني؛ ومن مشائخها الشيخ محمد محمود بن بيّه والشيخ محمد المحفوظ بـن بيّه؛ وينسب إلى الشيخ محمد لقظف الفرع القادري من الطريقة الفاضلية. انظر كتـاب بـلاد شـينقيط .. المنارة والرباط، للخليل النحوي، طبعة تونس سنة 1987.

أخرى، والتحق في بداية سنة 1916 بالمتمردين، لكنه أعلن طاعته بعد أن قضى عدة شهور معهم، وناله عفو شامل عن جريمة القتل وعن هروبه من السجن وتمرده وبيده السلاح.

أما أبناء ددّه الآخرون فهم فضلا عن انّا والسلطان، محفوظ المولود حوالي 1882، والشيخ أحمد، المولود حوالي 1890، وسيدي بوبكر المولود حوالي 1900؛ وقد كان لددّه فضلا عن ذلك، بضعة إخوة هم: بونا والشيخ أحمد والشيخ عبد القادر وغيرهم، ونسلهم موجود اليوم في مخيمات أهل محمد لقظف.

وأهل الشيخ محمد لقظف موزعون اليوم بين باسكنو وسُكولو، ولهم مركزان هما مد الله وادوانكارا حيث يوجد أيضا أبناء عمومتهم الجعافرة، وينقسمون إلى خمسة أفخاذ هي:

- أهل الطالب يوسف رئيسهم: محمد الأمين بن الطالب يوسف.
- أهل علي بن الشيخ رئيسهم: بـيّنا بن السيخ سيدي.
- أهل السيخ سيدي صلاح رئيسهم: محمد فال بن الحاج.
- أهل الطالب محمد رئيسهم: الطالب محمد بن الشيخ سيدي.
- أهل سيدي أحمد رئيسهم: انّا بن ددّه.

ويقتربون في فصل الصيف أثناء ترحالهم من وديان نهر النيجر، ويهبطون في اتجاه چورا وماسينا.

وإمامهم وقاضيهم ومعلم مدرستهم ومرابطهم المشهور هو سيدي عيسى بن محمد المختار المولود سنة 1880 الذي بدأ دراساته على يد والده، ثم أكملها في ولاتة بجوار القاضي الشهير [الفقيه] محمد يحيى ول أهل ابٍ؛ ولدى سيدي عيسى اثنا عشر تلميذا يعلمهم القرآن، واثنان يعلمهم [مختصر] الأخضري [في الفقه المالكي] والأجرومية [في النحو].

د ـ الشباهين

الشباهين هو الفخذ الثالث من الجعافرة وليسوا من أصل داوودي بل ينحدرون من البراكنة الذين غادروهم قبل ثلاثة قرون وجاءوا ليستقروا لدى أولاد مُبارك الذين كانوا سادة الحوض حينئذ وشكلوا فخذين مستقلين هما أولاد مندني والكويت؛ وفي أواسط القرن الثامن عشر تركوا أولاد مُبارك وجاوروا أولاد داوود، وكان إبراهيم بن فال رئيس أولاد مندني هو الذي تزعم هذه الهجرة.

ويقود أولاد مندني منذ سنة 1902 سيدي بن محمد فال بن سيدي بن إبراهيم بن سيدي، وقد خلف والده حوالي العام 1780.

وقد توفي محمد فال في حدود 1895، وكان ابنه سيدي المولود في سنة 1884 صغيرا جدا على استلام القيادة، مما جعل الفخذ يلتحق بفخذ الكويت الذين يدير شؤونهم صالح بن الناجم؛ وعندما بلغ سيدي سن الرشد استرد حقوقه، وعاد الفخذ ليتشكل من جديد تحت

قيادته بموجب انتخاب الجماعة، وتعيينه من السلطة الفرنسية. وسيدي رجل نشيط ذكي، وله نفوذ أكيد في فخذه.

وتقع قريتا أولاد مُندني الزراعيتان ومركزا خدمهم وحراطينهم في نرى، ولا سيما في فصالة؛ ويقيم هذا الفخذ علاقات ممتازة مع إفلان أوروبه، ويصاحبهم في نجَعاتهم.

ويستحق مرابط مشهور وطالب وإمام وقاضي الفخذ التنويه وهو محمد الأمين بن سيدي ابّه المولود حوالي 1880، وقد أتم دراساته في مختلف القبائل العربية في الحوض، إلا أن عدد تلاميذه قليل، ولا يعلّم سوى القرآن.

وتقود الفخذ الثاني من الشباهين أي الكويت أسرة غريبة، أول جد معروف لها هو حمٌ الدليمي؛ فقد جاء ليقيم لدى الكويت في زمن كان هؤلاء وأولئك بجوار أولاد مُبارك (بداية القرن الثامن عشر)، وتزوج منهم وعَرف ــ نظرا لمزاياه الحربية ومهارته ــ كيف يتوصل إلى قيادة الفخذ. وقد ورث ابنه محمد سلطته، وقام حفيده صالح بن محمد بقيادة هجرة الفخذ إلى أولاد داوود.

أما الرئيس العام فهو جعفر بن صالح بن الناجم بن علي باي بن صالح السابق الذكر؛ وقد مارس صالح بن الناجم وابنه جعفر القيادة على مجموع الشباهين القاطنين قرية نرى بين سنتي 1892 و 1903، أي خلال الفترة التي كان فيها سيدي قاصرا، ولم يتنازلا عن السلطة إلا بصعوبة كبيرة؛ وقد قدم صالح طاعته في الساعات الأولى من احتلال سُكولو، وخلفه ابنه جعفر سنة 1902، وسببت له الإصابة بالمرض الصَمَمَ، وبدأ يخسر نفوذه تدريجيا.

وهذا الفخذ الذي يرتحل في شمال شرق باسكنو ولحمارات إلى الحاسي الطويل يتبع في فصل الصيف أبناء عمه أولاد مندني، وجيرانه إفلان في چورا وماسينا؛ وعلى كل تظل خيمة الزعيم في فصالة التي تشكل مع نرى قرية الزراعة ومركز الحراطين والخدم.

شجرات أولاد علوش وأهل بررِدّة وترمز والسكاكنة وأولاد زيد

	شجرة رؤساء أولاد علوش				
		علوش (1)			
بوزيد جد قسم من أولاد علوش		بوعلي (2)		داوود الصغير	
وأهل بررِدّة					له سعيد جد
					قسم من اولاد علوش البقر
المختار جد المخطّرة		عثمان (3) جد الحلة والعثامنة			وأهل بررِدّة
		غميرات (4)			
		بيده (5)			
		محمد إبراهيم (6)			
		بابا أحمد (7)			
		بيده (8) ت1805			
الشيخ		هنون (9) ت 1825			
سيدي (11)	محمد	بيده (10) له الشيخ (12) ت1884		بابا أحمد	
ت 1857		وله بابا ت 1885			
الشيخ (13) ت 1897	المختار	هنون له سيدي ومحمد	سيدي المختار	بيده له: سيدي محمد (أغلى ناسي)	
حننه(15) له سيدي م.1913		سيدي(14) ت 1913 له الشيخ ودشق ت 1916 له دشق			محمد

شجرة أهل بردّة، وهم ذرية بردّة (1) بن عبدالله بن منصور

بن محمد بن عزوز بن محراس بن ديماك بن بوعلي بن علوش

		الحاج (2)			
		سيدي محمد(3) ت 1874م			
سيدي إبراهيم		حننه	علي غنوة	سيدي المختار(4)	
				حوالي1775–1825	
الشيخ	بونا	سيدي المختار(6)			
		1835–1845	القله	القاظي (5) حوالي1825–1835	
سيدي الصغير				أحمد أرشق (7) 1845–1855	
الشيخ (9)				سيدي محمد (8)	
1872–1905				1845–1872	
				سيدي المختار	محمدي
القله (10)الرئيس	دشق	سيدي محمد			
			سيدي محمد	دشق له ابن ولد بعد موته سمي دشق	

شجرة رؤساء ترمز والسكاكنة

المنحدرين من رزق بن جعفر بن داوود

سكّون جد السكاكنة — ترمز

الطويلب — غبيد — أبي

علي

الناه (الصديق)

عباد — محمد

علي

بليل — النبيط — أحمد الكيل — الودان

العابد

الخليفة

الشيخ

منزولة تزوجها عبد الرحمن فولدت له بوبكر رئيس ترمز الغرب — علي توفي صغيرا — الصديق له ابنة متزوجة من محمد الشيخ بن عتام الجكني — عابدين قتله الرقيبات

شجرة رؤساء أولاد زيد بن داوود			
بن عروق بن أودي بن حسان			
	عبد الله		
	موسى		
(نفقد هنا عدة أجيال)			
	افراري		
	سيدي محمد		
	أحمد		
	محمد		
	كداد		
	النفع		
	أحمد		
محمد (1)	الخليفة (2)	النفع(3)	كداد

الفصل الثاني: الأفخاذ الجكنية
(إديلبة ــ الوسرة ــ تجكانت ــ تفُلالت)

تمهيد

توجد في منطقة الساحل الشرقي أربعة أفخاذ صغيرة أصلها جكني، هي إديلبة والوسرة وتجكانت وتفُلالات؛ وإذا كانت هذه المجموعات قد احتفظت بذكرى حية عن ذلك الأصل وعاطفة القرابة والتضامن الذي ينجم عنه فهي لا تنضوي مع ذلك تحت الاسم العام: تجكانت باستثناء واحدة منها وهي الأقل عددا.

وكانت بدايات تاريخهم مشتركة حيث تتفق الروايات جميعها هنا مع روايات تجكانت القبيلة الأم في موريتانيا التي انفصلت عنها هذه الأفخاذ في نهاية القرن السابع عشر.

وكانت مخيمات تجكانت تعيش فيما مضى على شكل أمة وافرة في آدرار تحت قيادة سيدي المعيد، وبنت فيه قصر تنيگي بين شينقيط وودان؛ وبما أنهم تخلوا عن حياة البداوة جزئيا، فقد انتهى بهم الأمر إلى أن أصبحوا نصف مستقرين، إلا أنهم انفصلوا عن بعضهم وهجروا القصر، وتعزو الرواية ذلك إلى أن امرأة من قبيلة كنتة أقبلت على تنيگي لزيارة والدتها الجكنية، ثم ذهبت إلى بيت إحدى صديقاتها، لكن أحد الشباب اعترضها، وسد الباب أمامها برجليه، وعندما حاولت تجاوزه أسقطها في وضع غير محتشم فاعتُبر ذلك عارا أدى بسرعة إلى معركة بين أخوالها وأهل الشاب لم تتوقف إلا بالانفصال بين المتحاربين وهجران القصر (1).

وقد ذهب فخذ من تجكانت نحو الشمال واستقر على الضفة اليسرى لوادي درعة الذي يرتحل منه حتى تنبكتو، ومركزه الآن تندوف؛ وهاجر فخذ آخر نحو الترارزة، وتمت دراسته في مؤلفي عن (إمارة الترارزة) (2)؛ وقد توغل فخذ آخر في الجنوب والجنوب الشرقي باتجاه تگانت وگورگول وتشيت تحت قيادة شيوخ إديشف والگواليل، ولكن انشقاقا وقع بينهم فتوغل فخذ الگواليل في الشرق، لكنه اصطدم بأقلال الساحل وعاد القهقرى، وتفاهم مع أبناء عمه ليعود السلام من جديد إلى القبيلة (نهاية القرن السابع عشر)؛ ولكن جميع مخيمات الفخذ الذي مر بتگانت متجها إلى الشرق لم تعد، وظل عدد منها مقيما في منطقتي

---

(1) هذه الرواية شائعة مع بعض الاختلاف، إذ يُقال إن الصبيّة سقطت ثناياها في أحد الشوارع الضيقة. انظر كتاب القلاوية للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار، وزاد بابا بن الشيخ سيديا في كتابه تاريخ إدوعيش أن تجكانت أركشاش أصلهم ركبٌ كان قد غادر تنيگي، وعندما علم بهذه الحادثة استقرّ هناك أي في تندوف، وحذا حذوه الركب الذي كان بإسنقان (السنغال) فصار منه بافوات.

(2) إمارة الترارزة في مجموعة العالم الإسلامي، باريس ــ دار لورو، المؤلف.

كرطه وباقنه وتكاثروا فيهما؛ وبداية من القرن الثامن عشر، وفي الوقت الذي كانت فيه أواخر كتائب بني حسان تندفع نحو الحوض اصطدمت هذه الأفخاذ بهم، وبعد بضعة أعوام من المعارك كان التفوق من نصيب الحسانيين.

وتسرد الرواية أن جميع تجكانت الحوض ومعهم عدد من الاقلال كانوا متمركزين بجوار أحد الآبار مع خيامهم وقطعانهم، وعندما أحسوا بقرب انتهاء المراعي أرسلوا رجالهم للبحث عن الكلإ، وعند عودتهم لم يجدوا مخيماتهم التي انقض الحسانيون عليها في غيبتهم وبعثَرُوها، وعندئذ التقط رؤساء المجموعات الثلاث كل الناجين، وهاجروا نحو الشرق إلى المواطن الحالية التي يسكنونها.

وهؤلاء الرؤساء هم: أبوبكر الذي يُعد مع أهله وصحبه جد إديلبة، وموسى جد الوسرة، وعبد الرحمن خليفة جد جزء من عشيرة أقلال الحوض.

وسنترك الآن جانبا عبد الرحمن خليفة والاقلال لدراسة الفخذين الجكنيين أي إديلبة والوسرة، وعلينا أن نلحق بهما فخذين آخرين، الأول فخذ صغير يرتحل على طرفي الساحل والحوض (دائرة النعمة) يحمل الاسم الأصلي تجكانت، ويتألف من نسل مرابط جكني كبير هو سيدي المحجوب الذي وفد إلى منطقة الحوض في القرن الثامن عشر؛ أما الثاني تفُلالتت، وهم ليسوا من تجكانت بالمعنى الصحيح أو من أبناء جكان [الأبر] بل نسبوا أنفسهم لتجكانت لأنهم من أبناء فُلال أخي جكان [الأبر].

أولا: إديلبة

1 ـ لمحة تاريخية:

لقد وصل أبوبك بن محمد الحساك بعد الحادثة التي سردناها آنفا إلى بئر الأرنب في وسط القرن الثامن عشر، وهي بئر كانت تملكها قبائل بنباره التي حفرتها قبل ذلك بزمن طويل، فاشتراها منهم واستقر في المراعي المجاورة.

وتعاقب بعده على رئاسة الفخذ أولاده وأحفاده: ابنه عثمان، ومن بعده أحمد الولي بن عثمان ثم الشيخ مولود الملقب مولول ثم الشيخ محمد وكلاهما أبناء أحمد الولي؛ وجاء فيما بعد الشيخ المختار ثم الشيخ سيدي وكلاهما أبناء الشيخ مولود ثم الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الذي تحت قيادته (حوالي 1870) حدث الانفصال بين إديلبة الشمال وإديلبة الجنوب.

وقد ترك الشيخ أحمد بن الشيخ محمد قبيلته كي يذهب ويحارب إلى جانب [الشيخ] عابدين وجماعته الكنتية ضد أولاد علوش وأهل بوردّة، وكان ذلك إرواءً لحقد دفين ضد الحسانيين [!]، وعهد بالقيادة إلى ابن عمه بلّوتي بن الشيخ سيدي.

وبعد بضعة أعوام اضطر إلى العودة، غير أن بلوتي احتفظ بقيادته، لكن عددا من الخيام

انفصل عنه، والتحق بمجموعة الشيخ أحمد الذي أصبح بذلك رئيس إديلبة الشمال، في حين اتخذ بلوتي لجماعته اسم إديلبة الجنوب.

وأعقب بلّوتي في الرئاسة ابن عمه أبّه بن المختار ثم ابنا بلّوتي سيداتي وموناتي الذي هو الرئيس الحالي. وترك بلوتي [ابن الشيخ محمد] ابنين آخرين ذهب أحدهما نحو الغرب لدى أولاد نوح، في حين لا يزال الآخر، وهو الشيخ أحمد، مقيما في الفخذ الفرعي؛ أما لدى إديلبة الشمال فقد أعقب الشيخ أحمد ابناه نوح وشيخُ ثم بادي بن شيخُ.

وفي هذا التاريخ اجتاز لنز عند ذهابه من تنبكتو إلى باسكنو أراضي ومراعي إديلبة، وصادف في مرتين مخيماتهم في 31 يوليه والأول من أغشت سنة 1880، وحظي في كل مرة "باستقبال ودي" مع تقديم الحليب واللحم الطري؛ وكان ذلك كل ما سجله هذا الرحالة السطحي، فكان هؤلاء "الديلب" كما يسميهم مخيمين على مقربة من بئري الأرنب وبوغنطو، وهذا لا يفيدنا شيئا من المعلومات.

ولم تقم جماعات إديلبة بمحاربتنا إطلاقا، ولم يتعجلوا أيضا في تقديم طاعتهم، ولكنهم عندما دُعوا صراحة إلى ذلك تقدموا بطلبه بتاريخ 30 شتنبر سنة 1896؛ وتم فرض ضريبة سنوية مشتركة عليهم مقدارها مئة رأس من الغنم، ولكنهم لم يلبثوا أن طلبوا دفعها منفصلين، ومنذ ذلك التاريخ، لم يتسبب هذا الفخذ الزاوي لنا في أي قلق؛ وفي خلال السنوات الأولى من احتلالنا نالهم الكثير من الضرر من أولاد علوش الذين كانوا حماتهم منذ أكثر من قرن؛ ولما رأوا أنه على الرغم من الوعود لم نضمن لهم السلامة انفصلوا عنا منعزلين نوعا ما، ولم يقدموا لنا أدلاء ولا معلومات؛ وبعد ذلك زادت الثقة لديهم غير أنهم وحتى أيامنا هذه استمروا في تأدية الضريبة لرئيس أولاد علوش إلا أنهم حاليا يتملصون شيئا فشيئا من روابط الماضي.

2 ـ التوزيع

ليس هناك من أفخاذ بالمعنى الصحيح لدى إديلبة، فهم يؤلفون وحدة عائلية منسجمة، استدعت ضرورات تربية الماشية شطرها إلى تجمعين إديلبة الجنوب وإديلبة الشمال؛ فتجمع الجنوب لا يملك سوى البقر والماشية الصغرى، ويرتحل معظمهم في منطقة فاريماكي؛ وقد انفصلت عن هذه الوحدة الأم بعض مخيمات تملك الإبل مما يضطرها للانحياز نحو الشمال لتعيش حول رأس الماء، وقد عينت رئيسا خاصا لها هو بادي [ابن شيخُ].

أما إديلبة الجنوب فلهم رئيسهم وهو مُناتي بن بلّوتي الذي ولد حوالي 1845، وهو رئيس مثقف ولطيف، ولما كان معتكفا للعبادة تخلى عن قيادة الفخذ لابنه المختار؛ ويتمتع مُناتي باحترام كبير في الفخذ.

وعلينا أن نضيف إلى إديلبة النقية الأصل أهل انبوبو وأهل امَيلها وأهل بابا القادمين من الشمال الشرقي في عهود قديمة.

ويرتحل إديلبة الجنوب بين سومبي وچارتو ويهبطون إلى فاريماكى (نيافونكي) وباسكنو، وهم تابعون إداريا لدائرة گوندام منذ سنة 1913، وقد احتفظوا باستخدام بئر الأرنب الذي يعتبر المصدر المائي الأساسي لهم رغم عمقه (75م) وملوحته النسبية، وهو أحد أكثر آبار المنطقة أهمية، وظل دائما مركزهم، ويتعاون اليوم معهم رجال قبيلة زماتن لصيانته (3).

أما إديلبة الشمال فيرتحلون حول الأرنب والحاسي الطويل وبوزريبة على درجة عرض رأس الماء ونحو چاركو وبودوبادي (دائرة عيسى بير) وإلى چنكا والقاسي (گوندام) ولا يهبطون إلا فيما ندر إلى ما دون غدران تلفاكيا وكراكرات وكرناتي، أما في فصل الشتاء فيمكثون أحيانا في هذه المنطقة، أو يتجهون نحو شمال افاگيبين، وكانت موارد بئر الشيخ أحمد إلى الشمال من الحاسي الطويل التي خربت الآن موردا مائيا خاصا بهم.

ويعيش بين ظهرانيهم حوالي المئة شخص من الاقلال وأولاد علوش وتركز والوسرة وأهل بَرِدَة وإگلاد وإفلان ومخيم من أهل عبد المؤمن مما يجعل من هذا الفخذ تجمعا يفتقر نوعا ما للتجانس؛ ورئيسهم هو بادي بن شيخُ الذي ولد حوالي عام 1872 وهو رجل ذكي عالي الثقافة، ولكنه بدوره لا يهتم كثيرا بإدارة قبيلته تاركا شؤونها لأخيه الشيخ المختار الذي يتميز بعمق الثقافة، ولا سيما في العلوم الشرعية، ويبدو منفتحا جدا ومهيأً لنوع من تحول ثقافي، ولسوء الحظ لا يسمح ابتعاد مخيماته عن مراكزنا المختلفة بالاتصال به في كثير من الأحيان.

ويزرع إديلبة منذ زمن بعيد جدا حصتها من أراضي الفيضان الواقعة في افاگيبين وداونا، ويقوم تجمع الجنوب باستغلال ضفاف بحيرة كابارا؛ أما تجمع الشمال فله مزارعه في افاگيبين ذاتها، ويقيم فيها كل عام مع رجاله وخدمه في دشرة موقتة للزراعة اسمها ديلبادبي؛ ويُزرع فيها على الخصوص الدخن مع بعض حقول القمح؛ وفي عام 1898 كانوا يدفعون لنا مقابل هذه المزروعات ضريبة مقدارها 1600 كغ من الدخن، وفي عام 1899 : 5580 كغ، وفي عام 1900: 1708 كغ، بيد أن جفاف البحيرة قد عمل على تقليص هذه المزروعات كثيرا.

---

(3) عشيرة طارقية.

ويُعتبر رجال إديلبة حفّاري آبار مهرة، فهم الذين حفروا كل آبار رأس الماء وياسكنو، كما أنهم يملكون قطعانا رائعة من الإبل، أما بالنسبة للحيوانات الأخرى فقد قدم إحصاء 1917 عددا هو 15 رأسا من الخيل، و 2000 بقرة، و115 حمار، و5000 رأس من الماشية الصغرى.

وجاء في نفس الإحصاء أن عدد السكان الأصليين هو 1025 من دافعي الضريبة، و106 من الذين لا يخضعون لها، أي ما مجموعه 1131 نسمة موزعين على 300 خيمة.

ويساهم إديلبة بانتظام في أزلاي تاودني وذلك بتقديم جهد يفوق كثيرا إمكاناتهم، وعندما يضطرون للتخلي عن جزء من عدائل الملح أثناء الطريق يعودون لاستردادها فيما بعد(4).

ولا نجد اليوم أي شخصية علمية بارزة لديهم، ولكن الأمر لم يكن كذلك فيما مضى حيث يذكر [كتاب] فتح الشكور من بين تلامذة الشيخ الفقيه الأمين بن الطالب الحبيب الخرشي(5) وهو أحد أشياخ المؤلف، شيخين من إديلبة من هذا الفخذ، أو ربما من أبناء عمومتهم في ولاتة، هما الفقيه محمد (الطالب) البشير بن الحاج بن الهادي (6) ومحمد بن الحاج محمود، وكان الأول منهما عالما شهيرا. ويذكُر الكتاب فيما عداهما من تلامذته، الطالب أحمد بن أبي بكر بن الحاج عبد الرحمن البرتلي والذي كان أكبر طبيب في زمنه؛ ويقول كتاب فتح الشكور إن الطالب البشير كان "عالم التكرور وقاضيهم وفقيههم بلا منازع"، ويضيف "أنه كان يعلّم في النهار ويقضي الليل في القراءة حتى أن آثار دخان نار الخشب كانت تظهر على عمامته". وقد نشر هذا المرابط العلْم في بلاده عن طريق العديد من التلاميذ الذين صدرهم.

وقد جمع مكتبة رائعة جدا سواء عن طريق نُسخ شخصية أو عن طريق النّسخ الذي كان يطلبه من الآخرين.

ثانيا: الوسرة

1ـ لمحة تاريخية:

لقد ترك موسى الجكني الذي قاد في منتصف القرن الثامن عشر هجرة مجموعته نحو الشرق بعد الصراع وتبعثر الفخذ، ابنا هو محمد الذي خلفه، ثم بوحنشه بن محمد.

---

(4) العديلة قالب الملح، ومتوسط حمولة البعير منه أربع عدائل.

(5) الطالب الأمين بن الطالب الحبيب الخرشي (1166هـ/1753م) كان أحد العلماء المرموقين في عصره، حيث أخذ عن العديد من العلماء منهم والده، كما أخذ عنه خلق كثير. أنظر كتاب بلاد شينقيط.. مرجع سابق.

(6) الطالب الأمين بن الحاج الهادي (ت 1197هـ/1783م) كان أحد العلماء البارزين في زمانه. أنظر كتاب بلاد شينقيط.. مرجع سابق.

وفي ذلك التاريخ (بداية القرن التاسع عشر) ولأسباب غير واضحة حدث الانفصال بين الوسرة؛ فقد اندفعت مجموعة كبيرة منهم نحو الغرب واقتربت من ظهر ولاتة، أما المخيمات الأخرى فعلى العكس اقتربت من افاكيبين وهؤلاء الذين يشكلون اليوم أغلبية الفخذ هم الذين يتبعون إداريا گوندام، أما الأولون فيتبعون دائرة ولاتة ـ النعمة.

وقد ترك بوحنشة ابنين هما علي بان وهلوه، وكان الابن البكر علي بان هو الذي خلف أباه في رئاسة فخذ الشرق، وعلى أثر وفاة هذا الأخير تسلم ابن أخيه أحمدُ بن هلوه القيادة نظرا لأن الشيخ سيدي بن علي بان كان ما يزال قاصرا.

وفي هذه الفترة حدث مجيئنا إلى البلاد، وكانت الوسرة تداري كل جيرانها تقريبا، وهم الطوارق وأولاد غيلان وترمز وأولاد علوش، ولا سيما البرابيش الذين كانوا يهيمنون عليهم سياسيا؛ وبصفتهم طلبة دون دفاع جعلهم ذلك عرضة لنهب مسلحي الشمال كل عام، أما الحماية التي كان من المفروض أن البرابيش وأولاد علوش يوفرونها لهم فلم تكن في الواقع أكثر من وهم.

وقد قدموا طاعتهم في سنة 1896 في نفس الوقت مع أبناء عمومتهم إديلبة وأُخضعوا لضريبة مقدارها أربعة رؤوس من الإبل في كل عام؛ وقدم هذا الخضوع وجيه معروف بحيله (7) هو أوبّه بن الجّودة من أولاد محم الذي اشترك في كل الغزوات بين 1894 و1896 بإغراء من رئيس البرابيش سيدي محمد بن مْهمد الذي كان يخيم بجواره عادة، وأيضا بدعم من تجار تكنة في تنبكتو، وبما أنه كان يقدم نفسه كزعيم للوسرة فقد حظي باعتراف من جانب السلطات الفرنسية كرئيس، وله أخ يدعى سيدي علي.

ولم يتبع أوبّه سيدي محمد [بن مْهمد] في أول تمرد له سنة 1898، ولكن موقفه في هذه الفترة كان أكثر من مريب؛ فقد كان يدفع الضريبة ويرسلها حسب الأوامر الواردة ولكنه لا يجيب إطلاقا على أي استدعاءات؛ وعندما ذهب زعيم البرابيش متمردا للمرة الثانية قام أوبّه بالانحياز له بكل صراحة ولحق به مع أنصاره حيث تبعته أربع خيام من فخذه، ولذلك جرى عزله سنة 1903؛ وأُحل مكانه أحمدُ بن هلوه الذي كان أكثر ممثلي أهل موسى الجكني بروزا حينئذ، غير أن أوبّه لم يلبث في الواقع أن عاد وقدم الطاعة؛ وأوبّه الذي يدعى باختصار ول الجّودة هو الحفيد الثاني لخادم معتوق لدى الوسرة يدعي بالْخيْر تزوج امرأة بيضاء من أولاد محم[!].

وكان أحمدُ [بن هلوه] رجلا هرما وصحته معتلة، ولم تكن له أبدا على الرغم من شدة

(7) سنعرف فيما بعد أسباب هذا الوصف القاسي لاوبّه بن الجودة، وهو معاداته للاحتلال الفرنسي، ومحاولة إفشال خططه، فالمؤلف لا يتورع أحيانا عن التنقيص من هؤلاء.

احترامه سلطة كبيرة على جماعته؛ وقد لاحظنا فيما بعد أنه لم يكن غريبا عن استمرار تمرد منافسه السابق أويّه، وكذلك عن تمرد زعيم البرابيش، وعمل كل ما يستطيع كي يمنعهما من العودة للطاعة؛ غير أن ذلك لم يمنع النقيب كوفين Cauvin عندما كان في بوجْبيهة في بداية عام 1906 من أن يرد له أتباعه ويجمع له كل مخيماته؛ وبعد ذلك بقليل، وبعد رحيله نحو تاودني، فارقه محمد بن علي رئيس الفخذ الفرعي لأهل الشريقي مع ثلاثين خيمة، وانتقل إلى الشرق من منطقة فراش رافضا الاعتراف بسلطته، ودفع نصيبه من الضريبة مستقلا.

وقد وقع اغتيال أحمدُ [بن هلوه] في يونيه سنة 1907 في أروان على يد رجل غيلاني قُتل بدوره بعد ذلك بعدة أيام على يد رجل ترمزي؛ وكان خليفته الذي انتخبته الجماعة في 31 أغشت، هو الشيخ سيدي بن علي بان السابق الذكر.

ولقي الشيخ سيدي الكثير من العنت لإرساء سلطته، ووجد من ابني أحمدُ [بن هلوه]: محمد وعبد الجليل معارضة كبيرة إذ كانا يدعيان حق خلافة والدهما، ويرفضان تنفيذ أوامر الشيخ سيدي، وبلغ بهما الأمر حد إهانته؛ ورغم أن انتخابه قد تم بالإجماع من جانب الجماعة، فإن الكثير من الوجهاء كانوا راغبين في تعيين محمد أو عبد الجليل، ولكنهم صوتوا للشيخ سيدي بسبب تنافس الأخوين.

والشيخ سيدي المولود حوالي 1870 ذكي ونشيط وقد ساهم بقوة بناء على رغبتنا في فصل قبيلته عن سيطرة البرابيش؛ واستطاع مع الزمن أن يفرض سيطرته، ولكنه لسوء الحظ تخاذل في عام 1912 لعدم معرفته أو لعجزه فاستضاف غزاة من الشمال مما أدى إلى عزله بتهمة التواطؤ معهم، واستُعيض عنه بناء على انتخاب الجماعة، بابن عمه عبد الجليل بن أحمدُ المولود حوالي 1880.

2 ــ التوزيع

يشتمل الوسرة كما سبق أن قلنا على قسمين هما تجمع الشرق، ويتبع گوندام إداريا، وتجمع الغرب ويتبع منطقة ولاتة ــ النعمة.

وتنقسم وسرة الشرق فرعيا إلى ثلاثة أفخاذ، وتضم 205 خيمة من أولاد أبيجه، وهي أهل خزام وأولاد محم وأهل الشرقي وأرواق؛ ويضم أهل خزام 40 خيمة تقريبا، ورئيسهم هو محمد بن أحمدُ بن هلوه، بينما رئيس أولاد محم هو سيدي عبد الله بن الأمين، ويشتملون على 95 خيمة؛ وللفخذ الثانوي أهل الشريقي (أولاد أبيجه) رئيس هو محمد بن علي بن محمد؛ أما أرواق فرئيسهم هو المختار بن أحمد غالي، وهو أيضا الرئيس العام للفخذ الذي يضم 70 خيمة؛ ويرتحلون على العموم بين اگيبين وأروان على مقربة من منطقة البرابيش، ويصلون حتى شمال هذه المنطقة؛ وفي فصل الشتاء يخيمون في شمال فراش،

وعند نهاية الفصل المذكور ينتجعون نحو الشمال بحثا عن المراعي، وينتشرون في العكلة، ويصلون حتى ولاتة التي يرتبطون بها اليوم إداريا .

ولدى الوسرة قطعان من الإبل غاية في الجودة، ويشتركون بصورة منتظمة في رحلات القوافل، وهم في الواقع من كبار مربي الإبل، ولديهم أيضا العديد من الأغنام؛ والوسرة عاجزون تماما عن الدفاع عن أنفسهم بسبب أنهم طلبة، وأن أفخاذهم شديدة الانقسام على نفسها، ومعادية أحيانا لسلطة رئيسها؛ وفي نونبر سنة 1907 أعطي الشيخ سيدي عددا من البنادق لتوطيد سلطته والدفاع عن نفسه من الاعتداءات الخارجية، ووزعها بين الأفخاذ الثلاثة، حيث تقوم الجماعة تحت رئاسته بتحديد أراضي الانتجاع، وكان عليه إذا لم يرغب، أحد الأفخاذ في التنقل أن يعيد البنادق ليتم توزيعها على الفخذين الآخرين؛ وبعد بضعة أسابيع، وجد الشيخ سيدي نفسه وحيدا مع مخيماته، ومعه كل البنادق التي أعيدت له فقام بردها إلينا؛ ومع ذلك ينبغي الاعتراف بأن لديه ماضيا مجيدا في صد الغزوات والدفاع عن قومه.

وعلى الرغم من تخلص الوسرة من هيمنة البرابيش السياسية، فهم لا يزالون إلى حد ما تحت هيمنتهم المعنوية.

ويتمتع عدد من شخصيات الوسرة بمهابة بينة، وأهمهم محمد بن خطاري من أولاد أبيجه، وأحمد بن آكينين من أولاد محم.

وهناك مرابط من الشرفاء هو مولاي أحمد يعيش بين ظهراني الوسرة اكتسب لديهم نوعا من الصيت، وفي سنة 1908، وبعد أن أصبح ضحية غزو من جانب بعض قبائل الشمال، انطلق في جولة لطلب المساعدة، وعاد بعد بضعة شهور بأربعين رأسا من الإبل.

وتنقسم وسرة الشرق بصورة فرعية إلى خمسة مخيمات تضم مجموعة قدرها 174 خيمة تنقسم إلى الحلّة وأهل انقاي وأهل محمد علي بن انقاي وأهل الوناس وأهل جدُّ؛ والجميع اليوم موزع إداريا إلى أربعة أفخاذ فرعية يقودها الرؤساء التالية أسماؤهم:

(1) محمد المختار بن انقاي، 50 خيمة.

(2) أبّه بن القصير، 40 خيمة.

(3) محمد إبراهيم بن محمد آبه، 35 خيمة.

(4) أحمد بن الحاج علي، 20 خيمة.

ورئيس الفخذ كله هو محمد المختار بن انقاي الذي خلف بتاريخ 15 يونيه سنة 1915 ابن عمه بونا بن الطلبة الذي مات في شهر مارس من نفس العام، وهو شيخ مشهور لديه عدد من التلاميذ، وتنتجع جماعته في جنوب وجنوب شرق النعمة مع الگلاگمة والتناگيد وإجمّان العرب؛ أما في فصل الصيف فيمكن رؤيتهم في بوطويبة وبونعزه وسيفان، وهم

أغنياء كثيرا بالأبقار والأغنام، ويملكون أيضا بضع مئات من الإبل تتوزع لـــدى الجّنابجــة وأولاد ملُّوك (مشظوف)؛ والميسم الذي يضعونه على الحيوانات هو الميســم العــام لقبيلــة تجكانت.

وتعني كلمة الوسرة بالحسانية "الربطة" وربما أطلق هذا الاسم عليهم لأنهم يضمون أفرادا من أصول شتى. فنجد في الوسرة كل الأخلاط ـ كما يقول عنهم الناس ـ من رعاة وزوايــا وحسان عازفين عن الحرب، وزنوج؛ وعلى الرغم من أنهم يعتبرون أنفسهم تجمـــع طلبــة فبينهم محاربون مرموقون.

ثالثا: تجكانــت

يؤلف تجكانت (الصميمون) في الحوض فخذا صغيرا يشمل 169 خيمة، وينحدرون مـــن سيدي المحجوب الذي له سيرة مشهورة في هذه القبيلة الموريتانية الكبيرة، حيـــث ينبغـــي البحث عنهم هنالك، وكذلك دراسة أصول تجكانت عموما.

وباختصار كان سيدي المحجوب في المغرب في بداية القرن الثامن عشر للقاء الســلطان مولاي إسماعيل الذي زوجه كما تقول الرواية من إحدى بناته وغمره بالأُعطيات؛ وقد أنجـب من الأميرة ولدا دُعي سيدي عبد الله، وبعد بضعة أعوام أقبل إلى الحوض مع ابنه الصغــير هذا، حيث تركه في الحوض وعاد إلى تگانت، ومع الابن نشأ تجكانت الحوض.

وقد تعاقب على السلطة زعماء الفخذ كالتالي سيدي عبد الله{1} فابنه سيدي عبد الدائــم {2} فسيدي محمد بن سيدي عبد الدايم{3} ثم نور الدين بن سيدي محمد{4} وسيدي السادات ابن نور الدين{5}؛ وكانت رئاسة هذا الأخير بعد موت والده نور الدين في شهر أكتوبر ســنة 1915 وهو رجل متفتح ويضم فخذه ثلاثة تجمعات هي أولاد سيدي المحجوب، وأولاد علـــي وأولاد إبراهيم.

أما من وجهة النظر الإدارية فقد تم توزيعهم على فخذين فرعيين هما:

(1) أولاد علي، ورئيسهم هو حيده بن الشيخ بن نور الدين، ويضمون 67 خيمة.

(2) أولاد إبراهيم، ورئيسهم هو محمد بن سيدي أحمد، ويشتملون على 102 خيمة.

وتجكانت الحوض هم من ملاك الإبل والأغنام، ويملك أهل سيدي المحجوب منهم أساســا، ثروة من البقر وترعى أغنامهم في جنوب النعمة، وتقصد إبلهم أحيانا العكلة في شمال شرق وشرق النعمة؛ أما في فصل الصيف فنجد قطعانهم في ذيبة وبو گويشيش وسايلة وادرنگه؛ وللفخذ قاض ومرابط كبير مثقف جدا، هو أحمدُ بن أهل آبه الذي يتمتع بنفوذ.

ولتجكانت شهرة مزعجة [للفرنسيين] وهي أنهم يمنحون المأوى عنـــد اللّــزوم لغــزاة الشمال، وتأكد ذلك في نهاية سنة 1917، وبالطبع لم ينبسوا ببنت شفة عنه.

رابعا: تفُلالت

ينحدر تفُلالت من فُلال أخي جكان [الأبر] فهم إذن أعمام تجكانت الحوض وموريتانيا، وكما ينحدر من ناحية أخرى فُلال وجكان من مسوم (8) جد قبيلة مسومة فإن تفُلالت هم أقارب مسومة، وبالتالي يؤلفون فرعا من قبائل لمتونة، وفيهم عائلة من إدوبلال هي خيمة الإمام بن السلطان.

وتبدو الرواية الموريتانية موثوق منها وأعني بها تلك التي تضع كل هذه القبائل تجكانت وتفُلالت ومسومة الحوض على مستوى واحد من القرابة مع القبائل التي تحمل الاسم ذاته في موريتانيا إضافة إلى أنهم جميعا من أبناء عمومة لمتونة وإدوالحاج وإدوعيش.

ويتبع تفُلالت دائرة النعمة، وينقسمون فرعيا إلى المخيمات الآتية:

ـ أهل عبد الله بن الدي، ورئيسهم هو الدي بن عبد الوهاب.

ـ أهل أحمد [بن] عثمان، ورئيسهم هو محمد المختار بن محمد عثمان.

ـ الحلّة، ورئيسها هو سيدي المختار.

ـ شراق، ورئيسهم هو محمد الأمين بن سيدي أحمد.

ـ أهل الدين، ورئيسهم هو محمد الأمين بن الدين.

ـ أهل سعيد، ورئيسهم هو أحمد بن عبد المالك.

ـ أهل سيدي محمد، ورئيسهم هو محمد الفتاح.

ـ أهل الطالب جدُّ، ورئيسهم هو إبراهيم بن الطالب جدُّ.

ـ أهل الشيخ محمد، ورئيسهم هو محمد عبد الله.

ورئيس الفخذ العام حاليا، هو سيدي المختار.

ويحظى مرابطو تفُلالت بالاحترام نوعا ما لدى أولاد محمد [باحمّد]، وعلى الخصوص لدى فخذي تركَالت والسكاكنة.

والشخصية المرابطية الفُلالية الأكثر تقديرا هي محمد الأمين بن عبد الوهاب بن الطالب الأمين؛ وهو من مريدي الشيخ الكبير محمد فاضل بواسطة تلميذه محمد بن عبد الله، وقد أعطى محمد الأمين الوردين القادري والشاذلي إلى عدة شخصيات بارزة من القوانين.

وتفُلالت أغنياء بالبقر والغنم، ولا يملكون سوى القليل من الإبل، ويرتحلون في فصل الشتاء بين النعمة و كَمون وعين رجاج، وفي فصل الصيف في سايله وفدره وحاسي البكاي .. الخ؛ ويملكون عددا من الأحراث التي يزرعها خدمهم في كَيرل ومصقولة.

---

(8) بل أمسم.

شجرات الأفخاذ الجكنية

			إديلبة			
			الزحاف			
			الحساك			
			محمد			
			أبوبك (1)			
			عثمان (2)			
بابا		ملحه	أحمد الوافي (3)			عمر
الشيخ مولود (4)					الشيخ محمد (5)	
الشيخ المختار(6)		الشيخ سيدي (7)			الشيخ أحمد (8)	
ابّه (10)		بلوتي (9)	نوح (9) مكرر		شيخ (10) مكرر	
عابدين	سيداتي (11)	مُناتي (12)	الشيخ أحمد	الشيخ المختار بادي (11) مكرر		

	شجرة رؤساء الوسرة			
		محمد (2)		
		بوحنشه (3)		
هلوه				علي بان (4)
أحمد (5)				الشيخ سيدي(6)
محمد				عبد الجليل (7)

الفصل الثالث: أولاد محمد "باحمّد"

1 ـ لمحة تاريخية

تُسمى هذه القبيلة أولاد مُحمّد، لكن جيرانهم يسمونهم "باحمّد" ويسمون أنفسهم غالبا أولاد محمد، ويعطون للكلمة نطقا يقع بين محمد و"باحمّد" وقد اخترنا هنا تسمية أولاد محمد، كما يطالب هم بذلك، وكما تروي الرواية التي تجعلهم أبناء محمد بن عمران؛ وفضلا عن ذلك، ومهما كان الاسم الذي يطلق عليهم، فإن ما يستحق التنبيه هو عدم الخلط بينهم وبين أهل سيدي محمود، وهي قبيلة زوايا تقيم على تخوم موريتانيا والساحل.

وأولاد محمد "باحمّد" هم قبيلة عربية الأصل، وتؤيد ذلك روايتهم الذاتية؛ ولهم فضلا عن ذلك مكانتهم المرموقة في الرواية العامة للعالم العربي الحساني في الصحراء الغربية؛ فهم ينحدرون من محمد بن عمران بن عثمان بن مغفر بن أودي بن حسان (1)؛ وكما رأينا فهم أبناء عمومة أولاد مبارك الذين ينحدرون أيضا من محمد المذكور، ولكن عن طريق أحد أبنائه الصغار: الذيب، كما سنرى فيما بعد؛ وينحدر أولاد محمد من الأبناء الخمسة الكبار لمحمد المذكور.

ويعود وصولهم للحوض إلى القرن السابع عشر تقريبا، غير أنهم ليسوا مع ذلك أوائل سكان المنطقة من العرب لأن أول هجرة عربية لها كما سبق ورأينا كانت مؤلفة من ذراري داوود ومحمد وعروق، وذلك في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، لكن أولاد محمد قدموا بعد ذلك بقليل، وأحلوا زعامتهم مكان زعامة أولاد عروق (حوالي 1650) ثم اضطروا بدورهم إلى التخلي عن مكانهم لأبناء عمومتهم أولاد مبارك (حوالي 1750) تاركين لهم أتباعهم ومرابطيهم، بل اضطروا أيضا إلى أن يداروهم ماديا.

واضطرت تلك الأفخاذ التابعة بعد ذلك بقرن من الزمن إلى الانضمام إلى مشظوف الذين أصبحوا أسياد الحوض، حيث وجدنا عند وصولنا العديد منها؛ وكان الكثير منها يرتبط بعلاقات ممتازة مع سادتها القدامى أولاد محمد الذين كانوا يحلمون بالاستفادة من لاضطرابات العامة، لعلها تعود لحظيرتهم؛ كما وجدنا أن صلة أولاد محمد بمشظوف، تترجَم بدفع 22 "بيصة" من النيلة (2) تم تخفيضها إلى النصف في سنة 1913 بجهود العقيد مانجو، وقد ألغيت تماما في سنة 1916 عندما انتقل أولاد محمد إلى دائرة گونبُ ـ النوارة.

---

(1) إبنا عمران المشهوران هما داوُود وهدّاج، جدا البراكنة والترارزة، وصالح بن عبد الوهاب لم يذكر شيئا في الحسوة عن الموضوع، أمّا أولاد محمد [باحمد] فينسبون أنفسهم إلى محمد بن عثمان بن مغفر، وبذلك يكونون إخوة أولاد مبارك وأولاد داوود. انظر نسب المغافرة في ص 12.

(2) ـ تحريف لكلمة قطعة باللغة الفرنسية، وهي خمسة عشر مترا.

وإذا كان عدد أفخاذ القبيلة اليوم يبلغ ستة عشر فإن خمسة منها فقط تعود لأصل عريق من محمد، أما الباقون فهم حلفاء أو غرباء أصبحوا منذ بضعة أجيال ضمن أولاد محمد، ونفضل أن نقول "متجنسين".

والأفخاذ الصميمة الخمسة من ذرية محمد هي أولاد الاقعس وأولاد علّول وأولاد الذيب والزماريگ ولمّاليش الذين ينحدرون من الأبناء الخمسة لمحمد: الاقعس وعلّول والذئب ومحمد زمراگ ومحمد مولاش.

ولم تحفظ لنا الرواية المحلية إلا القليل من الذكريات عن ذلك التاريخ، فأبناء محمد الخمسة المتماسكون جدا نفذوا إلى الساحل مع أتباعهم في نهاية القرن السادس عشر أو في بداية القرن السابع عشر، وقام جيل منهم فيما بعد بقيادة الرّكين بن الأقعس بالتقدم في عمق منطقة الحوض، واحتلوا مواقعهم؛ وسيتعرضون هنا لمواجهة الأعداء مما يفرض على القيادة أن تتوطد وأن تكتسب القبيلة الثقة بنفسها، ولهذا السبب يقال إنه في ذلك الوقت تشكلت جماعات أولاد محمد لتؤلف قبيلة مستقلة، وأن الرّكين كان أول رئيس لها.

وكان ابنه البكر مولود هو الذي قاد أولاد محمد للاستيلاء على مناطق أكثر في الحوض وطرد منه أولاد داوودُ؛ وفي عصره فقدت القبيلة لقبها "أولاد بطبوط" وهو الاسم الذي كان أهل تگانت يطلقونه عليهم، ومعناه "أبناء اللّيّن عديم الفقرات الظهرية" أي القبيلة المرتخية؛ ورغم الخدمات التي قدمها لهم مولود فإن القيادة لم تستمر في نسله، بل في نسل أخيه بكار الذي خلفه؛ ونجد أهل مولود وأبناءهم مبعثرين الآن في أفخاذ مختلفة من أولاد محمد.

وابتداء من بكار وحتى أيامنا هذه تعاقب الزعماء في هذه القبيلة دون بريق يذكر، وليس هناك سوى النادر من الذكريات عن ضياع سيادة أولاد محمد على الحوض؛ ومن المحتمل أن الأمر قد تم دون خوض معارك كبيرة عن طريق ضغط أولاد مْبارك، وهم إخوانهم الذين أصبحوا أقوى منهم.

وتكرر الأمر نفسه بالنسبة لمشظوف الذين اجتاحوا المنطقة دون أن يلقوا أية مقاومة تستحق الذكرمن طرف أولاد محمد الذين سبق لهم الخضوع والذين لم يشعروا إذن بأكثر من تبدل في السيادة؛ ولم تحفظ لنا الرواية التاريخية من أثر سوى معركة فارا في شمال غرب نْوَلْ؛ فبعد الهزيمة التي لحقت بأولاد محمد اضطروا للاعتراف بسيادة مشظوف، ولكنّهم ظلوا في مقاومة سرية، وأحيانا مكشوفة ضد السادة الجدد.

وقد حدث الاتصال بيننا وبين أولاد محمد في بداية عام 1893 بعد احتلال گونبُ بقليل، وكان اتصالا خاليا من الحرارة بالطبع؛ فقد كان زعيمهم حينذاك علي بن جدُّ{11} من الفرع الأصغر؛ ولما كانوا مجبرين كسائر ملاك البقر من القبائل البيضانية على الانتجاع خلال فصل

من السنة في منطقة الساحل الخاضعة لسلطتنا، فقد كان عليهم أن يكونوا على علاقات طيبة معنا، مع أنهم لا يغفرون لنا إلزامهم دفع الضريبة التي فرضناها على القوافل والقطعان التي تدخل إلى المنطقة أو تغادرها.

وفي أكتوبر سنة 1893 نهبوا قطعان القرى الواقعة في شمال كينكي، وبعد أسابيع من ذلك قام الملازم مارتلي Martelly بمصادرة أحد قطعانهم كعقاب لهم، وجرى توقيف عدد منهم كرهائن في كَونبُ، ومنذ ذلك الوقت أخذت السلطات الفرنسية تنتظر عروض رئيس القبيلة للتفاوض معه.

وفي شهر مايه سنة 1894 أوفد علي بن جدُّ مندوبين لزعيم مشظوف المختار الشيخ [بن أحمد محمود بن المحيميد]، وعرض عليه تحالفا هجوميا ودفاعيا ضدنا، ولكن المختار الشيخ رفض بشدة، وقد أدى هذا الرد إلى تهدئة النزعة القتالية لبعض الوقت لديهم، وتمخضت خلال عام لدى عَلي بن جدُّ نيات حسنة تجاهنا.

وكما اعتقدنا، فقد كان موقفه هذا واجهة بحتة لأن سلطة كَونبُ وبخته بقسوة بعد ذلك بوقت قصير بسبب هروب أحد الرهائن [السابق ذكرهم] الذي رفض فخذ الاغراف إعادة تسليمه حيث فُرضت غرامة مقدارها 50 رأسا من الغنم على الفخذ المذكور؛ وبعد ذلك أيضا فوجئ عَلي بن جدُّ وهو يعقد اجتماعاً مشبوهاً مع قبيلتي كلنصر وأولاد علوش حيث كان رئيسهما محمد انكَونه والشيخ بن سيدي في حالة تمرد كامل ضدنا (ربيع سنة 1896)؛ وقد وضعت حملات مشظوف خاتمة سريعة لهذه المفاوضات، كما أن عَلي الذي انكسر وأصبح مهددا بأفدح الخسائر عاد على عجل لتقديم طاعته في كَونبُ عام 1898، ثم في انيورو عام 1899؛ وقد ظل هذا الزعيم حتى نهاية قيادته يبدي تجاهنا بعض العداوة، إذ لم يكفّ عن ترديد تبجح مثير للسخرية، كما قام بتصرفات معادية صارخة؛ وقد قام بتلك الدعاية المُزعجة على الخصوص لدى قبيلتي لحمنات وكنتة، وحتى في عام وفاته سنة 1908 قام فخذا الزماريگ والدراگله بنهب سكان آكور بمن فيهم بعض مخيمات أولاد محمد أنفسهم.

وقد تم تعيين المختار بن محمد [بن الشين] {12} رئيسا من بعده وهو ابن عمه ولكنه لم يحتفظ بالقيادة لأكثر من عامين، حيث توفي وحل محله أخوه عبد الرحمن في 20 مارس سنة 1911.

وعبد الرحمن هو بن محمد بن أحمد بن الشين المولود حوالي العام 1862 هو زعيم من "النمط القديم"، ولكنه رجل طيب لطيف يحب أن يصنع الجميل، ويمكن كسب شيء ما منه لمصلحة هذه القبيلة التي تبدو من أكثر مثيلاتها تأخرا في إقليم الساحل؛ وحتى قبل استلامه قيادته، وقبل سيطرتنا الفعلية على مرابع القبيلة كان يقيم علاقات ممتازة مع مركز كَونبُ.

وله أربعة أولاد هم: محمد الملقب كَواد المولود حوالي 1892، وهو شاب متفتح يمثل الجيل

الجديد الأسهل تلاؤما، وأحمد المولود حوالي 1899 والمختار المولود حوالي 1912، وأخيرا مسعودة المتزوجة من رئيس أولاد الذيب؛ ويساعده في القيادة أخوه الحضرمي المولود حوالي 1864 والذي يبدو ثقافيا أكبر منه.

وتبدو القبيلة اليوم متحدة تماما وسلوكها طيب، وينبغي أن نعزو الفضل في ذلك لجهود العقيد مانجو الذي علينا أن ننسب له أيضا تهدئة منطقة الساحل على الصعيد السياسي؛ ففي وقت استلامه السلطة على أثر احتلال ولاتة سنة 1912 كانت القبيلة شديدة الانقسام على نفسها، حيث نشب نزاع حاد بين زعيمها وبين ابن عمه جدُّ حول موضوع الخلافة الشديد الأهمية بعد موت الرئيس السابق عْلي.

وتنقسم القبيلة إلى أربعة أفخاذ هي الاغراف والزماريگ ولادم والدراگله الذين أعلنوا تمردهم على زعيمهم وراحوا ينتجعون في مرابع أُخرى؛ ومن ناحية أخرى فإن النزاعات مع مشظوف أصبحت أكثر حدة، واستطاع العقيد مانجو رغم ذلك أن يستعيد السلام الداخلي، ويسوي الخلاف مع مشظوف كما سبق أن رأينا.

وقد تم اليوم إلغاء المساهمة القديمة التي كان أولاد محمد يدفعونها، وتحولت إلى علاوة مقدارها ستة آلاف فرنك تدفع من حساب الميزانية المحلية (قرار 12 يونيه سنة 1917) إلى عْلي محمود رئيس مشظوف.

وكان انشراح أولاد محمد عظيما لهذا القرار وعبروا عنه بدفع ضريبة [للإدارة الفرنسية] تعادل ضعف ما كانوا يدفعونه في السنوات السابقة.

وبعد أن كانت هذه القبيلة صحراوية صرفة تملك الإبل فقط أصبحت لها بعد هزيمتها التي أدت إلى استيطانها الجنوب قطعان وافرة من البقر والأغنام والخيل حيث هم فرسان مهرة؛ وعلى خلاف ذلك لا يملكون أكثر من حوالي ألف من الإبل، يوجد نصفها لدى أولاد الاقعس، والباقي موزع بين الأفخاذ الأخرى وخصوصا الشرفة والاغراف.

وتنتجع القبيلة في معظم السنة بين أراضي گونبُ والنوارة وسُكولو؛ وفي بداية فصل الأمطار (نهاية يونيه) يصعدون باتجاه الشمال إلى كوش، وينهلون عندئذ من مياه الغدران مع المكوث لمدة طويلة بجوار غديري كوصا وفدره؛ وفي شهر دجنبر يعودون من جديد نحو الجنوب، ويقيمون في أراضي مراعيهم المعهودة في الفصل الجاف.

2 ـ التوزيع

يضم أولاد محمد "باحممّد" ستة عشر فخذا هي:

(أ) أولاد الاقعس.

(ب) أولاد علّول.

(ج) أولاد الذيب.

(د) الزماريگ.

(هـ) لماليش.

(و) ترگالت.

(ز) أولاد الحرمة.
(ح) الاعراف.
(ط) يادّاس.
(ي) أهل تيكي.
(ك) لادم.
(ل) الدراگله.
(م) الحياينة.
(ن) السكاكنة.
(س) إدابك.
(ع) إديلبة.

(أ) أولاد الاقعس، هو فخذ الرئاسة في القبيلة، وينحدر من محمد الاقعس الابن البكر لجد القبيلة محمد، كما يضم جمهرة من الخيام قدمت من سائر الأفخاذ الأخرى، ولذلك يُعتبر أولاد الاقعس الممثلين الحقيقيين لسائر أولاد محمد؛ وبعد لمّ شمل القبيلة لم ترغب هذه الخيام في اللحاق بأفخاذها الأصلية بل فضلت البقاء بصورة نهائية حيث هي.

وينقسم أولاد الاقعس بصورة فرعية إلى ستة أفخاذ ثانوية هي أهل الحاج وأهل مولود وأهل حجّيه وأهل بوهدّه والحراطين وأهل أحمد هان؛ والكل يؤلف 350 خيمة تضم 1728 نسمة، وزعيمهم الذي هو في نفس الوقت رئيس القبيلة كلها هو عبد الرحمن بن الشين.

وينتجعون في فصل الأمطار إلى الجنوب من النعمة وزنگاره و گمون وادريس، وفي الفصل الجاف في المبروك، وكتكاته ومنطقة سُكولو وبو چگيره.

(ب) أولاد علّول، ينحدرون من علّول بن محمد الجد الأعلى للقبيلة؛ ومع وجود ثغرات دون ريب نقدم سلسلة نسب رئيس الفخذ، عمر بن حمادي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن بالخير بن علّول؛ ويضم أولاد علّول 40 خيمة و123 نسمة، ويسكنون مناطق أولاد الاقعس.

(ج) أولاد الذيب، ينحدرون من الذيب بن محمد، وهذه سلسلة نسب رئيسهم الحالي: مبارك بن سيدي إبراهيم بن محمد بن المختار بن بوبكر بن العناني بن الذيب بن محمد؛ أما الاسم الحقيقي للذيب فهو محمد؛ ويضم أولاد الذيب 120 خيمة و332 نسمة، ويضمون ستة أفخاذ فرعية هي أهل محمد وهو مخيم الرئاسة وأهل سيدي علي وأهل القاسم وأهل گوجه وأهل انبي وأهل سيدي محمود، ولهم نجعات أبناء عمومتهم ذاتها.

(د) الزماريگ، ينحدرون من زمراگ الابن الرابع لمحمد، وهذه سلسلة نسب محتوية على ثغرة بلا ريب لرئيسهم: عبد الله بن حمادي بن البكاي بن عمر بن عبد الله بن محمد الملقب العابد بن علي المختار بن زمراگ؛ وقد ولد هذا الزعيم حوالي العام 1875، وهو رجل ذكي على قدر كبير من الانفتاح.

وينقسم الزماريگ إلى ثمانية أفخاذ فرعية هي أهل عمر بن عبد الله وهو مخيم الرئاسة، وزعيمه هو زعيم الفخذ، والطلبة ورئيسهم هو أعمر بن الذيب، والزاگارير ورئيسهم هو بابا بن المختار، والعثامين ورئيسهم هو سيدي بن الصديق، وأولاد عليّات ورئيسهم هو الحاج

ابن گجمول، وأولاد شيفه وهم بلا رئيس منذ وفاة صالح بن الصديق قبل وقت قريب، وأهـل الافذل ورئيسهم هو ابونا بن العابد، والتوابير ورئيسهم هو محمد صنباره، ويشـملون 150 خيمة تضم 656 نسمة، وتقع منطقة نجعتهم في كوش حتى آبـار النعمـة وچابي و گمون والخديم، وإموزان وسيفان وكراع الباشا .. الخ.

(هـ) لمّاليش، ينحدرون من مولاش الابن الخامس والأخير لمحمد، وهذا نسب رئيسـهم: عمر بن سُويدات بن أحمد بن علي بن الشرقي بن إبراهيم بن مُحمد بن مولاش بـن مُحمـد الذي هو حفيد محمد، جد خيمة رئاسة الفخذ عن طريق ابنيه، الشرقي وديّه.

ويضم لمّاليش 70 خيمة بها 240 نسمة، وينقسمون فرعيا إلى أولاد محمد، وهـو مخيـم الرئاسة، وعيارة والجّدعة والمراحات، ولهم النجعة ذاتها التي لأبناء عمومتهم.

(و) ترگالت، وهم لا ينتسبون أصلا إلى محمد لأنهم من أولاد داوُود الفطح أي يعودون إلى أصول من الفتح العـربي الأول خضعوا للموجة الثانية من ذلك الاجتياح العربي، وهي موجة أولاد محمد؛ ومع الزمـن اندمجوا فيهم؛ وهذا نسب زعيم هذا الفخذ مع بعض الثغرات طبعا محمد بن السالك بن علي بن عثمان بن معزُّ بن عَلي بن المختار الأشهب بن محمد بن عمر بن محمد الفرتوش بن يونس.

ويضم ترگالت 40 خيمة بها 178 نسمة، ولهم نجعة الزماريگ ذاتها.

(ز) أولاد الحرمة، وهم ليسوا من ذرية محمد، فبعضهم يمتّون بصلـة القربـى البعيـدة لداوُد الصغير، وجدهم هو عـبد الله بن بوبكر الداوُودي الذي قدم على أولاد محمـد فـي القرن الثامن عشر، ولما كان محاربا باسلا وصاحب رأي سديد، كان يقال إنه يمنح الحرمـة (الحماية) للقبيلة، وصار مخيّمه يحمل اسم أولاد الحرمة.

وهناك رواية أخرى تقول إن شخصا يدعى حرمة كان موجودا فعلا، وهـو والـد بوبكـر السابق الذكر، ولم يكن من أصل داوُودي بل ديلنيا [دليميا] وأنه قدم من أزبّار.

وكان لحرمة هذا أربعة أبناء هم: بوبكر وخيار وحيمودة والطالب بوبكر؛ واستمرت قيـادة هذا الفخذ في نسل الابن البكر حتى سنة 1892، وهو تاريخ موت آخرهم وهو عبـد الله بـن الشيخ بن عبد الله بن بوبكر دون أن يترك ولدا؛ ولم يبق من هذه الخيمة التي انطفأت سوى امرأتين؛ وكان خليفة عبد الله أحد أبناء عمومته من الفرع الثاني، وهو محمد فال بن بابا بن جدُّ بن خيار المولود سنة 1850.

ويشتمل أولاد الحرمة على 35 خيمة بها 132 نسمة، ولهم شهرة بأنهم محاربون جيـدون، ونجعتهم هي نجعة الزماريگ نفسها.

(ح) الأغراف، لا يعودون من حيث الأصل إلى محمد، ويستمدون اسمهم من رجل بـلاوي قصد أولاد محمد وتزوج فيهم ونمت فيهم أرومته.

ويدعى بوغرفة (صاحب الدلو الكبير)(3) ومجازا ذو البطن؛ والرئيس الحالي لهم هـو أحـد أحفاده: بويا بن أحمد بويا بن علي بن ختير بن بوغرفة؛ وجاءت بعد ذلك فئات دخيلة وافـدة ضخمت هذا الفخذ، ومعظمها من أولاد بلّة وأولاد طلحة.

وينقسم الاغراف إلى خمسة بطون هي الاغراف وأهل العويـنات وأهل باريك وأهل محمد الأعمش وأهل حمادي بن سـري، وقد استمرت القيادة في الاغراف الذين ينحدرون من الجد الأعلى للفخذ؛ ويبلغ تعدادهم جميعا 150 خيمة.

وينتجع الاغراف خلال فصل الأمطار في المبروك وفدره واتيوكي وجلاش، ويذهبون حتـى التشيت البيضاء عندما تسمح ظروف الأمن العام بذلك، وقد حفـروا آبـارا فـي المـبروك واتيوكي؛ وفي نهاية فصل الخريف يهبطون إلى فارابوگو (سُكولو) وعلاتونه؛ وفـي فصـل الصيف يتوغلون أبعد في الجنوب فيبلغون منطقة مونيمبى مرورا باروندبّه وبوسي وتومـو وجانبه حيث يتوزعون بين القرى المحلية؛ وما أن يبدأ هطول الأمطار حتـى يـأخذون فـي الصعود على عجل باتجاه الشمال.

(ط) يادّاس، ليسوا من أصل محمدي، لأنهم ينحـدرون مـن الأنصـار أصحـاب النبـي محمد[صلعم] وجدهم يادّاس كان يقطن في تشيت ثم ولاتة، وبعدها انتقل إلـى أولاد محمـد حيث تزوج منهم، ونمت فيهم أرومته. وقد ذهب بعض من نسله إلى السـبرابيش واتضمـوا إليهم، وكوّنوا فيهم مخيما يادّاسيا ضمن فخذ ركّان؛ كما ذهب البعض الأخر وانضـم لكنتـة أزواد، بل وذهب آخرون وانضموا إلى كنتة دنك (حوض النيجر الأوسط) ورئيسهم الحـالي هو المامي بن علي بن محمد بن المختار بن بكار بن قار بن يادّاس؛ ويقع ضريح يادّاس وأولاده الثلاثة الأوائل في ولاتة.

ويشملون أربعة بطون هي أهل مانة وأهل داوُود ميمون وأهل الحسن وأهل الطفيل، وبعد أن كانوا في الماضي مستقلين بعضهم عن بعض، بل أعداء فيما بينهم، قمنا بجمع شـملهم ووضعناهم تحت قيادة المامي الـذي انتقته الجماعة؛ ويؤلفون مجموعا يحوي 200 خيمـة؛ وينتجعون في فصل الأمطار في المبروك وفدره واتيوكي، وعندما تكـون المنطقـة هادئـة يصلون حتى الحوض، وفي نهاية فصل الأمطار يهبطون إلى بو چگيره وكيرى، ويمـكثون هناك حتى جفاف غدير كنچره، ويهبطون فيما بعد حتى انچگورله وساتساندينگ، ويقضـون هناك كل فصل الصيف؛ ومع أوائل الأمطار يصعدون إلى بو چگيره.

---

(3) ــ عادة بعض المناطق ذات الآبار العميقة ومنها الحوض، أن يقسم الماء حسب المكانة، فللأكـابر "القيسة" وهي ملء الدلو ماء، ولمن يليهم الغرفة، وهي ملء الوعاء "المغراف" ولمن دون ذلك "اللّحسـة" وهي بواقي طمث الماء في الحوض، وغالبا ما تُترك للضعفاء.

ولزعيمهم خيمة منصوبة على الدوام في منطقة سوريبو گو؛ ويقيمون أفضل العلاقات مع زعماء بنياره، ويعلن الزنوج والبيض رضاهم المتبادل عن هذا التداخل المستديم، حيث لم يحدث بينهم أي احتكاك مزعج إطلاقا.

(ي) أهل تيكي لا يعودون من حيث الأصل إلى محمد بل إلى ابدوكل، ونجد بعض إخوانهم في النعمة وولاتة، كما يتبعثر آخرون في بعض قبائل الحوض؛ وقد وفد أولّهم إلى أولاد محمد في القرن السابع عشر وهو جدهم تيكي؛ ورئيسهم الحالي هو من أحفاده واسمه محمد بن علي بن عمر بن نواري بن الكنتاوي بن عمر بن تيكي، وقد خلف أخاه الأكبر جدُّ المتوفى في عام 1913؛ أما أخوه الأكبر عمر فتم استبعاده لضعف في عقله؛ وكان يساعد محمد ابنا عمه عمر بن أحمد بن علي المولود حوالي العام 1882، ومحمد بن جدُّ بن نواري الرئيس السابق المتوفى حوالي عام 1900.

وكانت أول علاقاتنا مع جدُّ بن نواري في عام 1898، وذلك لأنه سئم الصراعات المزمنة التي يخوضها فخذه مع الزماريگ حيث طلب حمايتنا، وحصل على تصريح أمان، غير أنه تعرض لنهب الزماريگ في شهر يناير سنة 1899، وخسر 1500 رأس من الغنم، إلاّ أن الزماريگ اعتذروا لنا فيما بعد زاعمين أنهم لم يكونوا على علم بهذه الحماية الممنوحة لأهل تيكي حتى أنهم قدّموا بناء على طلبنا إقرارا مكتوبا حمله [الشيخ] سيدي الخير، غير أن أهل تيكي قاموا باحتجاجات صاخبة، وانتهى الأمر بالحاكم إلى إنصافهم فحكم على الزماريگ بالتعويضات المناسبة.

ويتألف فخذ أهل تيكي من 120 خيمة، يضمون 472 نسمة، ويرتحلون في الفصل الجاف في الجنوب نحو فالو وصنصانه وچيگه ومامارييوگو؛ ومع بواكير الأمطار يصعدون نحو الشمال مرورا بداي وتورو وتوبلصارا والدويسات؛ وينقسمون فرعيا إلى خمسة بطون هي أهل نواري وهم مخيم الرئاسة، وأهل الخضر وأهل دومبي وأهل امليخاف وأهل العتيق.

(ك) لادم، وهم ليسوا أصلا من أولاد محمد رغم ادعائهم لذلك؛ بل ينتسبون إلى القبيلة الكبيرة لادم التي يرجع ظهورها في الصحراء الكبرى الزنجية إلى أعماق التاريخ، وكانوا يصحبون أولاد محمد منذ غابر الأزمنة، وينصهرون فيهم من عهود سحيقة؛ ويقول عنهم الرئيس الحضرمي [بن الشين] "إن لادم إخواننا ونحن أنفسنا من لادم"؛ وهذا غير صحيح لأن لادم بالطبع من أصل صنهاجي، في حين أن أولاد محمد الأنقياء هم من المعقل، وهذا القول يفسر سبب إطلاق اسم لادم أحيانا على سائر قبيلة أولاد محمد "باحمّد".

وفي فترة احتلال گونبُ (1893) كان رئيس لادم هو محمد الأمين بن الشيخ بن المختار بن سيدي بن أحمد غائب بن الموجوع، وكان يعيش غالبا في گونبُ؛ وقد خلفه ابنه محمد بعد وفاته سنة 1898، وهو الذي يقود الفخذ اليوم.

وينقسم فخذ لادم إلى أربعة بطون هي أولاد الموجوع وإدبيـــاج وأولاد أحمدآلّــه وأهــل بومحم، ويشملون 200 خيمة ويتألفون من 964 نسمة، وينتجعون تماما كانتجاع الزماريگ

(ل) الدراگله، وتلفظ حسب طريقة أهل الساحل "دراگليه" ليسوا من أصل محمدي؛ ويندرج تحت هذا الاسم خليط من بضعة أفخاذ صحراوية؛ أما الجد الأعلى للفخذ، فهو الحاج الدرگلي بن المختار، وهو مرابط جاء من ساحل البحر يُعتقد أنه من أهل باريك الله بن بازيد، كان في طريقه إلى الحج. وقد تزوج ابنة أحد أفراد قبيلة أولاد محمد اسمه حيب الله، ونمــت فيــهم أرومته، وترك ثلاثة أولاد هم: مْبارك والمختار وعبيدي أجــداد البطون الثلاثـــة المعتــبرة وحدها من أصل درگلي؛ وقد انضمت إلى هؤلاء فيما بعد مخيمات من أصول مختلفة ســـواء من البيض أو السود؛ ورئيسهم الحالي هو المختار بن محمد بن علي بن المختار بن مْبـــارك ابن الحاج الدرگلي.

ويضم هذا الفخذ 300 خيمة، و837 نسمة، وينقسمون إلى 15 بطنا هي أهل المختار وأهــل خلوة وقيدوه وأهل أحمد بن الشيخ وأهل إبراهيم وأهل معتوق وأهل حــمادي وأهل مبورتّــي وأهل مرزوق وأهل حبوش وأهل هباد وأهل السراح وأهل عبد الله وأخيرا أهل مبيريك وأهــل سيدي محمد، وينتجعون تماما مثل الزماريگ.

(م) الحياينة، يعودون أصلا لأولاد دليم، وجدهم الأعلى هو حيون أو الحيوني، وقد جـــاء أولا إلى أولاد محمد في نهاية القرن السابع عشر وتزوج فيهم، وعقب ستة أبناء هم: محمــد والسيوطي اللذين لم يعقبا، والجيرب الذي عقب ابنة واحدة انصهر أبناؤها في كل مخيمـــات الفخذ، وبواتّكيمه وتوجد ذريته في كنتة الحوض، ولا سيما لدى أهل بادي بن سيدي مْحمــد، وأخيرا آفگيريش والازرغم وهما جدّا المخيمين اللذين يشكلان الفخذ الحالي.

ورئيس المخيم الأول الذي هو في الوقت نفسه رئيس الفخذ يدعى الرقادي بن عمر بـــن سيدي الشيخ بن محمد بن عبد الله بن آفگيريش؛ أما رئيس المخيم الثاني فهو المأمون بـــن تقامه بن الطالب أحمد بن صلاح الدين بن الأزغم.

وقد ظل الحياينة حتى وقت قريب يشكلون جزءا من فخذ الزماريگ، ولم يُمنحوا استقلالهم الإداري إلا سنة 1906.

(ن) السكاكنة، هم من أصل جعفري بعيد، ينحدرون من سكّون بن رزق بـــن جعفــر بـــن داوُود [بن] عروق؛ وهم مبعثرون في قبائل الحوض وأزواد والصحراء الكـــبرى الشــمالية، وتوجد أفخاذ من السكاكنة غير من ذكرنا لدى البرابيش وكنتة الشرقيين وحتّى فـــي تـــوات. وليس من الفضول القول في هذا المجال بأن ابن خلدون ذكر ــ في تعداده لقبائل لمطة مـــن أصل حاحا التي التحقت بذوي حسان قبل القرن الرابع عشر ــ زكن أوسكّن؛ فهل يكــــون هؤلاء هم أجداد السكاكنة؟ وبذلك يكونون صنهاجة مستعربين، أم أن اتحادهم مع حسان قـــد

أعطى سكّن أو سكّون هذا شرفا أبرز اسمه ضمن التجمع العربي، فأسبغ الاسم فيما بعد على أحد أبناء رزق، ويبقى الاختيار مفتوحا بين هاتين الفرضيتين.

وينحدر فخذ سكاكنة أولاد محمد من توأمين، هما اعبلّه وبوخوصة ابني مولود بن سيبو، وهو أول من أقبل على أولاد محمد؛ واكتسب بوخوصة هذا الاسم من كون أمه كانت تضع خاتما في إصبعه لتمييزه عن أخيه، وهما جدّا البطنين الحاليين، أي أهل اعبلّه والخواوصة اللذين يضم كل منهما 25 خيمة، ومجموعا مقداره 273 نسمة، ولهم نفس ارتحالات فخذ أولاد الاقعس.

وقد ظل السكاكنة حسانا خلّصا، ويعتبرون محاربين من الطراز الأول، وزعيمهم هو رئيس أهل اعبلّه، محمد الشيخ بن عمر بن سيدي علي بن خيصوره بن محم بن اعبلّه.

(س) إدابك، هم من أصل عربي حساني، وينحدرون من رجل من السواكر يدعى إدابكي استوطن الحوض قبل ثلاثة أو أربعة قرون، وعقّب مخيما هاما؛ وتقول الرواية إن إدابك كانوا يشكلون كيانا مستقلا قبل قدوم أولاد مبارك إلى إقليم الساحل حيث غلبوهم، ومن ثم تحالفوا مع أولاد محمد، وانتهى بهم الأمر إلى الاندماج فيهم، ثمّ جاء أناس غرباء ليلتحقوا بهم، وهناك قسم منهم كان يسكن القصر القديم في تگدّه، ذاب الآن في أهل سيدي محمود بكيفه.

ويشتمل إدابك على 100 خيمة، بها 539 نسمة، ورئيسهم هو لقظف بن المامي بن لقظف بن أحمد دانّه بن علي الأمين بن عمر بن مْحمد بن إدابكي؛ وينقسمون إلى خمسة بطون هي أولاد أحمد دانّه ودرعة وإفوليلن وأهل الامهار وأهل بيلّه، ولهم ذات الانتجاع الذي لأولاد الأقعس.

(ع) إديلبة، هم فخذ صغير يتألف من 20 خيمة، وينتسبون إلى إديلبة الذين درسناهم من قبل؛ وقد انفصل عنهم قبل بضعة أعوام في أعقاب مجاعة حلت بمنطقة ولاتة، واندمج في أولاد محمد في عام 1915، وقد انقادوا في هذه الهجرة بواسطة مخيم أهل أحمدنا، ورئيسهم الحالي هو محمد بن الحاج المنير.

3 ـ الحياة الدينية

إن الحياة الدينية لدى أولاد محمد "باحمّد" هي كمثيلاتها في سائر القبائل الحسانية في الصحراء السودانية، ويعولون في أمور الدين على مرابطيهم المعتمدين وخاصة في أمور العقيدة والعبادات؛ وأكثر الشخصيات المرابطية بروزا والذين هم في الوقت ذاته معلمو المدارس وأئمة وقضاة شبه رسميين لفض النزاعات الداخلية وصانعو التمائم لمختلف الأغراض هم لدى لماليش: محمد فاضل بن الحاج التبابي الذي سنراه فيما بعد. ولدى

تركَّالت: محمد أحمد بن محمد الأمين الذي مات قبل قليل في كابيدا. ولـــدى أولاد الحرمـــة: عبد الله بن الطالب عمر مريد [الشيخ محمد] تقي الله من الشرفاء. ولدى الدراكّله : محمـــد الأمين بن أحمد الشيخ. ولدى يادّاس: بونا بن الشيخ سيدي علي من أهل [الشـــيخ] محمـــد لقظف مريد للفاضلية. ولدى إدابك: محمد بن الطالب إبراهيم من أهل الحاج أحمد ديدّه الـــذي تجنس إدابكيا. ولدى لادم: اثنان أو ثلاثة من الطلبة دون تلاميذ، وينتسبون إلى قادرية أهـــل الطالب مختار.

والطرق الرئيسية فيهم هي:

(1) القادرية الفاضلية، عن طريق فخذ شرفاء أولاد محمد الذي كان خلال وقـــت طويـــل ملتحقا بالقبيلة، ولم ينفصل عنها إداريا إلا في سنة 1916، وسندرسه فيمـــا بعـد؛ ولكننـــا نستطيع من الآن التنويه بالأهمية الدينية للشيخ [محمد] تقي الله ووالده محمد عبد الله [بـــن بوبكر] وبالاحترام الكبير الذي يتمتعان به لدى أولاد محمد، إذ يقول الوجهاء "لقد كان محمـــد عبد الله في حياته شيخ آبائنا"؛ وقد نشر هؤلاء الشرفاء طريقتهم في القبيلة، ويتبعـــها الدراكّله وأولاد الحرمة على الأخص، كما يتبعون الفرع القوانيني من القادرية الفاضلية.

(2) الطريقة القادرية الكنتية، عبر مدرسة النعمة التي يقودها مومنًا [بن سيدي الشيخ] بن مولاي إسماعيل زعيم المدينة الذي يرتبط بالطريقة الكنتية القادمة من أزواد، ويتبعها أساسا فخذ إدابك.

(3) طريقة الفخذ المرابطي أهل الطالب عثمان، والذي كان يمثله في وسط القرن التاســـع عشر مرابط ذو شهرة واسعة هو محمد فاضل بن عمر بن بلي؛ وكان لأحـــد مريديـــه وهـــو الحاج بن الطالب عمر التبادي نجاح ملحوظ في أولاد محمد، ولا سيما بين لمَـــاليش، وقـــد توفي سنة 1887 تاركا ابنا هو محمد فاضل قاضي وطالب الفخذ.

(4) أما فخذ تفُلالت (الزاوي) [بل إديلبة] فله طرائق مختلفة، ولكن القادرية هي السائدة فيه، ويعتبر فخذا تركَّالت والسكاكنة شديدي التأثر بهذا النفوذ، ويتمتع فيهم المرابط الفُلالي محمد الأمين بن عبد الوهاب بن الطالب الأمين باحترام كبير، ولكنه لم يترك أي مريد.

(5) الفاضلية ذاتها، أي أسرة [الشيخ] محمد فاضل، ولا سيما ولديه [الشيخ] الحضرمـــي و[الشيخ] سيدي الخير الذين لهما نفوذ محسوس خاصة على يادّاس الذين منـــهم رئيســـهم المامي [بن علي]، وهو قادري ومريد لسيدي محمد بن سيدي علي الذي هو الأخ الأكبر لبونا السابق الـــذكر، وعن طريقه يرتبط بـــ[الشيخ] سيدي الخير؛ ولا يزال هذا النفوذ على لادم والحياينة قائما إلى اليوم.

ويدفن أولاد محمد موتاهم في كوش وفي منطقة كوصا، وأشهر مقابرهم موجـــودة فـــي سيفان وكراع البركة و[قرب] بحيرة كوصا، ويضعون على القبور [مثـــل غـــيرهم] شـــواهد يكتبون عليها أحيانا بخط مرابطيهم أسماء الموتى متبوعة بأدعية للترحم عليهم.

شجرة أولاد محمد (باحمد)

			محمد			
مولاش، جد		زمراگ جد	الأقعس، جد	الذيب جد		علّول، جد
لماليش		الزماريگ	أولادالأقعس	أولاد الذيب		أولاد علّول
			الركين			
بكار (3)						
أحمد (4)						
					مولود (2)	
الشين (5)					جد أهل مولود	
أحمد (6)		محمد (8)				جدّ (7)
محمد (9)					علي (11) ت 1908	محمد (10)
الحضرمي		المختار (12)	عبد الرحمن (12)		جدّ	أحمد، ت.1908

الفصل الرابع

مشظوف ولحمنات

مشظـوف

ظل اسم مشظوف يُـطلق حتى أيامنا هذه على تكتل من قبائل وأفخاذ من أصـول شـتى، ترتحل في الحوض والساحل الأوسط، وتمارس بلا منازع السيطرة السياسية، بدءا من [نهر] النيجر الأوسط حتى درجة عرض انيورو.

ويستمد هذا الاتحاد اسمه من نواة كانت هي وحدهـا مشـظوف، حيـث جذبـت إليـها انتصاراتها الحربية والسياسية جمهرة من قبائل صغرى، بل أقول دولا صغرى كانت تـدور سابقا في فلك أولاد مْبارك سادة الحوض والساحل، كما سبق لها قبل ذلك أن دارت في فلـك أولاد محمد[يا حمد]، وقبلهم في فلك أولاد داوود، لأن الأقويـاء يبتلعـون دائمـا الصغـار والحياديين.

لهذا علينا أن نلم بتاريخ نواتهم الأولى للتعرف على تركيب وتحولات وحياة هذا الاتحـاد؛ فتاريخ مشظوف هو كرة الثلج السياسية للعنصر المشظوفي.

وسنرى بعدئذ الشخصيات الرئيسية في أهل المْحيميد، وهي خيمة مشظوف الأميرية، ثم نتعرض لتفرع الاتحاد، مما سيقودنا بالنسبة لكل فخذ مندمج إلى دراسة أصولـه الخاصـة، وستكون الفقرة الأخيرة عن حياة مشظوف الدينية.

1 ـ لمحـة تاريخيـة

نجد اسمين في بداية تاريخ مشظوف هما بوهماد وشاظف (الملقب مشظوف) وعلينـا أن نقول بعد ذلك لتوضيح الموضوع بأنهما كليهما جدّا مشظوف؛ فبوهمّاد هو جد الثلثيـن (أولاد محم ولوليدات) ومشظوف هو جد الثلث الباقي (لحمنات) ولكنه على أثر تحركـات غامضـة وشقاقات داخلية تخلى لحمنات ــ وهم الأبناء الحقيقيون لمشظوف ــ عن اسمهم الذي تلقفه أولاد محم ولوليدات ليقتصر عليهما.

وكان بوهمّاد وشاظف يعيشان في القرن السادس عشر تقريبا، ولا نكاد نجـد معلومـات عنهما في القبيلة، وما نقدمه اليوم حصلنا عليه من الزوايا المجاورين، ومـن قـائد أراون الذي يبلغ المئة سنة من العمر وهو عروة (1). وبوهمّاد ــ كما يرجّح ــ كان بربوشـيا، أو على الأصح، من أوائل البرابيش من سكان تنبـكتو البدو(2) أي صنهاجي مسـتعرب، ذلك

---

(1) هو عروة بن سيدي أحمد بن الحبيب،وجيه ورجل علم، كان زعيم أروان، عرف بأدواره السياسية، قبل وبعد الاحتلال الفرنسي، توفي قبل سنة عشرين من هذا القرن الميلادي.

(2) الرواية السائدة هي أن بوهماد هو من قبيلة أولاد دْليم الشهيرة، ومن ثم فهو من بني حسان.

أن القبيلة لم تتعرب كليا إلا بعد ذلك الوقت، بفضل عرب الشمال (أولاد عبد الرحمن .. الخ).

أما شاظف (مشظوف) فقد كان من قبيلة إموكشارن الكبرى أو مغشارة لدى المؤلفين العرب، التي كانت ترتحل في شمال منطقة [نهر] النيجر بالقرب من تنبكتو، وذلك في القرن السادس عشر.

وقد تفخذت اليوم قبيلة إموكشارن وتبعثرت في القبائل الطارقية والعربية المجاورة، حاملة اسمها، أو تحت أسماء أخرى؛ ومما لا جدال فيه أن هناك عنصرا كبيرا من إموكشارن في البرابيش الحاليين.

ومن هذه النقطة ندرك التعاطف الذي كان عاملا للتوحد بين هذين الرجلين، والذي جعل مصيرهما واحدا في الغربة أي في منطقة تگانت (3). وسنفهم أيضا السبب الذي جعل هذا التجمع الناشئ يتكون تحت رعاية العادات والتقاليد الصنهاجية.

وينبغي أن نشرح هنا الرأي الدارج الذي يجعل بفعل تشابه الأسماء من مشظوف حفيدا لمسّوف أو مسوفة؛ ففي عصر ابن بطوطة (القرن 14) كانت عشيرة مسوفة تتجول بين الحوض وأزواد وتافيلالت، وكان قائد القافلة التي حملت رحّالتنا الكبير إلى سجلماسة (تافيلالت) وإلى ولاتة مرورا بتغازة مسوفيا، كما كان الأدلاء مسوفيين، وكذلك البشير الذي سبق القافلة من تاسرهلا ليعلن وصولها إلى ولاتة؛ ومسوفة كانت تقوم بسقاية المدينة أو جوارها، كما كان الأدلاء الذين قادوا ابن بطوطة من ولاتة إلى مليّ [مالي] من مسوفة أيضا كما كان في مليّ ذاتها بعض المسوفيين؛ وبعد خمسة قرون من الانقطاع تعّرف مشظوف على الطريق من جديد في عهد الوالي كلوزيل.

وأكد ابن بطوطة أن القسم الأعظم من السكان ينتسب إلى قبيلة مسوفة، ويسرد فيما بعد أن الوضع نفسه قائم في تنبكتو، وأخيرا يكرس النبذة الصغيرة التالية لمسوفة القاطنين بإيولاتن [ولاتة]: "وشأن هؤلاء ."(4) القوم عجيب وأمرهم غريب، فأما رجالهم فلا غيرة لديهم، ولا ينتسب أحدهم إلى أبيه بل ينتسب لخاله، ولا يرث الرجل إلا أبناءُ أخته دون بنيه، وذلك شيء ما رأيته في الدنيا إلا عند كفار المَليبار من الهنود، وأما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن؛ وأما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال، ولا يحتجبن مع مواظبتهن على الصلوات؛ ومن أراد التزوج منهن تزوج، لكنهن لا يسافرن مع الزوج، ولو أرادت إحداهن ذلك لمنعها أهلها، والنساء هنا يكون

---

(3) ــ تقول الرواية المشظوفية المتداولة إن الرجال أربعة، وهم بگو بن بوهماد جد معظم مشظوف، ومزوار جد المزاوير، واخيور جد أولاد خيرة، ودفّه جد مجموعة من الصناع منهم أهل ويس في كنتة.

(4) ــ ورد نص المؤلف مهلهلا، لذلك استعضنا عنه بنقل النص الأصلي من كتاب رحلة بن بطوطة، إصدار دار صادر ودار بيروت سنة 1964، وهذا ما فعلناه بالنسبة للنصوص الأخرى لابن بطوطة الواردة في كتاب المؤلف.

لهن الأصدقاء والأصحاب من الرجال الأجانب، وكذلك للرجال صواحب من النساء الأجنبيات، ويدخل أحدهم داره فيجد امرأته ومعها صاحبه فلا ينكر ذلك".

ويسوق ابن بطوطة لدعم أقواله مثالين لهما دلالة قوية، يتعلق أحدهما بقاضي ولاتة نفسه. وتبدو هذه المعلومات المختلفة منطبقة تماما على أزناقة [صنهاجة] الذين هم أصل مشظوف، فمنطقة السكنى والخدمات المقدمة والأخلاق والعادات ووضع النساء تتفق جميعا مع ما نجده لدى مشظوف الحاليين؛ وإذا كانت هناك بعض التبدلات فتعود لأسلافهم الأكثر كمالا(5)؛ وهذا الورع الذي يتمناه لهم ابن بطوطة الذي نهل من هذه الأخلاق تحقق بانتقالهم بصورة غير محسوسة من المجتمع الأمومي، كما لبعض قبائل الطوارق الحاليين إلى المجتمع الأبوي الذي هو مبدأ الشريعة الإسلامية.

ويبدو ممكنا إذن قبول الرأي الدارج بأن مشظوف هم أبناء مسوفة؛ وفضلا عن ذلك فإن تقارب الأسماء لا يمكن أن يكون اعتباطيا. وفي الواقع فإن بضعة مخطوطات عربية تكتب اسم جد مسوفة: مسوف ومستوف وحتى مشظوف؛ وبعبارة موجزة فإن إموگشارن ومسوفة هما من الغرب، كما هو حال قبائل بردامة التي هي طوارق الشرق، الذين يسميهم الزنوج بصورة عامة بوردام، ويسميهم البيضان بردامة بعد تعريب الكلمة، وتنسجم هذه المقولة فعلا مع الرواية المشظوفة.

ونستأنف الرواية لنقول إنه كان لمشظوف أخ هو النبيط أبو زوجة بوهمّاد التي ولدت له بگو، أول زعيم ومؤسس لمخيم لم يمنحه اسمه ولا اسم أبيه بوهماد، ولا اسم جده لأمه النبيط، بل أعطاه اسم مشظوف عم والدته.

وكان لمشظوف بالفعل ذرية تحمل اسمه، وهي تؤلف اليوم قبيلة لحمنّات الحالية؛ وقد اتحدت القبيلتان وارتبطتا معا خلال قرون بزيجات مستديمة، ولا مجال لفصلهما تاريخيا لأن تفرقهما الحالي لا يعود لأكثر من جيل تقريبا.

وكان بگو زعيم مخيم مشظوف الأصلي يعيش في تگانت في نهاية القرن السادس عشر، أو في بداية القرن السابع عشر، وقد تزوج من امرأتين من بنات عمّه أعطته كل منهما أربعة أولاد؛ فكانت إحداهما وهي حويرية المشظوفية، أمًّا لمحم وعبد الله وموسى وعمر وهم أجداد أربعة أفخاذ هي أولاد محم، البريكات، أهل موسى، وأولاد أعمر، والذين يؤلفون مع ملتحقين آخرين أول فصيل من قبيلة مشظوف هو أولاد محم؛ ونرى هنا أيضا الظاهرة

---

(5) ـــ لا يذكر المؤلف تبريرا لأسباب انعدام الفصل النسبي بين الرجال والنساء ليس فقط هنا ولكن عند كل السكان البدو، وسببه جلي في شعب حياته الترحال وموطنه خيام الشعر. ورغم ذلك فلا أحد يمكنه الادعاء بوجود انحلال خلقي في هذا المجتمع المعروف في غالبية سكانه بالعفة وانعدام الرذيلة.

العربية المعروفة، حيث أن الفخذ البكر هو الذي تتسمى به الأفخاذ المنحــدرة مــن الإخــوة الصغار. أما الزوجة الثانية فهي مريم المشظوفية، وهي أم اعْبلّه وعيسى وحماد والدّبيبــيز أجداد لغبلات وإخوانهم المنصهرين معهم، والذين يؤلفون مع وافدين آخرين الفصيل الثــاني من القبيلة الاتحادية المشظوفية: لوليدات.

وكانت هنالك فرقة ثالثة هي لحمنات أو مشظوف الصميمون، ويُطلق عليهم أولاد شاظف، وسنتركهم هنا جانبا لندرسهم في الفصل الـتالي المخصص للحمنات. بقي أن نقــول إنــهم كانوا يعيشون حينذاك تحت سلطة بگو العامة، ومن اللازم ألاّ نفصلهم في الســرد التــاريخي عن الاتحاد.

وتقول الرواية إن بوهماد حاول في البداية أن يعيش في الحوض، غــير أن هيمنــة أولاد مْبارك الذين كانوا حينذاك سادة البلاد حالت بينه وبين رغبته؛ وهكذا يكون من الأحســن أن نعتبر الفتح المقبل للحوض نوعا من الثأر؛ وتنقل الرواية أيضا أن بوهماد حظــي بمباركــة [الشيخ] سيدي أحمد البكاي [ابن الشيخ سيدي مْحمدالكنتي] الذي كان آنذاك قد جاوز المئــة سنة من العمر. وقد تكون هذه الواقعة التي تتناقلها كنتة مفتعلة، إلا أن الأمــر يبــدو عنــد الاقتضاء ممكنا تاريخيا، لأن وفاة شيخ كنتة الشهير قد ثبتت باتــفاق العمــوم فــي عــام 1504(6).

وتقول الرواية إن بگو (وهو المحارب الشرس) هو الذي أسس القبيلة مع أولاده وخدمــه؛ وكافح عرب كنتة في الشمال وإدوعيش في الجنوب، وكان يرتحل في ظهر تگانت وتــامورة النعاج وتجگجه والقدَية والوادي الأبيض، وتصل غاراته حتى آدرار [التمر]. وقد حل مكانــه في القيادة ابنه محم الذي ترك أربعة أولاد هم: إبراهيم وسيدي وحماد ومساگ؛ وقد خلفــه أولهم إبراهيم الذي كان عليه أن يخوض معارك كبرى ضد العرب في الشمال والجنوب."

وتتابع على رئاسة مشظوف كل من المختار ابن إبراهيم والمْحيميد بن إبراهيم (جد أهــل المحيميد المخيم الأميري في القبيلة) ثم المختار بن المْحيميد، وقد مات المختار بن إبراهيــم في تگانت حوالي 1805 أما المختار بن المحيميد فقد مات حوالي العام 1856 (7) ودفن فــي تگانت أيضا، وفي أيام زعامته استقر مشظوف نهائيا في الحوض في أواسط القرن التاســع عشر.

---

(6) ــ يذكر الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار في كتابه الرسالة الغلاوية أن وفــاة الشــيخ سيدي أحمد البكاي هي بعد سنة 920 هجرية الموافق لسنة 1514م.

(7) ــ توفي المختار بن المحيميد في طريق الهجرة بتاسكاست بيـن تگانت وأفلّــه؛ وتقــول إحــدى الروايات إن ذلك كان سنة 1852، وهوما جاء في تاريخ ولاتة.

وكان قد سبق لهم أن جاءوا قبل ذلك إليه في ظروف وأوضاع غامضة حيث اصطدموا بأولاد مبارك الذين صدوهم وأعادوهم إلى تگانت من جديد(8) إلا أنه كان من حسن حظهم أن عزلوا عنهم فخذا كثير العدد والبأس هو أولاد ملّوك الذين اندمجوا في مشظوف، وعادوا معهم إلى تگانت.

غير أن قحط المراعي رد مشظوف من جديد إلى الساحل بقيادة المختار بن المْحيميد، وفي تلك الحقبة مات زعيم أولاد مْبارك الحربي الكبير المختار بن أعمر [بن علي] وذلك في عام 1844(9)؛ ومن ثم انغمست قبيلة الزعامة السياسية في الحوض في حروب أهلية جعلت الفرصة سانحة ومناسبة لمشظوف.

فبعد بضعة أعوام من اشتباكات متفرقة وبواسطة غارات قام بها المختار من تگانت على الحوض بدأ تقدم مشظوف نحو الشرق، واصطدموا في البداية بتكارير انيورو الذين كانوا يحاولون فرض سلطتهم لحفظ الأمن بين قبائل الساحل.

وكان للتكارير حلفاء من الاقلال يتمثلون في فخذي أولاد موسى وغلام؛ وقد نشبت معركة كبيرة عام 1852 في تاقطافت دُعيت أيضا بيوم ادْفينيجه نسبة إلى فرس أصيلة اشتركت فيها؛ وقد لقي فيها الحلفاء هزيمة منكرة، حيث كان عدد التكارير الذي هلكوا فيها مثل "الجراد"؛ بينما لم يخسر مشظوف سوى 70 قتيلا، وظلوا سادة الميدان، واستولوا على غنيمة ضخمة منها 300 جمل، واستطاعوا أن يتقدموا في الساحل ابتداء من ذلك اليوم(10) وقد مات المختار في ذلك التاريخ (11) وخلفه ابنه أحمد محمود الذي أخذ فورا على عاتقه النهوض بعبء الحرب ضد أولاد مْبارك. وتكاد الكتابة بالتفصيل عن هذه المواجهات تكون مستحيلة مثلها الكتابة عن التغيرات المستديمة في الأحلاف، وعليه فسنقتصر على ذكر أهم الوقائع:

ـ حوالي العام 1858 دارت معركة دامية في موقع آمبيز [تنبنبه] بين مشظوف المتقدمين شرقا بقيادة أحمد محمود وبين أولاد مْبارك حلفاء الاقلال (12).

---

(8) ـ كانت هجرة مشظوف الأخيرة من تگانت بعد قتلهم أحد رجال إدوعيش هو ولد الزبلة، وتقول إحدى الروايات إن الهجرة كانت حوالي 1852.

(9) ـ توفي المختار بن أعمر بن علّي المعروف بخطري في معركة مد الله بين عائلات أولاد مْبارك حيث مات فيها معظم أكابرهم، وذلك ضمن حروبهم الأهلية التي لم تُبق ولم تذر، وذلك سنة 1257هـ ـ 1843م. (انظر الحسوة).

(10) ـ في كتاب تاريخ إدوعيش (مرجع سابق) أن المعركة كانت مع جيش الحاج عمرالفوتي.

(11) ـ جاء في تاريخ ولاتة أن الوفاة كانت سنة 1269هـ ـ 1852م.

(12) ـ جاء في تاريخ إدوعيش (مرجع سابق) أن المعركة كانت بين مشظوف والاقلال، وقد أنضم فيها أولاد الناصر إلى مشظوف؛ وتقول إحدى الروايات إنها كانت في حياة المختار بن المحيميد.

ــ حوالي العام 1863 دارت أيضا معارك أخرى أكثر عنفا كانت أولاها في آكوينيت ثم في السبيخة شرق كيفه بين مشظوف المجدين في زحفهم وبين أولاد مْبارك حلفاء أولاد محمد[يا حمد] وأهل الطالب مصطف؛ وقد انهــزم الأخيرون، واستقر المنتصرون الفاتحون نهائيا في الحوض. وظلت معركة السبيخة شهيرة في الحوليات المحلية تحت عنوان يوم كْريكيبة، وهو اسم فرس أصيلة أيضا اشتركت فيها.

ــ في حوالي 1876 قام تحالف جديد بين أولاد الناصر وأهل سيدي محمود، وبعض اشْراتيت (إدوعيش) وتمَيدات والنبيطات، وانقضّوا على مشظوف في موقع قرچوگه وتامورة انيورو، لكن التحالف هزم. وبعد فترة من ذلك حدثت آخر معركة شاملة كان مشظوف فيها منتصرين أيضا على تحالف مؤلف من أولاد الناصر وأهل سيدي محمود وإدوعيش وكنتة تكَانت في موقع التويمرات باقليم أفلّه(13).

ــ وفي سنة 1880 أصبح من الواضح أن مشظوف قد ربحت الصراع بصورة نهائية، فــ"انساحوا" في الحوض كما يقولون.

أما أولاد مْبارك وأولاد محمد[يا حمد] وهم سادة البلاد القدامى، فقد جلوْا عن هذه البقاع نحو الجنوب الغربي بالنسبة للأولين، في حين نزح ألاخيرون نحو الجنوب الشرقي، وأصبح الطرفان يدفعان الإتاوة. وقد قطعت كل الأفخاذ الصغرى من مرابطية ومحاربة في الحوض والسّاحل صلات التبعية السابقة، واندمجت في مشظوف حسب العادة الثابتة.

ومع ذلك لا ينبغي الاعتقاد أن سيطرتهم السياسية كانت خالية من الغيوم. فهذا الاتحاد الضخم الفريد، وإجمالا، قليل النزعة الحربية كان سريع العطب، وغير معد في الظروف العادية للصمود أمام عمليات نهب صغيرة حسنة التنظيم؛ ومن ناحية أخرى فإن قطعانهم العديدة كانت تشكل إغراء مستديما للقبائل المحاربة المجاورة ولا سيما في الشمال. ولهذا السبب كثيرا ما أقبل أولاد علوش وأهل بوردّة وسواهم من أولاد داوود من الشــرق وأولاد الناصر وأولاد مْبارك من الغرب لغزو مشظوف.

وقد انتهى الأمر بهم إلى الحصول من بعض قبائل مشظوفية على دفع ضرائب منتظمة، الأمر الذي لم يكن ليمنعهم في الواقع من الاستمرار في أعمال النهب المربحة؛ وبين وقت وآخر كان حلف مشظوف يتعرض في الفصل البارد لغزوات كبيرة من الشمال يقوم بها الرقيبات وأولاد دليم وأولاد بالسبع وقبائل تكنة من وادي نون في جنوب المغرب.

ويماثل هذا التــطور التاريخي كله بشكل فريد تاريخ الاجتياحات الكبرى التي قام بـــها

(13) ــ يشير هنا إلى وقعتي أگمون والمدروم بين مشظوف وأهل سيدي محمود واشراتيت من جهة، وأبكاك وكنتة وأولاد الناصر من جهة أخرى، وانتصر الأوّلون في الأولى، والأخيرون في الثانية.

البرابرة لأوروبا؛ فقد كانت تلك الموجات تتعاقب وتتراكم فوق بعضها البعض، وتنسحق على شكل طبقات متتالية تختلط ببعضها، كما كانت الأفخاذ المرابطية سواء كانت مخيمات زوايا مسالمين [هنا] أو أديرة من رهبان النصارى [هنالك] تخضع بعد تحطمها لقانون المنتصر، ولكنها كانت تحاول فورا ترويضهم.

ولم تكف الفتن الداخلية والاغتيالات عن تمزيق الخيمة الأميرية في مشظوف كما هي القاعدة لدى كل قبيلة صحراوية؛ ولا حاجة للصعود إلى ماض بعيد للغاية لتأكيد ذلك، ويجدر بنا فقط سرد أواخر الحوادث من هذا النوع، والتي وقعت منذ ظهورنا في السودان، وكانت سبب الانقسامات الحالية.

ففي عام 1887 لما أصبح محمد محمود{9} زعيما لمشظوف بعد وفاة والده أحمد محمود {8} في 18 يوليه سنة 1884 رفع أخوه المختار الشيخ {10} راية التمرد، وجر معه بعضا من إخوته وكذلك لحمنات والمزاوير والبريكات وقسما من أهل حمّان مع زعيمهم المامي بن اد، وفئة من أهل سيدي مع سيدي محمود بن المامي، وأخيرا الفرع المحارب من العتاريس. ولم يتردد أولاد الناصر في الالتحاق بالثائرين، واستمرت المعركة ثلاثة أعوام مع تقلبات مختلفة كان أهمها هزيمة الأمير في موقع شكرطيل في 4 شتنبر سنة 1888 إلى أن حدث ما حدث خلال معركة كبرى على أبواب ولاتة في موقع اكّنُ حيث أصيب الأمير محمد محمود بجرح قاتل على أيدي أنصار المختار الشيخ في 18 نونبر سنة 1890.

وقد أدى هذا الموت إلى تفكك في التحالفات، فقد تنازع أحمد الابن وأحمد بن علي محمود ابن عم الفقيد على القيادة؛ ولما كان أحمد بن علي محمود {10 مكرر} هوالظافر، فقد ضم تحت سلطته كل المخيمات الوفية للرئيس السابق؛ أما أحمد بن محمد محمود فقد راح يعقد تحالفا مع عمه المختار الشيخ رغم أنه يطالب بالإمارة لنفسه وأن أنصاره كانوا قد شاركوا في اغتيال محمد محمود.

واستمرت الحرب لمدة شهور، وظهر مدّع جديد تمثل حينذاك في شخص علّي محمود بن المختار، وهنا قام الأحمدان اللذان سبق ذكرهما بإعادة علاقاتهما واغتالا المدعي الجديد في يناير سنة 1892.

ولم يمض وقت طويل حتى هلك الأول ثم الثاني بالطريقة ذاتها، فقد سقط أولا أحمد بن الأمير محمد محمود{11} في عام 1895 غيلة، بتواطؤ من المختار الشيخ، على أيدي إخوته مهادي وعلي محمود وسيدي محمد، حيث بوغت في خيمة المختار الشيخ، وتم قتله من قرب؛ وقد لحق به أحمد بن علي محمود {10 مكرر} حيث انتهت بذلك قيادته الجزئية لمشظوف في سنة 1896؛ وقد تم ذلك عندما قام كل أولاد الأمير الفقيد محمد محمود وهم محمد المختار{12} وعلي محمود{13} الرئيس الحالي، وإخوتهم الأحياء بمفاجأته وقتله

بإطلاق النار عليه خلال عملية استنفار. وبعد هذه العملية تنازل المختار الشيخ علنا عن كل سلطاته لمصلحة أكبر أبناء أخيه وهو محمد المختار بن محمد محمود (1898)، ومع ذلك كان من الواجب الانتظار حتى وفاته في 24 مارس سنة 1901 كي تحدث مصالحة عامة بين مشظوف.

كان وصول الفرنسيين إلى الساحل في هذا التاريخ، وكانت أوائل الاتصالات قد بدأت مع المختار الشيخ، واستمرت مع الأمير محمد المختار الذي كان زعيما عادلا حتى عام 1909 وهي السنة التي قتل فيها خلال مطاردة لغزو من أولاد بالسبع وأولاد غيلان والرقيبات(14)؛ ولم يخضع مشظوف حقيقة إلا في وقت متأخر تحت زعامة أخيه وخلفه عْلي محمود.

وقد تناقصت حوادث الاغتيال بين الزعماء، وكانوا لا يزالون حتى في أيامنا هذه يخافون على حياتهم. وليس هناك من حادث يستحق الذكر أخيرا سوى مقتل حمدي بن خَيُو بن علي محمود في سنة 1904 على أيدي البريكات لأنه كان قد اشترك مع أبناء عمه عْلي محمود ومهادي وسيدي محمد في قتل أحمد بن محمد محمود الذي سبق ذكره، ثم هربوا إلى تگانت ولسوء حظ حمدي هذا عاد قبل استتباب الهدوء الناجم عن الوجود الفرنسي، ودفع حياته ثمنا لاشتراكه في الجريمة السابقة، ولم يعد باقي القتلة إلى القبيلة إلا سنة 1915.

وقد كان دور النساء وعلى وجه الدقة الأمهات منهن عظيما في قضايا القتل هذه (15)، وتلك إحدى النتائج المحزنة لتعدد الزوجات فضلا عن المساوئ الأخرى الكثيرة، إذ لا توجد أخوة حقيقة إلا بين أبناء الأم الواحدة أما الإخوة الألداء الحسودون المتنافسون فهم أولئك المرتبطون بدم الأب فقط؛ وينعقد بالطبع التحالف السياسي والصداقة بين إخوة من رحم واحد وأبناء عمومتهم ضد عشيرة معادية مؤلفة بالطريقة ذاتها، هذا في حين أن أعضاء العشيرتين يكونون متحدين فردا فردا بصلات الأخوة الأبوية.

وقد بدأت علاقات مشظوف معنا سنة 1891 غداة سقوط انيورو فقد قام الملازم مارشان Marchand على رأس رتل صغير بمطاردة ومنع جيش التكارير من الوصول إلى سيگو

(14) ـ قتله محمد سالم بن الخاطر البحيحي الذي كان في الغزو المذكور، والذي مات حتف انفه بعده بشهرين في آدرار بعد الاحتلال الفرنسي، وقد أثنى بابا بن الشيخ سيديا على محمد المختار ووصفه بالعدل. انظر كتاب تاريخ إدوعيش مرجع سابق.

(15) ـ تتفق الحسوة مع هذا الرأي ضمنيا حيث تقول إنه من النادر أن يتقاتل الإخوة الأشقاء إلا ما حدث في كل من العهود الأموية والعباسية والمرينية، ثم ما جرى بين أبناء عْلـ بن أعمر من أولاد مْبارك. فقد قتل هنون بن أعمر أخاه شقيقه علي وقتل المختار (خطري) بن أعمر أخاهما شقيقهما هنون بن أعمر، وذلك سنة 1245هـ ـ 1819م.

وهو بقيادة شيخُ أحمدُ بن الحاج عمر(16)، ومن أجل هذا كـــان بحاجـــة لمســـاعدة بعـــض البيضان؛ وقد كتب بعد ذلك في تـــقريره: "إن العفو الذي منحـــتُه لشاب مشظوفي سقط أسيرا خـــلال عملية سلب ضدّ أهل انكولو وفّر لي الفرصة التي أبحث عنها، فبعد يومين تقدم إليّ عدد مـــن المحـــاربين يقودهم المختار الشيخ بنفسه لتقديم الشكر".

وقد وعدوه بمساعدتهم، لكنهم أشعروه أن القبيلة في حالة انقسام وتقتـــتل يوميا. ولـــذا كان يستحيل عليهم أن يعدوه بتحقيق رغبته صراحة؛ وبعد مضي بضعة أيام تأكد بالفعل أن بضعة مخيمات من أولاد الناصر ومشظوف الذين كان بعضهم خاضعا للمختـــار الشـــيخ قـــد وفروا المأوى لشيخُ أحمدُ، وساعدوه في الوصول إلى سيـﮔو مرورا ببلدتيْ باسكنو و چا.

وفي فبراير سنة 1893 صادف العقيد أرشينار Archinard في ﮔونبُ المختار الشيخ الـــذي طلب نسيان الماضي والاعتراف به كرئيس للقبيلة؛ وعلى هـــذا الأســـاس طـــالب بإعـــادة المخيمات البيضانية الصغرى التي التجأت إلى منطقة نفوذنا، وتذوقت فيها طعم الطمأنينـــة، وقد وعده أرشينار بصداقته وحمايته بشرط أن يمتنع هو وأتباعه من أي نهب، وسيســـاعدهم في المقابل بمعاملة أولاد الناصر ومشظوف المتمردين كالخارجين علـــى القـــانون، وذلـــك بمنعهم من الوصول إلى أسواق منطقة النفوذ الفرنسية؛ (وفيما بعد أدت هذه التدابير الرادعة إلى اخضاعهم) ولكنه رفض من ناحية أخرى أن يرد لزعيم مشظوف تلك المخيمات.

وقد استمرت المصاعب لمدة طويلة نوعا مّا، فكان مشظوف متعودين على حياة الصراع والسلب المتبادل، ويهاجمون القوافل، ومنها أحيانا قوافل بعضهم التـــي كانت تقصد ﮔونـــبُ (1893)، وكان مختلف الأمراء أو المرشحون للإمارة متورطين في ذلك. وفي المقـــابل كـــان النقيب مَمدُ راسين يقوم بدوره بغارات مضادة، كما أن النار كانت تطلق دون ســـابق إنـــذار سواءً في انيورو أو في ﮔونبُ على كل مشظوفي مسلح يحاول التحرش بالقوافل أو الحصول على الحبوب بالقوة من زنوج الساحل؛ وقد أعطـــت هذه السياسة على الفور نـــتائج طيبة؛ وكتب المختار الشيخ في أكتوبر سنة 1893 باسم كل قبيلة مشظوف بأنه منصـــاع للأوامـــر، وبشّر بزيارتنا قريبا؛ غير أن الفوضى الداخلية في القبيلة جعلت كل مساومة بـــدون طـــائل، فبعد ذلك بوقت قصير قامت بعض العناصر بمهاجمة دَاما چواره، وقتلـــت 20 رجـــلا مـــن جماعته و[استولت على] 40 رأسا من الخيل.

---

(16) ــ هو أحمدُ بن الحاج عمر تال الفوتي، خلف أباه بعد موته سنة 1864 على رأس دولته بشـــمال السودان (مالي)، هزمه الفرنسيون بعد احتلالهم السودان سنة 1893، توجه إلى شمال نيجيريا مقر أخواله آل بلّو بن عثمان بن فوديه، توفي بعد ذلك بفترة قليلة سنة 1898.

وفي يونيه سنة 1895 اشترك آخرون متحالفون مع أولاد الناصر في مختلف عمليات النهب حول بلّه، وأخذوا أبقاراً وأغناما من السكان.

وفي إبريل سنة 1897 تقرب محمد المختار منا بصورة جدية بعد أن أصبح أميرا، وقدم البراهين على رغبته في التفاهم، وقبل عن طيب خاطر عقوبة منع الدخول إلى منطقتنا المفروضة على لوليدات وأولاد ملّوك الذين نهبوا [قرية] نامبالا؛ ورفض الصلح مع قبيلتي لحمنات وكنتة الحوض حيث كان كنتة الشرق يحرضونهم على قتالنا، كما هاجم أولاد الناصر حلفاء لحمنّات.

وقد أُصيبت العلاقات الحسنة معنا بالتوتر في يونيه سنة 1898 لأسباب مختلفة، أولها تحريض كنتة أزواد الذين جاؤوا لحبك المؤامرات في مخيمه في أعقاب قضية سيرينه المحزنة(17) ومن ثم تصالحه مع أعدائنا أولاد ملّوك وأهل سيدي الذين كان بينهم قاتل رقيب من [حامية] رأس الماء التابعة لنا، وأخيرا بسبب الغرور الذي أصاب هذا الزعيم في أعقاب نجاحه في السيطرة على مشظوف، حيث كتب إلي قائد المنطقة ليخبره بأنه زعيم كبير لا يقل أهمية عن بكار زعيم إدوعيش(18) وعلى هذا الأساس فهو ينتظر أن تُصرف له أيضا جعالة مقدارها مئة قطعة من النيلة. وفي هذا الوقت كانت بعض عصاباته تنهب القرى الواقعة في شمال گونبُ.

وعلى أثر مقتل [مجند] مغربي في بو چگيره ونهب [قرية] نامبالا في شهر يناير سنة 1897 صدر في گونبُ أمر بالقبض على مخيمات مشظوف، وفي الحال حدث هروب عام مع التخلي عن النساء والأطفال والقطعان؛ وبعد قليل من ذلك وخارج الحدود تحول مشظوف إلى عصابات تنهب القرى وتنتزع القطعان، ومن قبيل الاحتياط قامت مراكز عسكرية في بلّه وكساكارى وكارونگا وآكور ـ وهذه المحطة الأخيرة كانت تتصل بمركز بو اچگيره (سُكولو) ـ بتسيير دوريات من الخيالة المحليين بين المراكز المذكورة، ولكن القرى لم تكن تجرؤ على إعلام المراكز المجاورة عن حوادث الاستيلاء على القطعان خوفا من انتقام البيضان؛ فقد عاد فارسان من منطقة بسّاخا، كانا يقومان بدورية دون أن يذكرا أنهما التقيا ببعض البيضان المقاتلين لأنهما هُددا بالقتل في حالة الوشاية.

---

(17) ـ هي معركة شهيرة بين الشيخ عابدين بن الشيخ سيدي محمد الكنتي بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار والقوات الفرنسية في يونيه 1898 بالقرب من تنبكتو، هُزم فيها الفرنسيون ومات قادة جيشهم، كان صداها كبيرا في المنطقة. انظر كتاب كنتة الشرقيون، و الحاشية رقم 15 في المدخل.

(18) ـ هو بكار بن سُويدي أحمد أمير إدوعيش سقط شهيدا في معركة مع الفرنسيين سنة 1905 في رأس الفيل بأفلّه، وكان معروفا بالحكمة وسداد الرأي، استمر في السلطة أكثر من ستين سنة.

وبعد التحقق من عجز هذه الوسائل، وقتل وكيل الضابط كرفادك kervadec قررت القيادة تنظيم حملة ضد مشظوف انطلقت من كارونكا في 26 يوليه سنة 1898، ولكن محمد المختار لم يكن ينتظرها، بل أقبل لمقابلة قائدها في تكماطين، والتزم في معاهدة مكتوبة بالقيام بدفع مبالغ مختلفة، وبإقامة خط من الآبار لا يحق له اجتيازه.

وقد كان معه كل من حمّادة [ابن فال] ومحمد بن امْبرح زعيما أولاد الناصر المتمردين، اللذان ربطا مصيرهما بمشظوف، ولكن الجانب الفرنسي رفض التفاوض معه قبل أن يعيد ما سبق نهبه.

وكان مبدأ التعويض يقضي بأن تصبح كل قرية تعرضت للنهب أكثر غنى مما كانت عليه في السابق، وذلك بدفع (100) قطعة قماش لكل رجل فيها.

وقد ابتدأت عملية الاسترداد تلك ثم توقفت، إذ بلغ النقاش البيضاني العقيم مداه؛ فقد كتب الحاكم في شهر أكتوبر من عام 1908 إلى الأمير ليفرض عليه شروطا جديدة. وطالب برأس محمود بن سويري زعيم أولاد ملّوك، ورفع عدد الإبل المطلوبة من 50 إلى 200؛ ولكن الأمير تمرد، وروج إشاعة مفادها أنه يتفاوض ضد فرنسا لعقد تحالف مع كل القبائل البيضانية ومع الطوارق؛ وكتب خطابا متعجرفا يأخذ فيه على الفرنسيين أنهم لا يحفظون العهد، ويغالون في معاهدة تكماطين التي كانت أول محاولة للتفاوض؛ ولكننا صمدنا، وانتهى الأمر بالأمير إلى الخضوع ودفع الغرامة كليا، وأرسل تباعا الخيل والجمال والأقمشة كما أوفد الرهائن المطلوبين، وفي 20 مارس سنة 1899 أُعيد فتح أراضي المنطقة الفرنسية أمام مشظوف.

وظلت علاقات مشظوف مع جيرانهم متوترة حتى احتلال ولاتة في عام 1912؛ وكانت المعارك تدور بلا هوادة مع أولاد الناصر الذين كانوا ينهبون باستمرار مخيمات مشظوف الذين كانوا يدافعون عن أنفسهم بضراوة، حيث ساهموا في قتل زعيمين من أولاد الناصر هما بكّار بن أحمد بن الحبيب في سنة 1901، وابنه أحمد في مارس سنة 1908 (19)؛ أمّا مع لحمنات الإخوة الألداء فإن المعارك لم تكف أبدا معهم؛ وحتى في عام 1904، وعندما فرض لحمنات السيطرة على ولاتة وعلى بضعة أفخاذ من سكان الحوض قصد عدد من الوجهاء الأمير محمد المختار طالبين معونته، فأرسل أخاه أحمدُ على رأس عصبةٍ من الرجال، ونشبت معركة في وادي ولاتة انكسر فيها لحمنات، واضطروا إلى إخلاء المدينة.

وفي مساء ذات اليوم وصلت جماعة من لحمنات إلى ولاتة لم تكن على علم بمعركة الصباح حيث فوجئوا برؤية العدة الحربية، فكان لديهم من الوقت ما يكفي للهرب، ما عدا

(19) ــ سنرى في الفصل الثاني عشر قصة القتل هذه.

أحدهم، وهو سيدي الأمين بن الصديق الذي كان يقوم بحراسة الإبل حيث تعرض للقتل؛ وعندئذ استولى أحمدُ على الإبل ووزعها على رجاله. وكانت هذه الجمال (نحن هنا في قصة من قصص ألف ليلة وليلة تماما) أصلا لترمز سلبها منهم لحمنات قبل بضعة أيام؛ وعندما أقبلت جماعة من ترمز إلى ولاتة لبيع بعض أقمشة النيلة علمت بهذه الوقائع فطالبت بإصرار بالإبل، ولكن مشظوف رفضوا إعادتها بحجة أنها ملكهم دون أدنى ريب لأنها أُخذت أثناء معركة مشروعة.

وقد استمر الجدل بضعة أعوام، واجتمع لحمنات في جلسة علنية في ولاتة، ووافقوا على ما يلي: "(1) ـ ليس لدى لحمنات ما يعيدونه إلى ترمز لأنّ أي غاز طيب وصادق لا يعيد إطلاقا غنيمته، فضلا عن ذلك فلم تعد الإبل لديهم. (2) ـ إن مشظوف الذين انتزعوا إبل لحمنات ليس لديهم ما يردونه لأنهم كانوا جاهلين كل شيء عن أمر ترمز، ويظنون أن لحمنات هم مالكوها."

وبعد ذلك سارع مجلس الوجهاء إلى عقد جملة من الاتفاقات الخاصة مع وجهاء ترمز لإعادة إبلهم إليهم مقابل دفع بعض قطع قماش النيلة وقوالب السكر، وقد استغرقت القضية أعواما بكاملها، ولا يبدو أنها حسمت في الوقت الحالي.

أما مع أولاد علوش فقد ثابر مشظوف على خوض معارك شبه مستديمة؛ والعرض الموجز الذي قدمناه عن أولاد علوش كان كافيا بما لا يدع مجالا للحاجة إلى العودة إلى الموضوع.

وكانت المعارك مستمرة أيضا مع أهل سيدي محمود، ولم تنته إلا في شتنبر سنة 1910. بعد هزيمة ألحقها مشظوف بغزو من أهل سيدي محمود كان قد سلب ممتلكات الدراگله ولادم والزماريگ، وقد منع وجود الفرسيين أهل سيدي محمود من أخذ الثأر.

وابتداءً من هذه الفترة، ونظرا لعدم وجود معاهدة سلام عامة مع الفرنسيين راحت أفخاذ مشظوف متفرقة تقدم خضوعها.

ففي شتنبر سنة 1905 وعلى أثر مشاجرات وقعت بين محمد المختار والمختار بن عبدوكه رئيس قسم من أهل سيدي فارق هذا الأخير مع جماعاته القبيلة الأم، وباشر بمفاوضات للسلام مع مركز رأس الماء.

ونصت معاهدة الخضوع التي تم التوقيع عليها في يناير سنة 1906 على أن أهل سيدي التابعين للمختار سيدفعون 4 خيول مساهمة حربية، وضريبة سنوية مقدارها ثلاثة جمال، وفضلا عن ذلك عليهم أن يقيموا في شمال وشرق رأس الماء.

وفي 21 يناير من العام التالي 1907 قام سيدي محمد بن مولود زعيم الشومات بعقد معاهدة مماثلة نيابة عن قبيلته.

وفيما يلي نص تلك المعاهدة التي هي نمط من اتفاقات عديدة تم التوقيع عليها في تلك الفترة بين قيادة منطقة تنبكتو وزعماء البيضان: "تطالب قبيلة الشومات بتقديم خضوعها الكامل دون شروط لمنطقة تنبكتو (التابعة لرأس الماء) ويكون هذا الخضوع مقبولا بعد إقرارٍ من السلطة العليا ضمن الشروط التالية:

(1) سيكون ارتحال القبيلة ضمن منطقة تمتد من بوكندوز مرورا بالأبيار حتى خط يمر من الشمال إلى الجنوب عند رأس الماء، وحول الحافة الغربية لمنطقة دوانا، وفي شمال كل هذه المنطقة في العكلة.

(2) ستدفع ضريبة سنوية مقدارها ستة رؤوس من الإبل، وتتعهد بأن تستخدم قوتها لوقف الغزوات بالتعاون مع القبائل المحاربة الأخرى.

(3) الاقرار بأنّ الحيوانات التي صودرت على يد فصيل رأس الماء ستعاد إلى القبيلة بعد حسم مبلغ 500 فرنك منها مقابل ضريبة على بيع إبل ومرور ملح وغرامة مقدارها ثلاثة جمال مفروضة عقاباً على كل رفض لأوامر الدوريات."

وقد تعودنا من خلال التعامل مع محمد المختار وإخوته على مداهنة أهل المحيميد، فبينما كان الأمير يبالغ في تأكيد صداقته لنا، ويتاجر بصدق مع مراكز الساحل كان أخوته، ومنهم علي محمود الزعيم الحالي يصرفون عنفوانهم الحربي لإنقاذ سمعة القبيلة بالمشاركة في الهجمات التي كان ثوار تگانت يشنونها علينا. فقد وجدناهم في النيملان (20) إلى جانب قبيلة كنتة الثائرة وأهل آدرار، وكذلك وجدناهم مشاركين في مهاجمة تجگجه (21).

ويسرد تاريخ ولاتة بكل بساطة أن شريف أسرة مولاي إسماعيل وصل في سنة 1906 لجهاد الفرنسيين وأنه كان يتلقى العون من الاقلال ومشظوف وإدوعيش، وكان يناوشهم في إقليم تگانت، ويضيف إلى ذلك مباشرة "إن علي محمود جاء ليطلب العون من أهل ولاتة للإسهام في حملة الشريف ضد الفرنسيين، وحصل على 50 قطعة من النيلة (1906)." (22)

وكان المختار بن عبدوكه هو الذي لعب دور الوسيط بين أهل المحيميد والفرنسيين الذين فترت علاقاتهم بما فيه الكفاية على أثر اكتشاف هذه الوقائع.

وقد أُنذر محمد المختار بأنه إذا أراد الاحتفاظ بالسلام فإن عليه أن يدفع في انيورو دية

---

(20) ــ النيملان، واد وقرية يقع على بعد 40 كلم غرب تجگجه جرت فيها ملحمة كبيرة بين الفرنسيين والمجاهدين الموريتانيين، وكان النصر فيها حليف المجاهدين، وذلك في 14 أكتوبر سنة 1906.

(21) ــ وقعة تيجكيجه، كانت بين المجاهدين الموريتانيين والفرنسيين، وهي امتداد لمعركة النيملان السالفة الذكر، وانهزمت فيها المقاومة لافتقادها للقيادة المجربة، وكانت في 6 نونبر 1906.

(22) ــ جاء في تاريخ ولاتة أن ذلك كان سنة 1907.

الضباط والجنود الذين قُتلوا في موريتانيا، ولهذا كلف المختار بن عبدوكه بأن يسوق إلى قائد المنطقة 18 فرسا و80 ناقة و200 بقرة؛ وكانت قيمة هذه المواشي بناء على تقدير تجار بيضان وَوُلُف كافية، وحصل أمير مشظوف على السلم من جديد.

وفي إبريل سنة 1808 انطلق العقيد لافيردير laverdure من تنبكتو، وبعد مروره بباسكنو ظهر في النعمة، وكان مصحوبا بزعيم أهل سيدي، وساد اعتقاد بأن مشظوف لن يتحملوا بسهولة هذا الدخول المفاجئ لمنطقتهم وأنّهم سيهاجمون الرتل، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث. ومن يومها، وفي انتظار احتلال ولاتة العتيد فإن الوالي كلوزيل مارس سياسة الترويض مع مشظوف التي تكللت بالنجاح.

وقد خلف علي محمود في سنة 1909 أخاه الأكبر محمد المختار، حيث توجه إلى بملكو ـ كولوبا، وأقر أمام الجميع الاتفاق الذي كان قائما بين مشظوف والسلطة الفرنسية.

وأخيرا في سنة 1912 تم احتلال ولاتة، وأُلحقت قبيلة مشظوف فعليا بدائرتها الجديدة؛ وكان موقف القبيلة منضبطا ابتداء من عام 1912 باستثناء أهل سيدي الذين أوضحوا بجلاء موقفهم كثوار في سنة 1916. وسنسرد تاريخ هذه الفترة فيما بعد تحت عنوان أهل سيدي.

وقد ظلت النفسية العامة للقبيلة مريبة بعد هذا الحادث المحزن، إذ أن نجاح هذا التمرد كان بلا شك سيشد من عزيمتهم ويخرج الحقد الكامن في نفوسهم ضدنا.

وليس بمقدورنا اختتام هذا العرض عن وضع مشظوف التاريخي دون أن نقول كلمة عن تسلحهم الحالي.

لقد أرغمت الغزوات التي لا تحصى القادمة من الشمال إلى الحوض في نهاية عامي 1916 و1917 مشظوف على الاقتراب منا بصورة أكثر إخلاصا، كي يحصلوا على أكبر قدر ممكن من المعونة، ولكي يدفعونا من ناحية أخرى للاستجابة لطلبهم الحصول على بنادق وهو الطلب الذي تقدم به لمصلحتهم الشيخ سيديا (23)؛ وهكذا جرت إعارة خمس وعشرين بندقية تسلم لأفراد يختارهم عْلي محمود ولإخوته ولرؤساء الأفخاذ، وقد دونت أسماؤهم جميعا في سجل، وصاروا مسؤولين عن أسلحتهم. ولما أصبحوا تحت أوامر الموظف المسؤول عن إدارة مجموعات الهجانة مباشرة، فقد خيموا بجوار المفرزة، وتم تزويدهم بعشرين خرطوشة لكل فرد رفعت فيما بعد إلى خمسين في حالة الاستنفار أو القيام بدورية؛ ولم يكن الرؤساء الآخرون مسؤولين إلا عن تأمين المعيشة وتوفير الجمال لهؤلاء الأنصار

(23) ـ هو الشيخ سيديا بابا بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا الكبير، كان أحد أكبر رجال العلم المجتهدين، لعب دورا سياسيا بارزا في كل المنطقة، إضافة إلى دوره الديني، توفي سنة 1924.

أما رئيس مشظوف فلم يحتفظ لنفسه بأكثر من مئة فرد منهم من الذين يحملون أسلحتهم الخاصة، والمسجلين لدي حاكم الدائرة. وأخيرا فإن خمسة عشر نصيرا آخر أصبحوا مكلفين بحماية المخيمات التي تملك الأبقار والأغنام، ويقضي النظام المتبع برد البنادق والخراطيش إلى حاكم الدائرة عند انتهاء فترة الغزوات.

وقد أظهر مشظوف الذين كانوا مرتبطين عند احتلالنا للحوض بدائرة ولاتة سنة 1912، قدراً كبيراً من المناورة البيضانية إلى أن تمكنوا من التسجيل في دائرة النوارة الزنجية (مرسوم 27 يونيه سنة 1916)؛ وقد بلغت بهم الجرأة حدّ طلب الارتباط بنيورو لأن حاكم هذا المركز الواقع على مسافة تزيد عن 300 كلم من مواقع مخيماتهم المألوفة، والمزود باثني عشر فارسا من الحراس فقط لن يستطيع أن يمارس عليهم أية رقابة.

واليوم يتم حكم مشظوف بواسطة موظف مدني منتدب من النوارة يرتحل خلال بضعة شهور من العام معهم؛ وقد أعطى هذا التنظيم نتائج طيبة بفضل القيمة الفردية ومهارة مختلف الإداريين الذين قاموا بهذه الوظيفة في امتطاء الإبل ورغم ذلك يظل الوضع اصطناعيا تماما، لأن الموظف السيار لدى مشظوف لا يعيش ولا يستطيع أن يقوم بوظيفته كما يجب إلا بفضل المجاملات المختلفة والمستديمة التي تقوم بها سلطة النعمة ــ ولاتة.

ومن ناحية أخرى فإن مشظوف مهما كان ما لديهم من عتاد لا يمكن حمايتهم بصورة ناجعة إلا من جانب سرية الهجانة في النعمة، ولن تكون إدارتهم لائقة إلا من طرف سلطة هذه الدائرة، ومهما كانت مراودتهم التملص من كل تكليف، ومهما كانت الدائرة التي ارتبطوا بها نتيجة ضعفنا الذي لا يغتفر، أو تلك التي سيرتبطون بها فيجب عليهم دائما أن يساهموا في تموين الوحدات العسكرية التي لا غنى عنها في كل من النعمة وولاتة.

وضمن هذه الشروط فإن الحل البديهي هو عودة مشظوف إلى النعمة إداريا (24) وذلك ما نادى به الاختصاصيون وكل الموظفين المدنيين والعسكريين الذين مروا بالساحل والحوض.

ويضم اتحاد قبيلة مشظوف مجموعتين كبيرتين هما أولاد محم ولوليدات. ومع ذلك فهم لا يظهرون على هذه الصورة حاليا، فقد تم لهم توزيع إداري آخر، إذ قام العقيد مانجو أول حاكم إداري لدائرة ولاتة في الأول من يناير سنة 1914 بتنظيم قيادهم على الأسس التالية:

"إنّ علي محمود رئيس مشظوف هو الوحيد المسؤول عما يجري في قبيلته، فيقدم إلى السلطات الفرنسية ويعرض عليها أسماء رؤساء الأفخاذ الذين يريد تعيينهم في حالة شغور المناصب، ويقوم بتسوية النزاعات الصغيرة في قبيلته. ويدخل ضمن صلاحياته توزيع الطلبات المقدمة من الإدارة للحصول على الأغنام والجمال بين أفخاذ قبيلته، وبصورة عامة يقوم بكل ما هو ضروري لتأمين حسن إدارة

(24) ــ لقد جرى ربط مشظوف إداريا بدائرة النعمة ــ ولاتة في سنة 1918. المؤلف

ومن المرغوب فيه وذلك لمصلحة الإدارة أن تُرسل إليه قبل شهر ونصف كل طلبات الماشية والأدوات لكي يسهل عليه توزيعها بين مختلف الأفخاذ التي تدفعها. وسيكون من المفيد إجبار كل هؤلاء الرؤساء، وبعض الوجهاء الآخرين على الإقامة معه طيلة السنة."

وبعد قليل من ذلك ظهر أنه من الضروري الإقرار بعجزه عن قيادة هذا الاتحاد القبلي الضخم. والواقع أنه يتمنى أن نشد عضده بإخوته الذين كان طموحهم يقلقه، ويخشى أن يلقى نهاية سيئة على أيديهم، وكان يرغب في الاكتفاء بمظاهر التكريم الخارجية وحدها، وعلى هذا الأساس تمت إعادة تنظيم القيادة بتوزيع اتحاد مشظوف إلى أربعة تجمعات يتم حكمها تحت السلطة العليا لعْلي محمود الرئيس العام، وذلك من قبل إخوته الثلاثة أحمدُ والمختار وسيدي مْحمد، ومن جانبه هو أيضا؛ وبعد تطبيق هذا النظام نشبت نزاعات لا طائل منها ناتجة عن الحب أو الكراهية الشخصية الحقيقية أو المفترضة. وقد طالبت التجمعات ذاتها في نهاية عام 1917 بإعادة التنظيم، وإجراء توزيع جديد للأفخاذ ضمن التجمعات الأربعة المذكورة آنفا. ولكن هذا التشكيل الجديد الذي يتم في دائرة مغلقة سيكون عديم الجدوى على وحدة القبيلة وحياتها؛ فقد يستتب السلام لمدة عامين أو ثلاثة، ثم يتكرر حدوث المشاكل ذاتها،. والمخرج الوحيد لهذا التطور هو بلا ريب التفكك الذاتي لهذا الاتحاد المشظوفي الاصطناعي.

2 ـ أهل المحيميد، الشخصيات الحالية

ـ علي محمود بن محمد محمود بن أحمد محمود أمير مشظوف، ولد حوالي 1872، ومع نشاطه القليل يخصص بعض الوقت للصيد أو لشرب الأتاي (25)، ولا يكون في غاية الغبطة إلا عندما يذهب إلى منطقة الأبيار لقنص المها، حيث يتخلص من كل هم إداري، وفضلا عن ذلك فهو فارس ماهر رغم ضخامة جسمه. ورغم أنه الرئيس العام للقبيلة فهو لا يكترث بغير تجمعه الخاص، وبذلك يسمح بنمو الاتجاهات الانفصالية لدى العديد من المخيمات التي التحقت في يوم ما بمشظوف، ولكنها لم تنصهر فيهم، وهذا ينطبق أساسا على تلك التي يقودها رجال كانوا سادة في الماضي، ويتطلعون اليوم للاستقلال الذاتي؛ وبصفته رئيس تجمع فهو يلاحظ بنفسه أن أفخاذه لا تُدار بحزم رغم أنه اختار أكثرها لينا، وهو يطالب بإلحاح في التوزيع الجديد الذي هو قيد الدراسة بأن يُعهد إليه بأكثر الأفخاذ فقرا لتجنب جباية الضرائب والمداراة والتموين، وعلى الرغم من كل شيء فلا يمكننا أن نـــــنكر

(25) ـ الأتاي هو المصطلح المستخدم بالفصحى والعامية لدى الموريتانيين إلى عهد قريب حيث أصبح "يعرب" بالشاي، وكلتاهما كلمان صينيتان، إحداهما لأهل الشمال والثانية لأهل الجنوب.

على علي محمود التقدير الكبير الذي يتمتع به في اتحاد مشظوف، وإن كانت سلطته أقل من ذلك فهو ممثل التقاليد الوراثية، وليس له منافسون أكفاء، ويملك لنفسه الحق الرباني في القيادة، ولهذا لا يكـون من المستغرب أن يحصل من أتباعه على أشياء قاسية جدا، بينما قد يمنعونه من أبسط الأشياء.

وما دام مشظوف متماسكين ومجتمعين تحت سلطته فيجب أن يظل سيدا عليهم وأن نراعي كرامته والتعامل معه كزعيم.

وتعود صلاتنا مع عْلي محمود لعام 1906 حيث ابتدأت بصورة رديئة لأنه كان موجودا في النيملان في معسكر خصومنا وجلب معه بندقية من هناك، وفي العام التالي عاد إلى تكّا نت ليحمل أموالا إلى مولاي إدريس إلا أنه ابتعد عنه، وعاد إلى الحوض لما وجد أن الريح لا تهب لمصلحة الشريف.

وغداة استلامه زمام القيادة أبدى رغبته في عقد علاقات صداقة معنا أكثر استمراراً، وبلغ الأمر به في عام 1919 أن يذهب بشكل رسمي إلى كولوبا لتحية الوالي ولطمأنته على وفائه، وقد كانت هذه الزيارة نقطة انطلاق لاحتلال الحوض. ووقف الأمير نوعا ما في البداية موقف المنعزل، وظهر أنه يقبل على مضض سلتطنا التي أصبحت واقعية، ومع الزمن أدرك مصالحه الخاصة واقترب منا.

وعْلي محمود هو أكثر الوجوه بروزا إن لم نقل أكثرها لطفاً في الساحل. وهو على علاقة مع كل القبائل المحـاربة والزاوية، وإذا كانت علاقاته فاترة مع أولاد الناصر فهو يعيش بود مع أولاد مْبارك و[أولاد] علوش، هذا على الرغم من ذكرياته القريبة جدا عن حروبه معهم، كما يتمتع بمنزلة سامية لدى الطوارق (تنچريچف .. الخ) في المنطقة البحرية من نهر النيجر.

وهو عرضة للضغط الشديد من حاشيته المباشرة؛ ولما كان لين الطبع، فهو يسمح بالانقياد لمستشاريه الأثيرين لديه، وأبرزهم عبد الوهاب بن سْويدات القلاوي (أولاد موسى) فهو والد زوجة محمد المختار (الأمير السابق) ووزيره، وعلى علاقات معنا منذ بداية الاحتلال، ويقطن أحيانا في كَونبُ حيث يمارس نفوذه، وأحمد سالم بن الكيمي صديقه الحميم ورفيقه بالنيملان، وهو رجل شديد الخطورة [على العلاقات بالفرنسيين].

ـ أحمدُ بن محمد محمود أخو الأمير عْلي محمود لأبيه، ولد حوالي 1880، ويعتبر نفسه خلفاً محتملا لأخيه؛ وقد اشترك مع إخوته في الصراع على السلطة؛ وفي فترة احتلال الحوْض ظل قدر استطاعته منعزلا عنا، ولم يخرج من تلك العزلة إلا عندما خاف من أن يسبب له ذلك المصاعب؛ ومن تسلسل الأفكار هذا نجد أنه كانت لتوقيف محمد بن عَبْدوكَه زعيم أهل سيدي في سنة 1912 نتائج طيبة.

وأحمدُ رجل ذكي ومؤدب، ويبدو بالأحرى زاويا ودبلوماسيا أكثر منه محاربا، وقد برهن على ذلك في الواقع خلال زياراته لكولوبا ودكار؛ ولما كان أكثر جرأة من علّي محمود فإن له تأثيرا حقيقيا عليه، ولا يتردد في إحباط مشاريعه، وهو في الواقع على قدر من المرونة، ولا يذعن إلا عندما لا يستطيع غير ذلك، وهو رجل طويل القامة ووسيم، وبسبب مرض أصابه في مقتبل عمره يظل تحت الخيمة لمدة طويلة، وهو رئيس التجمع الثاني لمشظوف (26).

ـ المختار بن محمد محمود ولد حوالي 1882 وأمه ناصرية مما يشكل هنا وضعا أرستقراطياً. وقد اشترك مع إخوته في مختلف الصراعات السياسية منذ سنة 1896، وفي عام 1908 أيضا برز اسمه إلى جانب ابن عمه المختار بن محمد المختار في اغتيال الولي قائد حملة من أولاد بالسبع، وذلك بعد وقت قصير من تقديم الولي هذا خضوعه للعقيد رولى Roulet . والمختار رجل ناعم ذكي سريع الحركة، وقد برهن دائما على استقلال أكيد؛ وفي البداية أظهر عداوة سافرة لقواتنا ثم تبدل موقفه نحو الأفضل منذ بضعة أعوام، ومن المؤكد أنه رجل حاد الذكاء، وربما أكثرهم فروسية في الحرب، ولما كان على علاقات مع كل زعماء الحوض الذين يحترمونه فقد خدم أخاه سياسيا في بعض الأحيان.

ـ سيدي مْحمد بن محمد محمود ثالث الإخوة، وقد ولد حوالي 1884، وأمه جارية، وهذا ما يقلل من قيمته بعض الشيء (27)؛ وهو رجل هادئ متزن يكرهُ المغامرات ذكي ونشيط، وقد اقترب منا منذ أول يوم. وفي عام 1912 كان دائما يخدم كوسيط بين أخيه زعيم مشظوف الذي يركن إليه وبيننا، وهو رجل محبوب جدا ومحترم جدا من جانب مشظوف لأنه كما يقولون "يعرف كيف يتحدث للفرنسيين". ويلعب سيدي مْحمد نوعاً ما دور الزاوي، ولكنه ككل إخوته رجل طموح لا يخلو من التطلع لخلافة علّي محمود. ويقود سيدي مْحمد التجمع الرابع من مشظوف. أما آخر أولاد محمد محمود فهما لبّات المولود حوالي 1890 وأحمد الذي ولد حوالي 1892 .

ولا يمكن إنهاء هذه النبذة المخصصة لأهل المحيميد دون الإشارة إلى الاتجاه نحو توسع أكيد في المزروعات، ولا يهتم الأمير نفسه بذلك إطلاقا لأنه لا يغادر منطقة الأبيار أبداً، ولكن إخوته الثلاثة يحاولون إنشاء قرى زراعية في شمال الخط المتجه من بلّه إلى كاساكارى في

---

(26) ـ تولى الرئاسة العامة لمشظوف بعد علّي محمود أخوه أحمدُ ثم بعده أخوه المختار حيث كان الأخير منهم قبل الغائها إداريا.

(27) ـ قد يكون هذا ما يتصوره المؤلف، أما في المجتمع الموريتاني والإسلامي بشكل عام فهذا القول غير صادق.

منطقة تبدو اليوم مهجورة، ولكن آثارا كثيرة توجد بها، وعلى الخصوص أطلال ما يُعتقد أنه بقايا غانة القديمة؛ ويرسلون لتلك المنطقة في كل عام عمالهم الذين يقومون بتحديد مناطق زراعية، ويبذرون الحبوب ويشيدون لأنفسهم الأكواخ، ويلقون تشجيعا في ذلك من جانب الإدارة.

3 ـ التوزيع

إذا تركنا لحمنات جانبا، وهم موضوع الفصل القادم، فإن اتحاد مشظوف يضم كما سبق أن رأينا التجمعين الكبيرين أولاد محم ولوليدات.

أ ـ أولاد محم، وينقسمون فرعيا إلى تسعة عشر فخذا وهي:

(أ) الحلّة
(ب) أهل المحيميد
(ج) أهل إبراهيم
(د) أهل المختار بن إبراهيم
(هـ) أهل حماد
(د) المساسگه
(ز) أهل عمر
(ح) أهل موسى
(ط) أهل بْريك
(ي) المزاوير
(ك) أولاد سالة (تميدات)
(م) النبيطات
(ن) المغاغطه
(س) العتاريس
(ع) أخوال علي
(ف) أهل الشّماتة
(ص) أولاد خيرة
(ق) أهل سيدي

(أ) الحلّة، وهي كما يشير الاسم مخيم مشظوف الأميري، والفريق الخاص بعلي محمود وأولاده وخدمه، ويضم مجموعا قدره 141 خيمة، ويملك العديد من قطعان الإبل والأبقار والأغنام.

وينبغي أن نذكر في عداد الأفخاذ الصغيرة التي اجتذبها ظلّ هذا الزعيم: أهل علي محمود والتوابير الذين كانوا تابعين لأولاد مبارك، وهم مبعثرون في كل مكان حيث توزعوا بين علي محمود وعثمان بن سيدي بن عثمان رئيس [أولاد] غيلان ولاتة (28) كما تضم الحلة أيضا أهل محمد بن سيدي محمود وأهل أحمد بن المختار الشيخ وأهل أحمد بن الطلبة وأهل المختار بن محمد المختار (خمس خيام) الذين هم أهل علم، وهم من شرفاء تشيت قدّموا

(28) ـ ساهم عثمان بن سيدي بن عثمان في عمليات أهل الكدية ضد الفرنسيين قبل أن ينضم إليهم، ويصبح قائدا لمجموعة مساعدة للقوات الفرنسية تضم أتباعه، وقد انتقل بعد ذلك إلى تيجكجة حيث صار رئيس مجموعة أهل عثمان، توفي سنة 1957. انظر تاريخ ولاتة.

خضوعهم للعقيد روليى في عام 1912، وطلبوا أن يُلحقوا بفخذ الأمير. وأهل ديُـــو وأهـل زگرار وبعض من طلبة أولاد الناصر يضمون أهل أعمر طالب وأهل سيدي أعمر وأهل عبـد الوهاب وأولاد الناصر الخلص الذين تبدو عليهم هنا علامات الاغتراب، وينقسمون إلى أهـل يحيى وأهل الإمام وأهل الطالب عمر الذين انفصلوا عن أهل حمّان فـي سـنة 1912، كمـا سنرى فيما بعد، وأخيرا حراطين أهل المحيميد.

(ب) أهل المحيميد، ويتألفون من مخيمات إخوة الأمير الثلاثة وهم مخيم أحمدُ الذي يضـم 95 خيمة منهم أهل الشريف المختار (الذين هم من تشيت، وذكرناهم من قبل).

ومخيم المختار الذي يحتوي على 71 خيمة، ومخيم سيدي مْحمد الذي يحـوي علـى 33 خيمة، هذا بالإضافة إلى 19 خيمة من إيوبّاتن انضمت إليهم منذ بعض الوقت.

ويملك أهل المحيميد ماشية عديدة وغنية من كل نوع، إبل وأبقار وماشية صغـيرة، كمـا يملكون الكثير من الخيل مثل معظم مشظوف، والعديد من هذه الخيول ذات شهرة فـي كـل الساحل، وهي خيول أصيلة لها أنساب محفوظة.

وإذا أخذنا الكلمة بمفهومها الكامل كما فعلنا في أكثر من مرة فإن حلّة عْلي محمود هـي أهل المحيميد.

(ج) أهل إبراهيم، وهم من أصل مشـظوفي خالص من ذرية عْلي بن إبراهيم بن محم بـن بگو، وقد طلب رئيسهم الذي يقارب المئة عام من العمر الاستقالة في سنة 1916، وهو أحمد بن الأمين بن ويس بن أحمد گجمول بن عْلي بن إبراهيم؛ وقد حل مكانه بيّه بـن عمـران. ويشتمل أهل إبراهيم على 62 خيمة، وهم أغنياء بالإبل والاغنام ولكنهم لا يملكـون سـوى القليل من البقر.

(د) أهل المختار بن إبراهيم، وهم من أصل مشظوفي نقي، وينتسبون إلى المختـار بـن إبراهيم بن محم بن بگو، كما يظهر من نسب رئيسهم محمود بن بابا بن لبات بن المختـار، وقد حل مكان أخيه لبّات المتوفى في سنة 1914، ويضمون 42 خيمة.

(هـ) أهل حماد، وهم من أصل مشظوفي نقي، إذ ينحدرون من حماد بن محم بن بگو، وينقسمون فرعيا إلى أهل حميد (54 خيمة) وأهل آكّه (24 خيمة) وأهل باتي (9 خيام) وأهـل بوكَميَه (14 خيمة) وأهل شهاد (16 خيمة) أي مجموع قدره 107 خيمـة؛ ويرتحلـون فـي الفصل الجاف إلى الخط وبيره وتشيت، وفي فصل الأمطار إلى عين درنه، ويملكون الـعديد من القطعان. ورئيسهم هو گسوم بن بابا بن حميد بن سيدي محمد بن حمـاد، وهـو مـن الأغنياء، ويتمتع بالسلطة على أتباعه.

(و) المساسگه، وهم من أصل مشظوفي نقي، وينحدرون من مساگ بن محـم بـن بگو؛ ورئيسهم الحالي الذي أعقب في سنة 1916 يوگه بن مْخيطرات، هو النابغة بن محمـد بـن

كنكاري [نسبة إلى منطقة] (كونياكيري المولود فيها) بن ويس .. بن مساگ؛ وينقسمون إلى ثلاثة أفخاذ فرعية: أهل بوشيبة الأوائل (54 خيمة)، أهل بوشيبة اللاحقين (38 خيمة)، أهل محمدٌ (15 خيمة) ولم يستعيدوا كيانهم إلا في نهاية سنة 1914 بناء على طلب علي محمود؛ وقبل وصولنا للبلاد كان لكل فخذ استقلاله.

ويرتحل المساسگه في فصل الأمطار إلى الرّق ومنطقة الابيار، وفي الفصل الجاف إلى الخط، وهم لا يملكون سوى القليل من الأبقار مقابل العديد من قطعان الإبل والأغنام.

(ز) أهل عمر، وهم من أصل مشظوفي صميم، ينحدرون من عمر بن بگو، ومن زوجته حْويريه المشظوفية؛ وهذا مثلا نسب زعيمهم محمد بن سيدي بن گجمول بن سيدي بن ماما بن علي ماصه بن عمر بن بگو.

ويشتمل أهل عمر على 50 خيمة، ويرتحلون في فصل الأمطار إلى انْولْ ودَّه، وفي الفصل الجاف بين النعمة وبوري، ولا يملكون سوى القليل من الأبقار، والكثير من قطعان الأغنام والإبل.

(ح) أهل موسى، وهم من أصل مشظوفي نقي، فهم أحفاد عبد الله بن بگو، وعلي الأعمش بن موسى بن بگو، وهذا مثلا نسب رئيسهم سيدي محمد بن سيدي حرمة بن محمد مْبارك بن محمد بن مْبارك بن عبد الله بن بگو؛ ونسل عبد الله ممثّل اليوم بأهل سدّوم في حين يتمثل نسل الأعمش في أهل الأعمش، ويوجد تنافس بين التجمعين حيث يشكل أهل الأعمش معارضة للرئيس سيدي محمد، وهو رئيس ذو عقل رزين وهادئ، وله ابن اسمه سيدي حرمة شديد الذكاء.

وينقسم أهل موسى فرعيا إلى أربعة أفخاذ هي أهل سدّوم وهم 100 خيمة وأهل الأعمش ويضمون أهل علي الصغير وأهل أعمر بن عْلي وعددهم 81 خيمة وحراطين أهل مْبيريكات ويضمون 59 خيمة وأهل ليبو ويضمون 41 خيمة.

وينحدر أهل ليبو من رجل يُدعى تَبيْتْ من إدوعيش جاء ليقيم بين أهل موسى. وكانوا ينتجعون سابقا في فصل الأمطار في الظهر، وفي الفصل الجاف في انيوط وجيگه وتوك، ويتبعون حاليا أهل المحيميد، وهم أغنياء بالإبل والأغنام، لكنهم لا يملكون أبقارا.

(ط) أهل بريك، وهم من أصل مشظوفي نقي من ذرية بريك بن عبد الله بن بگو من ذرية حويرية المشظوفية، وهذا مثلا نسب رئيسهم گسوم بن محمد المختار بن أحمد بن سويدي بن أحمد .. بن بريك.

وأهل بريك ممزقون منذ بضعة أجيال بفعل فتن داخلية، فأهل الروظي ــ وهم مخيم من فخذ أهل عبد الله بن بگو ــ كانوا دوما يعارضون رؤساءهم بدعم أهل المحيميد.

في مارس سنة 1915 قام گسوم للتخلص من هذه الصعوبات بالحكم على محمد الشيخ بن الروظي وثمانية آخرين من الوجهاء بعقوبات سجن مختلفة، وعلى أثر ذلك قام علي محمود بتقسيم أهل بريك إلى فخذين رئيس أحدهما لبات أخو گسوم، والآخر في يد المختار بن محمد محمود شخصيا ضمن التجمع الذي يقوده. وفي مايه سنة 1915 اعترف گسوم بأخطائه وقدم التماسا في هذا الموضوع أمام قاضي ولاتة، ومنذ ذلك الوقت أعيدت إليه قيادته لأنه الوحيد القادر على ممارستها بصورة ناجعة.

وينقسم أهل بريك إلى أربعة أفخاذ فرعية هي أهل أحمد بن سويدي أحمد، وهم 86 خيمة وأهل عبد الله بن بگو وهم 44 خيمة وأهل عبدوكه (أهل بگو) وهم 26 خيمة وأهل خينا وهم سبع خيام. ويشكلون إجمالا 163 خيمة، وهم أغنياء بالإبل والأغنام ولا يملكون تقريبا أي شيء من الأبقار.

(ي) المزاوير، وهم ليسوا من أصل مشظوفي، بل ينحدرون من شريف يدعى [سيدي] مزوار لا نعرف عنه سوى أنه وفد من منطقة مراكش، حيث لا يزال له هناك أبناء عمومة، وهم "بنو يعلى". واسمه الحقيقي ميمون بن حيدرة بن المهدي محمد بن عبد الله الكامل بن إدريس، وكان معروفا تحت اسم سيدي مزوار.

وقد وفد من مراكش إلى تگانت حيث كان مشظوف يقيمون وسكن معهم، وكان ذلك في بداية القرن الثاني عشر. وله من زواجه في مشظوف من امرأة واحدة أو أكثر ثلاثة أبناء هم: علاية وأبوبكر وعمر بوسيف، ولكل منهم أبناء وأحفاد هم أجداد البطون الفرعية للمزاوير، ومنهم جلفون بن علاية جد أهل جلفون وحماد وچيبابا بن بوبكر جد أهل أحمدُ، والتلمودي والقاضي بن عمر جدا أهل التلمودي وأهل القاضي؛ وينبغي أن نضيف إلى هذه البطون السبعة الفرعية:

(1) ــ أهل الفراح، وهم مجموعة منشقة على أهل أحمدُ أصبحوا مستقلين، وجدهم الفراح هو بالفعل ابن أحمدُ، لكنه انفصل عن إخوته.

(2) ــ أهل بريكينّه، وهم أخلاط من أشتات الناس التحقوا بلحمنات ثم بكنتة، وأخيرا بمشظوف، وبعضهم عاد الآن إلى لحمنّات.

أما على الصعيد الإداري فقد تم ضم هذه الأفخاذ الفرعية التسعة إلى أربع وحدات هي:

(1) ــ أهل حمّاد وأهل جلفون وأهل القاضي ويضمون 108 خيمة.

(2) ــ أهل الجيرب، ويضمون 32 خيمة.

(3) ــ أهل چيبابا (أهل بريكينّه وأهل أحمدُ) ويضمون 67 خيمة.

(4) ــ أهل التلمودي (أهل الفراح) ويضمون 50 خيمة.

والرئيس العام لهذا الفخذ هو محمد الأمين بن أحمد بن علي بن جلفون بن غلاية بن سيدي مزوار، وقد ولد حوالي 1850، ولتقدمه في السن صار يساعده ابنه محمد الذي يتمتع بالسلطة الفعلية؛ ورئيس الفرع الثاني من الفخذ الأكثر بروزا هو عْلي الملقب أُماقيس، وهو رئيس أهل التلمودي.

ويؤلف أشراف المزاوير تجمعا من الزوايا الذين برهنوا أكثر من مرة على عدائهم لنا؛ ويملكون الكثير من الإبل والأغنام، ولكن ليست لديهم أبقار.

(ك) أولاد سالة، ويُقصد بهذا الاسم فرعان كبيران من قبيلة مشظوف، هما أولاد سالة تميدات وأولاد سالة الحوض، وهما من أصول مختلفة.

وينتسب أولاد سالة تميدات إلى رجل يُدعى تميد من أصل مجهول، إلا أن أمه كانت من أولاد غيلان، وكان أيضا يُدعى حيمّاسه، وقد رزق تميد هذا بولد هو عثمان، وهو أول من قدم إلى الحوض من هذا الفخذ، ووجد فيه أولاد سالة الحوض الذين كانوا قد سبقوه، فتزوج من إحدى بناتهم، وعاش بمخيّمه على هامشهم؛ وأطلقت على أولاده تسمية أولاد سالة تميدات لتميزهم عن أخوالهم.

وينقسم أولاد سالة تميدات إلى سبعة أفخاذ ثانوية هي:

أهل المحجوب	144 خيمة
أهل الأقرع (أو أهل العيور)	70 خيمة
أهل اعليوته	37 خيمة
أهل التويرگي	30 خيمة
أهل علي بن عبد الرحمن	36 خيمة
أهل عيسى	64 خيمة
أهل مْسيعيد	158 خيمة

وهم إجمالا 539 خيمة.

وقد جاء أهل المحيجيب وهم عبارة عن فخذ صغير من أولاد سالة الحوض ليندمجوا في تميدات، وارتبطوا بهم إداريا منذ بعض الوقت، ويشملون 38 خيمة بقيادة عْلي بن المحيجيب.

وقد أصبح أولاد سالة تميدات منذ 20 يناير سنة 1914 تحت قيادة أحمد سالم بن الكيمي، وهو رجل ذكي له سلطة حقيقة على هذا الفخذ الكبير.

وكانت أسرته على سوء تفاهم نوعا ما مع أهل المحيميد، وقد لمع نجم أحمد سالم المولود حوالي عام 1870 في النيملان (1906) إلى جانب عْلي محمود في الصراع ضدنا،

وهو زعيم شرس يمكن أن يكون خطرا علينا بسبب عدائه السابق؛ وفي سنة 1912 كان بطل المقاومة المكشوفة، وبعد ذلك التاريخ كف عن أية مقاومة.

ويرتحل أولاد سالة تميدات في الفصل الجاف في باقنه، أما في فصل الأمطار فيصعدون نحو الرق وعين درنه، ويملكون الكثير من الإبل والأغنام والقليل جدا من البقر.

(ل) أولاد سالة الحوض وهم من إدوعلي شنقيط، ويقولون إن جدهم الأعلى يبني، مدفون في شنقيط، وقد وفد حفيده مسعود إلى تگانت، وصادف فيه مشظوف وأسس فيهم أسرته، وأطلق على ذريته اسم أولاد سالة وذلك لعادتهم في كثرة السؤال [!] .

وصحب أولاد سالة مشظوف في أول هجرة لهم إلى الحوض، وعندما تراجعوا نحو تگانت عاد معهم أولاد سالة تميدات بينما لم يعد الذين هم من إدَوعَلي، ولهذا ظلت عبارة الحوض مرتبطة بهم.

وينقسم أولاد سالة الحوض إلى عدد كبير من المخيمات هي أهل الشيخ بن إبراهيم وأهل عْليّوه بن علي وأهل بكار وأهل التويزير وأهل الواطي وأهل اڤري وأهل بلات وأهل زنفور، ويضاف إليهم فخذ مؤلف من 15 خيمة من أولاد بالسبع، ورئيسهم هو أحمد سلوم بن إبراهيم، وقد تم جمعهم إداريا في أربعة أفخاذ ثانوية هي:

أهل أحمد	76 خيمة
أهل بلات	74 خيمة
أهل التويزير	33 خيمة

أهل محجوب الحمود 48 خيمة أي مجموعٌ يبلغ 231 خيمة.

ولهذا الفخذ رئيس عام هو أحمد بن عليّوه بن علي غير أن هذا الفخذ الغني بالإبل والأغنام لا يملك سوى قليل من الأبقار.

(م) النبيطات، وهم من أصل مشظوفي صميم، وقد سبق أن رأينا في البداية أن النبيط كان أخا لمشظوف، وأنه زوّج ابنته لبوهماد، وبذلك دخل في تاريخ الحوض كجد لمشظوف من طرف الأم وعمّ للحمنات، وقد رزق بعدة أبناء. وهذا نسب رئيس الفخذ النقرة بن الذهبي بن سيدي علي بن الكبير بن أحمد بن نغفه بن النبيط، وهو رجل منفتح لديه سلطة كبيرة على جماعته ويمارس شيئا ما التجارة.

وترك أحمد بن نغفه ذكرى رجل دين صالح ورئيس ذي سلطة بارزة، وقد دفن في [وادي] تنبريهم في تگانت، ويحظى قبره بالاحترام. وينقسم النبيطات إلى سبعة أفخاذ فرعية هي:

أهل عبد الوهاب	74 خيمة
السمادة	46 خيمة
درنــــان	60 خيمة

أهل أحمد نغفه	26 خيمة
إدزان	16 خيمة
أهل بوشلّه	23 خيمة
أهل الطالب بوبكر	26 خيمة

وهم إجمالا 271 خيمة.

ويشكل أهل الطالب بوبكر الذين يؤلفون اليوم وحدة إدارية على الصعيد السلالي جُزءاً من فخذ درنان، ويقيم بطن منهم على قدر من الأهمية هو أهل جغديد في انيسورو منذ 1914، وسنراه فيما بعد.

ويرتحل النبيطات في وادي چگراگه في فصل الأمطار، وفي سايله والمبروك وبحيرة في الفصل الجاف، ولديهم حقول مزروعة في عين زامه وإلى الغرب من توك، ويملكون الكثير من الماشية سواء من الابقار أو من الإبل والغنم.

(ن) المغاغطه، وهم ليسوا من أصل مشظوفي، بل ينتسبون إلى إدوعيش، وكانوا في النصف الأول من القرن التاسع عشر في كنتة، وكان أول من وفد منهم إلى هذه المنطقة حوالي 1850 رجلان هما الأعمش وإبراهيم؛ ولما قام مراد الغويزي رئيس أولاد الغويزي بقتل إبراهيم ذهب الأعمش شاكيا إلى أحمد محمود [بن المحيميد] الذي استغل الفرصة ليعلن الحرب على أولاد الغويزي ويقتل مراد (حوالي 1852)، وعلى أثر ذلك التحق الأعمش بأهل المحيميد.

ويؤلفون اليوم فخذا صغيرا يتشكل من 42 خيمة، ورئيسهم هو محمد بكار بن أعمر بن إبراهيم؛ ويرتحلون في الفصل الجاف في وادي چگراگه أو باتجاه كالومبا، أما في فصل الأمطار فيصعدون إلى انوابغال والرق؛ ويملكون الكثير من الأبقار والأغنام والقليل جدا من الإبل.

(س) العتاريس، ويعودون كذلك إلى أصل بعيد من إدوعيش، وهم محاربون جيدون، وجدهم يُدعى الطالب العتروس، وجاءه هذا اللقب لحبه للشجار(29)؛ وقد كان ثالث أحفاده الطالب عمر بن علي بن سيدي بن الطالب العتروس هو الأول الذي جاء إلى تگانت في زمن الأمير المختار بن المحيميد، والتحق بمشظوف (نهاية القرن 18)؛ وقد تم دفن الطالب عمر بحسي السبيخة في أفلّه.

---

(29) ـ العتروس بالحسانية فحل الماعز، وقد يعود ذلك إلى المبالغة في قوته. انظر مادة عترس في المعاجم.

ورئيس الفخذ اليوم هو المرابط بن نداو بن بُكر بن المختار بن الطالب عمر الــــذي حــل مكان والده المتوفى سنة 1915. ويضم العتاريس فخذيـــن هما أهل المخـتار الصغير وهـم 85 خيمة وأهل بوحو ويضمون 37 خيمة، أي مجموع قدره 122 خيمة؛ ولديهم ميل إلى حياة التدين، ولهذا السبب نراهم يقسّمون أنفسهم إلى طلبة وعرب؛ ويرتحلون في الفصــل الجاف في ادزيبه وفرع الكتان والتيشيليت، وفي فصل الأمطار يلحقون بنجعات مشظوف.

(ع) أخوال علي، وهم فخذ فرعي مؤلف من 38 خيمة من أصل غـــلاوي اندمجــوا فـــي مشظوف منذ قرن من الزمن، وزعيمهم هو ابّا بن سيدي علي بن سنويدي بن علي الآدمي؛ وسنويدي هذا هو الذي جاء في بداية القرن التاسع عشر ليقيم لدى مشظوف. وأخوال عـلي هم محاربون فقط، وليس فيهم زوايا، ولديهم أغنام وإبل ولا شيء من الأبقار.

(ف) أهل الشّماتة، وهم ليسوا من أصل مشطوفي، وينحدرون من الشّماتة بن مُبارك بن الجديد الذي كان يعتبر في عِداد أتباع أولاد مُبارك، ولُقب بهذا الاسم بســـبب غلظتــه مــع جيرانه؛ والرئيس الحالي لأهل الشّماتة هو محمد المختار بن أحمد محمود بن محيميــد بــن عمر بن الشّماتة، وقد جذبتهم إلى مشظوف سيطرتهم السياسية، وذلك في القـــرن التاســع عشر؛ ولأهل الشّماتة قطعان كبيرة من كل نوع من المواشي.

(ص) أولاد خيرة، وليسوا من أصــل مشظوفي ولكنهم لحقوا بهم منذ بضعة قرون، وأجدادهم من القبيلة العربية المعروفة [أولاد] داوُود [بن] محمد، ورئيسهم هو محمـــد بــن أوبك بن سيدي بن بريكة بن عمر بن علي بن خيرة الذي كان حفيدا بعيــدا لــداوُود [بــن] محمد؛ وهو رجل ذكي منفتح يرغب في فعل الخير.

وينقسم أولاد خيرة إلى ثلاثة بطون لم يكن لها من قبل رئيس واحد، وهي أهل بريك وهـم 36 خيمة وأهل محمد أحمد وهم 15 خيمة وأهل الطالب محم وهم 19 خيمة، أي مجموع قدره 70 خيمة ولديهم أبقار وإبل.

(ق) أهل سيدي، وهم من أصل مــشظوفي صميم، وينحدرون من سيدي بن محم بــن بگو؛ وقد انفصلوا أخيرا عن أولاد محم طبقا لاتجاهاتهم وميولهم في إقامة كيان منفرد لـــهم بصورة دائمة، ولمجاهرتهم بمعارضة أهل المحيميد. ولما كان أهل سيدي مشـــهورين بيــن سائر مشظوف بأنهم أكثر رجال الحرب بسالة كان من اللازم على أهل المحيميد قبول هـــذه الثــورة الضمنية أو الطاعة النسبية.

والعائلة التي يُختار منها الرئيس من الأفخاذ الثلاثة التي يتشكل منها أهل سيدي هي: أهل أحمد بن سيدي، وينحدرون من الأولاد الثلاثة لسيدي، أحمد وأوبك وأعمر (أو أعيمــر) بــن سيدي.

وعند ظهورنا في تنبكتو برز في القبيلة تياران متميزان الأول يديره المختار بن عبدوكه ويتطلع إلى العيش بسلام معنا والآخر يديره محمد بن عبدوكه عم الأول ويريد الحرب؛ وفي شتنبر سنة 1905، وعلى أثر مشاجرات نشبت بين محمد المختار بن محمد محمود وبين المختار بن عبدوكه قرر هذا الأخير ومن ورائه أنصارهُ أن يترك مشظوف؛ ويقدم خضوعه في منطقة رأس الماء؛ وقد شجعه على ذلك صديقه زعيم البرابيش سيدي محمد بن مُهمد.

وينصُّ عقد الخضوع الموقع في يناير سنة 1906 على أن يدفع أهل سيدي (المختار بن عبدوكه) مساهمة حربية مقدارها أربعة رؤوس من الإبل، وضريبة سنوية مقدارها ستة جمال مقابل حصولهم على الحق في الانتجاع في شمال وشرق رأس الماء. وعلى الرغم من وجود هذا البند فإن أهل سيدي ظلوا يذهبون إلى الغرب من باسكنو أي في مراعيهم السابقة؛ ولما عادوا بعدئذ إلى غدير باموما (20 كلم شمال غرب الأرنب) استأنفوا محاربة أولاد الناصر مع رئيس مشظوف ناسين تظلمهم القديم والأذى الذي أراد مشظوف إلحاقه بهم في العام السابق عندما أرسلوا حملات الغزو ضدهم. وقد استطاع المختار بن عبدوكه أن يفرض انطباعا رائعا على كل أولئك الذين كانوا يقدرونه حق قدره لأنه هو الذي ألقيت على عاتقه مهمة مواجهة الغزوات؛ وقد بلغ الأمر حدا دفع بالمسؤولين إلى التفكير بوضع الأفخاذ الأخرى المحاربة في رأس الماء مثل ترمز و[أولاد] علوش تحت إدارته، ولكن الظروف لم تسمح بتنفيذ ذلك.

وفي الوقت ذاته كان المختار يبذل جهده لكي يحصل من سيدي محمود بن المامي (وهو الذي كان ثائرا حينذاك) والذي كان رئيس أهل اوبك (بن سيدي) على استرداد الناس والحيوانات المنهوبة خلال الغزوات وكذلك على خضوعه لنا.

وفي شهر إبريل من عام 1908 برهن المختار بن عبدوكه أيضا عن نزاهته، وذلك بالقدوم لاستقبال رتل قوة لافيردير الذي وصل إلى تنبكتو مرورا بباسكنو ورافقه حتى النعمة، وبذل ما في وسعه أيضا للدعوة إلى الهدوء بين جماعات مشظوف.

وهكذا لم يتسبب احتلال الحوض في استثارة أي عداوة من جانب المختار، وقد تم تعيينه في سنة 1912 ليشغل مكان ابن عمه محمد الذي تم توقيفه ونفيه إلى [مستعمرة] غينيا، ومارس قيادته خلال أربعة أعوام، واشترك بصورة لامعة في معركة بئر البركة في 24 نونبر سنة 1913؛ وقد توفي في فبراير سنة 1916، ولحق به بعد بضعة شهور إلى مثواه الأخير ولده فاليلي، لكننا لن نجد لدى محمد بن عبدوكه رئيس الفرع الحربي الاستعدادات السلمية ذاتها.

وقبل قدومنا إلى الحوض كان محمد وأولاده ينصرفون إلى الصراعات الحربية المستمرة

في المنطقة، ففي عام 1911 فَتكُوا بأولاد ملّوك لسبب بسيط، وهو أنهم تجرءوا على سقي مواشيهم من غدير كان محمد قد أقام مخيمة على ضفته[!!].

وفي أعقاب احتلالنا ولاتة كان علينا حماية السكان الذين وضعوا أنفسهم تحت سلطتنا، وقد حاول محمد بن عبدوكه وأولاده حينئذ أن يتخلصوا من مراقبة كانت ترهقهم. وفي سنة 1912 استولوا على إبل تابعة لسرية ولاتة، وحاولوا جر مشظوف إلى ثورة عامة ضد سلطتنا. وتم توقيف محمد وإرساله إلى تنبكتو، ولكنه ظل يعلن أن اعتقاله ليس أكثر من نزهة صرفة لمشاهدة منازل الفرنسيين؛ وفي فبراير سنة 1913 كان هدفا لاقتراح بالاعتقال لمدة خمسة أعوام في سيكاسو.

غير أن الوالي العام [ويليام] پونتي Ponty [.W] ارتأى أن الاتهامات الموجهة إليه قد تشكل جرائم في الحق العام ولكنّ معظمها كان سابقا لاحتلالنا للبلاد، وبالتالي اعترف بعدم قدرته على تنفيذ هذا الاقتراح، ونصح بإحالته إلى محكمة الدائرة؛ ولما كانت تلك المحكمة في عجز عن جمع شهادات صحيحة لأن الشهود الوحيدين على تلك الجرائم هم من أنصار المتهم، فقد عجزت عن الحكم عليه؛ وفي أثناء ذلك شفع له قائد دائرة ولاتة الذي أثنى على الخدمات التي قام بها ابنه الزوين لمصلحتنا ولا سيما خلال معركة بئر البركة السالفة الذكر؛ ولهذا أعيد محمد إلى مضارب عشيرته في بداية عام 1914 وتوقفت عنه الملاحقة.

ولكن النتائج المؤلمة لهذا التدبير الرحيم لم تتأخر، فبعد عدة شهور استأنف محمد بن عبدوكه وأولادُه ممارسة أعمالهم المألوفة، وفي الوقت ذاته كانوا يعملون على بذر الكراهية بين مشظوف ومعاكسة التأثير الذي كان يقوم به رئيس القبيلة علي محمود؛ وبعد أن كان الكفاح ضدنا يجري بشكل سري خلال عامي 1914 و 1915 انتقل إلى العلن خلال الأيام الأولى من عام 1916.

ففي 12 يناير سنة 1916 جرى قتل حارس دائرة وأحد أفراد القوات المساعدة كان قد أُوفد إلى أهل سيدي لدعوتهم لوضع خيامهم تحت حماية مفرزة الهجانة، وكان ذلك في مخيم الرئيس[محمد] بن عبدوكه، وأعلنت كل أسرة أهل عبدوكه التمرد ومعها أكثر عناصر الفخذ ميولا للثورة.

وقد نادى محمد بالثورة في الحوض وحاول أن يحصل على تأييد مجموع مشظوف قائلا لهم بأن نية الفرنسيين هي تعريضهم وهم في مراعيهم لنهب أولاد غيلان أعدائهم القدامى، والذين تم تجنيد معظم القوات المساعدة منهم، لأنهم كانوا الفئة المحاربة الوحيدة في المنطقة التي اعتقدنا أنه باستطاعتنا الاعتماد عليها في فترة الاحتلال. وكانت التدابير التي اتخذتها السلطة لتوفير سلامة المال والأشخاص ــ مثل الالتزام المفروض على البيضان بتجميع قطعانهم على مقربة من قوات الهجانة لوضعها في منأى من الغزوات ــ تُفسّر من

جانب أولاد عبدوكه بأنها تمثل المزيد من المكائد الاستبدادية.

وهذه الدعاية المعادية تلقفها عدد من الآذان الصاغية بحيث أصبحت مطاردة الثوار عسيرة جدا علينا. وقد صم الكثير من البيضان آذانهم، وانقادوا لخطب محمد أو خافوا من تهديده باتخاذ عقوبات زجرية من جانبه، وفي حالة عدم الانضمام إليه والقيام بأعمال حربية ضدنا رضي محمد منهم بتقديم الأسلحة والذخائر والمؤن والمطايا والمأوى وإعطاء معلومات عن مسيرة قواتنا المكلفة بالمطاردة.

وقد تمادى أولاد عبدوكه وتشجعوا بفعل هذه الظروف ففاجأوا بتاريخ 6 فبراير قافلة البريد الذاهبة إلى تنبكتو واستولوا عليها. وفي 21 فبراير إلى الشمال من النعمة هاجموا قافلة تحمل أموالا موجهة من النّوارة إلى ولاتة، وقتلوا في 23 فبراير فريقا مؤلفا من ثمانية رماة وعريف كانوا عائدين من انيافونكه.

وقد تعرضوا لهزيمتين ألحقتهما بهم قواتنا بتاريخ 13 و14 مارس سنة 1916، كما تعرضوا لقوات "القوم" المكلفة بحماية ولاتة تحت أوامر النقيب كاربو Carbou ولمفرزة الهجانة القادمة من تشيت بقيادة النقيب ماركينى Marquenet وأدت هذه الهجمات إلى توزيعهم إلى عدة مجموعات صغيرة كان يقودها محمد بن عبدوكه والشيخ والزوين تعمل بين النّوارة والنعمة وعلى ضفاف نهر النيجر؛ ومرة، بينما كانت إحدى هذه المجموعات تحاول مباغتة قوة من حرس الدائرة قرب مركز النّوارة العسكري كانت أخرى تستولي في ليل 29 إلى 30 إبريل على مكتب التلغراف في بودوبادي حيث قتلت الجابي المحلي وابنه، وأتلفت خط التلغراف على مسافة طويلة نسبيا.

وبعد عدد من الصدامات التي كانت قواتنا خلالها تكبدهم خسائر كبيرة التجأ الثوار الذين انكمشوا واقتصر عددهم على محمد وابنيه وبعض الخدم إلى الشمال من منطقة چاچ؛ وبعد ملاحقتهم من هذا الجانب أيضا قرروا الالتحاق بمخيمات مشظوف محتسبين أنهم سيوفرون لهم الملجأ؛ وقد فضلوا التسليم بعد تلقي إنذار ظانين أنهم يستطيعون الاستفادة من معاملة رحيمة، وأقبلوا في مطلع يوليه ليدخلوا السجن في بله (30).

---

(30) ــ قضية أهل سيدي وزعمائهم أبناء عبدوكه محمد والزوين والشيخ شغلت الحوض والساحل وموريتانيا والمنطقة بأسرها، لأنها كانت ضمن المرحلة الثانية من إرهاصات المقاومة المسلحة التي عُرفت في ذلك الوقت بثورة "أهل الكدية" أي أهل تكانت وآدرار والعصابة وأفلّه والظهر. وكانت تغذّى من قبل المجموعات التي شاركت في المعارك التي جرت بتلك المناطق منذ سنة 1905 وساهمت فيها معظم القبائل البيضانية والطارقية على طول رقعة الأرض التي يسكنونها من جنوب المغرب شمالا حتى نهر النيجر جنوبا، ومن المحيط الاطلسي غربا حتى مستعمرة النيجر آنذاك شرقا. وقد هزت الاستعمار وكبدته خسائر معتبرة.

وعلى أثر هذه الوقائع تم الحكم على محمد بن عبدوكه ووليه الشيخ والزوين بموجب قرار صادر في 6 نونبر سنة 1916 باعتقال مدته عشرة أعوام يقضونه في لاكوتا في [مستعمرة] ساحل العاج. وما زال الشيخ هناك، أما والده وأخوه فقد قضيا نحبهما بسبب [مرض] فقر الدم والديزانانتاريا والزحار؛ فمات الأول في 2 فبراير والثاني في 12 منه سنة 1918 .

وبعد مناقشات عديدة اجتمع أهل سيدي تحت قيادة سيدي محمود بن المامي الذي سبق ذكره، وذلك في 16 من دجنبر سنة 1916؛ وسيدي محمود وهو مولود حوالي 1865 كان في البداية زعيم أهل أوبك بن سيدي. وهو زعيم طيب ولكنه عنيف ومستبد، ويُبدي تجاه أهل المحيميد معارضة مبالغا فيها، إلا أنه يعيش دائما على علاقات طيبة مع سيدي مْحمد بن محمد محمود، ولهذا السبب أُلحق أهل سيدي بتجمع أخي الأمير هذا؛ و[سيدي محمود] بن المامي رجل مسموع الكلمة جدا في مجالس وجهاء مشظوف، ولكنه لا يستغل ذلك ضدنا، وهو ما لا يمكننا رجاء أكثر منه من هذا العدو القديم.

ويؤلف أهل سيدي مجموعا قدره 293 خيمة، وينقسمون فرعيا إلى ثلاثة أفخاذ هي:

(1) ــ أهل أحمد بن سيدي، ويضمون أهل عبدوكه وأهل الفيل وأهل محمد بن الشين.

(2) ــ أهل أوبك بن سيدي ويضمون أهل أعيمرها وأهل ويس وأهل السالك وأهل المخيطير القيرع وأهل أحمد الكيحل وأهل عبدُ بن الصغير والمحافظة.

(3) ــ أهل عمر بن سيدي، ويضمون أهل الدلال وأهل مْخيطرات.

وأهل عبدوكه ضمن الفخذ الأول هم من أصل نقي، أما الباقون فهم "متجنسون"، أما أهل الفيل فيُعتقد أنهم من الزبيرات (أهل سيدي محمود) كما أن أهل محمد بن الشين من الاقلال.

أما في البطن الثاني فإن الأفخاذ الفرعية الأولى الخمسة منه هي التي من صميم أهل سيدي؛ وبالنسبة لأهل أحمد الكيحل فيعودون أصلا لأولاد سالة (تميدات) في حين ينتسب أهل عبدُ [بن] الصغير لأولاد نخلة في انيورو.

وينتجع أهل سيدي في الفصل الجاف في بوْبطيحة وتنواكر وذيبة وحْويرية وسايلة، وفي فصل الأمطار في الرّق ووادي چگراگه، ولا يملكون إلا نادرا الأبقار، ولكن لديهم قطعانا بديعة جدا من الإبل والاغنام والأفراس الحسان.

ب ــ لوليدات

يؤلف لوليدات التجمع السلالي الثاني من اتحاد مشظوف وينحدرون كما سبق أن قلنا من أبناء بگو الأربعة من زوجته الثانية مريم المشظوفية، وهم اعبله وعيسى وحماد والدبيبيز،

وقد مارس اعبله رئيس الفخذ باعتباره الابن البكر نوعا من الهيمنة المعنوية على مجموع لوليدات.

وكان سيدي أحمد بن إبراهيم والد الرئيس الحالي هو الرئيس الحقيقي ـ كما يقال للوليدات ـ بين 1860 و 1887، وهو العام الذي انشطرت فيه مشظوف، ولم يكن للرئيس الحالي سيدي في آخر الأمر من ميزة سوى أنه مستثنى من كل إتاوة تُقدّم لأهل المحيميد.

ولما كان نطاق نجعة لوليدات يمتد نحو الجنوب أكثر بكثير من نطاق نجعة أولاد محم، فقد أصبحوا مهجنين أكثر منهم؛ وبسبب احتكاكهم بنا واختلاطهم برعيتنا في الجنوب بصورة وثيقة، فهم أقل عداوة بكثير تجاهنا من إخوانهم الشماليين.

ويُعطى تفسير محلي حاذق لكلمة لوليدات هذه، ففي زمن الحروب الكبرى الغير معروفة بدقة كانت هناك ست قبائل من هذا المجموع تحمل كلها اسم أولاد ـ وهي أقل شيوعا هنا من اسم أهل أو ناس أو آل ـ مجتمعة في المعسكر (31) وهم أولاد ملّوك وأولاد عناني وأولاد ويس وأولاد علّول وأولاد الفاغي وأولاد ديات (والفخذان الأخيران هما الآن من التيجات).

وكانوا يلقبون آنئذ باسم لوليدات (تصغير أولاد) ومن ثم عُرفوا بهذا اللقب وحتى أنه انتقل إلى القبائل الأخرى من التجمع السلالي الذي لم يكن يحمل اسم أولاد.

ولوليدات يشملون أحد عشر فخذا هي:

(أ) العبلاّت	(ز) أولاد علّول
(ب) الجّنابجة	(ح) أهل خالد
(ج) الشوامات	(ط) أهل حمّان
(د) أولاد ملّوك	(ي) التجار
(هـ) أولاد عناني	(ك) المغاليش
(و) أولاد ويس	(ل) إگيارن

(أ) العبلاّت، هم من أصل مشظوفي صميم، ويلتحقون باعْبلّة الابن البكر لـ بگو من زوجته الثانية مريم المشظوفية؛ وهذه مثلا سلالة سيدي الرئيس الحالي لفخذ العبلاّت (وهي ناقصة دون شك) سيدي بن سيدي أحمد بن إبراهيم بن سيدي أحمد بن اعبله بن بگو، وقد جاء هذا اللقب من أمه المولودة في تشيت العبلّي؛ وسيدي مولود حوالي 1845، وكان يقوم مقامه أحيانا ابنه المحيميد، وكلاهما من الرؤساء الممتازين الأذكياء مسموعي الكلمة في مشظوف،

---

(31) ـ التفسير الشائع أن الأب كان يدعوهم "لوليدات" ربما "إرضاء" لزوجته الأولى المحظية لديه لأنهم أبناء ضرتها، وقد تكون التسمية من الشفقة عليهم أو حياء، وهو أكثر شيوعا.

ومن الذين لديهم حسن القيادة؛ كما يمثل سيدي عنصر النظام والسلام ضمن الاضطرابات المشظوفية؛ ولما كان على علاقات معنا منذ ظهورنا في الساحل فقد كان دائما نعم الجار.

وينقسم العبلاّت إلى تسعة بطون هي:

ـ أهل عيسى	66 خيمة
ـ أهل مْحيميد	44 خيمة
ـ أهل محم دينورات	43 خيمة
ـ أهل سيدي محمد ول لمبو	26 خيمة
ـ أهل بو نعمة	24 خيمة
ـ أهل عبد الرحمن بن لمبو	16 خيمة
ـ أهل اعبله	53 خيمة
ـ أهل حبيب	17 خيمة
ـ أهل أحمد تيجار	39 خيمة

أي إجمالا 289 خيمة.

وتجدر الإشارة إلى وجود أربع خيام ضمن أهل اعبلّه من أصل تركزي قدمت إليهم منذ خمسين عاما بعد زواج سيدي أحمد بن إبراهيم من امرأة تركزية. وبعد أن حصلوا على الترخيص بالعودة إلى المجرية إذا ما رغبوا في ذلك، ذهب بعضهم في شهر أغشت سنة 1914، ولكن أربع خيام بقيت حيث هي الآن، وهي من عائلة أهل أحمد إجيَد، ولا يزال عدد من الخيام التركزية موجودا في كل من الشومات وأهل سيدي والبريكات، وهناك شخصية منهم تستحق تنويها خاصا هي محمد بن عبد الله العتيق الذي هو زعيم أهل عيسى منذ 7 يونيه سنة 1915؛ ويملك العبلاّت الكثير من الإبل والأغنام والقليل من الأبقار.

وهناك حادثة محزنة جعلت قلوب العبلاّت تنفر منا، ففي شتنبر سنة 1893 استقر بعضهم في منطقة واسيبوگو مع جواز مرور خاطئ صادر من موظف الجباية في كاساكارى، غير أن سلطة انيورو لم تأخذ أي اعتبار لذلك وأُلقي القبض عليهم وعوقبوا، إلا أن هذه القضية أصبحت اليوم منسية.

(ب) الجَنابجة، ليسوا من أصل مشظوفي، وقد اشتق اسم جدهم جناب كما يقولون من تركيب كلمتي (جنّاب، جاء)؛ وقد قدم من منطقة مراكش قبل حوالي ثلاثة قرون من الزمن، وبعد أن سكن مخيم بگو اكتسب جنسية مشظوف؛ وهذا مثلا نسب رئيس القبيلة علي بن مْحيميد بن إبراهيم بن علي بن الأمين بن الگرگيل بن دحان بن دنبه بن جنّاب.

وينقسم الجَنابجة فرعيا اليوم إلى عدة بطون هي أهل ا گرگيل وأهل الناجم وأهل گيره والزواريگ وأهل الشباهين ولادم. والبطون الأولى وحدها هي التي من أصل جنبجي وهي:

أهل الناجم وأهل كيره المنتسبون إلى ابني جناب الناجم ودنبه؛ ويعيش قسم من أهل كيره في منطقة سُكولو؛ أما الزواريگ فهم حلفاء ينحدرون من حيب الله الزارگي الذي يعود أصلا إلى تكنة؛ وأهل الشباهين يعودون إلى الشباهين الذين يعيشون مع أولاد داوود في سُـــكولو؛ ولادمْ هم من حيث الأصل من قبيلة لاَدَمْ المعروفة، أما فخذ لمــغاليش الذي كان يؤلف جُزءاً من الجَنابجة حتى الأزمنة الأخيرة، فقد استرد استقلاله، والجميع يؤلفون ألف خيمة.

وقد انقسمت القبيلة بفعل نزاعاتها الداخلية، وبسبب المواجهة بين علي بن مْحيميد وأحمد بن عمر بن حسان رئيس أهل الناجم.

وإذا تركنا أهل گيره جانبا، والذين يَفرض عليهم انتجاعهم في الجنوب أن يكونـوا مـن مربي الأبقار، فإنّ الجَنابجة يملكون على الخصوص الإبل والأغنام، وينتجعون شـأن معظـم لوليدات في الفصل الجاف بمنطقة كوش، وفي فصل الأمطار في غديـر دنـداره وتَنكارتـان والعكلة والجويبية وچيگه؛ وقد ترك البعض منهم فيما مضى القبيلة كي يعيش بعيدا ضمـن مخيمات اشراتيت (إدوعيش) أو في منطقة امْبود أو ول علي بابي، ولكنهم عادوا لحظـيرة عشيرتهم جميعا منذ وقت قريب.

(ج) الشوَمات، ليسوا من أصل مشظوفي بل ينحدرون من رجل يدعى محمد بوشامة أصله من جنوب المغرب، وهو مع ذلك من بني خزيمة (شبه جـزيرة العرب). وقد جاء ليسكن في مخيمات أبناء بگو في القرن السابع عشر حيث كانوا يرتحلون حينذاك بيـن تگنيت وآدرار؛ وهذه مثلا سلالة رئيس القبيلة محمد بن سيدي محمود بن المختار الملقب بوقشابة بن محمد بن بومرفق بن عبد الرحمن بن بوشامة، وهناك روايات أخرى تنسب إلى بوشـامة أصـلا غيلانيا أو طرشانيا.

وقد كان الشومات يسيرون دوما مع لَحمنّات ولكنه على أثر إعادة تكوينهم لم يسـتطيعوا أن يستمروا في ذلك بسبب صعوبات داخلية؛ ويُعتبرون من أوائل مشـظوف الذيـن قدمـوا خضوعهم لنا، فقد وقّعوا معاهدة سلام منذ 21 يناير سنة 1907 كـي يسـتطيعوا اسـترداد القطعان التي صودرت منهم خلال حملة استطلاعية؛ ورئيسهم هو سيدي محمد بـن مولـود الذي كان سابقا معلم مدرسة، وهو من أشهر قضاة الحوض، وقد حـاولت بعـض الخيـام التخلص من سلطته كي تعيش مع تجمع أحمدُ بن محمد محمود؛ وينقسمون إلى ستة بطـون هي:

(1) أهل مْحيميد، رئيسهم هو ودّه بن عبد الله بن بوبّه، ويلتحقون بمْحيميـد بـن عبـد الرحمن بن بوشامة.

(2) الحديات، رئيسهم هو محمد بن سويدي أحمد، ويلتحقون بحْديّات بن بومرفق.

(3) أهل بوقشابة، رئيسهم هو سيدي محمد [بن مولود] (رئيس القبيلة كلّها)، وينحــدرون من محمد بن بومرفق، ويُعرفون أحيانا تحت اسم أهل بومرفق.

(4) أهل الوافي، رئيسهم هو عبدي بن محمد بن عبد الرحمن، وقد كانوا فيما مضى خيمة الرئاسة في الشومات، ولكن أهل بوقشابة انتزعوها منهم؛ وهم يلتحقون من حيــث النســب بالوافي بن الشوامي بن بوشامة.

(5) أهل سلّلْوان، رئيسهم هو بابا الزين بن عبد الرحمن، وهم ليسوا من ذرية بوشامة، بل من أصل ناصري، وقد أُطلق على جدهم لقب سَلّلْوان لأنه كان طويلا وهزيــلا كالثعبــان؛ وكان قد أقبل في القرن الثامن عشر على الشومات وتزوج منهم واستقر فيــهم. وينتســب رئيس هذا الفخذ إلى السلالة التالية: بوزين بن عبد الرحمن بن محيميد بن أحمد بن أحمد بن سللوان.

(6) أهل الجدّيد رئيسهم هو محمد المختار بن أحمد محمود، وقد انضموا إلى الشومات في سنة 1916 فقط بناء على طلب مستعجل، وكانوا يشكلون جزءا حتى ذلــك الوقــت مــن لحمنات، وقبل ذلك كانوا جزءا من كنتة. وجدهم هو مُبارك الملقب الجديد، وينقسمون فرعيــا إلى مخيمين أهل صالح ورئيسهم هو الطفيل بن إبراهيم بن مــحمد الجديد بــن نجــم بــن الجديد. وأهل الشّماتة، ورئيسهم هو محمد المختار بن أحمد محمود بن الشّماتة بن الجديــد، وهو الرئيس العام للبطن.

ويملك الشومات العديد من قطعان الإبل والأغنام، ولا يملكون من البقــر شــيئا، ويبلــغ تعدادهم الكلي 166 خيمة.

(د) أولاد ملّوك، ويشملون فخذين الكحل والبيض؛ ولكن أولاد ملّوك الكحل وحدهم يعودون لأصل ملّوكي صميم؛ وهذا نسب رئيسهم سيدي [بن] محمود بن أحمد الملقب سويري (نســبة لأمه سُويرة) بن عُبيد بن محمد بن الوافي بن المرابط بن محمد بن ملّوك. وملّوك هذا حسب الرواية هو المعروف جيدا في شجرة النسب الحسانية، وهو لدى البعض ابــن بركنــي جــد البراكنة، ولدى الآخرين حفيده عن طريق ابنه كروم. ويمكن اعتبار هذه الرواية صحيحة لأن الجميع مقر بأصلهم العربي الحساني بالرغم من تشكيك بعض الجيران، وعلــى الخصــوص مشظوف.

ولأولاد ملّوك البيض النسب ذاته الذي لأولاد ملّوك الكحل، وهذا على سبيل المثال نسب رئيسهم إبراهيم بن خيبوب بن أحمد بن إبراهيم بن تاكوبار بن محمد العمر بن محمد (الجــد المشترك للبيض والكحل) بن الوافي بن المرابط بن محمد بن ملّوك، غير أن هنــاك روايــة تقول إن أولاد ملّوك البيض هم من أصل لمتوني، وليسوا من المعقل، وعلى هذا يكون جدهــم المرابط لمتونيا جاء ليعيش لدى الملّوكيين الكحل فاستقر بينهم وتزوج منهم.

وتشابه اسمي الرجلين هو الذي سبب هذا الخلط؛ وعلى كل حال فإنه ممّا لا شك فيه أننا نجد هنا كما في الأمكنة الأخرى اختلاط الدم العربي والصنهاجي دون أن ننسى الدم الأسود.

وما هو صحيح أيضا أنه منذ قرنين على الأقل، كان أولاد ملّوك رفاقا لكنتة في الهجرة، وكانوا محسوبين ضمن صميم اتحادهم القبلي. وقد كانوا في تْوات وافترقوا عنهم على أثر شجار مع أقاربهم أولاد أعمر ملّوك الذين مكثوا هناك، ونجدهم في كنتة الحوض في القرن الثامن عشر؛ وقد حاربوا سوية ضد قبيلة كلنصر للاستيلاء على منطقة افاكَيبين؛ وعندما أدت الصراعات إلى تفرق كنتة حيث قصد بعضهم أزواد، وانكفأ أولاد بوسيف إلى تكَانت أنقسم أولاد ملّوك بدورهم إلى فريقين.

وقد ظل البعض من أولاد ملّوك في أزواد، وهاجروا فيما بعد نحو كَورمه، وهم الذين نجدهم فيها اليوم تحت تسمية كنتة، وذهب الآخرون باتجاه تكَانت تحت قيادة سويري [بن عبيد] وظلوا هناك؛ ومن بين هؤلاء قام تجمع صغير بالالتحاق بكنتة على أثر شجارات بين أخوين من [أولاد] ملّوك كما تقول الرواية، وقد تنازل أصغرهم عن الرئاسة، وكان معه أثناء ذهابه تلاميذه وجماعته، والتحق بمشظوف (القرن الثامن عشر)، وهاجروا معهم إلى منطقة الحوض تحت قيادة زعيمهم سيدي بن [محمود بن] سويري، وهؤلاء هم أولاد ملّوك (مشظوف)، ويتألفون من تجمعين هما الكحل والبيض المذكورين آنفا. ورئيس الكحل هو سيدي بن محمود، المشهور بسيدي بن سْويري، وهو الرئيس العام للقبيلة، وقد ولد حوالي 1875؛ أما والده محمود فقد كانت له شهرة من نوع آخر إذ عُرف بأنه كان أكبر الزعماء المحاربين في الساحل، ووضعت مكافآت عديدة لمن يأتي برأسه للسلطات الفرنسية في ولاية الساحل، وأصبح تسليمه أحد بنود شروط السلام المفروضة على الأمير محمد المختار [بن محمد محمود بن المحيميد] في شهر أكتوبر سنة 1898.

أما رئيس البيض فهو إبراهيم بن خيبوب الذي خلف والده المتوفى في 22 مارس سنة 1917 على أثر رفض الابن البكر محمد محمود بن خيبوب الخلافة؛ ويبدو هذا الفخذ شديد الانقسام على الصعيد الداخلي، وفضلا عن ذلك لا يخلو من جفوة مضمرة تجاه الكحل.

وينقسم أولاد ملّوك إداريا إلى عدة بطون هي:

أهل سيدي بن سويري	43 خيمة
أهل محمد بن سْويري	49 خيمة
أهل عمر	19 خيمة
أهل محمد بن عمر	79 خيمة

أي إجمالا 190 خيمة. ويضاف إلى أولاد ملّوك اليوم مخيم صغير هو أهل محمد الاصوب الذي انفصل عن كنتة في يناير سنة 1891.

ويملك أولاد ملّوك قطعانا عديدة من الإبل والأغنام ولا يملكون أبقـــارا؛ وتقـــع أراضـــي مراعيهم خلال الفصل الجاف في النوارة وانيلوكه و گيرل وبكاي وفدره وبوبوري وكُوصـــه ومديريكه، وتصل أغنامهم حتى سانساندينگ، وفي فصل الأمطار يقصـــدون دنـــداره وآبـــار بوخيب وعلب بُوعلي وشمال شرق چيگه، ولا ينفصلون في هذه الفترة عن بقية مشظوف.

(هـ) أولاد عناني، وهم كأولاد ويس من أصل داوودي وجعفري، وجدهم هـــو عنـــان أو عناني بن علاّتريه بن هداج بن جعفر بن داوود [بن] عروق؛ ويبدو أنهم قد عاشـــوا لـــدى الجعافرة في دائرة سُكولو لأن الرواية محفوظة جيدا لديهم ولا سيما لدى أهل محمد لقـــظف في حين تكون مطموسة لدى أولاد عناني أنفسهم.

وبما أن جدهم هاجر أواسط القرن السابع عشر فقد عاش بعض الوقت في الاقلال أولا، ثم استقر في مشظوف وتجنس فيهم، وفيما بعد لحق مخيمه بلوليدات، ولا سيما أهـــل المفـــرق والشومات حيث عقد معهم العديد من التحالفات والزيجات.

والرئيس الحالي هو محمد الشيخ بن عبد بن محمد المختار بن سيدي علي بن أوداعة بن الحسين بن محمد بن عنان، وبعد أن تم عزله في سنة 1916 وحل مكانه صهره بابا، أعيـــد إلى الزعامة من قبل أتباعه؛ ويشتمل أولاد عناني على 76 خيمة. وأولاد عناني هم منمـــون وتجار مسالمون يقومون بنقل وبيع الدخن الذي يحملونه من الجنوب إلى الشمال، فنجدهـــم في مناطق مورديه وبنبا وكولوكاني وبماكو وحتى على الضفة اليمنى للنهر [النيجر].

وفي سنة 1916 وعلى أثر ثورة أهل سيدي التجئوا إلى دائرة بماكو خشية أن ينالهم الأذى والعقاب، ولهم بعض المزروعات في تانبابوگو، ويملكون الكثير من الأغنام وقطيعا كبيرا من الأبقار، ويمنعهم سكناهم الموغل في الجنوب من اقـــتناء الإبل؛ ويرتحلون في فصل الأمطـــار بين مْبيديعية وتمرة وزميطه واسويلت ووربه والصّبطة وفاني، وعندما تكون البلاد هادئـــة يقصدون الرق وانول وادريس، وفي الفصلين البارد والجاف يقصـــدون كـــوش ويرتحلـــون جنوبا حتى تخوم دائرة بماكو دون أن يبلغوا النهر.

(و) أولاد ويس هم مثل أولاد عناني من أصل داوُودي وجعفري، وجدهم الأعلى ويس كان الأول الذي وفد إلى مشظوف، وينتسب إلى جعفر بن داوُود [بن] عروق، وإذن فـــهم عـــرب حـــسان، ورئيسهم الحالي هو خليل بن لـــبّات بن سيدي بن الطـــالب مختـــار بـــن ويـــس؛ ويتألفون من 44 خيمة، وهم أغنياء بالأغنام ولا يملكون سوى بعض الإبل وليســـت لديـــهم أبقار؛ ويرتحلون خلال فصل الأمطار في الرق ووادي چگراگه وفي الفصل الجاف يرتحلـــون بين چيگي وتنبدغه.

(ز) أولاد علّول هم من أصل مشظوفي نقي تقريبا، وتسرد الرواية أو الأسطورة أن علّول هو أخو بگو، أي ابنا لبوهمّاد، ومن المؤكد أنهم أقارب أهل حمّان، وسنرى فيما بعد تأكيدهم لذلك.

ويتزعم أولاد علّول عبداوة بن محمد التلمودي بن سيدي علي بن مبيريك .. بن علّول. ويشتملون على 120 خيمة، ولديهم الكثير من الغنم، والقليل من البقر والإبل.

(ح) الخلد ينطبق عليهم أصل أولاد علّول، وتجعلهم بعض الروايات ينحدرون من خالد بن بوهمّاد، وبذلك يُعتبرون مشظوفا من النواة الأولى، إلا انهم لا يتشبثون بهذا النسب.

وكانوا منقسمين في سنة 1917 إلى تجمعين:

<u>الأول</u> تحت قيادة محمد بن سيدي أحمد غالي، ويحمل اسم أهل إبراهيم، ويخيم في الفصل الجاف قرب سانفا في جنوب منطقة الساحل، ويضم 73 خيمة، وينقسم فرعيا إلى أهل الشيخ محمد وأهل الشيخ بن بوبّه وأهل الشيخ الطوالة وأهل الشيخ أحمد بن بوبّه وأهل علي بن عبد الرحمن.

<u>الثاني</u> يقوده علي بن سيدي، ويحمل اسم أهل أحمد سلّوم، ويخيم في الفصل الجاف في شمال بنگارو (بلّه) ، ويتوزع إلى أهل محمد بن سيدي المختار وأهل الجيلاني بن مولود وأهل الصديق بن سيدي وأهل فونات؛ وإجمالا هم 193 خيمة.

ورئيس القبيلة العام هو رئيس الفرع الثاني أيضا علي بن إبراهيم بن أحمد سلّوم بن سيدي بن خالد؛ وهناك منافسة بين هذين التجمعين؛ ويملك الخلد الكثير من الأغنام وعددا متوسطا من الأبقار وبعض الإبل.

(ط) أهل حمّان وهم أبناء عم أولاد علّول، ويزعمون أن جدهم الأعلى حمّان ينتسب إلى علّول أخي بگو حسب السلالة التالية حمّان بن أحمد بن محم بن آمجيج بن العجيب بن علّول ابن بو همّاد.

وقد كان لحمّان هذا أربعة أولاد هم: عمر وأحمد معلوم وعبد السلام ولبوك محمد، وقد أنجبوا أربعة من أفخاذ القبيلة، أما الفخذ الخامس وهم أهل عبدُ، فينحدر من آمجيج عن طريق عبدُ بن عمر بن محمد بن ويس الأصلع بن آمجيج. وقد كان ابنه عمر بن عبدُ هو الذي وفد على أهل حمّان وتزوج منهم.

وكما أن الأفخاذ الأربعة الأولى لها رئيس هو الابن البكر من ذرية الجد الأعلى كذلك فإن لأولاد عبدُ رئيساً هو محمدٌ بن سيدي المختار بن محمد المختار بن عبدُ، وهو ابن عم محمد الأمين بن سيدي المختار المعزول في سنة 1915.

أما الفخذ السادس أي أهل الطالب عمر فقد ترك أهل حمّان سنة 1915، وأصبح في عداد حلة علي محمود، ومع ذلك فلهم رئيس هو حسنا بن محمد إبراهيم الذي أعقب خطرة بن

العتيق المتوفى سنة 1916؛ والطالب عمر [جد المخيم] يعود أصلا إلى النبيطات (أهل ويـس) حيث أقبل على أهل حمّان وتزوج فيهم واستقر نهائيا؛ ويضمون اليوم 24 خيمة، وينقسمون إلى: أهل عمر بن حمّان وأهل أحمد المعلوم بن حمّان وأهل عبد السلام لَبّوك بن حمّان، وأهل محمد بن حمّان وأهل عبدُ، ويتآلفون من 61 خيمة.

ورئيس القبيلة منذ وفاة محمد محمود بن عمر سنة 1913، هو ابن عمه محمد الأمين بن عبد الفتاح بن عبد السلام لبوك الذي انتخب في 21 فبراير سنة 1914 بناء على ترشيح من علي محمود؛ وقد ولد محمد الأمين حوالي 1855، وهو رجل مثقف وورع جدا، وسنرى عمله في الفصل التالي؛ ويرتحلون في الفصل الجاف إلى چيگي والمبيديع وتنبدغه، وتذهب أغنامهم إلى كرطه، وفي فصل الأمطار يذهبون مع أهل المحيميد، ولديهم قطعان جميلة جدا من الإبل والأغنام والقليل من الأبقار.

(ي) التّجار وهي قبيلة كبيرة تضم 772 خيمة، وهم لا يمتّون بصلة القربى إلى مشظوف وهناك رواية جديدة تنسب لهم جميعا جدا مشتركا هو تاجر من ولاتة؛ وفي الحقيقة يبدو أن فخذ أولاد ديات هو وحده الذي يعدُّ من أصل تجاري صميم، أما الآخرون فهم مهاجرون أو متجنسون، ولكن مع الزمن حدثت زيجات عديدة، فانصهرت الأفخاذ الثلاثة مع بعضها، ويرغبون اليوم في أن يكون لهم أصل مشترك.

وتاجر رجل عربي ينحدر – كما تقول الرواية – من الأنصار وخاصة من ذرية عبد الله بن أبي بن سلول، وقد جاء إلى ولاتة في القرن السادس عشر ومارس فيها التجارة، وليس من المعروف ما إذا كانت كلمة تاجر هي اسمه أو مهنته، وبعد زواجه في ولاتة رزق بولده عمر الذي استمر في ممارسة تجارة والده، ودعته أعماله للإقامة في تگانت حيث استقر لدى مشظوف وتزوج منهم، وكان له ثلاثة أبناء هم: ديّه البهلول والفاغي والرويص الذين هم الأجداد الأعلوْن لثلاثة من أفخاذ التجار، هي أولاد ديّات وأولاد الفاغي والرويصات، وقد لحق بتاجر فيما بعد أخ أو ابن عم اسمه أحمد الدك جدّ الفخذ الرابع الدكوكات المحرف اليوم إلى إيدگوطات.

وفي مقابل هذه الرواية الصّادرة بصورة واضحة من جانب مثقفين، ينبغي أن نقدم الروايات المحلية المتداولة في الأفخاذ المعنية والأفخاذ المجاورة، وبحسبها فليس هناك من تجار حقيقيين سوى أولاد ديّات؛ وسيدي بن خيْ الزعيم الحالي هو الوحيد الذي يستطيع أن يعطينا نسبا لا ريب فيه حتى تاجر وهو سيدي بن خيّ بن محمد بن عَلي بن الشين بن محمد بن ديلود بن عمر بن ديّه بن عمر بن تاجر وهو الوحيد الذي لديه حقوق مشروعة في قيادة القبيلة، وفي الواقع لم يرتكب خطأ عندما أبرز حقوقه مع أو ضد أهل المحيميد مما جلب له معارضتهم الدائمة.

والتجار الذين تحكمهم خمية الرئاسة لدى أولاد ديّات ليس لهم الآن رئيس عام، وقد كان الرئيس قبل الأخير هو سيدي بن سليمان الذي قتل سنة 1912 على يد ابن عمه أحمد بن خيْ الذي دفَع شأن أخيه محمد الصغير حياته ثمنا لهذا الاغتيال، حيث أُعدما بأمر من الأمير؛ وكان سيدي بن سليمان قد عقد مع المختار بن عبدوكه زعيم أهل سيدي اتفاقا في يناير سنة 1914 بخصوص عدد من خيام التجار التي كانت مهاجرة في أهل سيدي، حيث أعيد له معظمها، وهم من التكوگات؛ وقد حل مكانه سيدي بن خيْ إلا أنه لم يعرف كيف يكسب محبة الناس بسبب فظاظته، فطلبت جماعة القبيلة في دجنبر سنة 1915 عزله لأنه انتزع منها عنوة العديد من الإبل ليقدمها لأصدقائه أولاد غيلان.

وفي الواقع فقد زوج أخته من عثمان بن سيدي بن عثمان رئيس فريق أولاد غيلان في ولاتة ومع ذلك ظل سيدي بن خي زعيماً لأولاد ديات.

وينقسم هذا الفخذ إلى سبعة بطون تضم إجمالا 271 خيمة وهي:

ـــ أهل علي بن الشين	69 خيمة
ـــ أهل مكاله	32 خيمة
ـــ أهل علمُود	17 خيمة
ـــ أهل مْباركة	19 خيمة
ـــ أهل أميرُ	19 خيمة
ـــ أهل محيميد	42 خيمة
ـــ أهل بيبّه	60 خيمة

ويندمج في أهل علي بن الشين مخيم صغير مؤلف من 13 خيمة من أولاد موسى (الاقلال).

وهم كسائر التجار لديهم الكثير من الإبل والأغنام والقليل من الأبقار؛ وينتجعون في فصل الأمطار في الرق مع أهل المحيميد، وفي الفصل الجاف في الجنوب.

ورئيس أولاد الفاغي هو المهدي بن سيدي بوبكر بن بشير بن مْحيميد بن إبراهيم بن اتكام (المختار) بن علي بن الفاغي الجد الأعلى والذي هو ـــ إذا شئنا ـــ بن عمر بن تاجر؛ غير أن بعض المثقفين ينكرون هذه الصفة عن الفاغي، ويؤكدون أن أولاد الفاغي هم أقارب جماعة من إداشفاغه في إقليم الترارزة، وأن الفاغي جاء ليقيم مع التجار.

ومهما كان الأمر فقد كان لدى الفاغي هذا سبعة أبناء هم: علي وعبد الله ويحيى وبوبكر والتلميدي ودموس والهادي، وهم أجداد أفخاذ أولاد الفاغي مع بعض الاستثناءات.

وقد توفي بشير جد الرئيس الحالي في الرقيبات سنة 1842؛ وقاد ابنه بوبكر أولاد الفاغي في هجرة مشظوف العامة نحو الحوض.

وينقسم أولاد الفاغي إلى ثمانية أفخاذ يشتملون على 332 خيمة وهي:

ـ أهل إبراهيم	106 خيمة
ـ التلاميد	57 خيمة
ـ أهل دمّوس	33 خيمة
ـ أهل الطالب علي	28 خيمة
ـ أهل يحيى	25 خيمة
ـ أهل كيته	42 خيمة
ـ أهل يحظيه	16 خيمة
ـ الگواطيط	25 خيمة

والگواطيط يقال إنهم حميريون وأن جدهم گاطوط التحق بالفاغي في تگانت وتزوج من ابنته، وينتسب إليه زعيم الگواطيط سيدي بن أحمد بن أوبّه. ويرتحل أولاد الفاغي في الفصل الجاف إلى بوتاسوفره وبومسعود وسيفان الغربية وزافو.

ورئيس الرويصات الفخذ الثالث من التجار، هو بونا بن أحمد طالب بن سيدي بن الحاج عمر الميلح بن ميلود بن الرويص بن امبركان؛ فإذن ليس لديه الادعاء بالانتساب إلى تاجر؛ وقد خلف بونا والده المتوفى في أكتوبر سنة 1915. وعلى الرغم من الأصل التاجري الذي منحوه لأنفسهم، فإن الرويصات جاءوا من إدوعيش وأولاد الناصر؛ ولما كان أحد أجدادهم قد أدى فريضة الحج فقد أعفوا حتى يومنا هذا من دفع المداراة لزعماء مشظوف. وعلى الرغم من انتساب الرويصات للتجار، فهم يعيشون منعزلين عنهم نوعا ما، ويتصفون في الواقع بشدة الهدوء، ويتألفون من 115 خيمة.

والتكوكات يقول بعضهم إنهم ينحدرون من ابن أخي أو ابن عم تاجر، واسمه أحمد الدك، إلا أنه يبدو أنهم يعودون أصلا إلى أهل سيدي محمود في كيفه، وينقسمون فرعيا إلى

ـ أهل اگيرت	39 خيمة
ـ أهل محمد عمر	16 خيمة
ـ أهل محمد بن أحمد	14 خيمة

وإجمالا فهم 69 خيمة، ويرأسهم مينْ بن عبد الله بن رمظان، وقد غادره قسم من فخذه للعيش مع سيدي بن خي الرئيس السابق للتجار.

(ك) المغاليش ليسوا من مشظوف أصلا، بل كان جدهم من لادم جاء ليلتحق بالقبيلة؛ ويشملون أربعين خيمة، وكانوا وسط القرن التاسع عشر تحت قيادة رجل يدعى خَطار، وعلى أثر وفاته انقسموا إلى فخذين الأول اتّجه نحو الشرق والثاني نحو انيورو.

وقد خلف خطار ولده سيدي محمد في حوالي 1870، وحل محل الأخير عند وفاته سنة 1903، أخوه محمد؛ والرئيس الحالي هو محمد بن سيدي محمد وذلك منذ 12 يوليه سنة 1916.

(ل) إكيارن، وهم يتوزعون بين مشظوف ولحمنات، ويعود أصلهم لأهل سيدي محمود، ويتألف الفخذ المقيم لدى مشظوف من 33 خيمة، ورئيسهم هو محمد فال بن عمر بن مليح.

4 ـ الحياة الدينية

على الرغم من أن مشظوف لا يعودون لأصل حساني إلا أنهم تبنّوا حياة حسان وأخلاقهم ويُعتبرون حسانا من قبل جيرانهم، وقد عهدوا بالإشراف على أمور الدين والرقيا لأفخاذ مرابطية صغيرة تعيش معهم، وتندمج بصورة متفاوتة في القبيلة كالشرفاء وأهل الطالب مصطف وأهل الحاج أحمد ديدّه وأهل الطالب محمود وأهل امبتنّي الذين سنراهم فيما بعد في الفصل الخاص بالأفخاذ المرابطية الصغرى. ومن الجدير بنا استعراض الشخصيات الدينية الرئيسية من مشظوف الخلّص أو ممّن تجنّسوا نهائيا فيهم.

فلدى الأمير علي محمود في حلته حوالي 15 خيمة من الزوايا تَقدم له حسب الظروف رجال الدين والمرشدين الإسلاميين. ونجد لديه شخصية مرموقة هي أحمد بن سيدي عبد الرحمن بن محمد بن الطالب عيسى بن الكبّاد المسومي (أهل بابا عيسى) والذين تجنسوا اليوم في مشظوف. وقد جاء وهو شاب إليهم ليقوم بدراساته بجوار أهل حمّان، وأصبح شيئا فشيئا الطالب المفضل عندهم والقاضي الأعلى للقبيلة؛ وهو رجل يتمتع بتعليم طيب، ويُصدر بعض الفتاوى عند الضرورة. وهو تيجاني يتبع [الفقيه] محمد يحيى [ول أهل ابٍّ]، ويشغل ابن أخته محمد بن محمد محمود بن عبد الرحمن وظيفة قاضي المجرية.

أما أحمدُ شقيق الأمير فله أمين سر ذو شخصية ذات نفوذ لا بأس به، وهو محمد بن أحمد صالح بن علي الإديلبي الولاتي. ويلعب هذا المرابط نوعا ما دور الزعيم الديني لدى أهل المحيميد، وقد ولد في حدود 1860، وهو يدرّس دائما بحماس، ويدير مدرسة قرآنية في وقت فراغه. وهو قادري عن طريق الطالب إبراهيم بن الطالب عبد الله الإجمّاني.

وفي المزاوير يمكن أن نذكر محمد الأمين بن عمر بن سيدي محمد من أهل الجيرب المولود في سنة 1855، وهو كاتبُ وقاضي القبيلة. وقد درس في أروان بجوار قائدها عُروة بن الحبيب الذي يتبع الطريقة التيجانية عن طريق مْحمدي بن سيدي عثمان الولاتي.

أما لدى أولاد سالة تميدات فهناك شخصية غريبة تستحق التنويه، وأعني بها محمد محمود العالم بن محمد، وأصله من تندغة (الترارزة)؛ وجاء للحوض في سنة 1890 في طريقه لأداء فريضة الحج، ولكنه لم يتابع سفره، بل استقر بجوار الأمير المختار الشيخ، ومكث معه بضعة أعوام، ثم انتهى به الأمر إلى النزول في أولاد سالة وهو طالبهم والكاتب

والقاضي الرسمي، ومولود حوالي 1850. ودرس في مخيم الشيخ سيديا الكبير(32) وتلقى الورد من [ابنه الشيخ] سيدي محمد(33)؛ وهذا المرابط الذي استقر نهائيا لدى مشظوف يقوم أثناء فصل الأمطار الذي يقضيه في حمد الله ويسّاخا بالدعوة في هذه القرى التي يقطنها السونينكه، وفي مناطق چواره وكاگورو في الساحل الأعلى التي له فيها بعض التلاميذ.

ويُعتبر أهل سيدي من أتباع قادرية كنتة وأهل [الشيخ] محمد فاضل، وقاضيهم هو أحمد بن الطلبة.

أما الشومات فيشتهرون بأنهم قبيلة شديدة التدين، ورئيسهم هو سيدي محمد بن مولود، المولود حوالي 1850، ويقدم بالفعل المثل الطيب، وهو رجل مثقف وورع يتمتع بشهرة كبيرة باعتباره قاضيا في الحوض. وقد كان سابقا معلم مدرسة، ويقوم ابنه محمدُ بمتابعة دراسته لدى مْحمدي الولاتي؛ ويقول والده إنه يريد أن يصبح دكتورا وعالما كبيرا، وهذا المثل الأعلى لا يرغبه إلا القليل من الناس؛ وهذا الرئيس تيجاني أخذ الورد عن [الفقيه] محمد يحيى ول أهل أبّ.

ويرجع أولاد ملّوك في القضايا الدينية إلى مرابطيهم الذين هم كنتة؛ وقاضي [أولاد] ملّوك السود على الخصوص هو الفتح رئيس كنتة(34)؛ أما لدى (أولاد) ملّوك البيض فهو الدّاه بن يابا من أهل الكوري المولود حوالي 1864، والذي ورث بعض التقدير الذي كان يتمتع به والده المشهور.

---

(32) ــ هو الشيخ سيديا بن المختار بن الهيبة (1190 ــ 1284هـ/ 1777 ــ 1867م) علم من أعلام السياسة والعلم والتصوف قضى أكثر من أربعين سنة في طلب العلم حيث طاف من أجل ذلك البلاد من غربها إلى شرقها كان آخر مقامه بأرض أزواد مع آل الشيخ سيدي المختار الكنتي حيث تتلمذ على الشيخ الكبير لمدة ستة أشهر، ثم على نجله وخليفته الشيخ سيدي محمد لمدة خمس عشرة سنة، كما قضى بعض الوقت بعد ذلك مع ابنه الشيخ سيدي المختار الصغير (بادي)، ولذلك فهو مجاز من الشيخ الأب والابن والحفيد. سافر إلى المغرب لشراء الكتب، حيث ترك أكبر مكتبة في القطر؛ كان لا يُجارى في مقامه، حيث عم نفوذه المنطقة بأسرها، وهابه الأمراء وأهل الشوكة؛ حاول جمع شمل الأمراء للوقوف أمام التهديد الأستعماري وإقامة نظام يضمن الأمن والسلام في البلاد وينهي الفوضى، وذلك في تندوجه قرب بوتيليميت سنة 1272هـ/1856م. وقد شارك في الاجتماع أمراء آدرار والترارزة والبراكنة. ترجم له الخليل النحوي في بلاد شنقيط..المنارة والرباط، وعدد كبير من المؤلفين الموريتانيين والأجانب.

(33) ــ هو الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا الكبير (1247 ــ 1286هـ/ 1832 ــ 1869م) كان أحد الأفذاذ في الأدب والشعر الذي يعتبر صاحب مدرسة مجددة فيه، إضافة إلي تضلعه في العلم؛ كان أول من أطلق الصيحة لمواجهة الاستعمار الرابض في البلدان المجاورة.

(34) ــ الفتح بن أحمد محمود اجه بَوبّه هو أحد رجالات الدين من أولاد البح في الحوض، وسيأتي ذكره مع كنتة.

أما لدى أولاد عناني فإن مرابطيهم هم شرفاء النعمة، وأصبح أحدهم المدعـــو الشـــريف القاطن في القبيلة منذ كان عمره خمسة أعوام إمامهم وقاضيهم الرسمي، كما أن ابنه مولاي عبد الله تلميذ ومريد قادري لمحمد بن إبراهيم القوانيني، وهو شاب ذكي يدير مدرسة قرآنية صغيرة هي مدرسة القبيلة.

وقد انصرف أهل حمّان نوعا ما إلى التدين، والفضل في ذلك يعود للرجل التقي الذي هـــو رئيسهم الحالي محمد الأمين بن [عبد] الفتاح، فقد كون عندما كان معلم مدرسة الكثير مـــن الشبان الذين يتصفون اليوم بسلوك ديني جيد، وقد درس هو ذاته لدى محمد الأمين بن أحمد زيدان، وهو شيخ شهير للغاية لدى تجكانت(35)؛ ورئيس هذا الفخذ ليس من أتباع الطـــرق الصوفية.

وفي الواقع فإن أسرة الرئاسة هذه قد أنجبت وقدمت لأهل حمّان رجالا صالحين ومرشدين محليين، وكان لعم الرئيس الحالي عبد القدوس بن عبد السلام المتوفى حوالي 1894 شـــهرة كبيرة، وفي أيامه كان يطلق على أسـرته، وحتى على كل أهل حمّان أهل عبد القـدوس، ولا يزال هذا اللقب يطلق عليهم أحيانا.

وتشتهر خيمة قيادة التجار بالتّقوى، فأبناء الرئيس السابق الثلاثة هم رجال دين ورعين لكل منهم مصدره في التصوف؛ فالمهدي وهو الزعيم الحالي، المولود حوالي 1862 قادري عن طريق الشيخ [محمد] تقي الله المنتسب إلى الفاضلية، وأخوه الشيخ، المولود حوالي 1867 قادري يتبع محمد المهدي بن الحبيب التّنواجيوي، وأخيرا فإن أخاهما سيدي محـــمد المولود حوالي 1875 ينتسب للفاضلية عن طريق محمد الأمين بن أحمد حيدّه الكَلكَمي.

ولم يبق إلا أن ننوه بشخصية مرموقة وإن كانت من أصل غريب هي محمد المختار بـــن [الفقيه] محمد يحيى [ول أهل ابٍّ] الولاتي؛ فهو تاجر قبل كل شيء ولـــكنه طـــالب إذا لـــزم الأمر، وقد شغل لبعض الوقت وظيفة قاض عام لمشظوف ويعيش تماما حياتهم، ويخيم عادة مع أهل المحيميد، وسندرس عائلته في الفصل الخاص بولاتة.

وباختصار ينتسب مشظوف ــ وهم جمع من مخيمات شتى وعديدة ــ إلى كل الانتماءات الصوفية، وليست هناك من مدرسة صوفية أو فخذ مرابطي في منطقة الساحل والحوض إلا

(35) ــ هو المرابط محمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني، فقيه شهير في منطقة الرقيبة و تگانت وتلـــك النواحي، له أكثر من 30 مؤلفا، من أشهرها نظمه في غريب القرآن، وكتاب النصيحة في شرح مختصـــر خليل (ت 1335هـ/1916م). أفـــتى بقصر الصلاة لأن البلاد في حرب، وذلك ضمن مقاومـــة الاحتـــلال. ترجم له أحمد بن المختار في كتابه إعداد المهج للاستفادة من المنهج، وكذلك الخليل النحوي في كتاب بلاد شنقيط .. المنارة والرباط مرجع سابق.

ولديهم مريدون أو ممثلون منه.

ومن الممكن أن نذكر على وجه الخصوص أهل الطالب مختار والقوانين وإجمّان وكنتة والشرفاء المشهورين بشرفاء أولاد محمد [با حمد] ولا سيما مدارس ولاتة التيجانية وعلى الخصوص مدرسة محمدي بن سيدي عثمان، ومدرسة القاضي [الفقيه] محمد يحيى [ول أهل أبّ].

وليس هذا التعداد في الواقع حصريا، ورغم ذلك فهم لا يكترثون بالمسجد الصغير التقليدي الذي يبنى دون كبير جهد في مكان بسيط نظيف محاط أحيانا ببعض الأوتاد داخل مخيماتهم (36).

5 ـ مشظوف انيورو

لا يمكننا اختتام دراسة مشظوف دون أن نلحق بهم نبذة مخصصة للأفخاذ الأربعة التي انفصلت عن الاتحاد واستردت استقلالها الإداري، وهي أهل جغديد والعتاريس والمغاليش وأولاد خيرة، ويرتحلون اليوم إلى الشمال من انيورو خارج أراضي انتجاع الأفخاذ الأخرى تماما، ولهذا فهم يتعلقون بدائرة انيورو في حين أن الآخرين يتبعون النوارة، واليوم منطقة النعمة ــ ولاتة؛ وقد ساعد هذا الوضع الإداري على ترسيخ انفصالهم أكثر فأكثر، وعلينا أن نقول حالا إن أيًا من هذه الأفخاذ الأربعة ليس فعلا من أصل مشظوفي أي لا يرتبط بشاظف أو بگو، وهذا ما يفسر ــ بالإضافة إلى سكناهم في الشرق دون ريب ــ اتجاهاتهم لانفصالية.

وآخر صلة تربط الأمير بهذه الأفخاذ هي تسديد مساهمة سنوية تعادل واحدا بالمئة من العُشر يجري تأمينها بواسطة الإدارة الحكومية حسب الطريقة التالية في كل عام وبعد دفع الضرائب إلى الخازن يأتي ممثل عن الأمير مزودا بتفويض رسمي إلى انيورو، ويقبض من الخازن المختص 10 بالمئة (أي واحداً بالمئة من الضرائب و 9 بالمئة كهدية سياسية) ممنوحة (عام 1915) لهذه الدائرة يتنازل عنها رؤساء الأفخاذ لمصلحة علي محمود (37) وهذه الأفخاذ هي:

(أ) أهل جغديد، ويعودون لأصل باسيني بعيد؛ ومعروف أن الرواية التاريخية الموريتانية تجعل من باسين هذا ابنا لرزق، أي عربيا حسانيا من الفتح العربي في القرن الخامس عشر.

---

(36) ــ في هذا المقطع ينسى المؤلف أن مساجد البدو الرحل ليست إلا زرائب تُستخدم مدة إقامة الحي في ربعه والتي لا تتجاوز أحيانا أكثر من يوم واحد.

(37) ــ صارت هذه الطريقة هي التي يتبعها الفرنسيون في مكافأة رؤساء المجموعات القبلية الكبيرة، وطبقوها في مستعمرتهم السابقة موريتانيا.

وقد جاء الجد الأعلى للقبيلة ليندمج في أولاد مْبارك خلال القرن الثامن عشر وكان يدعى جغديد بن حْميدة بن أحمد بن عمر بن باسين، وهو جد الفخذ الأول أهل حبيب؛ ورئيسهم هو يوگه بن زي بن محمد بن حبيب بن جغديد.

وقد كان مع جغديد أخوه سكّان بن حْميدة جد الفخذ الثاني أهل بابو، ورئيسهم هو شيخنا ابن علي بن سيدي بن بابو بن محمد سكّان، وذلك طبقا لعادة منتشرة نوعا مّا في أرض البيضان، إذ يُستخذ الفخذ الثاني اسم الابن الكبير اسمًا عاما للقبيلة، ولهذا يُطلق على أهل بابو اسم أهل جغديد، دون أن يكونوا منحدرين منه، بل هم أبناء أخيه لا غير.

وعندما حل مشظوف مكان أولاد مْبارك في السيطرة على الحوض حاول أهل جغديد أن يظلوا مْباركيين، ولكنهم فشلوا وظلوا على وضعهم الحالي.

ويضم [البطن الأول من أهل جغديد] أهل حبيب 197 خيمة[بينما يضم الثاني] أهل بابو وهم 503 خيمة، أي مجموع قدره 700 خيمة.

وأهل جغديد ينتمون بطواعية للورد القادري وينقسمون إلى الانتماءين الكنتي والفاضلي؛ فيوگه [بن زي] مثلا مريد لسيداتي بن آبه بن الشيخ محمد فاضل، أما شيخنا [بن علي بن سيدي] فهو مريد لمحمد المختار النقرة البوسيفي، والذي يتبع آدبّه بن الطالب أعمر بن خيري البوسيفي، ويرتبط بالشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير(38).

وفي أهل جغديد معلم مدرسة صغيرة يستحق التنويه هو محمدٌ بن أشغاغه بن المعزوز من إدابهم، وقد ولد حوالي 1890، وتلاميذه ستة فقط.

(ب) العتاريس، وهم إخوة العتاريس الذين رأيناهم آنفا مع مشظوف (أولاد محم) ويضُمّ فخذ نيرو 356 خيمة ورئيسهم هو سيدي محمد الملقب يربه بن أخيارهم بن محم وينتسبون عن طواعية أيضا إلى القادرية الكنتية والفاضلية أو قادرية جيرانهم (تنواجيو).

(ج) المغاليش، وهم إخوة المغاليش الذين درسناهم سابقا لدى مشظوف (لوليدات)، وقد انفصلوا عنهم حوالي 1870 كي يتحولوا إلى الغرب، ويتألفون من 385 خيمة، ورئيسهم هو محمد بن القلاوي، ويجنحون لقادرية جيرانهم تنواجيو.

(د) أولاد خيرة، وهم إخوة الفخذ الذي يحمل الاسم ذاته والذي تعرضنا له آنفا لدى دراستنا لمشظوف (أولاد محم)؛ فهم إذن عرب من أولاد داوود بن محمد ولم يحدث انفصالهم عن إخوانهم إلاّ حوالي 1888 حيث كانت القبيلة كلها هنا إلا أن أحد الأفخاذ التحق بمشظوف إما بسبب الحرب أو بحثا عن مراع جديدة؛ أما الآخرون فمكثوا في أراضي منطقة انيورو، ويضمون 525 خيمة.

---

(38) ـ وذلك عن طريق الشيخ سيديا الكبير.

ورئيس القبيلة هو الشيخ أحمد بن سيدي بن محمد بن علي بن سيدي بن عمــر (الجـد المشترك مع أولاد خيرة المشظوفين) بن علي بن خيرة.

ويميل أولاد خيرة مثل سائر مشظوف انيورو نحو القادرية سواء الكنتية أو الفاضليــة أو التنواجيوية، وينبغي أن ننوه هنا بأن منطقة آدرار تضم تجمعا صغيرا من مشظوف يحــوي ثلاثين خيمة.

شجرات مشظوف شجرة أوائل مشطوف				
		بوهماد (1)		
علّول، جد أولاد علّول	(2) بكّو			خالد، جد الخلد
أم هـؤلاء الأربعة التالون حـويرية				
عمر، له علي موسى كّجمول جد أهل عمر	موسى، له عبد الله الأعمش جد أهل موسى	عبد الله له بريك جد أهل بْريك		محم
هؤلاء الأربعة التالون هم أبناء بكّو من زوجته الثانية مريم				
1 حماد له بونعامة	2 عيسى له 3 الدبيبيز الكباد	4 اعْبله له إبراهيم جد العبلاّت		
حماد جد أهل حماد		مساكّ جد المساكه	سيدي جد أهل سيدي	إبـراهيم جد أهل إبراهيم وأهل المحيميد

		زعماء أوائل مشظوف			
		بگو (2)			
		محم (3)			
		إبراهيم (4)			
المختار (5)				علي	
			أحمد گجمول جد أهل گجمول		
المحيميد (6)			عقبة		لبات
المختار (7)		محمد	الشيباني، بلغ مئة سنة من العمر		
أحمد محمود (8)	علي محمود	لبات	محمد محمود		
سيدي محمد	بابا	حمادي	علي	المختار جد أهل المختار	

	شجرة أهل المحيميد، المختار (7) بن المحيميد				(39)	
علي محمود ت1861						أحمد محمود(8)
أحمد (10) مكرر						
له عيشه						
محمد محمود (9) ت 1890	المختار الشيخ		مهادي	علي محمود (10)	محمد	لبات
				أحمد ومحمدمحمود		
	أحمد	علي	المختار			
					أحمد	المصطفى
أحمد (11) ت 1895	محمد المختار (12) ت: 1909	علي محمود (13)	أحمدُ (14) ترك محمد المختار وحمود	المختار (15) ترك أحمد، محمد المختار وأبوبكر	سيدي محمد، ترك علي،الشيخ محمدالامين	
				محمدً والراجل	وحمود ولبات	
					ومحمد المختار	
محمد محود	أحمد					
محمدً	محمد المختار	أحمد	سيدي محمد		لبات	محمدً له محمد المختار
محمد محمود				علي		

(39) أدخلنا تعديلا على هذه الشجرة بحيث تلائم الواقع

			شجرة الخيمة الرئاسية في أولاد ديات رؤساء التجار		
			تاجر(1)		
			عمر(2)		
			ديه(3)		
			عمر(4)		
			ديلود(5)		
			محمد(6)		
			الشين(7)		
			علي(8)		
			محمد(9)		
المامي		سليمان (10)			خيْ
الناهي	محمد		سيدي (14) رئيس أولاد ديات	محمد	أحمد الصغير
				الاثنان أعدما بأمر أمير مشظوف	
عبيدُ		الامام(12)	سيدي(13) اغتاله أحمد بن خي سنة 1912		

	شجرة أهل سيدي				
أحمد		أوبك			عمر جد أهل عمر
عبدوكه		مْخيتير			الدلال
		محمد القيرع			محمد الصغير
		المامي			الخليفة رئيس أهل عمر
		سيدي محمد رئيس			
		أهل أوبك ورئيس			
		أهل سيدي العام			
سيدي	محمدالمختار	بوبّه			محمد ت1916 في السجن الفرنسي
بوبّه، ولد 1880	مْخيتير ولد 1907	المختار ت1916			
				الشيخ	الزوين
		فاليلي ت 1916		توفيا في السجن الفرنسي	

لَحمنّــات

1 ــ لمحة تاريخيــة

تغنينا وقائع تاريخ مشظوف عن الدخول في تفاصيل طويلة هنا عــن تــاريخ لحمنــات، فالأخوان شاظف (مشظوف) والنبيط هما ابنا ادرگاب (1) وقد وصلا إلى تگانت فــي القــرن السادس عشر، وكان أبوهما من منطقة تيمبكتو.

وقد أصبح أبناء النبيط أجدادا لقبيلة مشظوف، حيث حملوا اسم عم والدتهم تشــريفا لــه طبقا للعادة المتبعة [آنذاك]، أما مشظوف فكان له ابن واحد هو اخْمنْ (1) جد لحمنات.

وابتداء من هنا لا نعرف شيئا خاصا عن لحمنات، إذ يختلط تاريخهم بصورة شبه كاملــة بتاريخ مشظوف العام حيث لم ينفصلوا عنهم إلا في نهاية القرن التاسع عشر، ولم يتكــرس ذلك بشكل نهائي إلا بعد الاحتلال الفرنسي لولاتة؛ وليس لدينا شيء عنهم سوى نسب الأفخاذ الحاكمة التي سنقدمها في الملحق وهي ليست بحاجة إلى أي شرح إذ نجد فيها أصل تسميات معظم هذه الأفخاذ.

وبينما كان مشظوف الأصليون يعيشون في جنوب الحــوض والســاحل، كــان لحمنّــات يرتحلون في الشمال، ويندفعون في بعض الأحيان إلى أطــراف آدرار [التمــر]، ويرتبطــون بعلاقات مع أمير هذه المنطقة، غير أنهم بعد أن أصبحوا عرضة للنهب مــن جــانب ســكان آدرار وهدفاً لحملات الغزو من الشمال اضطروا للانكفاء إلى ولاتة والاحتماء بمنطقة الباطن.

وعند وصولنا إلى الحوض كانت القبيلة في حالة فوضى كاملة، وفــي 17 أغشــت ســنة 1889 قام فرسان مشظوفيون من أنصار محمد محمود [بن المحيميد] الذي كان فــي حالــة حرب مع لحمنات باغتيال أحمدُ بن عبد الرحمن{11}.

وفي أكتوبر سنة 1895 عندما كانوا حلفاء لأولاد الناصر، قاموا بنهب ولاتــة، ثــم قدمــوا المأوى لبكار [بن أحمد بن الحبيب] زعيم حلفائهم الناصريين بعد هزيمته في تيرني.

وفي مارس سنة 1896 أُلقيَ القبض على قافلة احْمناوية في گونبُ، ثم كتبوا فــي شــهر إبريل يطلبون الأمان، ومنذ تلك الحقبة وهم مترددون بين الرغبة في العيش بسلام معنا كما ينصحهم المختار الشيخ [بن أحمد محمود بن المحيميد]، أو النزوع إلى متابعة الحرب، كمــا يحثّهم كنتة [الشيخ] عابدين (2) وأخيرا تفوق حزب السلام وأرسل رئيس القبيلة أخــــاه

---

(1) المتداول أن لحمنات ينحدرون من حيب الله بن النبيط، من زوجتــه اخمــن بنــت أمــير ادرگاب المعروف باشْويراگد، وكثيرا ما تسمت القبائل والعائلات باسماء الأمهات أو المرضعات.

(2) هو الشيخ زين العابدين بن الشيخ سيدي مْحمد الكنتي بن الشيخ سيدي محمد بن الشــيخ ســيدي المختار الكنتي (انظر الحاشية رقم 15 من المدخل).

للتفاوض معنا في انيورو.

وعندئذ انقسم لحمنات إلى ثلاثة أحزاب الأول مع المختار الشيخ [ابن أحمد محمود بن المحيميد] والثاني مع محمد المختار [ابن محمد محمود المحيميد] والثالث مع أعمر بن الحبيب. وهكذا وكما سنرى كانت أكثريتهم مع مشظوف، وكان الآخرون يعيشون مبعثرين يعترفون اسميا برئيس القبيلة محمد بن محم{12}؛ وقد انفصل الأولون عن مشظوف بعد أن عرفوا أن منطقتنا ستكون محظورة عليهم إذا ظلوا متحدين مع أعدائنا (يوليه سنة 1898)، وفي بداية العام التالي تعرض مخيم بنّاهي بن سيدي محمود رئيس أهل سيدي محمود للنهب بعد أن اعتقل اثنين منهم، وقد طاردهم واسترد ممتلكاته.

وقد ولد رئيسهم حوالي 1845 وهو إبراهيم بن عبد الرحمن {13} الذي كان أصم، وقد عرف عنه أنه لم يقدم أي مساعدة للنقيب مانجو الذي كان يحاول إعادة تكوين القبيلة، بيد أنه عبر عن نوع من الاعتراف بالجميل للأساليب اللينة التي عومل بها هو وأتباعه، ومن ثم وبعد أن أصبحت القبيلة مجتمعة تحت زعامته ظهر أنه كان عاجزا عن الاستمرار في القيادة مما استدعى الاستعاضة عنه بابنه البكر حمود (1914).

وحمود مولود حوالي 1880، واستبان منذ البداية أنه رئيس ذو قيمة، فقد استطاع أن يقوم بأعباء إعادة تشكيل القبيلة، وعرف كيف يفرض نفسه على الجميع، وذلك على الرغم من معارضة أخيه الأصغر بابا، مما استدعى تهديده في فترة مّا بالاعتقال في ولاتة؛ وكان معه في المعارضة ابنا عمه إبراهيم [ابن عبد الرحمن] الرئيس السابق، وهما أحمد وسيدي محمد، غير أن ذلك لم يؤثر على نشاطه وجراءته، حيث أصبح بعد قليل الرجل الذي يُعتمد عليه، وقد صمد في وجه مشظوف المرتابين آنذاك، وكان زعيم الهجانة الذين ساروا معنا.

وفي شهري نونبر ودجنبر سنة 1814 بالذات احتل مكانا لامعا في غزوة معاكسة إلى جانب النقيب كومبو Combau غير أن الحزب المعادي لنا لم يُلق سلاحه، ذلك أن والده إبراهيم قصد مشظوف للعيش معهم، كما أن المعارضة التي كان يقودها سيدي محمد بن إبراهيم مدعوما بأبنائه وبأهل المحيميد استخدمت كل أنواع التشويش، واستقر القرار على اللجوء إلى الطريقة المألوفة، والتخلص من حمود بعملية اغتيال.

ففي أعقاب لقاءات كان يرأسها سيدي محمد في نونبر سنة 1916 تكفل أحمد بن سيدي محمد بالمهمة، بعد أن حصل على مساعدات عديدة من إخوته وأبناء عمه، ففَاجأ حمّود في خيمته ليلة 25 دجنبر سنة 1916 وقتله رميا بالرصاص وانتزع المتآمرون في الوقت ذاته الذخيرة التي كان يختزنها هذا الزعيم بإذن منا. وقام فصيل من الهجانة على جناح السرعة بمطاردة القتلة الذين لاذوا بالفرار؛ وقد قُتل سيدي محمد الذي كان طاعنا في السن، وذلك عندما كان يطلق النار على رماة قواتنا، وجرى اعتقال القاتل وأربعة من شركائه، وفي أثناء

عمليات التفتيش التي جرت للعثور على الخراطيش المنهوبة حاول القتلة الهرب، وهم أحمد بن سيدي محمد القاتل المباشر، وأخوه إبراهيم وابن عمه البكاي بن أحمدُ، حيث قُتلوا رميا بالرصاص وذلك في فبراير سنة 1917؛ أما الاثنان الآخران حمود بن سيدي محمد وخطري بن أحمد فقد حكمت عليهما محكمة دائرة ولاتة بخمسة أعوام من السجن.

وفي نفس الفترة (يناير 1917) خلف البكاي بن إبراهيم أخاه الأكبر القتيل على رأس مشظوف [بل لحمنات] وقد ولد البكاي حوالي 1888 واستعمله أخوه منذ أكتوبر سنة 1915 حيث منحه إدارة أفخاذ أهل السيفر والركب وأولاد سيدي بوبكر وأهل عبد الله؛ وقد لقي بدوره نوعا من المعارضة، إذ التحق إخوته بإبراهيم المقيم في مشظوف. ومن جهة أخرى كان رئيس فخذ الركب فَاليلي بن سيدي يضمر له العداوة، وقد تؤدي وفاة إبراهيم وحدها إلى عودة الهدوء إلى هذه القبيلة.

2 ـ التوزيع

ينقسم لحمنات إلى عشرة أفخاذ، تضم 1238 خيمة وهي:

(أ) أهل الأكحل	(و) الدّلاكنة
(ب) أهل عبد الله بن الأكحل	(ز) الدوامس
(ج) أهل مْخيطير	(ح) إبوبّاتن
(د) أهل السيفر	(ط) إ گيارن
(هـ) أولاد الوافي	(ي) الزخيمات

(أ) أهل الأكحل [الحلة] ويؤلفون الفرع البكر، وهم ينتسبون إلى بن حيب الله البكر: الأكحل، ويشملون 283 خيمة، وينقسمون إلى:

ـ أهل عَلي بن الأمين رئيسهم البكاي بن إبراهيم.

ـ أهل عبد الله رئيسهم عبد الله بن عبد الباقي.

ـ أهل الكويري رئيسهم سويدنا بن علي.

ـ أهل أحمد بن الأمين رئيسهم محمد بن إبراهيم.

ـ أهل عبيدي بن الأمين رئيسهم إبراهيم بن أوبك.

والمخيم الأول هو الحلّة (مخيم الرئاسة)، وزعيمه هو الرئيس العام للقبيلة؛ وتضم الحلّة الكثير من الخيام الغريبة سواء من أفخاذ أخرى من القبيلة أو من الخارج. ولا يملك أهل الأكحل سوى القليل من الأبقار ولا شيء من الإبل، ولكنهم أغنياء جدا بالأغنام.

(ب) أهل عبد الله بن الأكحل، ويشكلون على الصعيد السلالي كما يشير اسمهم، جُزْءاً من الفخذ الأسبق، ولكنهم انفصلوا عنه منذ جيلين، وعمدت السلطة الفرنسية إلى تكريس ذلك، وفي أعقاب نزاعات مع إبراهيم بن عبد الرحمن زعيم لحمنات، قام عبد الباقي زعيم الفخذ

بمفارقته ليعيش لدى أهل المحيميد، ولكنه عاد الآن إلى القبيلة الام، ولتحاشي الاحتكاكات اليومية مُنع الفخذ من الاستقلال الذاتي. ويضم هذا الفخذ 86 خيمة، ورئيسه حاليا هو حمود ابن محمد السالك بن الباقي بن علي حورية بن عمر بن عبد الله بن الأكحل.

(ج) أهل مْخيطير، ويشكلون مع أهل السيفر الذين سنتكلم عنهم الأفخاذ الأخيرة ذات الأصل لحمناوي الحقيقي، فهم من ذرية حَبَبْ الله ، بينما المخيطير بن أحمد بن حَبَبْ الله هو الجد الأعلى لفخذ أهل السيفر.

ورئيس أهل المخيطير هو سيدي بن الأمين بن محمود المنحدر من المخيطير، وهو رجل شجاع وذكي، يتصف بنشاط كبير؛ وقد شكلوا جزءا من أهل الأكحل حتى عام 1912، وأدت نزاعاتهم الأهلية إلى ضرورة فصلهم كي يتم تشكيل فخذ مستقل منهم.

(د) أهل السيفر، وينحدرون كما رأينا من السيفر (محمد) ، ويضمون 89 خيمة ورئيسهم هو محمد بن سويدي.. بن السيفر، وهم يمتلكون الأغنام على الخصوص.

(هـ) أولاد الوافي، ويعودون في الأصل إلى أولاد دليم، فقد جاء جدهم الأعلى: الوافي بن سالم، من نسل دليم في القرن السابع عشر، وأقام في مخيمات لحمنات ومشظوف، وكان له ولدان لا نعرف سوى لقبيهما: بوركبة وهو جد الركب، وبودماغ وهو جد الدماغات (3) وهذان البطنان هما اللذان يشكلان اليوم فخذ أولاد الوافي وعلى أثر مصاعب داخلية استدعى الأمر منح كل منهما استقلاله الإداري سنة 1915.

وللركب رئيس هو فاليلي بن سيدي بن المحجوب بن المختار بن بوبوط بن ويس بن محمد بن عبد الوهاب بن بوركبة. وفاليلي ــ الذي خلف في دجنبر سنة 1915 والده المتوفى ــ معروف بمعارضته المستديمة للرئيس العام؛ ويتألف الركب من 160 خيمة، ولديهم الكثير من الأغنام وبعض الأبقار والإبل.

وللدماغات رئيس هو سيدي محمد بن محمود بن چاچوه (حمادي) بن أفوكان بن خابز ابن دومة بن بودماغ. ويتألفون من 218 خيمة، ولا يملكون أبقارا، ولكن لديهم بعض الإبل وقطعاناً حساناً من الأغنام؛ ويرتحل أولاد الوافي جميعا في فصل الأمطار كما في الفصل الجاف في منطقة الابيار.

(و) الدّلاكنة، ويعودون لأصل سكراني، حيث هم عرب حسانيون ينحدرون من سكران بن محفوظ الذي جاء من برقة (ليبيا الشرقية)؛ وتدّعي هذه القبيلة الكبيرة الموجودة في الجنوب المغربي بأنها من أبناء عمومة المحافيظ (البرابيش) والعويسيات (أولاد يحيى بن عثمان)؛ وقد أضاعت الرواية الاسم الصحيح للشخص الأول الذي وفد منهم على لحمنات، إلا أنه

(3) يقال إن أمهما هي احمن أم حبيب الله بن النبيط.

أطلق عليه لقب دلكان، ويقال إن سبب هجرته ارتكاب جريمة قتل؛ وقد تزوج فتــاة مــن أولاد الوافي، وكان له منها ولدان هما الدريدري جد بطن أهل بوخْنانه، وأحمد دمباكه جــد الفخذ الفرعي أهل أحمد شين. وللفخذ الفرعي رئيس هو سيدي بن سيدي أحمد بن جميّــل بن بوبّالي بن بواخْنانة بن علينا بن الدريدري. والرئيس الثاني هو محمد صنبه بن حيــب الله بن الميّات بن أحمد شين بن أحمد دمباكه، وهو الرئيس العام؛ ويشتمل الدّلاكنة علــى 114 خيمة، ولا يملكون أبقارا، بل الكثير من الأغنام والقليل من الإبل.

(ز) الدوامس، وهم لا يعودون لأصل احْمني، فجدهم دومس يدّعي أنه من المعقــل، جــاء إلى لحمنات في بداية القرن الثامن عشر؛ وقد رزق من زواجه من امرأة دماغية بثلاثة أبناء هم الأجداد الأعلون للبطون الثلاثة أهل حيب الله وأهل أحمد بن أوبك وأهل السالك بن علي.

والرئيس الحالي هو سيدي أحمد بن لوليد بن بويّه بن الشيهب بــن حيــب الله؛ ويتــألف الدوامس من 68 خيمة، ولا يملكون أبقارا، ولكن لديهم الإبل والعديد من الأغنام.

(ح) إبوبّاتن، وهم يعودون لأصل بعيد من أهل سيدي محمود، وقد جاء جدهم إبوب (بوبّه) المحمودي إلى تگانت، في بداية القرن الثامن عشر، وارتبط بعلامين بن اوبك، وتزوج امرأة من الحي وأنشأ أسرته؛ وقد رزق بثلاثة أولاد هم: كومه وبوعتمة والذويــب، وكــان لــهذا الأخير ولدان هما تْــباريك الله وديّوم؛ وهم جميعا أجداد البطون البالغ عددها أربعــة وهــي أهل الدّات (ذرية كومه) وأهل بوعتمة (ذرية بوعتمة) وأهل الذويب (ذرية تبــاريك الله بــن الذويب) وأهل ديّوم (ذرية ديّوم بن الذويب).

ويتوزع إبوباتن إداريا اليوم بين مشظوف ولحمنات؛ فنجد لدى لحمنات أهل الدّات وقسـما من أهل بوعتمة، ولدى مشظوف أهل الذويب وأهل ديّوم وقسماً آخر من أهل بوعتمة.

ورئيس إبوبّاتن لحمنات هو عبد الرحمن بن الدّات بن مقداد بن بلال بن كومةَ بن إيبــوب؛ ويضم الفخذ 76 خيمة ويملك بعض الأبقار والإبل والكثير من الأغنام على الخصوص.

(ط) إگيارن، وهم يتوزعون كما رأينا بين مشظوف ولحمنات، ولا تتفق روايــة الفخذيــن فيما بينها، فبينما يدّعي إگيارن مشظوف أنهم يعودون أصلا إلى أهل ســيدي محمــود نجــد الآخرين يقولون إن جدهم أگيار كان من إيگروگل (كــارونگا) أحــد ذريــة رمــاة تنبكتــو، وانتشروا في الساحل خلال حملة حربية، وجاء أگيار هذا إلى تگانت وتــزوج فيــها ورزق بثلاثة أبناء هم: سيرة وبوخريص وقرنفل، وتعيش ذرية سيرة لدى لحمنات، في حين يوجــد أبناء الاثنين الآخرين في مشظوف.

ورئيس الفخذ الذي يضم 30 خيمة هو الحبيب بن سيدي عبد الرحمن بن سيرة بن أگيار.

ولدى إگيارن قطعان كبيرة من الأغنام وبعض الإبل، ولا يملكون أبقارا.

(ي) الزخيمات، وهم يعودون من حيث الأصل إلى أولاد الناصر، فجدهم الأعلى هو زاخم

حفيد عنتر بن ناصر عن طريق الحسين؛ وقد استقر لدى كنتة تكَانت ونمت ذريته بين ظهرانيهم؛ وتذكر الرواية الكنتية أن هذا المحارب التائب كان مريدا لـ[الشيخ] سيدي مْحمد الكنتي (الصغير) وأنه دفن إلى جانبه في فركش بآدرار التمر (القرن السادس عشر)؛ وراح أحد أولاده وهو القلاص ليعيش لدى لحمنات في مخيم أبوبك بن الأكحل واستقر نهائيا هنالك على أثر زواجه فيهم.

ومنذ ذلك اليوم شكل الزخيمات فخذا من القبيلة؛ وبعد فتح مشظوف منطقة الحوض استجاب عدد من خيام الزخيمات لنداءات كنتة (أولاد بوسيف) واندمجوا فيهم، ولكن على أثر صراعات حادة نوعا ما انفصلوا عنهم في شهر يوليه سنة 1913، وعادوا إلى فخذهم الأصلي في لحمنات؛ ويضم هذا الفخذ اليوم 45 خيمة.

4 ــ الحياة الدينية

لما كان لَحْمنَات قبيلة من اتحادية مشظوف فهم يشتركون معهم في نمط حياتهم الدينية، ولذلك ليس من الضروري العودة إلى هذا الموضوع؛ وقد التحق لحمنات من وجهة النظر الدينية بجيرانهم من كنتة ولا سيما بالشيخ بن عابدين.

ومن من الطبيعي إذن ألاَ نجد لديهم من القضاة والكتاب أو معلمي المدارس سوى الكنتيين، وأهمهم الآن:

(أ) الفتح بن أحمد محمود [بن اچه بوبّه] الذي سنذكره في الفصل القادم بوصفه شيخا كنتيا، وهو القاضي العام للحمنات.

(ب) محمد يحظيه بن الشيخ سيدي أحمد بن عبدي [بن التار] من أولاد سيدي بوبكر (كنتة) وقد توفي سنة 1917، وحل محله ولده سيدي محمد.

(ج) محمد عبد الله بن مْحمد آبه التناكي (كنتة).

(د) محمد الحبيب، وهو من حيث الأصل من أولاد سيدي (الاقلال) وقد حصر إقامته في إكَيارن.

وللحمنات بعض أمكنة الزيارات المفضلة، وكلها أضرحة كنتة، وأهمها:

(أ) قبر الشيخ سيدي أحمد البكاي [بن الشيخ سيدي مْحمد الكنتي الكبير] في ولاتة.

(ب) قبر حمادي بن بابا أحمد في آبنابه، ثم ضريح آماكَير، وكلها أضرحة محاطة بدوائر بسيطة من الحجارة (آكَوادير).

.(ج) ضريح الشيخ سيدي أحمد بن يحظيه بن عبدي بن التار المتوفى حوالي 1875، هو والد رجل الدين سابق الذكر، وقد كان هذا المرابط خلال حياته رجلا صالحا وشيخا رسميا للحمنات وأيضا لمشظوف، وقد أقيم له في منطقة ادريس مزار؛ وينبغي أن نضيف إلى هذه القبور الكنتية، ضريح [الشيخ] محمد فاضل في دار السلام.

		شجرة أصول لحمنات				
			النبيط			
			جد (النبيطات)			
حبيب الله (2) جد أكثرية لحمنات		فاطمة	انفافه		شاظف (1) الملقب مشظوف	
(أمه احمن بنت اشويراگده		زوجة بوهماد وأم بگو			جد جزء من لحمنات	
الأكحل(3)					أحمد	
					مخيطير	السيفر
أوبك (4)		عبد الله			جد أهل	
					مخيطير	أحمد
الأمين (5)	الكويري	أفوشال			بلات المختار	محمد
		عمر		سيدي أحمد	إبراهيم	سويدي
علي (6)	عبيدي					
		علي حورية	أوبك	عليّ	محمود	محمد رئيس أهل السيفر
حمد (7) أحمد	الأمين	عبد الباري،له				
	أحمد	محمد الساك ؛ له حمودرئيس أهل عبدالله	محمد السالك	عبد الله	سيدي الأمين، له حمود رئيس أهل المخيطير	
هيمه، جد أهل هيمه الفرع الصغير	عبد الرحمن (8)	بن الأكحل				

شجرة أهل عبد الرحمن خيمة الرئاسة في لحمنات						
	عبد الرحمن (8) ت 1861 بن حمد (7) بن علي (6)					
عمر (9)	إبراهيم (10) ت في مارس 1872					أحمد (11)
						ت 1889
						ترك
إبراهيم (13)	بابا		محمد (12)	أحمد	سيدي محمد	سالم
			ت 1911		ت فبراير	والبكاي
					1917	ت فبراير
	سيدي محمد		حيمّد			1917
	محفوظ	طويل العمر				
حمود (14)	البكاي (15) الرئيس الحالي		عبد الله			
ت دجمبر 1916						
حمود	بياي	خطاري	ابّيهيم	الشيباني		
محمد الأصرم		ابّيهيم، ت فبراير 1917	أحمد، ت فبراير1917	الشيباني	عبد الله	حمود
شجرة أهل هيمه من الفرع الاصغر لخيمة الرئاسة للحمنات						
			علي (6)			
			حمد (7)			
			هيمه (8)			
	بداه				محمد، له	
						الزوين والبكاي وسيدي حيب الله و
عمر سيدي عبدالرحمن		الزوين	ديه بويا	إبراهيم لـــهم العديد		من الذرية

الفصل الخامس
كنتــة الحــوض

1 ــ مــــدخل

يمثل كنتــة الحوض اتحادية تضم سبعة أفخاذ ضخمة، وتتألف من 1669 خيمة، أي ما بين ثمانية آلاف إلى تسعة آلاف شخص؛ وليس هذا هو المكان المفضل للتذكـــير بالتـــاريخ العام لكنتة، فقد قمت بذلك في كتابي "كنتة الشرقيون" الذي يمكن الرجوع إليه، لذلك أعتـــبر أن هذا التاريخ معروف لدى القارئ، وسأبدأ فقط من حيث توقفت في ذلك الكتاب.

ونذكر في ذلك التاريخ خاصة "أن [الشيخ] سيدي أحمد البكاي قد تزوج امرأة جكنيـــة هـــي ابنـــة يعقوب الرمظاني، وولدت له ثلاثة أبناء هم: (أ) ــ [الشيخ] سيدي مْحمد الكنتي المعروف بالصغير، للتميز عن جده لأبيه. (ب) ــ الطالب بوبكر [الحاج]. (ج) ــ سيدي أعمر الشيخ.

وتعتبر المجموعات الثلاث المنحدرة من هؤلاء الأبناء الثلاثة هي أصل كل قبـــائل كنتـــة فـــي إفريقيـــا الغربية؛ فالأخيران هما أجداد كنتة الشرق، أما [الشيخ] سيدي مْحمد (الكنتي) الصغير، فهو جد كـــل كنتـــة الغرب عن طريق أبنائه السبعة، وبالتالي فهو جد أكثرية كنتة الحوض، وحوله ينبغي القيام بدراسة هـــذه المجموعات." إذن سننطلق اليوم من [الشيخ] سيدي مْحمدْ (الكنتي) الصغير بن الشيخ ســـيدي أحمـــد البكاي، وبالإضافة إليه، هنالك مصدر آخر أكثر حداثة، إذ يعود فقط إلى القرن التاسع عشر، ولا يأتي من الغرب مثل الأول بل من الشرق، ويرتبط ببابا أحمد بن الشـــيخ ســـيدي المختار الذي غادر مخيمات أزواد إلى الحوض ما بين 1820 و 1825، وبذلك يكون جزءً مـــن كنتة الحوض من أحفاد سيدي أعمر الشيخ الابن الثالث [للشيخ سيدي] أحمد البكـــاي الـــذي ذكرناه من قبل.

وهكذا نرى أن الــ1669 خيمة التي تشكل كنتة الحوض تنحدر من [الشيخ سيدي] أحمـــد البكاي، وسنتحدث الآن عن تلك المجموعتين.

2 ــ كنتة التي مصدرها تگانت

عاش [الشيخ] سيدي مْحمد الكنتي الصغير في نهاية القرن الخامس عشر، وبداية القـــرن السادس عشر بتگانت، وورث بعد أبيه كابن بكر النفوذ السياسي، تاركا لأخيه الأصغر ســـيدي أعمر الشيخ المشيخة الدينية.

ولم يتجه إلى تگانت مع مخيماته إلا في آخر حياته، تاركا الحوض موطن ضريـــح أبيـــه المدفون بولاتة وكذلك مخيمات إخوته الصغار الذين اتجهوا شرقا فيما بعد مـــهاجرين إلـــى افاگيبين وأزواد؛ وظل الحوض خاليا من كنتة خلال القرن السابع عشر وبداية الثامن عشر؛ وقد توفي [الشيخ] سيدي مْحمدْ الكنتي الصغير حوالي 1550، ودفن بفركـــش فـــي الجنـــوب الغربي لآدرار [التمر].

وقد ترك سبعة أبناء هم أجداد كنتة الحوض وآفطوط و تگانت وآدرار، وهم سيدي بوبكر وسيدي حيب الله وسيدي ويس والمتغنبر وأعمر الركاب واوگال و[سيدي] أحمـد [الكريـم]؛ وهم أجداد الأفخاذ التي تحمل أسماءهم، والتي يوجد منها أربعة في الحوض؛ والذي يـهمنا اليوم منهم، هم أولاد سيدي بوبكر وأولاد سيدي الوافي المنحدرون من سيدي بوبكـو، وأولاد بوسـيف المنحدرون من ويس، والركبات المنحدرون من أعمر الركاب.

وليس هذا مكان سرد تاريخ كل هذا الفرع الكبير من كنتة، ذلك أن أكثرية القبيلة قد بقي في آدرار و تگانت وآفطوط التي جرت فيها الأحداث التي لعبت كنتـة فيـها دورا؛ وخـلال دراستنا لكنتة الغرب سيحين الوقت لسرد تاريخ ذراري [الشيخ] سـيدي مُحمـد [الكنتـي] الصغير.

ويكفي هنا أن نّذكر أنه حسب العادة الأبوية كان أوائل كنتة مشائخ ديـن فـي تگانـت، ولكنهم لم يتأخروا عن الصراعات المحلية بعد أن بلغوا درجة كبيرة مـن الغنـاء والتكـاثر العددي.

وتقول المصادر المحلية إن أحمد بن محم المدفون في بئر انكوسه غرب انول قد جاء مهاجرا من الغرب بسبب الحروب، وذلك في القرن الثامن عشر، واستمرت تلـك الـهجرات حتى بداية القرن التاسع عشر.

3 ـ كنتة التي مصدرها أزواد

ترك الشيخ سيدي المختار الكبير عند وفاته ثمانية أبنـاء ذكرنـاهم فـي كتـاب "كنتـة الشرقيون" وترك منهم في الخلافة من بعده الشيخ سيدي مُحمد.

والذي يعنينا هنا منهم هو رابعـهم بابا أحمد؛ ففي حياة والده اتجه إلى الحوض للإقامـة مع أبناء عمّه الذين ذكرناهم من قبل ولحق به من أزواد عدد من أقاربه.

وعند مماته سنة 1826 (1) تـرك باسم أهل الشيـخ نواة أفخـاذ أهـل الشـيخ الثلاثـة الموجودة في الحوض وهي:

(أ) ـ أهل حمادي بن بابا أحمد، المنحدرون من ابن بابا أحمد البكر: حمـادي، وتقتصـر عليهم أحيانا تسمية أهل الشيخ.

(ب) ـ أهل بابا بن البكاي، المنحدرون من ابنه الثاني البكاي.

(ج) ـ أهل الشيخ بن عابدين، وهم منحدرون من ابنه الثالث عابدين .

أما ابناه الأخيران: سيدي حيب الله وسيدي مٌحمد، فذريتهما قد توزعت في الأفخاذ السالفة الذكر، باستثناء عدد من ذرية سيدي مٌحمد، الذين قاموا بهجرة جديدة بين 1860 و1880،

---

(1) ـ تاريخ الوفاة كما سنرى هو عام 1840.

واستقروا في منطقة البراكنة، ونجدهم اليوم مشكلين ضمن تجمع كنتة هناك فخذ أهل الشيخ سيدي المختار (2).

وقد اختلفت آراء كنتة الحوض حولنا عند ظهورنا في الساحل، إذ تحفظت الأفخاذ القادمة من أزواد، وأثارت بلبلة كبرى عام 1897 بعد عملية سريري المؤلمة، وبعد أن قام [الشيخ] عابدين الشهير بتمرده ببعث الرسائل تلو الأخرى من تنبكتو، ولكن الأمور عادت إلى الهدوء بعد الكثير من الاضطرابات.

وقد تقرب منا كنتة الذين أصلهم من تگانت، حيث وقع النقيبان دلارتيج De lartige حاكم منطقة الساحل، وانيكل Niecle حاكم دائرة انيورو الاتفاق التالي مع ممثليهم محمود بن عْبيد رئيس قبيلة كنتة مصحوبا بعْلي بن المختار رئيس أولاد مْبارك وخطْره بن بنباره ومحمد بن سيدي أحمد، وجهاء فخذ أولاد سيدي بوبكر.(3)

(1) – يعترف كنتة المقيمون في الحوض بسلطة الدولة الفرنسية، وهم أولاد سيدي حبيب الله، وأولاد سيدي بوبكر.

(2) – يتعهد رؤساء كنتة بعدم المساس بالقوافل التجارية على أرض السودان، وتلك العائدة إليه بعد نقل تجارتها.

(3) – يتعهدون بعدم التدخل في الخلافات التي يمكن أن تحدث بين رؤساء أولاد الناصر، وهم بكار بن أحمد بن الحبيب وصنبه بن صنْبيه وامّادة بن محمد بوره، ولن يتدخلوا إلا بعد استشارة حاكم منطقة الساحل والامتثال للآراء التي تصدر عنه.

(4) – يسمح لقوافلهم بالتجارة فوق أراضي فرنسا شرط دفع العُشر.

(5) – يسمح لكنتة أن ترعى بمواشيها في الأرض الفرنسية بشرط دفع ضريبة الرعي، والبقاء في المناطق المحددة لها.

(6) – يُحظر عليهم حمل الأسلحة النارية في إقليم السودان، وعلى الذين يرافقون القوافل منهم ترك أسلحتهم بالقرى الحدودية."

وفي سنة 1916 برهن هؤلاء وأولئك على سلوك سليم، وكانوا يعانون من عدم الانضباط والخلافات الداخلية، سواء في ذلك الذين أصولهم من تگانت أو الذين أصلهم من أزواد وكانوا كثيري التجارة مثل كل الكنتيين، ولديهم أعداد هائلة وجيدة من المواشي، وتوجد الإبل

---

(2) – سنرى في الملحق ذرية بابا أحمد الذين لم يذكرهم المؤلف جميعا.

(3) – إن مثل هذه الاتفاقيات – كما أشار إلى ذلك المؤلف في موضع آخر – كانت توقع باستمرار وبإلحاح من السلطات الفرنسية خاصة أنها صارت تتحكم في أقوات الناس عندما احتلت بلّه وانيورو قبل احتلالها للحوض سنة 1912. وأحد هؤلاء الموقعين خطرة بن بنباره رجل شهير من أولاد سيدي الوافي معروف بأدواره الجريئة، وشهامته، مع ما يثيره ذلك من جدل حول شخصيته، وكان يسكن تگانت ويسافر إلى الحوض بسبب الترابط بين المنطقتين، وبين أفخاذ القبيلة الموجودة فيهما.

لدى الأفخاذ التي وصلت باكرا إلي الحوض، أما الأبقار والأغنام فتوجد لدى الآخرين الموجودين في الجنوب.

4 ـ التوزيع

يضم كنتة الحوض سبعة أفخاذ ليس لها رئيس عام، أو مركز إداري خاص بها وحدها، حيث يتمتع كل واحد من هذه الأفخاذ باستقلاله، وهي:

(أ) ـ أولاد سيدي بوبكر.

(ب) ـ أولاد سيدي الوافي.

(ج) ـ أولاد بوسيف.

(د) ـ الركبات.

(هـ) ـ أهل حمادي بن بابا أحمد.

(و) ـ أهل بابا بن البكاي.

(ز) ـ أهل الشيخ بن عابدين.

(أ) أولاد سيدي بوبكر، ينحدرون من ابني سيدي بوبكر بن [الشيخ] سيدي مْحمد الكنتي الصغير الكبيرين سيدي أحمد النويكظ وبامّحم، وأكثرية هذا الفخذ توجد بموريتانيا، وتوجد عدة خيام منهم في لكبدات. ويضم فخذ الحوض خمسين خيمة، ورئيسه هو محمد فال بن أحمد بن سيدي بن المأمون بن حمادي بن بامّحم وهو رجل يميل كثيرا إلى السواد ويُعتبر طبيب علي محمود رئيس مشظوف الذي يقضي كثيرا من الوقت في مخيمه. وهذا الفخذ الذي كان يعيش بجانب لحمنات منذ فترة طويلة اجتمع بعد اتفاق عام في شتنبر سنة 1914 وعاد إلى استقلاله، ويُطلق عليه غالبا أولاد سيدي بوبكر البيض تميزا لهم عن الآخرين المدعوين الكحل. وينقسم الفخذ إلى خمسة أحياء هي أهل اميد وأهل أحمد بن الحبيب وأهل الطاهر وأهل القاسم وأولاد بامّحم؛ وينتجعون في الخريف في زنگاره، وفي الصيف في عين الظل وعين العنز وغيرها، ولديهم ثروة كبيرة من الإبل والغنم والقليل من البقر.

(ب) أولاد سيدي الوافي، وهم ينحدرون من سيدي الوافي بن سيدي بوبكر بن [الشيخ] سيدي مْحمد الكنتي الصغير. وهم في الحقيقة مثل الأولين يطلق عليهم أحيانا أولاد سيدي بوبكر الكحل نسبة إلى أمهم (4) وأكثريتهم في موريتانيا، وفي اللوگه (السنغال) (5).

ويتوزع فخذ الحوض إلى عدة أحياء هي أهل ببه الطالب محمد وأهل اكنيبه وأهل الشين وأهل مْبيريك وأهل سيدي بن مولود وأهل مْحيمّد وأهل امَيْنُوه وأهل يوره وأهل الزين وأهل الخسري وأهل اعْليوته وأهل الأمين انبوذينه واهل الحبيب وأهل مْحمد بن سيدي الامين وأهل الوطية وأهل بنباره وأهل ماهم وأهل سيدي حبيب الله وأهل الأمين بن مسعود.

(4) ـ أم سيدي الوافي لمتونية، ولا نعرف سببا لتسمية ذريته الكحل.

(5) ـ كانت توجد عائلة واحدة من أولاد سيدي الوافي في اللوگه مؤلفة من بنات حمّود بن الدّاه بن محمد محمود بن امَيْنوه.

ويتوزعون إلى فرعين أولهما برئاسة سيدي بن مْحمد بن ببّه ويضم 60 خيمة، والثـــاني برئاسة محمد بن محمد بن ببّه، ويضم 130 خيمة؛ ورئيس الجميع هو محمد ســالف الذكــر الذي حل محل ابن عمه محمد بن ايّايْ الذي توفي سنة 1914، والذي كان زعيما ذا شأن.

وينتجع أولاد سيدي الوافي في الصيف بين تنبدغه والحدود الموريتانيـــة حيــث توجــد آبارهم؛ وعندما تأتي الأمطار ينتقلون تدريجيا إلى الشمال وخاصة إلى مْـــقيرينة والعيــن الدخنه والمحرات وأم الأحيال والخشومة وحاسي العمر.

(ج) أولاد بوسيف، وهم من ذرية سيدي ويس بن سيدي مْحمد الكنتي الصغير، ويرثون هذا الاسم من جدهم بابا بوسيف حفيد سيدي ويس، وقد ترك بابا بوسيف من زوجته الأولى السوداء المدعوة هاوه أولاد بوسيف الكحل، وهم موجودون في البراكنة (موريتانيا)، ومن زوجته الثانية البيضاء المدعوة لالّه فاطمة ابنيه أحمد وويس جدي أولاد بوســيف البيــض الذين يوجد عدد منهم في البراكنة وكوركل، بينما يشكل الباقون الفخذ الموجود بـــالحوض، ويوجد ضريح بابا بوسيف في الرخيميات بتگانت؛ ويضم هذا الفخذ 487 خيمة، تنقسم إلـــى مجموعات، هي أهل غالي بن محم وأهل چيبابا وأهل الكنتي وأهل محم بن بابا وأهل بْريكــة ابن انذر وأهل الحبيب وأهل تادنيت وأهل مْحمد وأهل محم بن أحمد وأهل الزاقــوري وأهــل أحمد ويس وأهل محمد أحمد وأهل أحمد وأهل عنبيدات وأهل أرگاج وأهل احميدي وأهـــل أحمــد شــلّه وانتافه وأهل السالك وأهل الغويلي وأهل ويس والحلّة.

ويرأسهم سيدي أحمد بن سيدي الأمين، المولود سنة 1850، وبسبب كبره في السن ينــوب عنه ابنه خُ؛ وكان سيدي أحمد يحظى بنفوذ واسع على كل كــنتة الحوض القادمين مـــن تگانت، وترك صيت رجل مثابر ومدبر.

وهذا الفخذ يملك ثروة مهمة من الإبل والغنم والبقر، وفي الخريف ينتجـــع فـــي انــول وتگيگي وقْــليبات الحبارة، وصيفا في چيگي ومنكديه واصنْران.

(د) الركبات، وهم أحفاد أعمر الركاب بن [الشيخ] سيدي مْحمد الكنتي، ودُعي بهذا الاسم لأنه عاش صاحب ركاب (فارس) متنقلا بين الحوض و تگانت، وهو مدفون بأدافر [تگانـت] وكان ابنه المختار شيخا عظيما، لُقب بأبي الأرياح لأنه كان مستجاب الدعــوة، إذا دعـــا الله تأتمر الريح بأمره.

وينقسم الفخذ إلى حيّـين هما أهل سيدي أعمر بن الطفيل الذين يضمـــون 209 خيمـــة، وأهل المختار بن محمد فال الذين يضمون 70 خيمة؛ ورئيسهم جميعا هو سيدي أعمــر بــن محمد الأمين بن الطفيل.

ويملك الركبات الإبل والبقر ولكن الغنم هي الأكثر؛ وينتجعون في الخريف فـــي ادريـــس، وصيفًا في التوكيت وبوعمران.

(هـ) أهل حمادي بن بابا أحمد، ومعهم نغادر كنتة القادمين من تگانت إلى أولئك القادمين من أزواد؛ فهذا الفخذ ينحدر من الابن البكر لـسبابا أحمد، وكان على مدى طويل جزءا مـن فخذ أهل البكاي، ثم قام سيدي مْحمد بن حمادي بأخذ استقلاله؛ ورئيس الفخذ الآن هو بـادي بن سيدي مْحمد آنف الذكر، وهو شيخ من أكثرهم احتراما وصلاحا، ويتمتـع بنفـوذ كبـير خاصة لدى لحمنات، ويؤازره في سلطاته الروحية أخوه الخليفة، وفي سلطته الإدارية ابنـه الدَّدَّه. ويضم الفخذ 260 خيمة، وينتجعون مثل أهل الشيخ جميعا في الحفارة والجَمجمية أيـام الخريف، وفي الصيف في فرع النعامة.

(و) أهل بابا بن البكاي وينحدرون من البكاي بن بابا أحمد المتوفى سنة 1853، وقد خلف بابا أباه عند هذا التاريخ، وجعل من حيه نواة لفخذ شديد التماسك، وازداد على الدوام عدده، وهو يضم اليوم 167 خيمة.

وعند وفاته سنة 1879 خلفه في المشيخة أولاً ابنه بادي ثم تولاها سنة 1913 عابدين بـن بادي بعد عزل أبيه؛ وقد عُزل عابدين بدوره سنة 1914، وحل محله ابـن عمـه بابـا بـن مْحمدي. وكان مْحمدي هذا الابن الثاني لبابا، وقد مات سنة 1903؛ وللفخذ أعداد كبيرة مـن البقر والغنم، وكذلك عدد من الإبل.

(ز) أهل الشيخ بن عابدين، وهم أحفاد عابدين بن بابا أحمد، وكانت كل من هذه الأفخـاذ المنحدرة من بابا أحمد تعيش مستقلة عن بعضها البعض حتى وصولنا إلى ولاتة. وتم ضمها جميعا تحت لواء الشيخ بن عابدين باسم أهل الشيخ، وذلك بسبب وحـدة أصلـهم، ولكـن المتاعب الداخلية أرغمتنا على إعادة تقسيمهم الثلاثي هذا عام 1915، وذلـك بـالرغم مـن الاحترام الذي يتمتع به الشيخ بن عابدين؛ وكان ذلك مثالا جديدا على الفصل بيـن السـلطة السياسية والنفوذ الديني عكسا لما هو معتقد. وأهل الشيخ بن عـابدين يضمـون الآن 122 خيمة، ورئيسهم هو الشيخ سالف الذكر المولود سنة 1845 بالنعمة، وهو يميل إلى السـواد كثيرا كبير الجسم، وقد ضعف كثيرا الآن.

ولا يمكننا إنهاء هذه الدراسة حول توزيع كنتة دون ذكر العديد من الخيام الكنتية الغريبـة على الحوض والمنضوية تحت لوائهم.

فالحوض الذي يعني المنخفض، يجتذب إليه من تگانت وأزواد كل العائلات الكنتية الغاضبة أو الباحثة عن حياة مستقرة؛ وتشمل هذه الهجرة العودة أحيانا إلى البلد الأصلي، مما يجعلنا نلاحظ حالة من التنقل الكنتي عبر الطرق الصحراوية؛ ونذكر من هذه الهجرات الأخيرة محمد بن الخليفة بن عابدين بن الشيخ سيدي محمد رئيس أهل الشيخ (أولاد الوافي) فقد جاء سـنة 1902 إلى أزواد واستقر بجانب رئيس كنتة هناك، وتزوج إحدى بنات خطاري، وحظي بنفوذ كبير لدى جماعة أزواد، وكان قد ترك حيّه في تُوكْ بكوش في جنوب النعمة وعاد سنة 1913

بحثا عنه، ولكنه لم يتمكن من ترحيله، فعاد إلى أزواد وحده، حيث كان مستشارا لرئيس كنتة هناك، حمادي (6).

وقد فقد كنتة الحوض سنة 1903 الزخيمات الذين كانوا يعيشون مع أولاد بوسيف منذ ثلاثة أرباع قرن. وهؤلاء الزخيمات الذين هم تلاميذ لكنتة عادوا الآن إلى لحمنات حيث تجري دماؤهم في عروق العديد منهم [كما ذكر من قبل].

ونجد في كنتة الحوض عددا من العائلات المنحدرة من سيدي حيب الله بن [الشيخ] سيدي مْحمدْ [الكنتي] الصغير؛ وهم مع قلة عددهم لا يعيشون معا لتشكيل فخذ مستقل، ونعني بهم خصوصا أولاد البح، المنحدرين من البح بن أكد عبد الله بن سيدي حيب الله؛ ورئيس أحد أحيائهم هو الفتح بن أحمد مَحْمُود [بن اجه بوبّه] وهو مع أهل الشيخ؛ والآخر برئاسة حمود بن سيدي الأمين، ويعيش مع أولاد سيدي بوبكر الكحل.

5 ـ الحياة الدينية

يُعتبر كنتة الحوض من أبرز مشائخ الدين فيه، ونفوذهم كبير جدا لدى مشظوف، وخاصة لدى لحمنات، فهم أهل ورد وقضاة وكتبة للقبائل المحاربة.

وتوجد في تجمعاتهم عدة عائلات وأفخاذ من قبائل الزوايا؛ وباستثناء حالات نادرة فإن كل أفراد كنتة ينتمون إلى الورد القادري، وذلك تمشيا مع التقاليد التاريخية للقبيلة ابتداء من [الشيخ] سيدي أحمد البكاي، وخاصة من ابنه سيدي أعمر الشيخ (القرن 15 وبداية 16) إذ أصبحت القبيلة حاملة راية الدعوة القادرية التي تجاوزت الحدود الدينية إلى أن تصبح مبدءا وطنيا.

ومن أهم الشخصيات الدينية فيهم اليوم الشيخ بن عابدين آنف الذكر، وهو في الوقت الحاضر أبرز أهل الشيخ، وشيخ الطريقة القادرية في الحوض، وبذلك يكون خلف أباه عابدين، خليفة أخيه البكاي.

وكان أبوهم بابا أحمد بن الشيخ [سيدي المختار الكنتي] الكبير سالف الذكر، قد قضى طول وقته بالقرب من مدينة النعمة. وقد دفن بعد موته في مفتاحة بظهر النعمة سنة 1840، وضريحه محترم جدا؛ وهو مصدر الورد القادري الكنتي كله بالحوض، ويتصل الورد عن طريقه رأسا بالشيخ سيدي المختار الكبير.

والشيخ بن عابدين لم يعد قادرا الآن على القيام بالدعوة، ويكتفي بالصلاة والتعبد عدة ساعات من اليوم في عزلة صوفية متمددا على فراشه بما يشبه نوم الشيخوخة. ولكبر سنه

(6) هو حمادي بن سيدي مْحمد بن الشيخ سيدي المختار الصغير بن الشيخ سيدي مُحمد بن الشيخ سيدي المختار رئيس كنة أزواد توفي في ميه 1912.

أصبحت خيمته هي مسجد حيه المتنقل، وله خيام بيضاء جميلة تضع حدا لرتابة نوع خيام البدو الصحراوين [السوداء]، ويوجد في هذه الخيام عدد من الكتب، كما أن النساء تسكنها؛ وقد ذهب ابنه البكر البكاي المولود سنة 1870 إلى تگانت، ولم يعد منها، ويقوم ابنه حبيب الله المولود حوالي سنة 1872 بمساعدته إداريا ودينيا.

وعلينا أن نشير إلى شخصيات أخرى لها أهميتها في فخذ أهل الشيخ مثل محمد المختار بن الياس المولود سنة 1855.

ونذكر من شخصيات فخذ أهل حمادي بن بابا أحمد، محمد بن بابا بن بابا أحمد المولود سنة 1850، إضافة إلى رئيس الفخذ سالف الذكر.

ولدى أهل البكاي نذكر الخليفة بن بابا بن البكاي، وأخيرا الخليفة بن حمادي بن بابا أحمد الداعية النشيط. فقد وجدناه سنة 1911 في القبائل البيضانية بسُكولو بنية البقاء طيلة فترة الصيف كلها لبث دعوته، وقد دعوناه إلى التزام الهدوء، وبعد ذلك غادرنا إلى سانساندينگ مصطحبا معه خمسين [رأسا] من الضأن وعددا من الإبل والبقر.

وفي أولاد سيدي الوافي الحوض كانت هناك شخصية كبيرة مهمة هي محمد بن إيّايْ بن سيدي الأمين رئيس الفخذ الذي كان ذا صيت شائع والذي توفي سنة 1914.

وفي أولاد سيدي بوبكر الحوض توجد السلطة الدينية بيد الشيخ بن النابغة المولود سنة 1875، وهو من تلاميذ محمد المختار بن الحامد (من أولاد سيدي الوافي) وذلك عن طريق اجه بن محمد محمود من كنتة تگانت (7).

وفي الركيبات نذكر حمادي بن شيخنا، المولود سنة 1875، وهو من تلاميذ الشيخ بن عابدين.

وفي أولاد يوسيف نذكر اسمين هما بابا أحمد بن عابدين بن حبيب الله المولود سنة 1875، وأخاه سيدي محمد المولود سنة 1878.

يبقى أن نقول إن المزار الحقيقي لكنتة هو ضريح جدهم الشيخ سيدي أحمد البكاي بولاتة؛ وبرغم أن رعايته تخضع لأفخاذ كنتة الحوض فإنه يُعتبر تراثا لجميع أفراد القبيلة، وتأتي الناس لزيارته من تنبكتو وكيدال وگاوو في الشرق، وتزوره كل قبائل موريتانيا في الغرب،

---

(7) ـــ في هذه السلسلة خطأ، إذ أن اجه بن أحمد بن محمد محمود بن امّينوه رئيس أولاد سيدي الوافي بتگانت، والمتوفّى في دجنبر سنة 1955 بالجملانية من تامورة النعاج بتگانت، لم يكن من الزعماء الذين يُعطون الورد، وهو لم يتلقاه عن محمد المختار بن الحامد الذي أخذه عن الشيخ محمد بن الطالب صالح التنواجيوي.

كما نرى من زواره أفرادا من حسان مبتدئين التوبة؛ وهذا الضريح الذي خصصنا له دراسة مع ولاتة يعتبر مع ضريح [الشيخ] محمد فاضل أكثر المزارات ورودا في الحوض والساحل.

ملحقات الفصل الخامس

يضم كنتة الحوض اليوم نفس الأفخاذ التي ذكرها المؤلف، ولكنهم تزايدوا كثيرا بعد الفترة التي صدر فيها هذا الكتاب، ويشكلون اليوم مجموعة هامة، توجد أساسا في مدينة النعمة، أو في قرى ومراكز تابعة لها، أو في مدينة تنبدغه والمراكز التابعة لها، أو في العيون والمراكز التابعة لها.

فيتبع أولاد بوسيف النعمة، حيث يوجد لهم مركز هام يسكنه العديد منهم، هو أيتگوهار. والركبات الذين يوجد لهم مركز مهم في أم آفنادش. وأولاد سيدي بوبكر وأولاد البح وأولاد سيدي حبيب الله في أم الأحبال ومحمودَه وابّيوبو والكريع؛ وأهل الأزرق وموطنهم حرث كيني، وأهل الشيخ وهم ثلاثة أفخاذ يتبع أحدها العيون، وهم أهل حمادي بن بابا أحمد الذين انتقلوا إلى هناك وصاروا من سكان الحوض الغربي.

(أ) <u>أولاد بوسيف</u>، موزعون بين ولايتين من موريتانيا هما الحوض الشرقي والبراكنة، وينقسمون إلى فرعين هما الكحل أو الحراطين والبيض، وهم أكبر الأفخاذ الكنتية في الحوض، وأهمها وأقدمها هجرة.

ويملك أولاد بوسيف وكنتة عامة، أو يشتركون مع غيرهم في ملكية أراض زراعية، ورعوية هامة في المناطق الخصبة في الحوض الشرقي من أهمها أيتكهار الذي يضم عدة سدود، وسد وقرية الأوديْ، وأحراث الكراع الأخظر وفاني وتنباره والمزالق وأم اگريره والمنقرح وادريسه وأم اللكان والمخيشبة ومزّيريكه، كما يردون مجموعة من الآبار في المناطق الرعوية مثل أم سنديرة وبوزگراره وسايلة واكريفيت والدنبايه والمويلح وبير محفوظ وبيرانّا بن محمد يحيى؛ وهم بقيادة أولاد خَ بن سيدي الأمين، فبعد خَ تولاها ابنه محمد الأمين، ثم أخوه عبد القادر الذي توفي سنة 1991.

(ب) <u>أولاد سيدي الوافي</u>، ويطلق عليهم أيضا أولاد سيدي بوبكر الكحل، وهم من هجرات قديمة جاءت من تگانت، وهجرات أخرى جاءت مع بداية القرن الحالي، سببها احتلال فرنساتگانت قبل الحوض، الذي كان يشكل منعتهم.

وهم يشكلون من ذلك الوقت فخذا مهما، يضم إلى جانبهم العديد من العائلات التابعة لبعض الأفخاذ الكنتية الأخرى. وقد كوّن هذا الفخذ وقاده أبناء ببّه، فكان أولهم محمد بن أيايْ، ثم بعد وفاته ابن عمه محمد بن مْحمد، ثم أخوه سيدي الأمين ثم دمانّه الذي توفي في السبعينات.

ويسكن أولاد سيدي الوافي في الحوض عدة مناطق منها انول؛ وكان من أهم شخصياتهم في بداية هذا القرن محمد بن أيايْ وهو من المنتسبين إلى العلم، وأول من أقام كيانا لأولاد سيدي الوافي، وضم إليهم مجموعات أخرى، كما يعود إليه الفضل في المساعدة على تحديد موقع كومبي صالح عاصمة ملّي (مالي) أو غانة القريبة من مدينة تنبدغه؛ ويشتق لقب إياّي من لقب جدّه لأمه المختار بن محمد بن امّينوه. وتوجد في أولاد سيدي الوافي عدة عائلات بحّية، هي أهل الوداني وأهل غالي، وينقسمون إلى أهل بانّه وأهل اگوه.

(ج) <u>أولاد سيدي بوبكر</u>، وهم أبناء عمومة أولاد سيدي الوافي، ويطلق عليهم البيض، ويسكنون الآن ومعهم جزء من أولاد البح وأولاد سيدي الوافي في قرية أم الأحبال التي يوجد بجانبها حرث هام لهم.

(د) <u>أولاد البح</u>، وهو فخذ هام من أولاد سيدي حبيب الله، ومن هجرة قادمة أيضا من تگانت، وله نفوذ هام وقديم جدا في الحوض، يسكن الآن معظمه منطقة آگوينيت التي شيدُوا بها سدا وبنو بها قرية.

- (هـ) أولاد سيدي حبيب الله، وهم المجموعة الثانية التي تحل الاسم، ويسكنون مناطق زراعية هامة في چگره وهو سد كبير ومحمودة، وهي مستنقع صالح للزراعة يسع أعدادا هائلة من الناس، وابَيبُ وهو حرث وقرية، وكْريع الحصرة.

(و) الركيبات، وهم أيضا من أكثر الأفخاذ عددا وأهمها مركزا، ويسكن الجنوبيون منهم في مناطق شاسعة للحرث والتنمية، تمد من الحدود المالية شمالا ابتداء مورا بأم آفنادش وهي قرية أقيمت على سد كبير، وامبوراق وهو سد أيضا، وأم إجفّان وهي قرية وحرث والمويلح وچگرة أهل ويس ؛ ويملكون جزءا من ادريسه ومحمودة، بينما يشكل الشماليون معظم سكان مقاطعة ولاتة، ومواطنهم في بامّيره وتاگرارت ونبكة الزبل وقرية زوق في جنوب ولاتة وانتشماط.

(ز) أهل الأزرق، ويوجد عدد من عائلاتهم موزعا بين أفخاذ كنتة الحوض ويضمون أهل الشيخ البكاي وأهل شيخنا بن عبدي، أما أكثرية أهل الأزرق فموجودة في تگانت التي هي موطنهم.

(ح) أهل الشيخ سيدي المختار، وهم موزعون في الحوض بين ولايتيه، وبين عاصمتيهما العيون والنعمة؛ ففي الحوض الغربي أهل حمادي بن بابا أحمد، ويضمون حوالي ستمئة خيمة، وهم ذراري حمادي بن بابا أحمد، كما يلتحق بهم عدد من العائلات الكنتية، وعائلات من قبائل أخرى.

وكان من أهم شخصياتهم الدّدّه بن بادي الذي توفي سنة 1958، وابنه الخليفة الذي توفي سنة 1975.

وهذا الحي من أهل الشيخ كان أكثرهم مالا، وخاصة الدّدّه بن بادي الذي كانت له عناية خاصة بتربية الإبل والخيل، إضافة إلى زعامته الزمنية والروحية؛ وهم يزرعون مناطق صدر بيظ وأم الركامين وسد گجيره وجزءا من أشلم.

أما في الحوض الشرقي، فهناك فخذان من أهل الشيخ سيدي المختار هما:

(1) أهل عابدين بن بابا أحمد، ويقطنون في أغلب الأحيان في البكرة وهي قرية وحرث وقْطيع الحنوشة وهو حرث والصحراء وهو حرث أيضا. ورئيسهم هو محمد بن بادي بن الشيخ بن عابدين.

(2) أهل بابا بن البكاي، ويتبعون النعمة، ورئيسهم هو الخليفة بن البكاي بن سيدي حبيب الله، ويسكنون مفتاحة، وهي حرث، وأم عش وهي حرث أيضا ومميل والزميلة.

وعدد هام من عائلات أهل سيدي مْحمد بن بابا أحمد يتبعون النعمة وسكناهم في أنسول. ولهم سد مْبيريكه وحْسي أهل بابا بن اجه.

الشجرة العامة لكنتة

	الشيخ سيدي مُحمد الكنتي الكبير (القرن15م) توفي في فصك بتيجيريت، أمه أهوى بنت محمد بن ألم بن كنتة بن زم رئيس ايدوكل		
	الشيخ سيدي أحمد البكاي الذي تفرعت عنه القبيلة أمه بنت آلّه بن الحسن بن أيشف الجكنية ت 1514م		
سيدي أعمر الشيخ له:		الشيخ سيدي مُحمد الكنتي الصغير	الطالب بوبكر الحاج
	أم الثلاثة بنت يعقوب الرمطانية الجكنية		
-الوافي جد أولاد الوافي			
-أحمد الفيرم جد الرقاقد			
-سيدي المختار جد أولاد سيدي المختار، أمهم فاطمة الملقبة تمخلصت بنت ألفغه يلب (إديشلي)		سيدي أحمد، فقيه كنتة، جد أهل الأزرق، في موريتانيا	سيدي عبد الرحمن أمهما تندغية، ذريته بأزواد
الثلاثة هـم أجداد كنتة الشرقيين		وأبناء عمهم بأزواد	

	شجرة كنتة الغربيين (موريتانيا) ذرية سيدي مْحمد الكنتي (الصغير) بن الشيخ سيدي أحمد البكاي			
1 ـ سيدي بوبكر جد أولاد سيدي بوبكر وأولاد سيدي الواقي	2 ـ سيدي الوافي الشواف جد أهل أو گال	3 ـ سيدي أحمد الكريم، جد أهل أحمد كنتة	4 ـ سيدي ويس، جد أولاد بوسيف	
5 ـ سيدي المختار النقرة جد الركبات	6 ـ امرأة قد تكون هي أم أهل مْحمد من العلب	7 ـ سيدي أعمر جد المتغنبرين	8 ـ سيدي حبيب الله جد أولاد سيدي حبيب الله	
	أم أبناء الشيخ سيدي مْحمد الكنتي (الصغير) السبعة وأختهم (أجداد كنتة الغربيين) هي لالّه بنت أعمر أگلال الجكنية.			

شجرة أولاد بوسـيف

سيدي ويس

سيدي أحمد

بابا بوسيف

1 الباشا	2 سيدي أعمر	3 أعمر	4 الأمين، جد أهل عمي الامين	ويس 5
الأمين، جد أهل الامين، منهم أهل شكرون وأهل أحمد عبد	المعزوز، جد أهل المعزوز	ويس الصغير جد أهل ويس الصغير	المختار، جد أهل عبدي بن المختار	أحمد جد أهل المختار بن أحمد وأهل عمي محمود
6 سيدي حبيب الله	7 عبد الرحمن	8 سيدي حبيب الله	9 بابا جد أهل أحمد بابا	10 أحمد
محم جد أهل محم		بابا جد أهل بابا	چيبابا جد أهل چيبابا	
بابا إبراهيم، جد: أهل سيديا، وأهل أفكراش وأهل محمد الناجم			خيري، جد: أهل الطالب أعمر ول خيري، وأهل الطالب، وأهل عبدي ول سيدي أحمد وأهل أحمد الصغير، وأهل الكبد	

رؤساء أولاد بوسيف الحوض

بابا بوسيف

أحمد (1)

بابا (2)

محم (3)

أحمد (4)

محمد (5)

سيدي الأمين (6)

سيدي أحمد (8)

خُ (9)

محمد الأمين (10)

عبد القادر (11)

محمد الأمين (12)

حمادي (7)

ملحق شجرات أهل بابا أحمد بن الشيخ سيدي المختار

	بابا أحمد بن الشيخ سيدي المختار ت 1840					
(اجه)	سيدي حبيب الله	سيدي محمد	حمادي	البكاي	عابدين	بابا
سيدي المختار	حمادي	حمه الامين			ميجه	محمد
		يسكنون أزواد		أم سيدي اعمر بن الصغير		توفي بأزواد
				كلهم يسكنون أزواد		
سيدي محمد الكنتي (حدّي)		سيدي حبيب الله (مكحلّه)	سيدي محمد (حبّه)	ميجه، لم تعقب	لاله اسياته، أم أولاد محمد المختار بن الحامد الصغار	الشيخ

سيدي مُحمد (حبّه) ت 1903 بن حمادي بن بابا أحمد في الحوض الغربي						
1 الشيخ	2 البكاي ت. 1907		بادي 3	4 الخليفة	بابا أحمد5	
الشيخ	البكاي	الدده	عابدين	بابا	الخليفة	
ت 1960		ت 1957			له	
البكاي		كان رئيسا ذا مكانة			فاطمة	
					وزينب	
حدّي له	بابا	محمد	الخليفة	بادي	البكاي	
الخليفة والبكاي		ت 1962		له محمد والشيخ	له أربعة من الذرية	
وآخرون						
		بادي الرئيس	الشيخ بابا	زينب داده	البكاي	
لاله		فاطمة	الدده	حبيب الله	سيدي	
7 علالي					8 البكاي ت 1907	
		مامه		الخليفة	بادي الصغير	سيدنا
الشيخ، له عقب		أم أهل(البكاي له فاطمة اجه ول بابا) ولاله التي تعقب				

الشيخ بن حمادي بن يابا أحمد (مات غيلة)						
نانا		سيدنا	بادي من أهل العلم يسكن رأس الماء			
		الشيخ			سيدي اغمر له ابن	
			لاله اسياته	زينب	لاله عيشه	نانا
ذرية سيدي مْحمد الكنتي(حدي) بن حمادي بن بابا أحمد (في الحوض الـــغربي)						
	زينب أم6 أولاد الدّدّه	نفيسة 5	4 حمادي	ميجه3	2سيدي مْحمد	1 باباحمد
					محمد، وأخوات وإخوة	لاله منا
		ثلاث بنات	حدّي موظف			
	الشيخ سيدي محمد 9 لم يعقب			8 محمد لم يعقب	7عابدين له حدي	
	ذرية سيدي حبيب الله (مكحله) بن حمادي بن بابا أحمد					
حمادي ت 1960	الشيخ		سرّي	زينا، له المرابط وأخته	بابا	سيدي مْحمد
	مكحله له بنات		بابا			
محمد هاجر فترة إلى سبها بليبيا	ابنة	سيدي حبيب الله	وثلاث بنات	سري	اجه	
				بادي وثلاث بنات	بابا	عابدين
محمد	مكحلة	حمادي			له محمد	له ذرية
ذرية الخليفة (بور) بن البكاي بن سيدي مْحمد بن حمادي بن بابا أحمد						
البكاي	الشيخ	ماما		محمد له		مكحلّه
		ضابط شرطة		سيدي حبيب الله ونانا وغيرهم		

الخليفة بن سيدي مّحمد بن حمادي بن بابا أحمد					
الشيخ أحمد			حمادي (امّادها) لم يعقب		محمد ول حبه
محمد	الشيخ الكبير	باباأحمد	امّادها	الشيخ سيدي محمد	الخليفية
الشيخ	بابا أحمد	الخليفة	سيدي محمد	زينب فاطمة خديجة وأخت	
ذرية بادي الصغير بن البكاي بن سيدي مّحمد (حبه) بن حمادي بن بابا أحمد					
	البكاي	الخليفة		شياخ	سيدنا
			اميمتنا	محمد	بادي
				في أزواد	
		وآخرون	وبنبه	والشيخ	حمادي
محمد	بادي	عبودي	الخليفة	الشيخ،	وبنات
	وآخرون		محمد	عابدين	

عابدين بن بابا أحمد (أكثريتهم في الحوض الشرقي والبعض في آفطوط)					
بادي	بابا	البكاي	محمّدي	الشيخ(مكحله)	سيدي مّحمد
		الصغير			
	سيداتي، له ذرية				
					عابدين لاله
لاله	فاطمة	حمادي	الشيخ		

ذرية الشيخ (مكحله) بن عابدين بن بابا أحمد						
3 بابا		2الشيخ		1سيدي محمد		
إسماعيل له ثلاثة أبناء وبنات	سيدي حبيب الله له البكاي وإخوة وديدي والشيخ		بابا أحمد له محمد	عابدين (بقي) لم يعقب، اغتاله أهل الكدية 1909		حمادي الصغير له سيدي محمد وثلاث بنات
9خديجة	8اگجوجه	7 عابدين	6 الخليفة	5 حم		منجه 4
14 سيدي أعمر		أميمه 13	12 سيدنا	11 سيدي البكاي		10 السبغه
	له ثلاة أبناء وبنات					
خديجة	لاله	شيخنا	البكاي	حمادي	محمد	
	يسكن العيون		له ذرية	له ثلاة أبناء		
بقي	الشيخ	سيدي حبيب الله		حمادي	بابا أحمد	
يسكنون آفطوط وعيون العتروس						
17 حمادي				16 البكاي		15 بادي
		22 حمادي	21 سيدي محمد	20 الخليفة	19 الشيخ له محمد	18سيدي محمد
بابا له له ثلاثة أبناء وابنة	امّا عْلي ت.1967	ولاله	له سيدي	له البكاي ومامه وغيرهما		له البكاي وسيديا وغيرهما
				يسكنون آفطوط		
أربع بنات	محمد: له ابنان، البكاي: له ابن			25 سيداتي 24 محمد 23 بابا وبنات		

البكاي بن بابا أحمد من أهل آفطوط والحوض

بابا قتل غيلة سنة 1879 تحة شجرة البونية	بنباي	سيدي المختار (سيدنا) ت 1887	عابدين قتل غيلة له الخليفة

سيدي حبيب الله ت 1908 له البكاي	بادي	بابا	الخليفة	سيدي اعْمر	بنباي له بابا وسيدنا ولاله عيشه
الذي له سلمان رئيس فخذالنعمة	الشباني لاله عيشه رئيس سابق			سيدنا كان زعيما كبيرا 1908 ـ 1990	زينب

سيدي محمد	بابا	زينب

سيدي اعمر دبلوماسي وإداري، خليفة والده	لاله منا وفاتا وزينب	سيدي مْحمد	بابا أحمد	البكاي ت1984

اسماعيل	سيدي مْحمد(شكرود) كان من أهل العلم له زينب وفاطمة (الحوض)	سيدي أعمر	سيدي أعمر (الحوض)

		عابدين	الخليفة	لاله عيشه، أم	لاله منا	لاله فاطمة
بابا	لاله	أهل سيدي أحمد بن الحامد				

سيدي مْحمد (اجه) بن بابا أحمد

4 البكاي	3 بابا	2 سيدي حبيب الله	1 عابدين

بادي		اجه	الشيخ	خديجه والمصرية والمومنة وميجه وزينب

زينب أم أهل عابدين	محمد كان أديبا ت. 1982	الشيخ له البكاي يسكن مالي	بابا له: لاله الشيخ واجه ومحمد وبنات	البكاي	خديجه

أمهما عيشه بنت سيدي المختار

محمد	الشيخ	فاطمة	اجه

ميجه أم أهل عابدين	لاله (الشريفة)	عيشه أم هل ودادي	خديجه	بابا ت.2000 له عقب	زينب	المصرية أم أهل عابدين

11الشيخ الصغير	10 خديجه	9 المومنة	8 ميجه	7 لاله	6 فاطمة	5 حمادي

13 سيدي مْحمد (اجه) عقب بنات	12 بابا

سيدي مْحمد له حمادي حمادي: له بنات في الحوض

البكاي	الخليفة: استشهد يوم تجگجه ضد الفرنسيين 1906	اجه لم يعقب

لاله	اجه	الشيخ: يعتبر منشئي الاتصالات الحديثة في موريتانيا

ولهما إخوة	يوسف	مريم أم أهل بيدّه

بقية ذرية سيدي مُحمد (اچه) بن بابا أحمد في الحوض وتگانت

عابدين		حمادي		سيدي حبيب الله
	سيدي حبيب الله		حمّد	
	حمّد			
زينب أم أهل أدبيهي لها أخوات	عبودي أحد العلماء ت 1988	حمادي		حمّد أحد العلماء
	حمّد	سيدي حبيب الله له عبودي وغيره		
	محمد (ونّي)	سيدي حبيب الله	الشيخ	
	الشيخ سيدي محمد	سيدي حبيب الله		اللوها وإيدومها ونفيسة
	1البكاي له اچه حمادي له ثلاث بنات	2سيدي حبيب الله لم يعقب		3الشيخ له عبودي الصغير
4 اچه له ذرية	5مامه		6لاله	7سيدي أعمر لم يعقب

البكاي بن سيدي مْحمد بن (سبدي) بابا أحمد							
الشيخ	سيدي مْحمد			سيدنا			بابا أحمد
		لاله عيشه	بادي	حمادي	البكاي		
	1 بوحد، ت. 1988		سيدي محمد		البكاي	حمادي	الشيخ
				الشيخ		الشيخ	بابا
			وإخوة وأخوات			في الجيش	
			الشيخ كاتب صحفي بارز أم الثلاثة الكبار فاطمة بنت بوّه		محمد	بابا	
		بقية ذرية بوحد بن سيدي مْحمد					
	فاطمة	اجه عابدين الخليفة اسريه سيدي أعمر حمادي زينب اگجوجه					
	2زينب	3 اسريه 4 اگجوجه	5 البكاي		6 عابدين		
زينب	محمد		سيدي مْحمد			بابا أحمد	
أمّ							
أهل عبودي			محمد				
بن سيدي							
حبيب الله		سيدنا شيخنا ولهم أخوات					محمد
	عابدين	زينب	فاطمة				

الفصل السادس

الگلاگمة وأهل الطالب مختار وإجمّان

الگلاگمة

1 ـ لمحة تاريخية

ينسب الگلاگمة أنفسهم إلى الشرفاء، فهم يلتحقون حسب روايتهم بمرابط تنبكتو الكبير سيدي يحيى التادلي الذي تُقدم مختلف تواريخ السودان فكرة عن حياته، وعن نسبه والذي سبق لي أن وصفت جامعه وضريحه ونفوذه الديني(1)؛ وكان سيدي يحيى يحمل لقب الكبير، وهو المعروف به في تنبكتو، ولكنه يحمل أيضا ـ وذلك حسب قول الگلاگمة ـ لقب گلگم. ونحن نرى في شكل واضح ودقيق أن أهل الطالب مختار كليا وإجمّان جزئيا ينتسبون إلى سيدي يحيى ذاته، وينبغي أن ندمجهما أيضا تحت تسمية الگلاگمة ، غير أن شيوع الاستعمال لا يسمح بذلك.

وفي خلال قرن كامل (القرن الخامس عشر) كانت ذرية سيدي يحيى تعيش في تنبكتو، وخاصة ابنه شمس الدين، ثم علي بن شمس الدين الذي توفي في أواسط القرن الخامس عشر تاركا ثلاثة أبناء هم: سيدي يحيى الصغير وبوبكر والطالب بركة.

وقد نتج عن استيلاء [الحاكم السونگائي] سوني علي على تنبكتو في عام 1467 والجور الرهيب الذي أعقبه قسر هؤلاء الجهابذة الثلاثة على الهجرة مع كل علماء المدينة إلى ولاتة (1468 ـ 1469) التي ظلوا فيها 18 سنة كما يقول تاريخ الگلاگمة ثم ذهبوا إلى النعمة حيث باشروا بناء القصر (حوالي 1486).

وبعد مضي بعض الوقت حدث الانفصال حيث مكث في النعمة الأخوان الأصغران ولقيا فيها ربهما؛ وقد أصبح بوبكر عن طريق ولده جمّان جد بعض خيام الشرفاء الذين انصهروا في إجمّان؛ أما سيدي يحيى الصغير وجماعته الذين سبق أن قلنا إنهم من الگلاگمة فقد ذهبوا إلى تورشين حيث مات سيدي يحيى فيها ودفن وترك ثلاثة أبناء هم:

(أ) الطالب عبد الله جد الگلاگمة الحاليين.

(ب) [الطالب] محمد، جد أهل الطالب مختار.

(ج) [الطالب سيدي] أحمد الهيبة الذي لم تعد ذريته ممثّلة إلا بمحمد عبد الله بن محمد السالك بن سيدي محمد وخيمته منصوبة لدى أهل أحمد إجيد.

ولم يلبث أبناء سيدي يحيى الصغير أن انقسموا بدورهم على أنفسهم فتوجه [الطالب]

---

(1) ـ انظر كتاب الإسلام في منطقة تنبكتو، المؤلف.

محمد إلى الغرب لدى: "العرب المغافرة، ثم هاجر أخواه الطالب عبد الله و[الطالب سيدي] أحمد الهيبة من تورشين إلى صابو ومنطقة باقنه، ثم عادوا إلى الصقرة، وسافروا بعد ذلك إلى كُصنَ وسيمُ وباسكنو، حيث بقوا هنالك بعض الوقت. ولم يكن في البلاد آنذاك إلا العجم (غير العرب) وإكّلاد الذين كان رئيسهم أيلّه بن اسلماقه؛ وفي سنة 1588 أعاد الطالب سيدي بن [الطالب سيدي] أحمد الهيبة بناء النعمة التي كان أعمامه قد هجروها وعادوا إلى ولاتة، وقد مات في النعمة. وقد أخلاها نسله بدورهم بعد ذلك بقليل، فتعرضت للخراب إلى أن وفد عليها مولاي إسماعيل في سنة 1808" [كما يقول تاريخ الكّلا كّمة].

وكان الكّلا كّمة يرتحلون نحو ميمه وكُصن وباسكنو حتى وصول أولاد يونس الداوودين إلى الحوض. ولا تنقل روايتهم سوى صراعات مستمرة ضد الرّمه بالنهر [النيجر] وتحالفات سياسية وزيجات مع بنباره.

وقد فرضت الهجمات التي شنها أولاد يونس ضد الزنوج على الكّلا كّمة الانفصال عن حلفائهم القدامى كي يقتربوا من المعقل الذين انتقلت إليهم الهيمنة السياسية فسيطروا أيضا على هؤلاء الحسانيين بفضل مواهبهم الروحية.

ويجعل تاريخ الكّلا كّمة من هزيمة إكّلاد ومن موت رئيسهم أيله [بن اسلماقه] في القرن الثامن عشر إشارة إلى تحول سياسي عميق في المنطقة. فقد اضطر الزنوج إلى إخلاء ضواحي النعمة وانول والوادي (چكّراكّه) وتوك .. الخ. وهكذا أقفرت الصحراء السودانية من سكانها بتأثير وصول العرب كما حدث لموريتانيا قبل ذلك بعدة قرون، وكما فعلت قبائل الهوصه [الحوصه] النيجيرية بين كّاوو ومنكّه قبل قرن من ذلك. ويضيف التاريخ "إنه لم يبق سوى قبيلتين هما أولاد يونس والكّلا كّمة الذين كانوا حينذاك ثلاث قبائل أهل الطالب عبد الله (كّلاكّمة بكل معنى الكلمة) وأهل الطالب مختار وإجمّان." ومع أنهم كانوا زوايا فقد تواءم الكّلا كّمة حتى أيامنا هذه مع كل الأوضاع السياسية في الحوض والساحل، إلا أنه بعد اضطرار أولاد يونس التخلي عن مكانهم للفاتحين الجدد، والتوزع في كل مكان تقريبا لدى (الكّلا كّمة والاقلال وأولاد ممُّ، وفي مدينة والنوارة وتندييه .. الخ) دخل الكّلا كّمة في قرى الفاتحين، وبعد ذلك كانوا أشياخا لأولاد محمد [ياحمَد] وأولاد مْبارك وفي آخر المطاف لمشظوف وقد انفصلوا عنهم بعد احتلال ولاتة حيث يؤلفون اليوم قبيلة مستقلة (دائرة النعمة)؛ وكان سلوكهم مطبوعا بالاستقامة الدائمة منذ اليوم الذي حصل فيه الاتصال لأول مرة معنا في بوتيات بحضور المقدم لافيردير في مارس سنة 1908.

وقد عاشت القبيلة دائما متحدة بشدة، وفي عهد الطالب عبد الفتاح وهو الخامس من ذرية الطالب عبد الله انقسمت إلى فخذين، وترك ولدين، كان أكبرهما البشير.

بقي علينا أن نشير إلى أن الكّلا كّمة قد تناثروا بعض الشيء في خارج القبيلة فقد ذهب مخيم أهل محمد لسّام ليندمج في أولاد ملّوك، ويُعتبر إذن ضمن اتحادية مشظوف، كما أن

فخذا آخر وهو أهل موسى بن سيدي هيبة يعيش في تگانت منذ بضعة أجيال مقسما بين تجكانت وإدوعيش.

2 ــ التوزيع

ينقسم الگلاگمة اليوم بصورة فرعية إلى فخذين مستقلين عن بعضهما وهما:

(أ) أهل البشير 142 خيمة؛ ورئيسهم هو محمد قيس بن محمد البشير، وكان والده محمد البشير بن هيبة زاويا مشهورا توفي عام 1889.

(ب) أهل أحمد إجيد 123 خيمة؛ ورئيسهم هو الشبيه بن ييّه بن شيخنا محمد الأمين [بن الطالب عبد الوهاب بن أحمد إجيد] الذي ترك سمعة كشيخ دين كبير جدا، ولما كان تلميذ ومريد [الشيخ] محمد فاضل فقد تساوى معه بالعلم والتقدير، مثلما عادله في النفوذ الخارجي. وقد تزوج من إحدى بناته، ودفن في آرشان بوادي تروه حيث شُيد له مزار كبير يقصده الكثير من الزوار، وخلفه ابنه ييّه (محمد عبد الفتاح) حوالي سنة 1885؛ وقد وجدناه سنة 1906 إلى جانب مشظوف في النّيملان في معسكر أعدائنا، وأنكر الأمر، معتبر رحلته زيارة لخاله [الشيخ] ماء العينين؛ ومهما كان الأمر، فقد أعطانا ييّه منذ احتلالنا ولاتة شهادة صادقة عن حسن السلوك.

ولإعطاء فكرة عن اتساع آرائه وبصورة عامة عن الطريقة التي تَفهم بها قبائل الساحل الزاوية المنفتحة الذكية والمثقفة دينها سنذكر فقرتين أو ثلاثا من خطاب مفتوح له، حيث يقول "يمكن تقسيم العالم مقارنة بالفرنسيين إلى عدة أجزاء، وفي آخر المطاف يأتي أولئك الذين يعرفون الفرنسيين ويعرفون الرخاء والسلام اللذين جلبوهما، والعدل والتنظيم والطمأنينة التي منحوها للبلاد، وغيرها من الأمور الأخرى الكثيرة. وأكون الأول من الرجال الذين ينتسبون إلى هذه الزمرة . لقد خلقنا الله أنتم النصارى ونحن المسلمين مؤمنين، فأنتم تعبدونه عن طريق رسوله عيسى [س] ونحن عن طريق محمد [ص] وكلاهما رسول من الله. وهكذا أصبحنا متحدين ضد أولئك الذين لا يؤمنون به. إنني أمد يدي نحو الفرنسيين، وأرجو لهم السعادة والثراء، وأبارك السلم الذي جلبوه".

وقد مات ييّه بمنطقة ذيبة في نهاية عام 1912 دون أن يستطيع تحقيق حلمه الذي كان توحيد كل الگلاگمة تحت سلطته. وحل مكانه على رأس فخذه ابنه اليكر الشبيه [كما ذكر من قبل] المولود حوالي عام 1885.

والشخصيات الدينية الرئيسية لدى الگلاگمة هي:

(أ) محمد الأمين بن محمد بن إسحاق، وهو رجل ذكي عالي الثقافة وهو قاضي القبيلة، ويقدم تعليما عاليا لاثني عشر طالبا، وهو مقدم قادري لشيخنا محمد الأمين السابق الذكر، وقد ذهب إلى تّوات في نونبر سنة 1909، واصطحب معه ثماني خيام تضم عشرة رجال،

وخمس عشرة امرأة وثمانية عشر طفلا وخمسة عشر من تلاميذه وبضعة خدم وثمانين جملا، وقد بقي جزء من مخيمه لدى آكويا أخي أحمد طل رئيس كلنصر الشرقيين حتى عودته من توات؛ وقد عاد الجميع إلى الحوض في سنة 1911.

(ب) محمد الصغير بن عبد الوهاب المولود في عام 1840، وهو رجل شهير طاعن في السن وعالم، ويُعطي بصورة متقطعة محاضرات في الفقه وعلوم الشريعة تلقى الكثير من التقدير، وفضلا عن ذلك يعتبر من الصالحين، ويقصده الناس من كل جهة طلبا لبركته.

وينتشر التعليم بصورة واسعة في مخيمات الگلاگمة ، تقصدهم جماعات تبحث عن التعليم من القبائل الموريتانية، ومن قرى إفلان والسونينكه في الجنوب، كما يحصلون منهم أيضا على الورد القادري.

ويملك الگلاگمة قليلا من الإبل، ولكن لديهم قطعانا جيدة من الأبقار والأغنام، ويرتحلون في الفصل الجاف إلى سيفان ورادينى وانيوط وبوتيات والنجّام وكوصه، وفي فصل الأمطار يقتربون من النعمة مرورا بذيبة و گمون؛ وهم لا يتجاوزون خط النعمة ـ دنداره في الشمال، وفدره و گونبُ في الجنوب.

هذا ولدى الگلاگمة تاريخ صغير على غرار الكثير من قبائل الساحل والحوض مؤلف من ثلاث صفحات يوجز معطيات تاريخهم ونسبهم، وفي نهايته يشير إلى المصادر التي اعتمد عليها وهي:

(1) ـ الأنوار الحسينية عن الشرفاء المحمديين القاطنين بسجلماسة (تافيلات).

(2) ـ كتاب الجمان في أخبار الزمان.

(3) ـ تاريخ ابن خلدون.

(4) ـ رحلة البكري.

وإلى تاريخ الگلاگمة هذا والذي قام عدد من مرابطيهم بشرحه أسندت النبذة التاريخية السالفة الذكر.

شجرة الگلاگمة وأهل الطالب مختار						
	سيدي يحيى الكبير (مدفون في تنبكتو)					
			شمس الدين			
			علي			
	بوبكر			سيدي يحيى الصغير		
	جمان جد مجموعة شرفاء إجمّان خاصة لدى أهل الحاج الطيب		الطالب محمد جد أهل الطالب مختار	الطالب سيدي أحمد الهيبة له الطالب سيدي		الطالب عبد الله جـــد الگلاگمة
				المؤسس الثاني للنعمة		محـــــم
						الوافي
			الطالب الحبيب			
						مــــــحم
			الطالب اجيه			سيدي
			الطالب محمد			الطالب عبد الفتاح
			الطالب خيار			
			مامين	البشير		محمد المختار
			محمد فاضل	الطالب جدُّ		أحمد إجيد
						له: الطالب
أهملت هنا	سيدي الخير		الحضرمي له	الحبيب		عبد الوهاب
بقية ذرية	لــــه		الترار وغيره			
الشيخ محمد فاضل	مامين وغيره		واترار له النعمه وغيره	محمد البشير		شيخنا محمد الأمين له:
						ببه، له:
						الشبيه رئيس أهل أحمد إجيد

نسب الكلاكمة وأهل الطالب مختار(2)

سيدي يحيى الكبير الكلكمي بن يوسف بن عمر بن محمد بن عثمان بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أران بن أتلان بن جملان بن إبراهيم بن مسعود بن عيسى بن عثمان بن عبد الوهاب إسماعيل بن يحيى يوسف بن عمر بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن [الإمام] علي [بن أبي طالب كرم الله وجهه].

(2) اعتمدنا في هذه النسب على "نعت البدايات وتوصيف النهايات" للشيخ ماء العينين، طبع دار الفكر.

أهل الطالب مختــار

1 ــ لمحـــة تاريخيـــة

يؤكد أهل الطالب مختار ــ وهي قبيلة وافرة العدد تسكن منطقة الساحل والحوض ــ أنهم شرفاء، فهم كما رأينا في الفصل السابق أبناء عمومة الگلاگمة. ويستمدون اسمهم من اچيه المختار بن الطالب الحبيب بن [الطالب] محمد، جد أهل الطالب مختار، وهو أخ للطالب عبد الله جد الگلاگمة ، وكلاهما من أبناء سيدي يحيى الصغير.

ومن نافلة القول العودة إلى تاريخ أصول هذه القبيلة الذي سردناه سابقا، ولنقل بكل بساطة إن الانفصال بين الگلاگمة وأهل الطالب مختار حصل في تورشين حوالي منتصف القرن السادس عشر، ثم مال أهل الطالب مختار نحو الغرب تقريبا إلى المنطقة التي هم فيها حاليا، تُرى، ما ذا حدث في ذلك التاريخ؟ إن الرواية تظل خرساء.

ويقال إن الطالب مختار أو الطالب اچيه كما يلقب كان في المغرب في النصف الأول من القرن السابع عشر، وأنه وصل إلى تگانت حوالي 1650، وقد استقر فيها ومات في العامود في نهاية القرن، ولحق أولاده بأبناء عمومتهم من ذرية أخرى لمحمد بن سيدي يحيى الصغير الذين ظلوا في الساحل؛ وقد استلموا قيادة القبيلة التي لم تلبث أن اشتهرت باسم أهل الطالب مختار.

وعند دراستي للفاضلية أشرت إلى وجهة نظر قبائل موريتانيا حول الموضوع، وعلى الخصوص بشأن تجمع الشيخ سعد بوه [في منطقة الترارزة] وهو الوحيد من أهل الطالب مختار الذي تعرفه تلك القبائل.

وقد أثيرت وجهات نظر مشابهة في الحوض أيضا خاصة لدى بعض مثقفي النعمة وولاتة ، ولكنها آراء قليلة الوثوق من نفسها. ومن ناحية أخرى، فإنالگلاگمة باعتبارهم قبيلة محترمة، يقدمون الخدمة المعهودة لأهل الطالب مختار، بالدفاع عن نسبهم، عندما يدافعون هم عن نسبهم الخاص.

وقد توفي الشيخ محمد فاضل رابع ذرية الطالب اچيه ــ والذي منح قبيلته الوقار الديني الذي تتمتع به منذ قرن ــ سنة 1869 تاركا مئة ولد، منهم 48 من الذكور. وكان للعديد منهم مستقبل براق نذكر منهم [الشيخ] ماء العينين وابنه [الشيخ أحمد] الهيبة والشيخ سعد بوه الذي توفي في يوليه سنة 1917.. الخ. وقد قمت بدراسة كل هؤلاء في كتابي المذكور سابقا "الأخوية الدينية (الفاضلية)". ولن أعود هنا إلا إلى شخصيات الحوض لأن هذا الكتاب يهتم بقبيلة (أهل الطالب مختار).

2 ـ التوزيع

يتألف أهل الطالب مختار في الوقت الحاضر من سبعة عشر فخذا اثنا عشر منها تحت قيادة النعمة بن [الشيخ] التراد والذي سنراه فيما بعد، وهم أهل الشيخ الحضرمي وأهل شيخنا محمد معلوم وأهل الطالب محم وأهل خيار بن أحمد وأهل الديّة وأهل تقي الله وأهل الهيبة وأهل الطالب عبد الباري وأهل الشيخ الخليفة وأهل أبابك وأهل الحاج وأهل خيار بن الطالب محمد.

ويقود الأفخاذ الخمسة الباقية مامين بن [الشيخ] سيدي الخير والذي سنراه أيضا فيما بعد، وهي أهل سيدي الخير وأهل الشيخ تقي الله وأهل سيدي الأمين وأهل آبه بن الشيخ محمد فاضل وأهل محمد لقظف؛ وقد استرد فخذان صغيران استقلالهما الإداري أخيرا بعد أن كانا مندمجين في القبيلة، ويعودان لأصل أجنبي، وهما تشمشه وأهل الطالب عثمان.

وحدث الانقسام الطارئ لأهل الطالب مختار إلى تجمعين على أثر موت [الشيخ] الحضرمي، وذلك في أعقاب منازعات حادة بين أخيه [الشيخ] سيدي الخير وابنه [الشيخ] التراد؛ والواقع أن [الشيخ] الحضرمي وهو الابن السابع لـ[الشيخ] محمد فاضل قد خلف أخاه الأكبر سيدي بويا (سيدي عثمان) في الإدارة السياسية والسيادة الروحية للقبيلة ـ الأسرة بدءا من سنة وفاته 1870 ؛ وخلال 25 سنة كاملة لم تتعرض سلطة الشيخ الحضرمي للطعن إطلاقا، ولكنه بعد ذلك، وخاصة على أثر وفاته في عام 1894 طالب ابنه البكر [الشيخ] التراد بإرث السلطتين الروحية والزمنية، في حين كان آخر أولاد [الشيخ] محمد فاضل [الشيخ] سيدي الخير، يتطلع إلى الطموحات ذاتها؛ وقد انقسمت الأفخاذ والتلاميذ على أنفسهم وحدثت اشتباكات أكثر من مرة، ولم يتبدل الوضع حتى بعد وصولنا إلى ولاتة؛ وعلى أثر الكثير من الفتن أصبح من اللازم الاعتراف بوجود مستقبل لكل من التجمعين.

وكان تجمع [الشيخ] التراد ــ وهو ضعف التجمع الآخر من حيث العدد، ومن حيث الثراء بالأغنام والأبقار ــ يرتحل في الجنوب ويتبع إداريا مركز گونبُـ النواة، في حين ظل تجمع [الشيخ] سيدي الخير، وهو الغني بالإبل على الخصوص في الشمال، ويرتبط بولاتة.

ولم ينتج عن الوفاة المتزامنة تقريبا للزعيمين (1916) إلا احتدام أكثر في المنافسات بين الأبناء؛ فقد ورث النعمة الابن البكر لـ[الشيخ] التراد قيادة والده وتطلعاته للإدارة العامة للقبيلة؛ أما مامين بن [الشيخ] سيدي الخير فقد ورث قيادة أبيه وتطلعاته للاستقلال؛ وينبغي للإنسان أن يعيش في بلاد البيضان كي يحس بحجم العمل الذي قام به هؤلاء المرابطون محليا في البداية، ومن ثم في كولوبا لدى والي السودان ثم في دكار لدى الوالي العام ولدى كل المدنيين والعسكريين الذين استطاعوا الوصول إليهم.

وبعد إلحاق أهل الطالب مختار بالنوارة ــ كونبُ توحدوا تحت زعامة النعمة ؛ فبعدما

قام به في دكار أصبح رئيسا عاما للقبيلة، ولم يدر أحد أسباب كل ذلك، غير أنه لا بد من الاعتراف محليا وعمليا بانفصال التجمعين عن بعضهما، لذلك كانت قيادة النعمة [العامة] واهية تقريبا، ولم يهتم بها أهل مامين بن [الشيخ] سيدي الخير إلاّ قليلا، وعلى كل حال لم يكترثوا بالزعيم العام إلا عن طريق زعيمهم الخاص أي مامين. ويرتحلون في فصل الأمطار في حفارة وأوري واجّمجميه، وفي الفصل الجاف في عين السلام ومحمودة وتوك وسلونه.

3 ـ الشخصيات الحالية

سأستأنف في هذا الفصل الطريقة التي سبق لي أن اتبعتها في [كتاب] "الفاضلية" وأقصد بذلك التسلسل الزمني لأولاد [الشيخ] محمد فاضل، وسأنوّه بأكثرهم أهمية، ثم أتكلم عن أبنائهم.

{7} (3) [الشيخ] الحضرمي، ترك [الشيخ] التراد الذي توفي في 28 يناير سنة 1917 في گدرني (4) وكان أحد أكثر شخصيات الحوض جذبا للانتباه خلال ربع قرن. فقد خلف والده [الشيخ] الحضرمي في عام 1894 كرئيس ولو من الناحية الاسمية على الأقل لأهل الطالب مختار، ولكن الخلافة الدينية كانت قد آلت على الخصوص إلى الشيخ سيدي الخير.

وقد بذل [الشيخ] التراد جهده لاستردادها، وكاد يبلغ مرامه في أواخر أيام حياته؛ وعلى كل حال كان يُعتبر مُقدما قادريا للطريقة الفاضلية على قدم المساواة مع [الشيخ] سيدي الخير؛ أما اتجاهنا، فقد كان لـ[الشيخ] التراد دوما موقف منضبط إلى درجة الموالاة؛ وفي فترة الانتفاضة الموريتانية في عام 1906 ظل منعزلا عن كل هيجان، واستنكر في العديد من المرات رسميا، وبشكل علني معاداة فرنسا التي سلكها عمه في الشمال [الشيخ] ماء العينين وابنه [الشيخ] أحمد الهيبة.

ولا يجوز أن ننسى بأنه لم يخش أبدا المخاطرة بنفسه بالقدوم قبل سنة 1900 إلى انيورو وإلى خاي، وفي سنة 1903 إلى بامكو ذاتها؛ ولهذا السبب، وتقديرا لذلك فقد كانت السلطات الفرنسية تغض الطرف أكثر من مرة عن إيوائه متمردين أو جواسيس شماليين؛ وقد ظل [الشيخ] التراد شأن عمه [الشيخ] سعد بوه في الترارزة حاصرا كل حياته بين مصالحه التي كانت تنصحه دائما وتلزمه أحيانا بأن يمشي في ركابنا وبين عواطفه العائلية وانتماءاته الدينية التي كانت تدفعه نحو [الشيخ] ماء العينين وأبناء عمه الطموحين في جنوب المغرب؛ وكان شديد الانفتاح واسع الثقافة رقيقا جدا ودهاؤه يوازي دهاء حي كامل من البيضان؛ لكن

---

(3) ـ هذا الترقيم هو لأبناء الشيخ محمد فاضل وأبنائهم حسبما ورد في كتاب المؤلف "الفاضلية".

(4) ـ ينبغي ألا يكون هناك لبس مع ضريح الشيخ التراد بن العباس الموجود بدكار عاصمة السنغال، حيث توفي عند عودته من الحج سنة 1945.

[الشيخ] التراد لم يشوه سيادته الدنيوية الحاذقة الوجيهة، وأسلوبه المشابه لأساليب القرن الثامن عشر؛ فقد كان يتصف بتلك اللهجة الخاصة بأمير كبير والتي لا تخلو من الازدراء بعوام الناس الذين كانوا يحيطون به.

ولن نتكلم هنا عن إخوته أبناء [الشيخ] الحضرمي الآخرين، والذين درسناهم في [كتاب] الفاضلية. ويستحق آبة بن [الشيخ] الحضرمي منهم تنويها. وسندرس هنا أبناء [الشيخ] التراد فحسب.

لقد ترك [الشيخ] التراد ـ فضلا عن عدد لا بأس به من البنات ومنهن المتزوجات لوجهاء أهل الطالب مختار وأخريات ما زلن صغيرات السن ـ 15 ولدا ذكرا هم: النعمة المولود عام 1889، والحضرمي المولود حوالي 1897، والشيخ سيدي أحمد المولود حوالي 1900 والقطب وحد أمين ومحمد المصطفى المولودين في سنة 1902 والحضرمي [مكرر] المولود سنة 1903، والشيخ سيدي الأمين وعبد الوهاب المولودين سنة 1907، وآبه المولود سنة 1910، وأحمدنا المولود سنة 1911، ومحمد المعلوم المولود سنة 1913، وسعد بوه المولود سنة 1914، والمأمون المولود سنة 1913، ومحمد فاضل المولود سنة 1917؛ وعكسا للشيخ سعد بوه، فهو لم يقلد أحد أبنائه شرف اسم عزيز على العائلة وهو ماء العينين.

وكل أبنائه هؤلاء صغار السن لا يستحقون أي تنويه غير أن النعمة وهو الخليفة السياسي والديني له يستحق وحده انتباهنا؛ وقد تعرضنا قبل قليل لمنافساته مع ابن عمه مامين التي لم تكف عن التصاعد منذ موت الوالدين؛ فهذان الشابان لا يستخدمان دوما في علاقاتهما المرونة والمسحة المرابطية التي ظل كل من [الشيخ] التراد و[الشيخ] سيدي الخير رغم كل شيء يحتفظان بها. وقد تزوج النعمة من ابنة عمه خديجة بنت حد أمين بن الحضرمي، ورزق منها حتى هذه الساعة ببضع بنات وثلاثة أولاد، وهم التراد المولود سنة 1902 والحضرمي المولود سنة 1905، وسيدي بويا المولود سنة 1917.

{28} محمد المعلوم ، والذي سبق لنا أن ذكرناه في عداد الموتى ولكنه ما يزال حيا (1918)، وهو رجل يزيد عمره عن (80) سنة، ولا تغادر خيمته داية محمودة، وقد ورد ذكر أبنائه في [كتاب] "الفاضلية".

{33} الشيخ سيدي أحمد، المولود في حدود عام 1845، وهو لا يزال يعيش في حي مامين ويشغل وظيفة إمام هذا التجمع، وله أربعة أولاد هم: محمد فاضل المولود حوالي 1870، ومحمد لقظف المولود حوالي 1894، وسيدي بويا المولود حوالي 1910، وآبّه المولود حوالي 1915.

{34} محمد مفتاح الخير وقد ولد حوالي 1825، وهو كفيف تقريبا، وقد استقر في كوبا

بين خاي وانيورو، وجرى اعتقاله في باسكنو حوالي 1896 على أثر عصيان أولاد علوش، ورُدت إليه حريته بعد ذلك، ويعيش أولاده مبعثرين. ويعيش سيدي بويا وهو الابن الأكبر فيهم حياة بدوية لدى أولاد خيرة (مشظوف انيورو) وأمه بالفعل خيرية. أما الاثنان الآخران، وهما محمد فاضل والحضرمي فيعيشان مع والدهما، ولكنهما يمكثان لمدة طويلة من كل علم لدى أهل الطالب مختار، أما الأبناء الآخرون آدم وماء العينين ومحمد المأمون، والذين لا يزالون في سن صغيرة فلا يغادرون مخيم والدهم حيث يتابعون دراساتهم.

{36} سيدي علي، ولد حوالي العام 1869 وغادر الحوض منذ أكثر من ربع قرن كي يعيش في تجمع [الشيخ] ماء العينين ولم يخرج من هذا التجمع، وفيه قام بتزويج كل أبنائه، ولهذا فهو غير معروف في الحوض؛ وليس صحيحا ما أوردته في [كتاب] الفاضلية بأن سيدي علي قد عاش وتوفي في الحوض.

{40} أحمدنا، وتوجد خيمته في مخيم أخيه الكبير محمد المعلوم.

{46} سيدي الأمين، وقد ولد حوالي 1865، ويشكل مع جماعته مخيما صغيرا لدى مامين بن [الشيخ] سيدي الخير.

{48} الشيخ سيدي الخير، وقد توفي في 4 دجنبر سنة 1916، وكان من أقدم معارفنا في الحوض، فعند ظهورنا في گونبُ سنة 1892 تقدم وعرض نفسه تحت راية أخيه [الشيخ] سعد بوه في الترارزة.

وقد استُغلت خدماته في مناسبات عديدة حتى وفاته وذلك لدى مختلف قبائل الساحل والحوض وافَاكيبين وحتى أزواد، وفي الواقع فإن كوپولاني (اكزافيى) copolani [xavier] اصطحبه معه من تنبكتو حتى أبواب أروان.

وفي أغشت سنة 1895 وقّع العقيد لاماري LAMARY وهو نائب والي السودان، و[الشيخ] سيدي الخير ممثل أهل الطالب مختار الاتفاق الغريب التالي:

"ليكن معلوما لدى كل من يقرأ هذا النص أن العقيد لاماري والي السودان، وسيدي الخير بن الشيخ محمد فاضل، وعمّ التراد بن الحضرمي بن الشيخ محمد فاضل رئيس قبيلة [أهل] الطالب مختار الذي يزور خاي ويتكلم باسمه واسم قبيلته وإخوته وباسم الزعماء الآخرين وكل الذين يتبعون طريقتهم أنهم يضمنون صداقتهم الطيبة المتبادلة واستمرارية علاقاتهم الطيبة.

أولا- إذا شاء الله فإن فرنسيي السودان لن يسيئوا أبدا لقبيلة أهل الطالب مختار ولا لأصدقائهم ولا للذين ينصتون لأقوالهم ويتبعون طريقتهم، ولن يصادروا أرزاقهم ولن يسطوا على أراضيهم. وسيقدمون لهم الحماية ويحققون العدالة بواسطة الضباط أو الرؤساء المعينين وذلك عندما ينصاعون للقوانين فترة وجودهم فوق أراض تابعة لفرنسا، وعندما يدفعون رسوم الرعي والأوسورو [العُشر].

ثانيا – وكذلك يتصرف زعماء قبيلة أهل الطالب مختار بنفس الأسلوب اتجاه الفرنسيين، واتجاه الذين يسلكون طريقهم وسيستخدمون حكمتهم وفضائلهم ونفوذهم على قبيلتهم، وعلى القبائل التي تقبل

بنصائحهم تحسين العلاقات بين الفرنسيين وبين البيضان، والعمل على تسهيل التجارة بحماية القوافل وبالكف عن نهبها، والحيلولة دون إلحاق أي ضرر أو أذى بالفرنسيين، أو بأولائك الذين يقيمون فوق أراضيهم أو يخضعون لأوامرهم.

ثالثا ـ إذا رأى احد الفريقين أن الآخر قد وقع في موقف عسير، وكان باستطاعته نجدته فعليه أن يقوم بذلك.

رابعا ـ يمتنع رئيسا الجانبين دائما عن تقديم أي دعم لمن يريد الإضرار بممتلكات الطرف الاخر أو حلفائه. وعلى العكس يجب القيام بكل ما هو ممكن للابلاغ المبكر عن كل المحاولات المنظمة، وإذا حدث ضرر فإن من الواجب رد الحق بسرعة وبصورة كاملة قدر المستطاع للجانب المتضرر.

خامسا ـ إذا ارتكب أحد أفراد أهل الطالب مختار أو من أتباع طريقتهم عملا يستحق اللوم بخروجه عن قواعد العدالة وأصبح في وضع يستحق عليه العقاب فإن رئيس القبيلة يجب أن يكون على علم بذلك، وسيعمل ما في مقدوره لينال العقاب الذي يستحقه، ويناشده بالكف عن هذه التصرفات؛ وإذا رفض نصائحه فإن رئيس قبيلة أهل الطالب مختار ينقل ذلك إلى علم قائد كُونبُ، ويقطع منذ ذلك الحين أية علاقات مع المجرم.

سادسا ـ وحسب الطريقة ذاتها إذا اعتقد أحد من أهل الطالب مختار أنه تعرض للأذى من طرف فرنسي أو من طرف الذين يسلكون طريقهم فإن على رؤساء القبيلة أن يخبروا حالا قيادةكُونبُ التي ستحقق في القضية.

سابعا ـ لقد وعد سيدي الخير بن الشيخ محمد فاضل على الخصوص بأن يسعى للتوصل إلى عقد سلام بين الفرنسيين وبين الشيخ بن سيدي رئيس أولاد علوش، وكذلك بين الفرنسيين ومشظوف والقبائل الأخرى غير الخاضعة.

ثامنا ـ وأخيرا لن يرتضي أهل الطالب مختار أبدا الإنصات إلى نصائح المتآمرين أو مروجي الإشاعات الرديئة من أمثال انگونه أو سيدي البكاي (5) كما يسلك الفرنسيون السلوك ذاته، ولن ينصتوا إلى لغو الحديث الذي يمكن أن يقال عن أهل الطالب مختار."

وقد كان [الشيخ] سيدي الخير مثل كل أهل الطالب مختار في الحوض محصورا طول حياته بين الفرنسيين وبين أخيه [الشيخ] ماء العينين الذي ضمن نجاح مشاريعه في المغرب إلى الأبد عظمة الأسرة، ولهذا لا مجال للدهشة عندما نعرف أنه قدم له أكثر من مرة المساعدة، ولكنه عرف على كل حال في سنة 1906 كيف يظل في منأى عن الهيجان الذي أثاره [الشيخ] ماء العينين في موريتانيا حتى أنه انسحب في تلك الحقبة مع ابن أخيه [الشيخ] الترادإلى دائرة كُونبُ كي يدلل على استنكاره لسلوك أخيه.

وقد كان الشيخ سيدي الخير مثل كثير من شخصيات أسرة [الشيخ] محمد فاضل جذابا جدا؛ ولما كان ذا ذكاء حاد ومنفتحا وذا مظهر خارجي جميل، بل وحتى جذاب، فقد عرف

---

(5) ـ هما زعيما جزء من الطوراق ومن كنتة أزواد الذين حملوا السلاح لمقاومة الاحتلال.

كيف يجذب لنفسه المهابة. فقد تهذب على أثر تواصل لا يتوقف معنا، ومراسلة شديدة الانتظام مع مختلف السلطات الإفريقية، كما عرف كيف يجتاز العوائق بمهارة، واستطاع أخيرا أن يستفيد من موقعه الديني الكبير، والحصول على استقلال تجمعه وارتباطه بمنطقة النعمة ـ ولاتة.

ولما كان غنيا وأميرا كبيرا بكل معنى الكلمة فلم يورط نفسه في جولات لجمع الهدايا، كما يفعل أخوه [الشيخ] سعد بوه؛ وهذا التعفف لا يستبعد في الواقع قبول الهدايا. ومنذ وفاة أخيه [الشيخ] الحضرمي أصبح الممثل المعتمد للورد الفاضلي في الحوض والشيخ الأعلى لأتباع هذه الطريقة، وقد حاول ابن أخيه [الشيخ] التراد في آخر المطاف أن ينافسه.

وترك [الشيخ] سيدي الخير عشرين ولدا تزوجت البنات منهم وجهاء أهل الطالب مختار والكلاكمة ؛ وأبناؤه الذكور العشرة هم: مامين وقد ولد عام 1890، وسيدي بويا المولود حوالي 1892، وسعد بوه المولود حوالي 1897، وعبد القادر وماء العينين المولودان حوالي 1899، وسيدي محمد وقد ولد حوالي 1900، ومحمد لقظف والهيبة والحضرمي والمامون، وقد ولدوا بين 1900 و1910؛ واثنان منهم يستحقان الذكر مامين وعبد القادر.

فقد خلف مامين أباه كزعيم للمجموعة، ويأمل أن يحصل على خلافته الروحية، ولهذا الهدف ينصرف هذا الشاب الذكي إلى كل أنواع الحركات الدينية التي تثير التعجب حتى لدى عدد من البيضان؛ فهو يلبس شاشية والده مع احترام يتجاوز الحد. ونراه يسير تحت مظلة كبيرة واقية من الشمس ينتقل بوقار من مخيم إلى آخر، في حين يقوم اثنان من مريديه بقيادة جمل، أحدُهم يمينه والآخر شماله، يناديان بالتناوب بفضائل وعمق "بحر العلم هذا".
وفي بعض الأيام يظهر جالسا على فروة في مدخل خيمته، في حين يظل كل خدمه وتلاميذه من أفضلهم تهذيبا وتدريبا يدورون دون انقطاع حول المخيم، وعندما يمرون أمامه يقبـُلون يده.

ولدى قيامي بزيارة لضريح [الشيخ] محمد فاضل في نهاية دجنبر سنة 1917 تعرفت على طالب شاب مستنير معين ومثبّت هنا من طرف [الشيخ] سيدي الخير، ومهنته الوحيدة تكرار المدائح لسيده أمام الزوار العديدين الذين يقصدون الضريح. وعلى كل سؤال أطرحه عليه أو يسأله هو كان يقدم جوابا مجاملا متفاوتا في اتزانه، مضيفا على شكل لازمة "نعم، ومامين ولي كبير".وقد تزوج مامين ابنة عمه خديجة بنت الحضرمي بن محمد لقظف، ورزق منها ببضعة أولاد لا زالوا صغارا.

أما عبد القادر وهو الابن الرابع لـ[الشيخ] سيدي الخير فهو شاب متفتح ذكي حصل على ثقافة طيبة، وقد يصبح الشخصية الأكثر امتيازا في الجيل الصاعد لأهل الطالب مختار.

وفيما عدا ذرية [الشيخ] محمد فاضل المباشرة، فهناك القليل من الشخصيات التي تستحق التنويه، ولنذكر على كل حال أولئك الذين هاجروا من القبيلة.

ففي فاطومه، وهي بلدة تجارية كبيرة في دائرة موبتي، ينصرف ثلاثة من أهل الطالب مختار ضمن جالية على قدر من الأهمية من البيضان إلى التجارة، وهم محمد عبد الله بن كونه وأحمد مولود بن سيدي وخويانا حيدرة، وقد تزوجوا هنا من ثلاث نساء زنجيات، وقضت مصلحتهم المكث حيث هم، ومن غير المحتمل أن يعودوا لقبيلتهم، وسيشكلون أرومة من الشرفاء السود. وفي كولومينا (انيورو) نجد الطالب مختار بن الطالب الخير بن مامين المولود حوالي 1875؛ وقد عاش في البداية مع [الشيخ] سعد بوه حيث انصرف إلى التجارة، وفي سنة 1908 قصد تنبكتو عبر الساحل عندما تعرض للسلب من قبل بعض الغزاة. ولما عاد إلى انيورو استأنف طريقه إلى السنغال، ولكنه عندما وصل إلى دباجالا فُتن بمجاملات السكان وبسحر شابة تكرورية فأقام هنالك وعاش ثلاثة أعوام كان يكسب خلالها رزقه من دروسه القرآنية ومن الرقيا. وفي سنة 1911 قرر الذهاب إلى السنغال، ولكنه توقف من جديد بخاي في الأوضاع ذاتها، وأخيرا جاء ليقيم في كولومينا بهدوء في ظل البركة العائلية. ويعطي في الوقت ذاته كمعظم الفاضلية الورد القادري والتيجاني.

4 ـ الحياة الدينية

تظل الحياة الدينية لدى أهل الطالب مختار تحت هيمنة الوجه البارز [الشيخ] محمد فاضل الذي درسناه في مؤلف سابق؛ وقد كان شيخنا ـ كما يُسمّى بالإجماع ـ تلميذ ومريد الشيخ الكبير محمد لقظف الجعفري (الداوودي)؛ وتم دفنه على مسافة كيلومترين في شمال غرب آبار ادياده فوق هضبة ثبتت رمالها بفضل نبات من نجيليات دقيقة، ومن إينيتي (البلسكاء) وقد أقيم له ضريح أطلق عليه اسم دار السلام.

ويتألف هذا الضريح من غرفة كبيرة من الطين وصفائح قرميد حسنة البناء يبلغ ضلع جدرانها ستة أمتار، وفي الداخل يقوم الضريح وهو عبارة عن بناية صغيرة من الطين ترتفع مقدار متر ونصف، وهو مغطى بلبدة كبيرة مخططة بألوان مختلفة. وفي كوخ مجاور مبني من القش يقيم على الدوام اثنان أو ثلاثة من التلاميذ مزودين بقرب الماء لسقاية الزوار؛ وهناك على الدوام أيضا زوار فوق الكثيب المقدس مع نساء وأولاد وحيوانات للذبح ويسود مكانهم نوع من الحركة.

وقد تشكلت حول الضريح مقبرة كبيرة حسب العادة الإسلامية تنتشر فيها قبور عديدة تدل عليها شواهد كبيرة من القرميد ترتفع من 30 سنتمترا إلى متر منقوشة أحيانا بكتابات مثل "يارب اغفر وارحم عبدك التقي .. من قبيلة .." ونرى بين هذه القبور عدداً كبيرا من قبور أولاد وأحفاد [الشيخ] محمد فاضل.

وتحمل الأشجار الشوكية المحيطة بالضريح ــ المعفاة من القطع حتى أصبحت جميلة جدا ــ بين أغصانها علامات تدل على جو الوقار السائد، ويقصدها الناس ليضعوا فيها خياما مطوية، أو بكل بساطة أوتاد الخيام وركائزها، وأحيانا هوادج وحصرا ومهاريس ومزاود فارغة أو مليئة بالألبسة.. الخ وتظل هذه الأشياء هنا لبضعة أيام للتبرك ثم يستردها أصحابها، كما توضع هدايا فوق القبر أو حوله يجمعها الحراس لترسل إلى النعمة، ولا سيما إلى مامين، وينقل المريدون إلى الابن التوقير الذي يكنونه للأب.

أما قبر مامين [بن الطالب خيار] والد [الشيخ] محمد فاضل فهو في الصطّه، وهو مقصود بكثرة، وقد أقيم له مزار بديع مبني بالحجر والطين.

وعلى مقربة من مزار [الشيخ] محمد فاضل في مقطع الطرشان أو چاره ــ محمودة يقوم ضريح [الشيخ] سيدي الخير؛ ولم يُقم بعد أولاده أي بناء عليه، ويتألف هذا القبر من "أگادير" بسيط رباعي الأضلاع مرصوف بحجارة كبيرة؛ وهناك عادة تجنح للتأصل لدى زوار [الشيخ] محمد فاضل وهي أنه عند عودتهم لمناطقهم يمرون للسلام على قبر [الشيخ] سيدي الخير.

والضريح العائلي الرابع والمحترم لدى فاضلية الحوض هو قبر [الشيخ] التراد بن [الشيخ] الحضرمي المدفون في گدرني حيث أقيم حوله حائط يتألف من أربعة جدران دون سقف، وهناك حارس دائم وأحيانا تلاميذ يعتكفون فيه لبضعة أيام (6) .

ويكنّ أهل الطالب مختار وتلاميذهم حتى الآن تقديرا وإجلالا كبيرين لقبر الشيخ محمد لقظف [الجعفري] شيخ [الشيخ] محمد فاضل الروحي، ولقبر شيخنا محمد الأمين [ين الطالب عبد الوهاب بن أحمد إجيد] الذي رأيناه آنفا؛ ومنذ وفاة [الشيخ] سيدي الخير و[الشيخ] التراد لم تبق لدى أهل الطالب مختار أية شخصية دينية من الطراز الأول، ولا نستطيعُ أن نذكر سوى: (أ) سيدي محمد بن الحضرمي أخي [الشيخ] التراد المولود حوالي العام 1870، وهو قاض يعتبر عالم القبيلة. (ب) الشيخ سيدي أحمد بن [الشيخ] محمد فاضل إمام القبيلة.

ونفوذ أهل الطالب مختار محسوس بشكل متفاوت في معظم قبائل الحوض والساحل، ويعتبرون رجال صلاح وزوايا مثقفين، كما أن المنافسات التي تقوم وتثور بينهم لا تُلحق بهم الأذى في الخارج. وفي الواقع فإن هذا التوقير الديني صادر من الخارج الذي يحترمهم كأبناء وتلاميذ شيخ الإسلام القدير [الشيخ] محمد فاضل؛ ويوجد هذا التأثير على الخصوص في بعض الأفخاذ الصغيرة الزاوية التي سنراها فيما بعد، مثل القوانين وشرفاء أولاد محمد [باحمّد]، ويجنح بعض مريديهم ــ مثل أولئك الشرفاء ــ إلى أن يحتلوا مكانتهم.

(6) ــ انظر الحاشية رقم 4.

ويظهر التأثير الديني لفاضلية أهل الطالب مختار أيضا لدى قبيلة مشظوف، هذا على الرغم من أنهم يلقون فيها أشياخا من قبيلة كنتة؛ ولكن ولاءهم غير منازع على الخصوص لدى أولاد محمد [باحمّد] بصورة مباشرة، أو بواسطة المخيمات التابعة لطريقتهم.

وقد سبق لي أن ألمحت إلى دهاء هذه القبيلة، ولكن بعض مشظوف ربما يستطيعون مجاراتهم في ذلك؛ ولا مجال هنا لمؤاخذة هؤلاء أو أولئك، لا سيما وأن الأساليب الملتوية لم تنشأ محليا إلا بعد تشجيعها من قبل أولئك الذين لهم مصلحة فيها، ولم تتمكن من أن تنمو في مكان آخر مثل كولوبا ودكار إلا بسبب ضعف وجهل البعض؛ ولم تعرف أبدا السلطات المحلية وسلطات الولايات كيف تنجو منها.

فدهاء البيضاني وبعد نظره أمران مستفحلان لا سيما لدى بعض القبائل الزاوية؛ والحاكم الإداري القادم من بلاد السود الذي لا سابقة له بمثل هذه الطبائع يكون بعيدا عن افتراض وجودها. وهكذا ينجر في النهاية للسقوط مخدوعا بما يراه حوله من بساطة ظاهرية وخطب معسولة يجري التلاعب بالكلام فيها بمهارة، ويجب أن لا ننسى أن البيضان هم من البيض؛ أما فيما يتعلق بأهل الطالب مختار خصوصا فيجب الاحتراز من المطالب التي ينادي بها رؤساؤهم بشكل أو بآخر وذلك بصورة دورية من بداية المسلسل الإداري إلى نهايته مثل:

(1) ــ احتكار هذه العائلة أو تلك للسلطة العامة على القبيلة، أو الاشتراط كتابة، سواء من جانب والي السودان أو من طرف الوالي العام ــ باستمرار دفع الإتاوة من قبل العائلات أو الأفراد الذين يعودون أصلا لقبائل ولمناطق مختلفة اجتمعوا هم أو أجدادهم حول [الشيخ] محمد فاضل أو حول [الشيخ] الحضرمي. وقد لاقت هذه الادعاءات المغالية التي لا ترمي لشيء سوى أن تكون عشرا [ضريبة] دينيا تحت غطائنا وبمساعدة من قواتنا ومعرفة الدولة في الساحل لمصلحة أهل الطالب مختار، أقول لاقت استقبالا يكاد يكون مرحبا.

(2) ــ الحصول على وضع القبيلة الأكثر تفضيلا؛ فقد طلب [الشيخ] الستراد مع بقائه مرتبطا بمركز النوارة أن يخوّل حق التجول في كل الحوض وألاّ يدفع إلا ضريبة قليلة مثل التي يدفعها البدو في الأقاليم البيضانية.

وسنتوقف هنا عن هذا التعداد الذي تمكن إطالته، فالتحالف مع أهل الطالب مختار مثل تحالف الفارس والحصان أمر ممتاز ولكن لا يجوز دائما أن نظل الحصان، ونتألم مثل القبائل المجاورة.

إجمـــان

1 ـ لمحـــة تاريخيـــة

يقتصر تاريخ إجمّان على القليل من الكلمات، فهناك مصدران ساهما في تكوين القبيلة، الأول منهما سبقت دراسته مع الگلاگمة، ويجعل منهم شرفاء، أما الآخر وهو الأكثر شيوعا، فيصيّـرهم بعضا من عرب الفتح، وينسبهم إلى مجموعة المعقل؛ وهم ليسوا حسانا بالمعنى الاشتقاقي للكلمة، لأنهم لا ينحدرون من حسان بل من المختار(7) بن عم حسان ورفيقه، غير أنهم حسان من حيث نمط حياتهم والحرفة والطبائع؛ ومن المعروف فعلا أن عبارة حسان هذه تشير بصورة دارجة في موريتانيا إلى كل فخذ من أصل عربي يمتهن حمل السلاح بغض النظر عن نسبه، ويرتبط هذا النسب ـ وهذا ما يجب أن نقوله في تسع حالات من عشر ـ بحسان ذاته.

وتجعل الرواية أَجَمْ الجد الأعلى للقبيلة من ذرية معقل، وقد كان لأجمْ أربعة أولاد، ولـــكن ذرية ابنه الثاني فَنْوِي هي التي شكلت الأفخاذ الثلاثة الأكثر أهمية في القبيلة؛ ولم يكن للابن الثالث موسى، سوى ذرية محدودة توجد في الفخذ الرابع المدعو إجـمّان العرب، وكذلك في إفلان أوّربه (8) أما الابن الرابع حيب الله، فهو جد معظم إجمّان العرب.

ويُـعتـقد أن التفرع الحالي للقبيلة قد تم خلال ستة أجيال بعد فنْوي؛ فقد هاجر الطالب الصدّيق [بن الفقيه حسان] الذي كان وقتئذ رئيس المخيم في شمال الترارزة والبراكنة، نحو الشرق، واستقر في أطراف تگبه (أفلّه) (9)؛ وكان له ولدان هما الحاج بوبكر والحاج الطيب، وقد حل الأول منهما مكانه على رأس القبيلة، بينما هاجر الابن الثاني مع جماعته إلى الحوض، وهو الجد الأعلى لفخذ أهل الحاج الطيب؛ ونحن نعرف من تاريخ ولاتة أن حفيد الحاج الطيب: الطالب أحمد قد مات في حدود 1738 ـ 1739.

وقد ظل الحاج بوبكر في منطقة أفلّه، وتحت قيادته تقريبا، حدثت في عامي 1721 ـ 1722، معركتا أگجرت وفوگس بين تجكانت وإجمّان، التي يتكلم عنها دون تفاصيل، أول تواريخ ولاتة، وقد تجددت تلك المعارك في سنتي 1730 ـ 1731.

---

(7) ـ تذكر الحسوة أحد الأقوال الذي يجعل لحسان ابنا سادسا هو عمر جد إجمّان أو جزء منهم؛ أما أبناؤه الآخرون، فهم عبد الرحمن جد الرحامنة، وأودي (أحمد) جد المغافرة، ودليم جد أولاد دليم، وحمُّ جد البرابيش؛ ويؤكده جل النسابة وجود ولد خامس هو عبيد الله جد إديقب واهل باريك الله.

(8) ـ بُوأر كما هم معروفون في الساحل.

(9) تگبه حاضرة كان بعض سكانها من تجكانت حيث استوطنها جزء منهم بعد هجرتهم من تنيگي، تقع على بعد حوالي ثمانين كم شرق النوداش التي بها أطلال مدينة آودغست، بركيز أفله.

وقد أنجب الحاج بوبكر ولدين هما المختار ومحمد، وبعد وفاته حل مكانه ابنه البكر المختار؛ وقبل محمد عن طيب خاطر سلطته، ولكنه رفض فيما بعد الاعتراف بسلطة ابنه الطاهر وهاجر إلى الحوض، وهو الجد الأعلى لأهل محمد؛ وبعد أن بقي الطاهر وحيدا (وسط القرن التاسع عشر) فترة من الزمن بدأ السير بدوره على رأس جماعته التي أصبحت تدعى أهل الطاهر أو الفخذ الثالث من إجمّان ، والتحق بأبناء عمومته في الحوض.

وهكذا عاشت أفخاذ إجمّان محاربة في القرن الثامن عشر مستقلة تماما عن بعضها البعض، وفي شبه تبعية لسادة الساحل السياسيين؛ ويسرد تاريخ ولاتة المعارك التي وقعت بين إجمّان و[أولاد] علوش في شهر مايه سنة 1796، غير أنه حدثت في وسط القرن التاسع عشر حركة دينية قوية في القبيلة إبان دعوة [الشيخ] محمد فاضل الكبير، وأواخر دعوة [الشيخ] محمد لقظف الجعفري؛ فبعد أن تخلت القبيلة عن حياة الحرب انتقلت دفعة واحدة خلال جيل واحد إلى حياة التدين؛ ومع ذلك ينبغي أن نتصور أن ملامح هذه الحركة قد أخذت تتجلى قبل ذلك بفترة من الزمن لأننا نلاحظ في أسلاف مختلف الزعماء الحاليين في القرنين السابع عشر والثامن عشر "طلبة" و"فقهاء" من الذين لا يحملون أسماء من تلك الشائعة عادة في حسان.

ويؤلف إجمّان قبيلة زوايا خمدت لديهم ذكرى الصراعات الحربية الماضية، حيث أن المجد الذي يتطلعون إليه هو السلام والسّبحة.

وقد ظل قسم من إجمّان في دياره القديمة في الغرب، ويُعرف اليوم باسمه الخاص به في قبيلة أولاد أبييرى الكبيرة، غير أن هناك أمرا مستغربا، وهو أنه بينما يعرف كل من إجمّان الترارزة والحوض قرابتهم بانتمائهم إلى أصل واحد، فإن إجمّان الترارزة ــ عكسا لأهل الحوض كما رأينا مع دراستنا للقلاقمة ــ ينسبون أنفسهم إلى حسان بالمعنى الاشتقاقي للكلمة، ويؤكدون أن جدهم الأعلى أجم أخ لأحمد الجد الأعلى لأولاد أحمد (البراكنة)، وأخ لمحمد والد أبييري. وتنتسب هذه الشخصيات الثلاث عن طريق عبد الجبار بن كروم بن بركنّي إلى أودي بن حسان؛ ولم يكن من الممكن التوفيق بين هاتين الروايتين اللتين يمكن أن تكونا صحيحتين، وتجعلنا نقبل بوجود أصل مزدوج يرتبط بحسان. وتراودني بالأحرى فكرةُ وجود هذا السلف الحساني الصرف في بعض خيام من فخذ إجمّان العرب الذين يدّعون أنهم من الأصل الذي تنتمي إليه الأفخاذ الأخرى (معقل طبعا) ولكن ليس لهم مع الآخرين سوى درجة قرابة نائية جدا. وقد كان بعض المتعلمين منهم أكثر دقة إذ أكدوا أن بضع خيام منهم وإن كانوا قد فقدوا ذكرى سلفهم ينحدرون أيضا من جد أولاد أبييري، وقد أُطلق على هذا الفخذ لقب "العرب" نظرا لبقائهم محاربين (حسانا عربا) لمدة طويلة، وكانوا آخر من انصرف إلى حياة التدين.

وهناك رواية ثالثة شائعة في منطقة الحوض لدى الگلاگمة لكنها صعبة التوفيق مع الروايتين السالفتين، وهي ربط إجمّان أو على الأقل أكثريتهم بجمان بن بوبكر بن علي بن شمس الدين بن سيدي يحيى الكبير المدفون في تنبكتو.

وعلى هذا الأساس، يكون أولئك إجمّان إذن شرفاء، أبناء عمومة أهل الطالب مختار والگلاگمة، ومن الثابت أن هناك بضع خيام تنتسب إلى السلالة الشريفة لدى إجمّان، وعلى وجه خاص لدى أهل الحاج الطيب؛ وبما أنهم كانوا عاجزين عن تقديم نسبهم، فمن المستحيل معرفة ما إذا كانوا من ذرية جمان بن بوبكر بن علي أم لا.

ومن المستحيل أن تكون هذه الروايات الثلاث كلها صحيحة، وأن القبيلة كانت أصلا مؤلفة من أرومتين حسانية وشريفة؛ وفي هذه الحالة يكون من الغريب أن يحمل الجدود الثلاثة اسم أجم وأجوم وجُمان، وبذلك نقع في نزوات النّسابين البيضان.

وعلى كل حال فإن هناك واقعا متفق عليه، وهو أن إجمّان في مجملهم يدّعون الانتماء إلى أصل حساني، وينفون عن أنفسهم صفة الشرفاء، ولا يعود انصرافهم إلى التدين لأبعد من القرن التاسع عشر، ويقولون إنهم يستمدون معطيات تاريخهم من مؤلّف سيدي عبد الرحمن بن علي الجزولي؛ ويرتبط إجمّان منذ زمن بعيد عن طريق الزواج بقبيلة بارتَيلْ في ولاتة.

2 ــ التوزيع

ينقسم إجمّان اليوم إلى أربعة أفخاذ، هي التالية:

(أ) أهل الطاهر، وهم 377 خيمة.

(ب) أهل الحاج الطيب، وهم 163 خيمة.

(ج) إجمّان العرب، وهم 162 خيمة، أي مجموع مقداره 702 خيمة، ويتبعون دائرة النعمة ــ ولاتة.

(د) أهل محمد، وهم 80 خيمة، ويتبعون دائرة گونبُ ــ النوارة.

(أ) ــ أهل الطاهر، وقد ظلوا حتى شهر إبريل سنة 1915 تحت قيادة سيدي بن محمد المختار الذي قد يكون له بعض الحق بصفته رئيسا للفرع البكر في القيادة العامة للقبيلة إذا ما أنشئت في يوم مّا؛ وقد وُلد حوالي 1872 ونجح تماما في السنين الأولى من احتلالنا، حيث أثنى عليه العقيد مانجو سنة 1912، ولكنه أشار إلى أن موالاته مرتبطة بمدى قوة موقفنا، وهو ما اتضح بعد عامين من ذلك، فعلى أثر ثورة أهل سيدي وعندما اعتقد بدو المنطقة أن قضيتنا خاسرة، أصبح موقف سيدي اتجاهنا غاية في الريبة. وإذا كان لم يندفع حتى الثورة فقد تورط بشكل خطير بإبلاغه خصومنا عن تحركات قوات الهجانة، واستغل الوضع لينهمك في كل أصناف العنف والابتزاز بحق مخيمات إجمّان، وتم توقيفه بعد قليل، وحكمت عليه محكمة النوارة بعام من السجن (إبريل سنة 1915).

وفي ذلك التاريخ انقسم أهل الطاهر ــ بناء على طلبهم ــ إلى مخيمين مستقلين، هما أهل ميني (235 خيمة)، وأهل جدُّ (142 خيمة)؛ وقد حل مكان سيدي ميني بن أحمد وهو ابن عم مباشر له رئيسا لهذا الفخذ، وهو مولود حوالي 1875 ومصاب بالشلل ولا ينتقل إلا محمولا ولكنه رجل يمسك جيدا بزمام أتباعه؛ أما محمد جدُّ رئيس المخيم الثاني فقد ولد حوالي 1875، ويربط بطريقة شيخنا محمد الأمين [بن الطالب عبد الوهاب] بن أحمد إجيد، وبواسطته بـ[الشيخ] محمد فاضل.

وأكثر الشخصيات البارزة في أهل الطاهر، هي:

(1) أحمد بن الخضر بن الياس المولود حوالي 1850، وهو شاذلي مريد لمحمد المختار بن الشيخ بن سيدي الإجمّاني، وهو من شرفاء أولاد محمد [باحمّد].

(2) سيداتي بن محمد بن الشيخ، المولود بحدود 1875، وهو معلم مدرسة ويدّعي أنه بلا ورد.

(3) محمد أحمد ين أحمد بن إلياس، المولود حوالي 1874 شاذلي مريد لـ[شيخنا] محمد الأمين [بن الطاب عبد الوهاب بن أحمد إجيد] الذي سبق ذكره، وهو طالب وقاضي الفخذ الرسمي، كما يدير مدرسة قرآنية تضم اثني عشر تلميذا، ويعلم مبادئ الشريعة والنحو لأربعة من شبان فخذ أهل ميني.

(4) ميني بن أحمد ويلتحق بـ[الشيخ] محمد فاضل عن طريق الشيخ بن الياس وسيدي محمد بن أحمد الإجمّاني.

(5) سيدي محمد بن الياس المولود حوالي 1882، وهو طالب وقاض رسمي لدى أهل ميني، وهو مريد قادري لسيدي محمد بن أهل الخير من أهل أحمد الأسود.

(6) إبراهيم بن الطالب عبد الله الذي توفي منذ عهد قريب في جو عبق بالقداسة، وقد بدأ الناس زيارة قبره، وكان مريدا قادريا لسيدي عبد الله بن الشريف الأكحل من شرفاء أقلال كيفه.

وينبغي أن نشير أيضا إلى وجود اثنتي عشرة خيمة من الشرفاء لدى أهل الطاهر جاء جدهم مولاي علي من توات، وأقام لدى إجمّان وسط القرن التاسع عشر وتزوج منهم؛ ومنذ ذلك الزمن ربطت زيجات عديدة ذريته بالقبيلة؛ ورئيس هؤلاء الشرفاء اليوم هو المرتجي بن سيدي بن بلّه بن البغدادي بن الهاشمي بن مولاي علي.

ولدى أهل الطاهر الكثير من الأبقار والقليل من الأغنام، ويرتحلون في الخريف إلى حفارة واجّمجميه و چنگاره، وفي الفصل الجاف نحو الشمال من دائرة گونبُ ــ النوارة.

(ب) ــ أهل الحاج الطيب، ورئيسهم هو طويل العمر (حمادي) بن الطالب أحمد، وكان والده الطالب أحمد، يقيم علاقات وثيقة جدا مع أولاد أبييري، ولكنها تلاشت بعد وفاته.

والشخصيات الدينية فيهم، هي:

(أ) المحجوب بن الأمين، وقد ولد حوالي 1880، وهو أبرز معلم مدرسة بها العشرون من التلاميذ، وقادري يرتبط بـ[الشيخ] محمد فاضل بواسطة محمد أحمد بن شدّاح.

(ب) محمد الأمين بن عمر وقد ولد حوالي 1870، وأخوه المختار المولود بحدود 1877، وهما مريدان قادريان لمحمد أحمد [بن أحمد بن الياس] المذكور، ويديران مدرسة قرآنية بصورة متقطعة.

ويضم الفخذ ثلاثة عشر مخيما، هي أهل سيدي أحمد وهم 28 خيمة ، وأهل المختار وهم 4 خيام، وأهل العتيق وهم 13 خيمة، وأهل الطيب وهم 12 خيمة، وأهل عبيدُ وهم 9 خيام، والحراطين وهم 15 خيمة، وأهل البشير وهم 6 خيام، وأهل المهيدي وهم 14 خيمة، وأهل راسه وهم 13 خيمة، وأهل جدُّ مْبارك وهم 25 خيمة، وأهل موسى وهم 5 خيام ، وأهل واع وهم 9 خيام، وأهل الفليجي وهم 10 خيام.

ولديهم مواش كثيرة من الإبل والبقر والضأن والماعز، ويرتحلون في الخريف في دنداره وفي شمال النعمة، وفي الفصل الجاف في الحوض مع أهل سيدي (مشظوف).

(ج) ــ إجمّان العرب، ورئيسهم هو معاوية بن الشيخ بن معاوية، وهو رجل مسن؛ وينتجعون في كطوان وبوتيات في فصل الخريف، ويبلغون تخوم النعمة والنوارة وسُكولو في الفصل الجاف، ويسيرون على العموم في ركب الكَلاكَمة والتناكَيد ، ولديهم الكثير من البقر والأغنام والقليل من الإبل.

(د) ــ أهل محمد، ويتبعون إداريا دائرة النوارة التي يعيشون فيها بصورة مستديمة، ورئيسهم هو محمد لقظف بن بوبكر، وهو قاض وأشهر طالب في القبيلة، ولديهم خدم ينصرفون للأعمال الزراعية في بضع القرى على حاشية الساحل.

وقد رأينا مما سبق أنه بتأثير [الشيخ] محمد فاضل عاد إجمّان "إلى التدين" ولهذا يكون من الطبيعي أن ينتسب كل هؤلاء الزوايا إلى [الشيخ] محمد فاضل بواسطة مختلف مريديه؛ ويميل [الشيخ] محمد تقي الله (من شرفاء أولاد محمد [باحمّد] الذي تكلمنا عنه في الفصل السابق) إلى كسب تأثير متزايد على إجمّان.

وإلى جانب هذه الأسماء ينبغي أيضا أن نذكر كبار الشيوخ الذين عملوا على تقوية الدعوة الدينية في صفوفهم من أمثال سيدي محمد بن الشيخ محمد لقظف بن سيدي محمد من أهل أحمد الأسود، وشيخنا محمد الأمين [بن الطالب عبد الوهاب بن أحمد إجيد] ؛ وقبور كل هؤلاء الصالحين تعتبر حاليا مزارات يؤمها إجمّان.

وإلى جانب أتباع القادرية ينبغي أن نذكر أيضا بعض التيجانيين الذين ينتسبون إما إلى مْحمدي بن سيدي عثمان، أو إلى أهل الشريف حماه الله. وفيما عدا هذين الشخصين

الأجنبيين فان إجمّان احتفظوا بإجلال كبير لبعض أجدادهم الذيـــن لعبــوا دورا محـــدّدا فـــي القبيلة، ويتذكرونهم باحترام، وهم:

(أ) الشيخ سيدي [بن محمد جدُّ] المدفون في مصقولة وهو الجد الثاني لِميني ومحمد جدٌّ.

(ب) والده محمد جدُّ [بن الطاهر] المدفون في توق.

(ج) والده الطاهر بن المختار المدفون في محمودة.

(د) الطالب الصديق [بن الفقيه حسان] الجد المشترك لأفخاذ إجمّان المدفـــون فـــي تكَبه (أفلّه).

وهذه الأضرحة هي في الواقع عبارة عن "آكَوادير"؛ ولمّا كان إجمّان قبيلة زوايا منذ عهد قريب فهي لا تملك تأثيراً دينيا واسعا في الحوض، غير أن أهل المحيميـــد يقدرونـــهم حـــق قدرهم، تُرى هل هذا من قبيل السياسة الصرفة؟.

			شجرة إجمّان		
			أجم		
موسى	علي		فنوي		حبيب الله جد قسم
					من إجمّان العرب
			أكر		
					محم
			يرگ		
					الطالب
	يحيى	جلاف	صالح		
					صنبه
			الفقيه محم		
جد قسم					عبد الله
من إجمّان العرب وأواربه			الفقيه حسان		
					الطالب علي
			الطالب الصديق		
					معاوية
الطيب			محمد		
					الشيخ
الحاج الطالب					
جد أهل الحاج الطيبب			الحاج بوبكر		معاوية
محمد					
			محمد، جد أهل محمد		المختار
الطالب أحمد ت1738					
		بو بكر			الطاهر
سيدي أحمد					جد أهل الطاهر
		سيدي			جدُّ
بوبكر					
		بوبكر			الشيخ سيّدي
الطالب أحمد		محمد لقظف	محمد جدُّ		محمد الامين
طويل العمر		جدُّ			
أحمد له ميني					محمد المختار له سيّدي

الفصل السابع

الأفخاذ الزاوية الصغيرة

توجد تجمعات صغيرة نسبياً، تضاف إلى القبائل المتفاوتة في أهميتها والتي فرغنا من دراستها، وتحتوي جميعا على بضع مئات من الخيام وترتحل في الحوض والساحل الشرقي والغربي، ونقصد بها نثاراً من أفخاذ زاوية صغيرة تكون أحيانا قليلة الأهمية من حيث عدد الخيام أو عدد الأفراد ولكنها متفقة دائما مؤلفة من أناس أتقياء وأغنياء بالماشية يمارسون أحيانا نفوذا دينيا حقيقيا على جيرانهم من الزوايا أو حسان ولا سيما على السود في الجنوب (ماركه وإفلان).

ويجدر بنا أن نستعرضها واحدة واحدة وأن نذكر خلال بضعة أسطر أصولها التاريخية أو الأسطورية ونعرّف بشخصياتها البارزة ومناطق نجعتها وتأثيرها وعلاقاتها الخارجية.

وهي تتوزع جميعا بين دائرتي النعمة ـ ولاتة والنوارة ـ گونبُ.

أ ـ أتباع النعمة

تتبع الأفخاذ التالية إداريا دائرة النعمة ـ ولاتة:

(1) القوانين.
(2) أهل الشريف حماه الله.
(3) أولاد بله.
(4) أهل أحمد الأسود.
(5) أهل بودبوس.
(6) السماليل.
(7) مسومه.
(8) التناگيد.
(9) أهل الطالب إبراهيم.
(10) إدويلال.

1 ـ القوانين

القوانين هم فخذ مختلط من صنهاجة والشرفاء منحدر من قبيلة تگونانت (الترارزة)؛ ونلاحظ أن هذه الكلمات ذاتها ذات صيغة عربية بالنسبة للأولى قوانين، بينما الثانية ذات صيغة صنهاجية: تگونانت. وفضلا عن القوانين الذين هم موضع اهتمامنا، فهناك فخذ هام جدا منهم يعيش في البرابيش.

وفي هذا التجمع القوانيني ينبغي أن نميز أصلين متميزين سلكا تحت التسمية ذاتها مسيرة متوازية، وجاءت أكثر من مرة زيجات متبادلة قربت فيما بينهما؛ وهناك أصل صنهاجي لگونان الجد الأعلى لهؤلاء وأولئك، وأصل معقلي لمولود.

وقد جاء گونان كما تذكر الرواية الموريتانية، مع حسان عند أول فتح يقوده أولاد رزق، وكان له ابن يسمى محم، وهو جد أول فخذ من تگونانت أي إدَابْ محَم.

ثم أقبل شريف يدعى مولود ليستقر بجوار أبناء محم وتزوج من إحدى بناتهم وهو جدّ أولاد المولود الذين هم اليوم الفرع الثاني من تگونانت .

ونجد هذا الأصل المزدوج لدى قوانين الحوض مثلما نجدهُ لدى قوانين أزواد. وهنا ورغم مرور ثلاثة قرون على الافتراق لم تندثر ذكرى الرواية الموريتانية، ولا يتردد الناس في أن يجعلوا من الجد الصنهاجي گونان شريفا، خالطين بذلك الأصلين وناسين أن هذا لم يكن هو الشريف بل مولود؛ والواقع أن المعنيين يقولون "نحن إخوان أهل المولود بالترارزة" و"نحن من قبيلة أولاد المولود" وهو ما يكفي لدحض الادعاء بأنهم من أصل واحد.

وهذه هي السلالة الشريفة لمن يقول بها، گونان بن جعفر بن محمد بن سالم بن موسى ابن العباس بن سهل بن تاج الدين بن سلام بن عمران بن معقل بن زيد بن الحسن بن علي ابن الحسن بن [الإمام] علي [بن أبي طالب كرم الله وجهه].

ويُعتبر گونان ــ وذلك استنادا إلى الرواية التي تجعله من رفاق حسان ــ أول من قدم من المشرق واستقر في موريتانيا، ولا نعرف شيئا آخر عنه. والذي نعرفه هو فترة الطالب عبد الرزاق بن الطالب عثمان بن الطالب محم بن ايجب بن سيدي أحمد، فمعه ندخل صراحة في تاريخ قوانين الساحل.

فقد هاجر الطالب عبد الرزاق من موريتانيا في نهاية القرن الثامن عشر ليستقر لدى أبكاك (إدوعيش). وقد تزوج من فـنته ابنة محمد معلوم، وحصل منها على ثلاثة أولاد كانوا أجداد أفخاذ أهل الطاهر وأهل محمد وأهل سيدي عبد الله؛ وكان له في أولاد الناصر ابن رابع هو سليمان الذي عاش فيهم ومات دون أبناء.

وقد سافر الطالب عبد الرزاق ليزور قبيلته الأصلية، ولكنه مات في الطريق وذلك في بداية القرن الثامن عشر ــ كما تقول الأسطورة ــ في عصر كان فيه أولاد مبارك يسيطرون على البلاد.

وكان للطاهر الابن البكر للطالب عبد الرزاق خمسة أبناء، هم: عثمان وعمر والحبيب سيدي إبراهيم وأحمدُ، وهم أجداد مخيمات الفخذ الحالي لأهل الطاهر.

أما محمد الابن الثاني للطالب عبد الرزاق فكان له ولدان هما جدُّ وسيدي المختار، وهما جدا حيّين من فخذ القوانين الثاني أهل السيد.

ولم يترك سيدي عبد الله [ابن الطالب عبد الرزاق] ذرية، وكان رجلا صالحا كبيرا وعالما مشهورا، وقد دفن في محمودة، ولا يزال قبره منذ قرنين مزارا يقصده الكثير من الناس؛ وقد عاش [الشيخ] محمد فاضل لمدة طويلة على مقربة من هذا القبر، حيث أقام حوله مرة تسعين يوما قضاها معتكفا.

التوزيع

يضم القوانين إجمالا 199 خيمة، وينقسمون إلى فخذين: أهل الطاهر وأهل السيد ويضم أهل الطاهر 103 خيمة، ورئيسهم هو محمد بن مان .. بن الطاهر بن محمد بن عثمان بن الطاهر بن الطالب عبد الرزاق. وقد خلف في سنة 1903 ابن عمه الطالب بن عثمان.

ويشتمل أهل السيد على 96 خيمة، ورئيسهم هو بابا أحمد الملقب بابتي بن اتّا بن يبه بن الطالب بوبكر بن الشيخ السّيد بن بوبكر بن الأهزل بن عبد الله بن عمر بن داوود بن عياد ابن رحمون.

ويقوم بوظيفة قاضي وإمام ومرابط القبيلة الشيخ سيدي عبد الله بن محمد السيد بن الطاهر، المولود حوالي 1875، وهو ضليع في العلوم الإسلامية ويتمتع بسمعة وتوقير عظيمين، وقد أتم دراساته بجوار صالح الگلاگمة ومرابطهم [شيخنا] محمد الأمين [بن الطالب عبد الوهاب] بن أحمد إجيد مريد الشيخ محمد فاضل، الذي تلقى منه الورد والتصدير كمقدم قادري وشاذلي، ولديه العديد من الأتباع في مشظوف وأولاد محمد[با حمد]، وهو مؤلف خطاب ولاءٍ شعرا ونثرا ظهر في مجلة "المستقبل" بتاريخ 10 فبراير سنة 1918(1).

ويعتبر تأثير القادرية الفاضلية لأهل الطالب مختار سائدا في القوانين، كما يبرز أيضا عن طريق قناة أخرى هي رئيس أهل الطاهر محمد بن مان فهو مريد قادري لسيدي عبد الله بن الشيخ أحمد جدّ القوانيني الذي يرتبط بواسطة محمد الأمين بن المثاقيل التفُلالي بالشيخ محمد بن عبد الله داعية الشيخ محمد فاضل.

ويرتحل القوانين جميعا في الخريف في محمودَة، وفي الفصل الجاف في فدره وچنگي وماگانچا التي حُفرت بئرها على أيديهم حيث تقوم قرية مزروعاتهم (دخن فاصوليا فول سوداني) وحيث يقيم الخدم والحراطين.

وإذا كان القوانين أغنياء بالأبقار والأغنام فهم لا يملكون شيئا من الإبل تقريبا، ولا يقيمون سوى القليل من العلاقات مع أبناء عمومتهم الذين يحملون الاسم ذاته في أزواد، ولكنهم على العكس من ذلك يقيمون علاقات متواصلة نوعا ما مع تگونانت، ويعترفون بأنهم يتلقون من زياراتهم ما يفوق بكثير ما يقومون هم به إليهم؛ وتُعقد بينهم بعض الزيجات والعلاقات التجارية.

---

(1) ـــ دأب الفرنسيون على الضغط على الزعماء الدينيين في مستعمراتهم الإسلامية طلبا للتأييد المكتوب لحروبهم، خاصة ضد الخلافة العثمانية، إبان الحرب العالمية الأولى، كما استخدموا نفس الأسلوب في الحرب العالمية الثانية، حتى يبرّروا لأبناء هذه المستعمرات الانضمام إلى الجيش الاستعماري، وأن يخدم ذلك أيضا الوجه "الطيب" للاستعمار.

2 ـ أهل الشريف حماه الله

يشتمل اسم أهل الشريف حماه الله على أربعة أفخاذ صغيرة منبثقة من تجمعين من شرفاء تشيت، وهما أهل الشريف حماه الله وأهل سيدي الشريف جاءوا بعد عمليات نهب وفتن جرت في وطنهم ليضعوا أنفسهم تحت حماية مشظوف (حوالي 1890)؛ وغداة احتلالنا طلبوا استرداد استقلالهم الإداري؛ ويتسمون بأسماء زعمائهم مثل أهل سيدنا عمر؛ ويضمون 90 خيمة، وهم من أهل سيدي الشريف أو شرفاء ماسنة على الرغم من أنه يطلق عليهم في النعمة خطأ، أهل الشريف حماه الله. وأهل غالي بن يدّي ويضمون 14 خيمة، وأهل سيدي محمد بن سيدي الصغير الذين يتألفون من 9 خيام، وأهل محمد محمود بن أحمد، ويتألفون من 11 خيمة؛ وينحدرون من تلمود الذي أصله من إدوعْلي، وهم إجمالا 124 خيمة؛ وينهض سيدنا عمر بأعباء رئاسة التجمع دون أن يحمل اللقب، ويرتحل أهل الشريف حماه الله في القسم الشمالي من دائرة النعمة ـ ولاتة؛ ونجدهم أكثر السّنة في ضواحي ولاتة ذاتها.

وليس هنا مجال للتوقف عند أصول شرفاء تشيت فتلك الدراسة مكانها المدينة ذاتها؛ ويكفي القول بأنه تحت هذه التسمية العامة تنضوي بضعة تجمعات شريفة من أصول شتى، ومثال ذلك أولئك الذين يوجدون في دائرة ولاتة، وهم:

(1) ـ أهل الشريف حماه الله الذين يشتهرون في تشيت بأهل "الزر الساحلي" [أهل الشمال] وهم الأكثر عددا في الحوض، ورئيسهم في تشيت هو الشيخ المعروف محمد الأمين بن الشريف المختار الذي تقدم في العمر.

(2) ـ شرفاء ماسنة الذين يذكّرنا اسمهم بالجدل القائم حول گيرگنكه أو تگداوست وحول لغة آزير.. الخ، وينتسب هؤلاء إلى الشريف عبد المومن وأكثريتهم في آغريجيت، ورئيسهم هو حماه الله بن الشريف، ويطلق على تجمعهم اسم أهل الشريف أو أهل سيدي الشريف، ونجدهم أيضا في انيورو بدون لقب الشرفاء أحيانا.

والشخصية الدينية الأكثر صيتا بينهم هي في الوقت الحالي محمد الأمين بن الشريف المختار، ويقيم في تشيت حيث هو رئيس الحي والفخذ، ولكن نفوذه يمتد على كل الأفخاذ السابقة الذكر والتي تقيم في دائرة ولاتة ـ النعمة.

3 ـ أولاد بلّه

أولاد بلّه هم من أصل حساني، فجدهم الأعلى هو محمد بلّه بن داوُود بن محمد بن أوُدَيْ بن حسان(2) ولكنهم مع الزمن أصبحوا شديدي التهجين بالدم الصنهاجي والدم الأسود؛ فهم

---

(2) ـ بل هم أبناء محمد بن داوود بن محمد بن عثمان بن مغفر بن أودي.

إذن ينتسبون إلى مجموعة أولاد داوُود بن محمد الكبرى والتي أصبحت اليوم ضامرة جـــدا، بعد أن سيطرت في الماضي على كل تخوم موريتانيا والصحراء الكبرى السودانية؛ ولا ينبغي الخلط بين أولاد داوود بن محمد وأولاد داوود بن عروق، وإن كانوا جميعاً أبناء عمومة.

وبعد أن جاء أولاد بلّه مع الجحافل الحسانية من أقصى الجنوب المغربي حاربوا في آدرار في القرنين :السادس عشر والسابع عشر، ولم يغادروا هذه المنطقة 'إلا بعد أن دفعتهم حشود حسانية جديدة. وفي هذه الفترة أقاموا قصر تشيت كما تقول روايتهم، وهو ليس أكثر مـــن زعم، لأنهم لم يفعلوا سوى الاشتراك في الترميم لأن قرية شيتو التي أقامها السونينكه كـانت موجودة قبل قصر تشيت الزناقي الذي احتل مكان القرية وحرف اسمه قبل أن يظـــهر بنـــو حسان في المنطقة، كما أنشؤوا أيضا آغريجيت.

وقد كانوا خلال بضعة قرون عرب تشيت ومحاربيها الرسميين، بينمـــا يؤلـــف الشـــرفاء العنصر الزاوي؛ وبصفتهم هذه تحولوا إلى جماعات مرهوبة الجانب بين القبائل الصحراويـــة سواء في موريتانيا أو في الحوض؛ ونحن نعرف من كتاب الطرائف [والتلائد] الدرجة التـــي بلغها الحنق عليهم وكيف أنه في نهاية القرن الثامن عشـــر اســـتطاع جيرانـــهم اســـتئصال شأفتهم تقريبا(3).

ولم ينهض أولاد بله من كبوتهم كقبيلة بعد هذه الأحداث فخرجوا من تشيت إلـــى ولاتـــة والنعمة. وعاشوا على شكل أفخاذ صغيرة منهوبة أكثر منها ناهبة في أكثر الأحيـــان؛ وفـــي حوالي أواسط القرن التاسع عشر جاءت غزوات قام بها إدوعيش وأولاد غيلان والـــسواكر لتستنزفهم؛ وقبلت عدة أفخاذ منهم الخضوع للضريبة التي توقفوا عن دفعـــها ســـنة 1912، وبفضل هذه الضريبة استطاعوا الاستمرار في حياتهم في الشمال. ولكن عدداً لا بأس به مـــن الخيام، ولا سيما أولاد دحان لم يرضوا الخضوع فهاجروا إلى منطقة ولاتة بقيادة محمد بـــن إبراهيم الذي جرى دفن والده إبراهيم في آغريجيت حوالي 1850 قبل التمكن من الهجرة.

وهؤلاء هم الذين نهتم بهم اليوم، وهم على الخصوص من أولاد دحان (حوالي خمســـين خيمة) كما نجد أناسا من أولاد ركّاب وأولاد مونّه وأولاد عمران والعناترة وأهل أحمد الحسن وامّيه.

وقد نجد هنا أحيانا خياما من أول تجمع يطلق عليهم "أولاد بلّة آغريجيت" وهم مبعـــثرون في هذه الأفخاذ الثلاثة الحجاج والتياب والقفول، ولكنهم لا يقيمون فـــي ولاتـــة إلاّ بصـــورة عابرة، ولا يقيم التجمعان البدويان اليوم علاقات حميمة جدًّا فيما بينهما.

(3) ــ حذفنا قصة الشيخ سيدي المختار مع أولاد بلّه، التي أدرجها المؤلف هنا، وهي موجـــودة فـــي كتابه كنتة الشرقيون، وهي منقولة عن كتاب الطرائف.

أما تجمع الحوض وهو من أخلاط شتى، فقد صهرته عواطف القرابة، وشكل قبيلة مستقلة تضم أربعة أفخاذ هي:

أهل إبراهيم بن زيدان	20 خيمة
أهل محمد بن داوود	31 خيمة
أهل عبد الله بن جدّ	25 خيمة
أهل محمد بن المختار	38 خيمة

أي إجمالا 114 خيمة.

وقد طالب بضعة أفخاذ من أولاد بله بإدماجها في إجمّان، وعلى الرغم من أن أولاد بلّـــه هم من البدو فقد احتفظوا بممتلكات عقارية (بيوت ونخيل) في تشيت وآغريجيـــت؛ ولديـــهم أملاك مماثلة في ولاتة والنعمة، كما يملكون قطعانا بديعة من الإبل والبقر والماشية الصغيرة ويساهمون على العموم في أزلاي مشظوف. وترتحل أغنامهم وأبقارهم في فصـــل الخريـــف حول ادريس وفي الفصل الجاف حول النعمة وولاتة، وترعى إبلهم خريفـــا حـــول ادريـــس مبتعدة عن النعمة، وفي الفصل الجاف تصل حتى آرشان.

ورئيس القبيلة ورئيس أول فخذ في آن واحد، هو إبراهيم بن محمـــد إبراهيـــم المولـــود حوالي 1886، وهو رجل مقدام، وقد خلف والده محمد السالف الذكر المتوفى عام 1913.

أمّا الطالب ومعلم المدرسة البارز في القبيلة فهو محمد تقي الله بن سيدي محمد بن خيـــار البلاّوي، وقد درس في مخيم والده وذهب ليكمل دراسته والحصول على الورد التيجاني مـــن الشريف [الشيخ] حماه الله في انيورو؛ ولما كان معظم أولاد بله الحوض قد انصرفوا نحـــو التدين، فهم يتبعون بالفعل للزعامة التيجانية للشريف [الشيخ] حماه الله(4) والذي هو مثلـــهم من أصل تشيتي؛ والقاضي والإمام والمرابط البارز فيهم هو الشيخ محمد بـــن بويـــا أحمـــد المولود حوالي 1845، وهو شريف ينتمي إلى فخذ أهل الشريف حماه الله التشيتي، وقد ولـــد حوالي 1845 وهو كهل وسيم تمنحه رتبة مقدم تيجاني لمدرسة تشيت مهابة كبيرة؛ وتدخـــل في عداد تلاميذه شخصيات بارزة في القبيلة، منها الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم.

(4) ـ الشريف الشيخ أحمد حماه الله مولود بولاتة، وهو من أبرز مشائخ الطريقة التيجانية التي يـــتزعم فرعها المعروف بالحموية المنتشر في موريتانيا وبلاد إفريقيا الغربية خاصة مالي وبوركينا فاصو وساحل العاج؛ كان يسكن انيورو اعتقلته السلطات الفرنسية وغرّبته للمرة الثالثة سنة 1941 إلى فرنســـا، حيـــث تقول إنه توفي سنة 1943 بمدينة مونليصون montluson الفرنسية. وكانت هذه المعاملة القاسية له بسـبب رفضه أي تعاون مع الاستعمار وإصراره على الابتعاد عنه بل مقاومته حيث أمر بقصر الصلاة سـنتين لأن البلاد في حرب وتحت الاحتلال. (انظر للمزيد كتاب علي اتْراوري Cheikh hamahoullah homme de foi, et resistant وهو صادر سنة 1983 بباريس.

4 ـ أهل أحمد الأسود

يؤلف أهل أحمد الأسود فخذا ذا تكوين حديث العهد، فالجد الأعلى لهم وهو الشريف مولاي أحمد، المسمى أحمد الأسود [بن محمد عبد الله] غادر تندوف أواسط القرن الثامن عشر ليستقر في الاقلال بتگانت، ثم في أقلال الحوض، وتزوج منهم وتوفي في تشمامت حيث يعد قبره مزارا دينيا، ولا نعرف سوى اسم أبيه محمد عبد الله وجده مولاي عمر المدفونين في تندوف.

وقد لقب بالأسود لأن أمه حورية كانت زنجية، وقد خلف ولدين هما الشيخ سيدي محمد والشيخ عمر نجم، وبهما يرتبط كل أفراد التجمع.

وقد ظلت القيادة بيد الفرع البكر على يد محمد الأخضر بن الشيخ سيدي محمد، ثم ابنه سيدي محمد، وأخيرا على يد ابن هذا الأخير أحمد الأمين الذي وجدناه في وظائفه، ولكنه استقال وحل مكانه ــ بعد انتخاب الجماعة في 20 نونبر سنة 1915 ــ أخوه آبه، أما أحمد الأمين الذي ندم على استقالته فهو ثائر اليوم؛ ويشتمل أهل أحمد الأسود على 89 خيمة، وقد سبق لهم أن ألحقوا بفخذ أهل سيدي الخير الذي ينتسب إليه أكثرهم روحيا.

ويتمتع هذا الفخذ بشهرة دينية كبيرة، وقد سبق أن رأينا أن أحد مرابطيهم كان يمارس نوعا من الزعامة الدينية على إجمّان، ويعتبر قبره مزارا، وكان له في حياته نفوذ واسع، وهو سيدي محمد بن الشيخ محمد لقظف بن سيدي محمد، الذي ينتسب روحيا عن طريق أسلافه إلى الشيخ محمد لقظف الجعفري.

وهناك مرابط آخر مات سنة 1916 ترك ذكرى عطرة، وهو الرجل الصالح المشهور سيدي محمد بن أهل الخير الذي كان قاضي القبيلة؛ ولما كان مقدما قادريا فهو يرتبط بسيدي الحاج بن الطالب إبراهيم الإجمّاني، الذي يلتحق بتنواجيو بواسطة الطالب علي. وإلى هذا الرجل يعود الفضل في حفر أو على الأصح ترميم بئر تنبدغه وأيضا في تعمير تورشين، وقد قام بدراسته بجوار والده محمد لقظف الذي كان عالما تقيا حظي وهو في سن الثلاثين من العمر بلقب أهل الخير؛ وقد ترك سيدي محمد العديد من المريدين في الگلاگمة والتناگيد وإجمّان وإدوبلال والاقلال .. الخ وقد عادوا جميعا بعد وفاته إلى قبائلهم الأصلية، وما يزال أولاده صغارا جدا مما يبعدهم عن ممارسة أي نوع من النفوذ.

والمرابط البارز اليوم فيهم هو محمد لقظف بن حبيب الله المولود حوالي 1878، وهو قاضي الفخذ وطالبه، وهو قادري منتسب للشيخ السالف الذكر يدرس ــ فضلا عن إدارة مدرسته القرآنية ــ لاثني عشر طالبا الرسالة [لابن أبي زيد القيرواني] في الفقه.

ويعتبر مجمل الفخذ قادريا، يلتحق في الوقت الراهن بورد سيدي محمد بن أهل الخير؛ وأهل أحمد الأسود يملكون الأبقار والأغنام ويكادون لا يملكون شيئا من الإبل، ويرتحلون في

الفصل الجاف إلى الحبس وادريس وتورشين وتنبدغه، وفي الخريف بين تنبدغه والنعمـــة، وقد أقاموا حول آبار تنبدغه وتورشين حقولا زرعوا فيها القرعيات والدخن والبشنه .. الخ، ويمارسون بعض التجارة إذا سنحت لهم الفرصة بذلك في انيورو وبماكو؛ ويظهر بوضـــوح أنهم في الطريق إلى نوع من الاستقرار.

5 ـ أهل بودبوس

ينسب أهل بودبوس أنفسهم إلى الشرفاء، حيث ينسبون سلالتهم إلى لگلاگمة والسـماليل. وقد استقر هذا الفخذ في الحوض منذ بضعة قرون، وعاش في كنف مختلف القبائل المحاربة المهيمـنة مثل أولاد مبارك وأولاد محم، وأخيرا مشظوف؛ والجد الأعلى للفخذ هو الطـــالب محمد الذي كان لا ينفصل عن عصاه مما جعله يتخذ كنية بودبوس [صاحب العصـــا] ومنـــه انتقلت الكنية إلى ذريته.

ويرتبط أهل بودبوس بالعديد من الزيجات مع أهل الطالب مختار، ولهذا السبب يحدث بين حين وآخر أن تنضم بضع خيام إلى هذه القبيلة ثم تعود بعد مدة إلى فخذها الأصلي، وهذا ما حدث سنة 1918 حين غادرت إليها ست خيام ولكنها عادت من جديد إلى أصلها في الســـنة نفسها.

وقد حل مكان رئيس الفخذ الذي كان عند وصولنا محمد الأمين بن محمد المختار بن دحان ابن عمه محمد عبد الله بن محمد فال بن عبد الله بن دحان؛ وأهم مرابط لديهم هـــو محمـد الأمين بن بابتي.

وينقسم الفخذ إلى ثلاثة مخيمات، هي أهل الحاج عيسى وأهل دحان وأهل الادهوري، ويضمون إجمالا 108 خيمة ؛ وتتألف ثروتهم على الخصوص من الأغنام مع وجود بعض خيام تملك أبقارا يرعونها شمال النوارة، ولدى البعض الآخر الإبل التي ترعى عادة حول كورك في الخريف. ويرتحل الفخذ عموما مع أهل آبه بن سيدي من إدوبلال.

6 ـ السماليل

ينتسب السماليل إلى الشرفاء أي أنهم أبناء عمومة أهل بودبـــوس والگلاگمة؛ ويصـــرح السماليل بأن جدهم شريف من تازروالت (جنوب المغرب) اسمه سملال وفد على تگانت فـــي القرن السابع عشر، والتحق بمشظوف الذين عاشت ذريته فيهم إلى أن تم الانفصال عنـــهم بعد احتلالنا.

وبعد أن كان السماليل سابقا أكثر عددا مما هم عليه اليوم انكمشوا إلى 24 خيمـــة، وهـــم بدو شديدو الارتياب يعيشون مبعثرين ومختفين في الأدغال يتحاشون أي اتصال؛ ويشـتملون على ثلاثة مخيمات صغرى هي أهل الحضرمي وأهل الشريف أحمد وأهل ابّـــاه، ويرأســـهم

الشريف بن أحمد بن ابّاه، ويرتحلون خريفا باتجاه بوزريبة وكوش، وفي الفصل الجاف نحو شمال گونبُ ـ النواة، ولديهم العديد من الإبل والأغنام والقليل من الأبقار.

7 ـ مسومة

يؤلف مسومة الحوض فخذا صغيرا منفصلا عن مسومة موريتانيا، وليس هذا مجال دراسة أصول هذه القبيلة الصنهاجية؛ وسنكتفي بالقول بأنهم ينتسبون إلى مسوم بن ياديكان بن مكان بن لمتون (جد لمتونة) بن الطاهر بَن النعمة بن مالك بن حومجيه بن تُبع الذي تقول الأسطورة إنه من تبابعة جزيرة العرب.

ومن بين المخيمات الستة التي يتألف منها مسومة الحوض تُعتبر أربع منها ذات أصل مسومي نقي، وهي أهل بيّه وأهل الطالب فاضل وأهل الطاهر وأهل حْويزة؛ أما الآخران أهل مولود وأهل محمد سيدي فهم من أصل غريب على التجمع.

وينتسب أهل بيّه وهم مخيم الرئاسة إلى بيّه الجد الأعلى الذي جاء إلى الحوض خلال القرن الثامن عشر، وكان صالحا كبيرا دفن في وارا فونتي (انيورو) حيث لا يزال الناس إلى اليوم يقصدون قبره للزيارة؛ ونعرف أنه ابن بابا أحمد بن بوبكر بن المصطف بن المختار بن محم من أحفاد مسوم، وهناك أيضا بابا المصطف الذي كان له أخ هو بابا عيسى وولدان هما عيسى بابا وعيسى بوبّه جدا مسومة الغرب.

وقد كان لبيّه ابن هو محمد الذي انجب في بداية القرن التاسع عشر كلا من المصطف وخطري وأحمد وديدي، وهم جدود شيوخ خيام الفخذ الحاليين؛ ورئيس عائلة أهل بيّه وكذلك الفخذ كله هو محمد المحجوب بن أحمد بن بيّه الذي خلف أباه في سنة 1915 وهو مولود حوالي 1880، ويرتبط بقادرية [الشيخ] سيدي الخير.

أما المخيمات المسومية الأخرى الصميمة فقد جاءت لتلتحق فيما بعد بأهل بيّه، وظلت بالطبع تحت أوامرهم، وهي:

ـ أهل عْلي مولود المنحدرين من مرابط يحمل الاسم ذاته، جاء إلى مسومة قبل ثلاثة أجيال، وكانت أمه زيدية.

ـ أهل محمد سيدي الذين استقروا منذ اللحظة الأولى مع أهل بيّه في الحوض، حيث كان جدهم الطالب محمد بن أحمد ابي رفيق بيّه في الهجرة؛ وكبير هذا المخيم اليوم هو محمد الأمين بن محمد المصطف بن محمد سيدي بن عثمان بن الطالب محمود.

وهذه المخيمات مجتمعة إداريا اليوم في بطنين هما أهل محمد المحجوب (64 خيمة)، وأهل اخمادي بن علي مولود (39 خيمة)، أي إجمالا 103 خيمة، وهناك اسمان يلفتان الانتباه فيهم، هما:

(أ) [الشيخ] محمد محمود بن بيّه صالح تنبدغه، وينتسب إلى شاذلية أهل بابا في تنواجيو (انيورو) وكذلك إلى مدرسة القـظف في أوجفت (فمحمد محمود والد [الشيخ] الغزواني هو الذي يقال إنه أعطاه الورد) ثم تعلم على علي بن آفّه، وهو يتمتع من وجهة النظر الصوفيّة بشهرة عظيمة، ويستقبل مخيمه جمهرة من الزوار من كل أصل.

(ب) [الشيخ محمد] المحفوظ بن محمد محمود بن ديدّه المولود حوالي 1880 وهو قاض ورجل دين كبير أتم دراساته العليا في النعمة، وأخذ الورد الشاذلي عن الشيخ السابق الذكر، وأقام في الفخذ مدرسة عليا للفقه يقصدها بعض تلاميذ الاقلال ومسومة.

وفيما عدا هذين الاسمين يوجد عدد من صغار معلمي المدارس مثل أحمد بن عبداتي اللّمتوني الأصل والذي جاء ليستقر في الفخذ سنة 1902، وهو مريد أيضا لـ[الشيخ] محمد محمود، أما الذين لا يتبعون الطريقة الشاذلية من مسومة فينتمون إلى القادرية الفاضلية عن طريق [الشيخ] سيدي الخير.

ويرتحل مسومة في فصل الخريف حول الغويرق حيث يردون مياه الغدران، وفي الفصل الجاف بين الغويرق ونوابرار وتنبدغه التي توجد فيها مزروعاتهم، ولديهم في هذه المواقع حقول مروية على قدر من الأهمية، وتوجد الآن شبه قرية في الغويرق تُدعى لدى البيضان والسوننكة في الساحل الغويرقة (5)؛ ويبدو أن الفخذ يتجه نحو شبه استقرار، حيث يأسف بضعة كهول صراحة لذلك.

8 ـ التناكَيد

التناكَيد ، ويسمّون أيضا أولاد بوفائدة، هو اسم قديم انتابه الإهمال يعود لأصل عربي نقي، فهم يرتبطون بأول هجرة عربية إلى الحوض، أي هجرة أولاد داوود بن محمد، فهم إذن أقارب أولاد بلّه وأولاد منصور وأولاد بوفائدة الصميمن وأولاد طلحة وأولاد نخلة، وجدهم الأعلى هو تونكَاد بن علي بن محمد بوفائدة، وكان يعيش بآدارار الموريتاني، وأقام قصرا صغيرا في الوادي الأبيض على مقربة من أوجفت؛ وكان هذا التجمع قائما فوق مرتفع صخري يشرف على مورد ماء هام وحديقة نخيل، ويبدو أنه كان مزدهرا قبل أن يهجر(6).

وتنسب الأسطورة خرابه لوجود الجن الذين هم نوعان مسلمون غير ضارين وكفار يُلحقون الكثير من الأذى بالسكان مما استدعى جلاء أهل القصر عنه. وهؤلاء الجن الخبثاء كما يقول الرائد مُودا Modat الذي زار هذه المنقطة سنة 1914 والذي قدم لهذه المعلومات،

(5) ـ الغويرقة تصغير للغارقة وتلك عربية فصحى.

(6) ـ واحة تونكَاد قريبة من أطار عاصمة ولاية آدرار وما تزال مأهولة.

كانوا عبارة عن بعوض الأنوفيل [الناقل للملاريا] الذي يكثر حول الغدير.

وقد كان حفيد تونگاد الأصغر هو الطالب أحمد بن موسى بن محمد بن تونگاد، وهو أول من جاء إلى الحوض وزار ولاتة وسكن في الضواحي المجاورة لها، ومات في عقلة العطش قرب تنگيگي إلى الجنوب قليلا من ولاتة، وهو المؤسس الحقيقي لفخذ الحوض، كما أنه هو الذي قام بعملية التلاحم بين هذه الأرومة المحاربة وبين الفخذ الزاوي الحالي (القرن السابع عشر)؛ ورئيس الفخذ هو محمد الأمين بن أحمد بن الطلبة بن الطالب بونا بن عثمان بن أحمد بن الطالب علي بن الطالب أحمد.

ويضم التناگيد سلاليا سبعة بطون، هي أهل حوصه وأهل الطالب علي وأهل سيدي علي وأهل بوفائدة وأهل سيدي حامد وأهل حمادي والعقارب، وقد جرى دمجهم في بطنين إداريين هما أهل الطالب علي ورئيسهم هو محمد الأمين، ويؤلفون 74 خيمة؛ ويضم أولاد منصور 94 خيمة؛ والشخصيات الدينية الرئيسية فيهم هي: محمد أحمد بن الحاج وقد ولد حوالي 1865 وهو قاضي القبيلة، ولما كان شيخا على قدر من الشهرة فإن التعليم في مدرسته القرآنية يضم أيضا بعض الدروس في التعليم العالي يواظب عليها 5 إلى 6 تلاميذ.

والتناگيد هم قادريون فاضليون عن طريق [الشيخ] سيدي الخير، شيخ محمد الأمين [بن أحمد بن الطلبة] أو بواسطة مدرسة الگلاگمة؛ ويقصدون أضرحة أجدادهم للزيارة مثل قبر الطالب أحمد [بن موسى] في عقلة العطش، وكذلك ضريح الطالب علي [بن الطالب أحمد] في چاچه قرب دار السلام، وقبر ابنه أحمد في أم البيظ قرب فدره، وأيضا قبور أهل الطالب مختار.

وهم أغنياء بالأبقار والأغنام ولا يملكون الإبل. ويرتحلون في شرق وجنوب شرق دائرة النعمة ــ ولاتة مع الگلاگمة وإدوبلال خاصة أهل زهو العين وإجمّان العرب، ويصلون حتى فدره في الفصل الجاف.

9 ــ أهل الطالب إبراهيم

يعود أهل الطالب إبراهيم من حيث الأصل إلى إجمّان العرب، وقد انفصلوا عنهم وشكلوا فخذا مستقلا بتاريخ 20 إبريل سنة 1915، وهو فخذ صغير يتألف من 43 خيمة، ورئيسهم هو أحمد بن بويا.

ويتكفل أهل الطالب إبراهيم، الذين يضاف إليهم أحيانا نعت البيض بناء على طلبهم، بحفر آبار منطقة الابيار التي هي موطن نجعاتهم البدوية، ولديهم أغنام وإبل وبعض الأبقار.

10 ــ إدوبلال

يؤلف إدوبــلال فخذا يتألف من 194 خيمة تنقسم إلى فخذين من أصل مختلف اتّحدا بفضل العديد من صلات الزواج ولكل منهما اليوم رئيسه الخاص واستقلاله وأراضي نجعته وهمــا يميلان نحو الانفصال الكامل.

والفخذ الأول هو أهل آبّه بن سيدي، ويرتبط بشريف مغربي يدعى الطالب عبد الرحمن بن الطالب الشيخ بن طالب الله بن الطالب محمد بن سيدي محمد بن إيراهيم (الذي كــان يلقــب بالبلالي نسبة إلى زوج جارية أبيه التي كانت مرضعته) بن بَازْ بن داوُود بن مولاي عبـد الله بن مولاي علي بن داوُود بن سيدي محمد بن محمد إسحاق بن محمد هاشم بن محمد إيراهيم بن تاشفين بن سيدي محمد بن عثمان بن مولاي بن بوبكر بن محمد عبد الرحمن بن عيســى بن إسماعيل بن مرزوق بن عبد الوهاب بن يوسف بن عمر بن يحيى بن القاسم بن إدريــس الثاني بن إدريس الأول بن عبد الله بن الحسن الثاني بن الحسن الأول بن [الإمام] علي بــن أبي طالب [كرم الله وجهه].

وقد قدم الشريف الطالب عبد الرحمن إلى موريتانيا في نهاية القرن السابع عشر مصحوبا بالطالب عبد الله الذي نجهل نسبه، والذي مات في منطقة الرقيبة، وهو جد أهل زهو العيــن؛ وقد مات الشريف الطالب عبد الرحمن في الرق وهو جد أهل آبه بن سيدي.

ويشتمل أهل آبّه بن سيدي على 80 خيمة ويرأسهم أوبّه بن آبّه بن سيدي بن المصطــف بن محمد بن الطالب عمر طالبين الله بن الطالب الشيخ بن عبد الرحمن.

وقد تم دفن الطالب الشيخ في تكماطين. وكان آبّه بن سيدي أيضا مرابطا كبيرا ترك مــن بعده شهرة بالفضل. ويقصد الزوار قبره بعين إدوعيش في باقنه، وعلى أثر وفاته حوالــي 1883 حل مكانه ولده الأكبر محمد الأمين، وبعده أخوه آبه (المولود حوالي 1872) وذلك فــي سنة 1892.

وينتسب أكثرية أهل آبه للتيجانية، وهم أتباع مُحمدي بن سيدي عثمان الولاتي؛ وهنــاك بعض القادريين الذين يتبعون مرابطا إدوبلاليا له بعض الشهرة، وهو محمــد إيراهيــم بــن سيدي محمود الذي يتبع ــ عن طريق أخيه ميني وعن طريق أبيهما ــ لقادرية كنتة.

وقاضي الفخذ هو محمدُ بن خيار المولود حوالي 1868، وهو تيجاني يرتبط بقاضي ولاتــة محمد يحيى [ول اهل ابَ]؛ وكان يعيش لدى مشظوف قبل أن يضطر للعودة إلى قبيلته، أمــا الطالب الرسمي ومعلم المدرسة والمُرقي فهو محمد الأمين بن سيدي محمــد بــن المختــار المولود حوالي 1870، وهو يدرّس فيما عدا القرآن، بعض النصوص في العلوم الأخرى.

ويرتحل أهل آبه بن سيدي في الفصل الجاف إلى منطقة فاني وتمبارك والمويلح وبــوري وتنبدغه، وفي الخريف إلى الرق.

وينحدر فخذ إدوبلال الثاني أهل زهو العين ــ كما سبق أن قلنا ــ من الطالب عبد الله رفيق الشريف [الطالب] عبد الرحمن الذي قدم إلى الرقيبة حوالي نهاية القرن الثامن عشر، ولما كان بلاليا وآت من الشمال، غلب على الظن أنه ينتسب إلى القبيلة المغربية الكبيرة إدوبلال؛ ولم يترك ولده عبد الله، ولا حفيده أحمد أي ذكر، ولكن عمر بن أحمد كان أول من جاء إلى الحوض على أثر هجرته من الرقيبة، وهو مدفون في غدني، واشتهر ابنه محمد بلقب زهو العين الذي أصبح اسما للفخذ. وقد دفن في التويميرت قرب تنبدغه في بداية القرن التاسع عشر، وتم دفن ابنه إبراهيم وحفيده محمد الأمين اللذين كانا بالتعاقب رئيسي الفخذ الذي أصبح الآن قائما بذاته ــ في عين الرحمة قرب دنداره.

والرئيس الحالي هو إبراهيم المشهور ببّاها بن الأمين، وينوب عنه أخوه محمدنا؛ أما الطالب الرسمي في القبيلة فهو سيدي محمد بن عبد المالك، المولود حوالي 1875، والذي يُعلم القرآن لعشرة تلاميذ.

وتسود في هذا الفخذ قادرية كنتة، فجد الرئيس الحالي إبراهيم بن زهو العين تلقى الورد من بابا أحمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير، ونشره بين أتباعه وأقربائه.

ويضم أهل زهو العين 114 خيمة، ويرتحلون في شرق وجنوب شرق دائرة النعمة ــ ولاتة، ومع الگلاگمة والتناگيد نحو چابي ــ خويريه وزنگاره .. الخ؛ وإذا كان إدوبلال أغنياء بالأبقار والأغنام فهم لا يملكون سوى القليل من الإبل.

ب ــ أتباع النوارة

تلتحق بدائرة النوارة ــ گونبُ الأفخاذ التالية

(11) إدزان.

(12) [أهل] آفّه.

(13) إيقروگن.

(14) شرفاء (أولاد محمد[با حمد]).

(15) أهل الطالب صالح.

(16) أهل الطالب بوبكر.

(17) الطَلابة.

(18) أهل الطالب مصطف.

(19) أهل الحاج أحمد ديدّه.

(20) أهل الطالب محمود.

(21) أهل امبتنّي.

11 ــ إدزان

يؤلف إديزان فخذا صغيرا من 30 خيمة، وينسبون أنفسهم إلى إدوعَلي تگانت التي هاجروا منها في القرن الثامن عشر، وبذلك يدعون الشرف؛ ومن المؤكد أن لهم في الساحل الأوسط شهرة كزوايا؛ وقد توفي أحد علمائهم وهو الشيخ أحمد جدُّ بن الحبيب بن عمر في سنة 1913 تاركا ذكرى جليلة، كما أن الحاج عمر ديكو بن إبراهيم المتوفى حوالي 1890 قد

ترك أيضا العديد من التلاميذ في باقنه وعلى الخصوص في كَونبُ والنوارة وموساويلي وتنبدغه.

ويرتبط هذان الشيخان بكبار مرابطي تفُلالت، مثل الخليفة بن عبد الرزاق، وكذلك شيخنا محمد الأمين بن الطالب عبد الوهاب [بن أحمد إجيد] وبمدرسة تنواجيو الخاصة بالطالب أحمد بن محمد راره وبالزوايا المغربية، ويقوم إديزّان ببعض الدعوة بين جماعات ماركه وكاكَورو من عبدة الأصنام في آكور.

وهذا الفخذ الذي كان يسكن في الماضي مع قُسيمة في تيرو قد ترك الزراعة بصورة كاملة تقريبا على أثر تحرير الخدم، وهو يميل لاستئناف حياته البدوية، ويعيش اليوم في أوكَادو بين النوارة وچيكَي ، ويندفع في الخريف حتى ذيبة وسيفان، وفي الفصل الجاف حتى فدره، ولا تزال لديهم بعض المزروعات في المبروك ومارا نچه، ولديهم العديد من الأبقار والأغنام ولكنهم لا يملكون الإبل، ورئيسهم هو ييّه بن مهابتي.

12 ـ أهل آفّه

يعود أهل آفّه لأصل بعيد من أولاد دليم، فجدهم الأعلى هو آفّه (يوسف) الذي وفد على الحوض في أواسط القرن الثامن عشر، ويرتبط بدليم كالتالي: آفّه بن سيدي (الملقب فريه) بن عمر بن بوكر بن محمد بن علي بن اللب بن محمد بن الشويخ بن دليم.

وتندثر هذه الأصول الحسانية مع آفّه الذي مارس حياة التدين في الحوض، ولا سيما مع ولده الحاج عبد الرحمن، الذي يقال إنه كان رجلا طويل القامة ومتعلما، والذي ذهب لتكميل دراساته وأخذ الورد من [الشيخ] سيدي المختار الكبير الكنتي في أزواد، ثم قام بأداء فريضة الحج. وقد عاد إلى الحوض وقام بمهمة نشر الطريقة القادرية، بأمر من شيخه، ولم يدرك والده الذي توفي في كارونكَا، وأقام مع أخيه سيدي بوبكر في الصبطة، ومنهما ينحدر كل أهل آفّه الحاليين.

وإلي جانب هؤلاء نذكر أيضا سيدي بوبكر حفيد الحاج علي الذي كان شيخا كبيرا وأحد المعلمين بلا منازع في الحوض خلال القرن التاسع عشر، وقد ترك تلاميذ لدى القوانين وتفُلالت وكنتة، وفي عدد كبير من القرى السوداء، وتوفي في حدود 1862، وتم دفنه قرب أجداده في آبار الصطه، حيث أقيم له مزار صغير مقصود كثيرا.

ورئيس الفخذ اليوم هو الناهي بن عبد العزيز بن علي، ويؤازره ابن عمه محمد الأمين بن الحاج عبد الرحمن بن علي؛ والوجيه الرئيسي في أهل آفّه هو محمد الصديق بن سيدي بوبكر المولود حوالي العام 1880.

وكل أهل آفّه قادريون، بسبب انتماء كنتي كما سبق أن قلنا، أو لطريقة الشيخ محمد لقظف الجعفري. كما أن لهم شهرة عيساوية حيث ينتابهم التواجد الصوفي؛ ومركزهم

الصبطه (7) هو الأكثر قصدا للزيارة، وبه مقابرهم التي يؤمها الناس؛ ويشتملون علـــى 35 خيمة موزعة على ثلاثة مخيمات، هي أهل نفه وأهل حبيب وأهل الرابـــي؛ ويرتحلـــون فـــي الخريف نحو تمبارك وادريس وگاره وكراع النعامة والحبوس، وفي الفصل الجاف نحو فدره وتامرش والصبطة .. الخ؛ وهم أغنياء بالبقر والغنم، ولكن ليست لديهم إبل.

13 ـــ إيقروگن

يعود إيقروگن لأصل عربي من أولاد داوُود، ويعود انصرافهم للتدين لماض بعيـــد جـــدا، فقبل ثلاثة قرون على الأقل انصرف جدهم نحو الحياة الدينية وجاء إلى الحوض.

ويتألفون اليوم من مئة خيمة تضم 460 نســـمة؛ ورئيسهم هو المصطف بن ابٌ، وينقســـم الفخذ إلى مخيمين أهل أبّ ورئيســـهم هو المصطف المذكور آنفا، وأهل عبد الله ورئيـــسهم هو الشين بن عبد الله.

وإيقروگن شديدو الارتباط بأهل الطالب مختار وقد كانت والدة الشيخ التراد بـــن[الشـــيخ] الحضرمي من إيقروگن، وهم من أكثر الناس تمسكا بانتمائهم القادري، ويتوزع أولادهم فـــي الدراسة فيما بينهم وبين مرابطي الجعافرة، ولا سيما لدى بوعلي بن الطالب أحمد.

ويرتحلون في الخريف في چيگي وماهي وبوتاسوفره، وفي الفصل الجاف يذهبـــون إلـــى فدره وبوبني وزيان حيث أقاموا آبارا هنالك. وهم أغنياء بالبقر والغنم، ولا يملكون الإبـــل، ولهم بعض الحقول المزروعة حول الغدارة.

14 ـــ شرفاء أولاد محمد[باحمّد]

هناك فخذ صغير من الشرفاء سُموا بسبب إقامتهم الطويلة مع أولاد محمد[با حمد] "شرفاء أولاد محمد[با حمد]"، ويرتحلون من غدير كوصا إلى الشبار بين النوارة والنعمة، ويشـــتملون على 150 خيمة، تضم 510 شخص؛ ورئيسهم هو المرتجي بن سيدي .. بـــن مـــولاي عبـــد الكريم الذي أصله من تافيلالت، ومن قصر جبيهيل ذاته، كما يحدد بعضهم، والذي أقام فـــي تنبكتو؛ وقد قدم على الحوض واستقر نهائيا بجوار الاغراف (أولاد محمد[با حمد]) وينحـــدر منه المرتجي الرئيس الحالي وهو رجل مسن؛ ويملك هؤلاء الشرفاء العديد من قطعان البقـــر والغنم وأيضا ما بين 600 إلى 700 رأس من الإبل.

---

(7) ـــ العيساوية نسبة إلى مؤسسها محمد بن عيسى المهدي السملالي المتوفى سنة 1534، ويقال إنه من أولاد بالسبع، وهي فرع من الشاذلية، ذكر ذلك محمد الغربي في كتابه بدايـــة الحكـــم المغربـــي فـــي السودان، وقد عزاه لكتاب الأعلام للمراكشي ج 4 ص 147. انظر ص 560 من كتاب الغربي، طبعة وزارة الثقافة والإعلام العراقية 1982.

وكان حملة السلاح من أولاد محمد [ياحمّد] يعتبرونهم طلبتهم إلى أن استردوا استقلالهم في عام1915، وشيخهم الروحي [محمد] تقي الله الذي هو مرابط من الطراز الأول، ولا تكف شهرته عن الانتشار. ويعود في أصله إلى الاقلال (أولاد موسى) حيث جاء جده الخامس أبابك بن يحيى، ليعيش بين الگلاگمة في القرن الثامن عشر؛ وقد تحالفت ذريته مع الشرفاء في مخيم [مولاي] عبد الكريم السالف الذكر، ولم ينفصلوا عنهم بعد ذلك؛ وقد كان محمد عبد الله والد [محمد] تقي الله شيخا كبيرا وعالما مشهورا، ترك وراءه بضعة تلاميذ، وتوفي حوالي العام 1905 في دار البركة، حيث أقام ابنه ضريحا له يقصده عدد من الزوار.

و[الشيخ محمد] تقي الله ولد حوالي 1878، وهو قصير القامة، بشرته مائلة للسواد، ويتدثر دائما بثوب من النيلة الزرقاء البراقة ذات القرقعة، وملثم الفم والأنف، ممثلا الشيخ الصحراوي الكامل؛ وقد أتم دراسته على والده، ولم يغادر الحوض إطلاقا، على الرغم من أن الأسطورة تنسب له مغامرات في موريتانيا مع [الشيخ] سعد بوه؛ وهو رجل على درجة عالية من الثقافة، وصوفي يروق للسود والبيض أن يصفوه بالولاية؛ وقد ازداد نفوذه منذ سنة 1912 على أثر شهرته المتعاظمة ونجاعة رُقياه ولا سيما ممارساته الخارقة للطبيعة.

ولديه قدرة فريدة على التنويم والإيحاء، ويثير في زواره ــ على أثر ملامسة بسيطة من راحته مصحوبة بالنطق بلا إله إلا الله ــ نوبات قد تصل حتى الغيبوبة والصرع، وتكرارها هو الوسيلة التي يستعملها لدخول مريديه في الغيبوبة؛ وهو يرأس بعض الجلسات الطويلة التي يدعوها "دروس التعليم الفقهي" تقوم على التكرار المتناوب للشهادة، ولهذه الجلسات عند الزنوج مفعول أكثر عنفا وأطول أمدا، فيصبح بعضهم عصبيين هائجين، بحيث يؤدي سقوط أي شيء أو ظهور فارس يعدو، أو صوت طلقة نارية، إلى وقوعهم في أكثر حالات الجذب شدة، فيرتمون على الأرض ويتدحرجون في تشنج رهيب، مرتجفين متبرمين وعيونهم مضطربة.

ويعيش [الشيخ محمد] تقي الله في فريق يضم 15 خيمة ومعه ثلاثون من التلاميذ المخلصين له بشكل كامل، وله ثروة تتألف من 40 بقرة و5 رؤوس من الحمير و200 رأس من الغنم؛ ويتلقى الكثير من الهدايا التي يوزع معظمها، ويشرب على العموم من غدير الشبار، على طريق النوارة والنعمة، وعند جفاف الغدير يحفر أحساء بجواره، ويصل في تنقله أحيانا إلى كوصه.

ولا يسافر [الشيخ محمد] تقي الله، بل يرسل تلاميذه إلى مسافات بعيدة جدا ناشرين الدعوة الحسنة؛ ولهذا نراهم في سائر أنحاء دائرة گونبُ ــ النوارة (وبلّه ومورديه وسُكولو) ودائرة انيورو في الغرب، ودائرتي چني وسيگو جنوبا؛ وتحت ذريعة "شراء" الدخن يرسل دائما أربعة دعاة إلى ماسينا ومونيمپي أو ولايات سانساندينگ.

و[الشيخ محمد] تقي الله قادري فاضلي تلقي الورد والتقديم من [الشيخ] سيدي الخير الذي أكمل دراساته بجواره مثلما تلقاها والده من [الشيخ] محمد فاضل(8).

وينبغي أن نذكر في عداد تلامذته ودعاته (أ) الطالب جدٌ بن محمد الأمين المولود حوالي 1880، وهو رجل متعلم وابن أخت الشيخ. (ب) الشيخ سيدي محمد بن اجه من قْسيمة. (ج) الشيخ سيدي محمد بن عبد الله من الشرفاء، (د) الشيخ سيدي العربي من الشرفاء أيضا.

ومن المفيد أن نقدم هنا ملخصا من تقرير الحاكم ديسيمه Descemet عن الدعوة التي يقوم بها الداعية الشيخ سيدي محمد بن عبد الله المذكور آنفا في إندوسُكولو (منطقة سُكولو) وهو ذو دلالة على طريقة دعوة [الشيخ محمد] تقي الله وقد تمت وقائع مماثلة لها في مناسبات عدة في الساحل ابتداء من سنة 1906.

"لقد مر مرابط بيضاني شاب من شرفاء الاغراف اسمه الشيخ سيدي محمد يتمتع بسمعة في كل المنطقة كرجل صالح أقام لبعض الوقت في قرية اندوكولا، ولا يمكن أن يكون غريبا عن الاضطراب الذي حدث فيها.

وكان في مقدمة اهتمامي الاستعلام عنه، غير أن رئيس القرية وأصحابه ادعوا أن ليست لهم علاقة به، وأنهم يجهلون حتى اسمه مع اعترافهم بأن مرابطا قد أقام فعلا بضعة أيام في قريتهم. وقد حافظوا على التكتم ذاته في موضوع رفاقه خلال مدة إقامته تلك. ولكنهم اعترفوا مع ذلك بأن عددا من الشبان كانوا كثيرا ما يترددون عليه، ويتلقون منه تعليما لا يستطيعون تحديد طبيعته ومداه.

وقد رفضت امرأة رجل أعور يدعى يبّه كان غائبا أقام الشيخ سيدي محمد عندها، الإجابة على أسئلتي، وقالت بأنها لا تعرف ما ذا جاء من أجله، وأنه غادر منذ ثلاثة أيام في اتجاه تجهله.

ولكنني استخلصت من المعلومات المختلفة أن الشيخ ينبغي أن يكون في قرية بوسّي تومو على مسافة عشرين كيلو مترا تقريبا من اندوسُكولو. واستطعت أن أحصل من رئيس القرية بعد الكثير من الإلحاح على أسماء الشبان الخمسة الذين ذهبوا قبل شهر لمجاورة شيخنا محمد تقي الله في الحوض والذين عادوا متغيرين عقليا وسلوكيا.

وتعود لوصولهم بداية الهيجان الذي عم القرية، واتخذ شكلا غريبا حقا. فقد بلغ الحماس الديني لدى هؤلاء الشبان درجة أنهم كانوا يدخلون في أوقات الصلاة في نوبات هستيرية حقيقية. فكانوا يصرخون ويرتعدون كمن به مس من الجان مع الانتحاب. وقد اقتفى أثرهم بعد ذلك عدد من الرجال والنساء وحتى من الصبية، وأخذت عدوى هذا الجذب الصوفي الصاخب أبعادا باعثة على القلق نوعا ما.

ويجدر بنا أن نذكر أن هذه الحالة لا تستفحل إلا على أثر وصول الشيخ سيدي محمد إلى القرية. وهذا المرابط الشاب الذي لا يبدو أن عمره يتجاوز ثلاثة وعشرين إلى خمسة وعشرين سنة هو التلميذ المفضل لشيخنا محمد تقي الله؛ وبأمر من شيخه دون ريب، وفد إلى المنطقة لنشر ورده وتعاليمه، ولما كان هو

---

(8) ـ يقول الشيخ مختاري (محمد المختار) بن الشيخ محمد تقي الله الذي قابلناه في نيجيريا سنة 1990 إن والده يربط سلسلة ورده بالشيخ سيدي المختار الكنتي، عبر أخيه محمد المختار وأبيه محمد عبد الله.

ذاته يدأب عن طريق ورعه ونقاوة أخلاقه، على كسب احترام السكان، فقد نجح في مبتغاه وأصبح موضوع احترام كبير جدا، ونفوذ عظيم على النفوس الساذجة من سامعيه".

وقد انتهى الأمر بتوقيف الشيخ سيدي محمد، وحكمت عليه محكمة سُكولو بتاريخ 8 إبريل سنة 1915 بالسجن لمدة عام والإبعاد خمس سنوات، وقد عثرتُ عليه في دجنبر سنة 1917 في مخيم [الشيخ محمد] تقي الله، حيث كان غاية في الهدوء؛ وسواء في بوسّي تومو أو في اندوكالا فإن التجمع ظل وفيا للشيخ الذي كان يعطي السكان شحنة صوفية قوية، كما أن إفلان وحراطين الناحية يحاولون في بعض الأحيان ممارسة الشطح الممتع تحت إدارة وكيله بيّه أحمدُ آكزه.

ولنقل قبل فراغنا من هذا الباب إن صيت [الشيخ محمد] تقي الله وشهرته لم تردع عنه غزاة الجنوب المغربي، ففي 16 دجنبر سنة 1918 نهبت جماعة من الرقيبات مخيمه، وتبعتها على الفور كوكبة مؤلفة من 50 فارسا بعضهم من حرس الدائرة والبعض الآخر من "قوم" أولاد محمد[با حمد]، ولحقت بهم في الغداة في صوفية شمال شرق جلاّك ثم قريبا من موقع بريزن إلى الشرق من دندو فاستردت 25 جملا مع الأثاث، واستخلصت بيضانيا و 4 من الخدم كانوا أسرى.

15 ـ أهل الطالب صالح

ينتسب أهل الطالب صالح إلى الشريف الطالب علي الذي جاء إلى الحوض في القرن الثامن عشر، وتزوج في أولاد يونس، وابنه الطالب صالح هو الجد الأعلى للفخذ الذي انضم أولا إلى أولاد داوُود ثم مشظوف؛ وقد استرد استقلاله في السنوات الأخيرة، ولكنه يثابر على صيانة علاقات ممتازة وروابط مصاهرة مع أولاد داوود.

ويضم الفخذ اليوم 40 خيمة فيها 175 نسمة، وهم أغنياء بأبقارهم وأغنامهم، ولا يملكون الإبل؛ ويملك الفخذ مزارع في قريتي تنبيجه ومدينة. ورئيسهم هو مالك بن البشير الذي خلف ابن عمه عينيَ بن مالك، وهو ينتسب إلى الطالب صالح بن الطالب علي.

16 ـ أهل الطالب بوبكر

ينحدر أهل الطالب بوبكر من شريف من المدينة [المنورة] هو الطالب بوبكر [بن الطالب عثمان] الذي جاء ليسكن ولاتة في القرن الثامن عشر، وفتح فيها مدرسة، ولما كان ابن الطالب عثمان فيطلق على هذا الفخذ أحيانا اسم [أهل] الطالب عثمان.

ويضم الفخذ 58 خيمة بها 258 نسمة، يزرعون الفول السوداني والفاصوليا والدخن في قرية سيبلة، وهم أغنياء بالأبقار والأغنام، ولكنهم لا يملكون الإبل، كما ينقسمون إلى أربعة مخيمات هي: أهل بوتي وأهل سيدي صالح وأهل المرابط وأهل سيدي الصغير؛ ورئيس الفخذ هو عثمان بن سيدي الصغير المولود في سنة 1872، ويساعده أخوه محمد.

ويتمتع هذا الفخذ ببعض النفوذ الديني في الساحل وعلى الخصوص في أولاد محمد[يا حمد]، وهذا دون ريب هو السبب الذي حدا ببعض المستائين منهم إلى النزوح ونصب خيامهم في أفخاذ الدراگله وإدابك وأولاد محمد[يا حمد].

17ـ الطلابة

يعود الطَّلابة من حيث الموطن إلى كيهيدي في ضفة نهر السنغال ــ كما يقولون ــ وهذا أمر صحيح، وجدهم هو الطالب محمد بن الطالب بوبكر بن الطالب عثمان، ولما استقر في الحوض، وسط القرن الثامن عشر، فتح مدرسة، ولهذا السبب لُقب الطالب، ودُعيت ذريته الطَّلابة.

وكان أحد أبنائه الطالب سيدي، شيخا محترما، مات حوالي 1820، ودفن في عوينة الظل حيث قبره مقصود للزيارة على الدوام.

ويشتمل الطَّلابة على 150 خيمة تضم 737 نسمة، ورئيسهم هو محمد الأمين بن زرّوق بن افّاه بن عمر بن الطالب محمد، وهو رجل مقدام ومثقف وعلى الخصوص خطيب.

وأهم وجهاء الفخذ، هم: محمد أوديه بن محمد الأمين ومحمد أوديه بن بوبكر، وكلاهما من أتباع القادرية، كما هو الحال في الواقع، لمجمل الطَّلابة، ويرتبطون ببعض كبار الصالحين في القرن التاسع عشر من الذين تركوا أسماء شهيرة مثل:

(أ) محمد الأمين بن المثاقيل التفُلالي المدفون في النوارة.

(ب) الشيخ عبد الرحمن المسومي الذي يتبع مدرسة تنواجيو المتوفى حوالي 1855.

(ج) الحاج بن الطالب عمر الطلابي.

(د) الشيخ (المختار) التنواجيوي.

ويتأثرون بثلاثة من التيارات القادرية في الحوض، وهي تيار [الشيخ] محمد فاضل، وتيار محمد عبد الله [بن بوبكر القلاوي]، وتيار الشيخ [المختار] التنواجيوي؛ ولا نجد فيهم من أتباع التيجانية سوى شخصية واحدة مهمة، هي أحمد بن الحاج محمدين الله، وهو مريد الشيخ مْحمدي الولاتي.

ولدى الطَّلابة الكثير من الأبقار والأغنام وكذلك ثيران النقل ومئة رأس من الحمير وبعض الخيول، وليست لديهم الإبل.

والطَّلابة فخذ هادئ ومحترم يبني علاقات طيبة مع جيرانه ويرتحل في الخريف في جنوب الحوض، وفي الفصل الجاف في عوينات الطَّلابة، وتندفع أغنامهم حتى ضواحي سُكولو ولديهم بعض الأماكن الفلاحية التي يزرعها خدمهم في گيرل.

18 ـ أهل الطالب مصطف

يحتل أهل الطالب مصطف مكانة من أكثر مثيلاتها احتراما بين الزوايا في الحوض، وجدهم الأعلى هو الطالب مصطف بن الطالب سليمان بن باريك الله بن بازيد، وينتسب كما نرى إلى تشمشة (الترارزة).

ولم تندثر بعد ذكرى هذه الأصول، ذلك أن أهل الطالب مصطف الحوض يقيمون علاقات حميمة مع قبائل تشمشه في موريتانيا (أولاد ديمان وإديقب وأهل باريك الله)(9)، ويتبادلون معهم الزيارات؛ وقد قدم الطالب مصطف إلى الحوض مع حدّاده المدعو حرمة في نهاية القرن السابع عشر، وتزوج امرأة من أهل البلاد ورزق منها أربعة أبناء هم: أحمد طالب ومحمد والحاج خيار وحمادي؛ وقد توفي الطالب مصطف في فوگس بأفلّه(10). وكان خلفاؤه على رأس المخيم هم: ولده البكر أحمد طالب ثم حفيده علي الشيخ بن محمد.

ولما اختلطوا بأولاد محمد[يا حمد] صاروا خلال القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر طلبتهم، ولكنهم اندمجوا في مشظوف بعد فتحهم للحوض؛ وفي الواقع لما كان أهل الطالب مصطف عاجزين عن اللحاق "بعربهم" في الجنوب فقد كانت ماشيتهم تشدهم إلى الحوض، وقد استردوا استقلالهم في سنة 1915.

ويشتمل أهل الطالب مصطف على 317 خيمة، ورئيسهم هو إزيدنا بيه (أحمد) بن سيدي بن أحمد بن نيّه؛ أما الحدّاد حرمة رفيق الطالب مصطف فلم يعد اليوم يمثّل بأكثر من خيمة واحدة هي خيمة محمد بن علي.

ويرتحل أهل الطالب مصطف على العموم في الحوض الشرقي، ويصلون مرة كل ثلاثة أو أربعة أعوام إلى افاكيبين لسقي قطعانهم، ولهذا السبب بلا شك، أعلنوا خضوعهم في رأس الماء في أكتوبر سنة 1898 والتزموا بدفع ضريبة سنوية قدرها 50 رأساً من الغنم مع إخطار السلطة المحلية بأية خيام جديدة تلتحق بهم.

ولم تكن نفسيتهم حسنة إطلاقا [نحو فرنسا] ففي سنة 1902 اغتالوا وكيلا سياسيا، وكرروا الجرم في غشت سنة 1903، وأُلزموا بدفع غرامة مقدارها 200 قطعة نيلة، وزوج من الخيل، ولما كانوا يرتحلون على العموم مع أهل سيدي ومشظوف أو بصورة متوازية معهم فقد برهنوا في سنة 1916 على موقف مريب للغاية وأخفوا عندهم ثوارا وقتلة؛ وكان

---

(9) قبائل تشمشة خمسة وهي إداشفاغه وأولاد ديمان وإدگبهني وإدوداي وبنو يعقوب (إديقب وأهل باريك الله) . انظر كتاب الشيخ محمد اليدالي تحقيق محمذن بن باباه، طباعة بيت الحكمة بتونس 1990.

(10) ــ بل في أجامره شرق مدينة عيون العتروس.

الوضع باعثا على القلق لأن أهل الطالب مصطف، وإن كانوا زوايا فهم محـــاربون مـــن الطراز الأول عند اللزوم.

ويرتحلون في الفصل الجاف غرب القصيب والعكلة، وفي الخريف في كل مكان تقريبا مـن غدران الحوض، ويقصدون أحيانا مشظوف الذين يمارسون نفوذهم عليهم جزئيا ، وهم على علاقة طيبة على الخصوص مع أهل المحيميد؛ وقد فارقتهم خيام لادم التي كانت معهم فـــي سنة 1916 كي تلتحق بقبيلة لادم التي تشكلت في انيورو. وهم أغنياء بالإبل والأغنام، وليس لديهم سوى القليل من الأبقار.

بقي أن نقول إنه مما يشرّف هذا الفخذ أنه في عام 1861 أنقذ حياة الملازم المكتشف علي صال، الذي أفلحت عصابة تكرورية في توقيفه لتقتاده إلى الحاج عمر، غير أن رئيس الفخـذ ــ الذي قام ببضعة أشهر قبل ذلك باستضافة علي صال بسخاء كبير ــ قام بتسهيل هربه بعد أن أخفاه خلال بضعة أيام في مغارة قرب تگيگ ل، وبعد ذهاب التكارير أعطاه مركوبا ودليلا للهرب.

19 ــ أهل الحاج أحمد ديدّه

يعود أهل الحاج أحمد ديدّه من حيث الأصل إلى الجنوب المغربي ويحددون ذلـــك بحـوز مراكش، وجدهم هو الحاج أحمد ديده الذي جاء إلى الحوض في القرن السابع عشر، وأقـــام في الاقلال.

وعلى أثر استيلاء مشظوف على الحوض أصبح هذا الفخذ متردداً بيـن الـولاء لســادته القدامى والحكام الجدد مما عرضه إلى مضايقات من جانب الاقلال، وقد أصبح لزامـــا علـــى محمد المختار والد الرئيس الحالي أن يلتحق نهائيا بمشظوف خلال أوج قوتهم، وقد عـــادوا الآن إلى استقلالهم بعد أن أصبحوا لا يخشون شيئا.

ورئيسهم اليوم هو محمد إجيّد بن محمد المختار، وهو رجل نافذ الكلمة جدا بين أتباعـــه، وهو يحاول أن يستعين بولده البكر الذي لا تبدو عليه رصانة من ينتمي إلى الطلبة.

ويحتفظ أهل الحاج أحمد ديدّه دائما بعلاقات طيبة مع مشظوف والاقلال، لا ســيما أولئـك الذين يسكنون تگانت (أهل أحمد بن زيدان) والذيـــن يرتبطـون بـــهم بصـــلات مصـــاهرة وينقسمون إلى خمسة مخيمات هي: أهل الحاج وهم 12 خيمة وأهل الطاهر وهم 24 خيمـــة وأهل الطالب محمود وهم 27 خيمة، وأهل فُلال وهم 13 خيمة وأهل علـــي وهـم 9 خيـــام؛ ويشكلون إجمالا 85 خيمة.

ويرتحلون في الخريف إلى بيديه وزافو، وفي الفصل الجاف إلى تنبدغـــه ووادي چگراگه، ولديهم قطعان بديعة من الإبل والأغنام، ولكنهم لا يملكون الأبقار؛ ووسمهم على مواشيهم

هو وسم تجكانت مما دفع البعض إلى القول بأن أصلهم من تلك القبيلة؛ ولا يدفع أهل [الحاج] أحمد ديدّه المداراة إلى علي محمود.

20 ـ أهل الطالب محمود

يؤلف أهل الطالب محمود فخذا صغيرا من 30 خيمة، وكان جدهم الأعلى الستراد من كيهيدى (فوتا تورو)، وجاء في جولة لجمع الهدايا من مشظوف الذين كانوا حينئذ في تگانت تحت قيادة المختار بن المحيميد، فاستقر فيهم بصفته معلم مدرسة، ومن ثم وبعد أن تزوج نساءً مشظوفيات من مختلف الأفخاذ تجنس في القبيلة؛ وتوفي حوالي 1825 تاركا سبعة أبناء هم: يوسف وعمر وإبراهيم والطالب والطالب مختار ومحمد وسيدي، وهم أجداد المخيمات الحالية.

ورئيسهم الحالي هو محمد السالك بن يوسف بن الطالب مختار المولود حوالي 1867، والذي خلف والده المتقدم في العمر؛ ومرابط الفخذ هو محمد محمود بن سيدي وهو رجل ضرير تضم مدرسته المتجولة عشرين تلميذا، ويتمتع بصيت رجل مثقف وأديب.

ويتوزع أهل الطالب محمود في الورد بين انتماءات مختلفة في المنطقة، فبعضهم تيجاني يتبع طائفة ولاتة عن طريق الشيخ محمد خيار الإدوبلالي ثم القاضي [الفقيه] الحاج محمد يحيى [ول أهل ابٍّ] والبعض الآخر قادري يتبع محمد آهيا المسومي (أولاد سيدي عبد الرحمن) وهم مسجلون مع مشظوف منذ سنة 1918، ولكن من الممكن توقّع مطالبتهم عاجلا أو آجلا باستقلالهم؛ ويملك هؤلاء الطلبة بعض القطعان الرائعة من الإبل والأغنام التي يرعونها بأنفسهم، وليس لديهم سوى القليل من البقر.

21 ـ أهل امبتنّي

أهل امبتنّي هم فخذ صغير مؤلف من 42 خيمة من أصل تشيتي، ويقال إنهم من أرومة ماسنة (أو گيرگنكه) الحوض الغربي، أو الساحل، وقد كانت لهم في الماضي مصاهرات عديدة مع الاقلال.

وكان أهل امبتنّي لمدة طويلة علماء الدين الرسميين لأهل المحيميد، ويميلون الآن لاسترداد استقلالهم، ورئيسهم هو محمد المختار بن عمر.

ويرتحل هذا الفخذ إبان فصل الخريف في أگورات، أما في الفصل الجاف فيتنقلون بين عدة مناطق رعوية نذكر منها خاصة المبيديع والرق؛ ولديهم قطعان من الإبل والأغنام وبعض الأبقار.

ملحقات أنساب الفصل السابع

نسب محمد الأمين الشريف التشيتي

محمد الأمين بن محم بن الشريف المختار بن محمـــد بن حماه الله بن أحمد بن الإمام أهل حماه الله بن أحمد بن هند تشاره بن الإمام محمد بن الإمام أحمد بن الإمام محمد بن عمر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن بان التشيتي بن صالح بن الإمام عبد العالي بن جعفر بن إسحاق بن يحيى بن مالك بن يوسف بن القاسم بن عبد الله بن إدريـــس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن [الإمام] علي [بن أبي طالب كرم الله وجهه].

نسب أهل الشريف حماه الله

الشريف أحمد بن محمد بن الشريف بن حماه الله بن الشريف أحمد بن الشريف محمد بـــن سيدي الشريف بن أمين الله بن محمد الشريف بن أحمد العباس بن سيدي الفضيلي بن سيف القيد بن سيف الله بن حماه الله بن هيبة الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن إدريس بن عبد المؤمن بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن القاسم بن حمـــود بـــن ميمون بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن بـــن الحسن بن [الإمام] علي بن أبي طالب [كرم الله وجهه].

نسب الشيخ محمد تقي الله

تقي الله بن (شيخنا) محمد عبد الله بن بوبكر بن البشير بن الأمين بن أبابك بن يحيى بـــن حمت (محمد بن أحمد سيلوم) بن الطالب بوبكر بن حْماد بن سيدي محمد بن شـــمس الديـــن الكبير (الجد العام لأهل بومحمد) بن الطالب الكبير بن محم بن محمد قلي بن إبراهيم بن عبيد بن أبي بكر بن جابر بن موسى بن الطاهر بن أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمـــد عبد الله حموية السهروردي بن سعد بن الحسن بن القاسم بن محمد بن النضر بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق [رضي الله عنه].

شجرة أولاد بلّة الحـــــوض وآغريجيت							
محمد بله ين داوود بن محمد بن أودي بن حسان							
أحمد الحسن		عنتر	مبارك جد أولاد	رقاب	مونا	عمران	دحان جد
	جد العنائرة		بلّة آغريجيت	جد أولاد رقاب			أولاد دحان
						مسعود	علّول
			عُبيد			سالم	علي
الحاج					عمر	أبّ	أحمد
إبراهيم				محمد	علي		زيدان
المختار				عبد الله	إبراهيم		إبراهيم
						رئيس أولاد بلّة الحوض	
عمي صالح	سيدي	الشيخ			تياه		
			عمر	ليله			
إبراهيم	محمد المختار	محمد السالك			إبراهيم		
			أحمد		محمد		
					محمود		
محمد القله	المختار		عبد الله	الحاج			عمر
				سيدي			
				علي،الرئيس الحالي			
محمد		عبد الله		سيدي			ديده

الفصل الثامن

قصرا ولاتة والنعمة

قصــــــــر ولاتة

1 ـ لمحة تاريخية

يبدو أن ولاتة كانت في بداية الحقبة التاريخية السودانية (القرن الحادي عشر) عبارة عن قصر صغير ضمن امبراطورية غانة، وكانت تحمل اسم بيرو، ومأهولة بالسونينكه فقط، وهم ماركه الحاليون الذين تزحزحوا نحو الجنوب.

وفي بداية القرن الثالث عشر سقطت غانة تحت نير رئيس قبائل الصوصو ماندوگو كانته، وبعد برهة من الزمن أي في 1224م هاجر وجهاؤها السونينكة وصنهاجة والمعقل إلى بـيرو الواقعة إلى شمالها على الحافة القصوى للصحراء، وعمـل تدفـق المـهاجرين ونشـاطهم التجاري وغناهم على تحول هذه الدشرة الصغيرة الزنجية إلى مدينة كبيرة غنية ونشيطة، بل عاصمة الحركة التجارية الساحلية خلال سبعة قرون.

ثم جاء تدمير غانة على يد الزعيم المالنكي الكبير صونچاتا[كيتا] سنة 1240م مما جعـل ولاتة فريدة دون منافس حيث وورثت حياة ونفوذ غانة القديمة.

وفي الواقع ظل الخلط بين الاثنتين قائماً لمدة طويلة، فالمؤلفون العرب لم يميزوا بصـورة جيدة بين غانة وولاتة التي تلفظ أحيانا اغوالاته.

وقد كتب مرمول يقول "وإلى أبعد من ذلك في البلاد تقع ممالك اغوالاته أوغانة" الخ. ومن الأكيـد أن هذه "المملكة" تعني هذين الاسمين، وليس من المستحيل أن تكون كلمة ولاتة تحريفا لاسم غانة القديمة من جانب الزنوج.

وفي سنة 1225م قصد كانكان موسى ملك ملّي مكة [المكرمة] للحج، فوصل إلى ولاتة عن طريق الهضبة (الظهر)، ومنها سافر إلى توات (عن طريق أروان بلا شك).

وكانت بيرو في ذلك العصر زنجية، ولكن صنهاجة كانوا سادة المنطقة، فقد سُجلت علـى صخور كدّامو (طريق ولاتة ــ تشيت) رسومات وكتابات بخط تيفيناغ لا تترك أي شك فـي ذلك، ولا ينبغي أن ننسى أن إمبراطورية آوداغست الصنهاجية قد ازدهرت في ذلك التاريخ.

وفي مطلع القرن الرابع عشر[م] راحت بيرو "تتصنهج" شيئا فشيئا بفعل تدفق مسـومة، وسواهم من أزناكة والطوارق إلى الضواحي. وبدأت تميل إلى فقدان اسمها بيرو لمصلحـة اسم إيولاتن؛ وعلى كل حال فمن الوصف الذي كتبه عنها ابن بطوطة الذي أمضى فيها قرابة شهرين يتأكد أن العنصر الأسود كان سائدا وعوائد الزنوج هي الغالبة. وكانت إيولاتن هـي

أول نقطة من بلاد الزنوج في جنوب الصحراء [بالنسبة للقادم من الشمال]، وكان نائب السلطان فيها هو فربه حسين، وكلمة فربه تعني "نائب الملك: الوالي"؛ ويقول ابن بـــــطوطة:

"ولما وصلنا جعل التجار أمتعتهم في رحبة وتكفل السودان بحفظها، وتوجهوا إلى الفربا وهو جالس على بساط سقيف، وأعوانه بين يديه وبأيديهم الرماح والقسي، وكبراء مسوفة من ورائه، ووقف التجار بين يديه، وهو يكلمهم بترجمان على قربهم منه احتقارا لهم، فعند ذلك ندمت على قدومي بلادهم لسوء أدبهم واحتقارهم للأبيض، وقصدت دار بن بداء وهو رجل فاضل من أهل سلا كنت كتبت له أن يكتري لي دارا ففعل ذلك، ثم إن مشرف إيولاتن ويسمى منشاجو استدعى من جاء في القافلة لاستضافته فأبيت حضور ذلك فعزم الأصحاب علي أشد العزم ثم توجهت فيمن توجه ثم أتى بالضيافة وهي جريش أنلي مخلوط بيسير عسل ولبن قد وضعوه في نصف قرعة صيروه شبه الجفنة فشرب الحاضرون وانصرفوا، فقلت لهم ألهذا دعانا الأسود؟ فقالوا نعم! وهي الضيافة الكبيرة عندهم، فأيقنت حينئذ أن لا خير يرتجى منهم، وأردت أن أسافر مع حجاج إيولاتن، ثم ظهر لي أن أتوجه لمشاهدة حضرة ملكهم. وقد كانت إقامتي بإيولاتن خمسين يوما وأكرمني أهلها وأضافوني، منهم قاضيها محمد بن عبد الله بن ينومر، وأخوه المدرس يحيى.

وبلدة إيولاتن شديدة الحر، وفيها يسير نخيلات يزرعون في ظلالها البطيخ، وماؤها من أحساء بها، ولحم الضأن كثير بها، وثياب أهلها حسان مصرية، وأكثر السكان بها من مسوفة، ولنسائهم الجمال الفائق، وهن أعظم شأنا من الرجال".

وهؤلاء المسوفة الذين كانوا يشكلون حينذاك القسم الأكبر من السكان ليسوا من ولاتة ذاتها بالمعنى الصحيح، بل من المنطقة، وقد تحدثنا عنهم في اللمحة التاريخية التي كتبناها عن مشظوف.

وذهب ابن بطوطة من إيولاتن إلى ملّي مرورا بچا گا، ومن الممكن أن نلاحظ حول هذا الموضوع من خلال قراءة نصه الأمور التالية:

(1) ــ كثافة النبات في مناطق تعرت اليوم تماما منه.

(2) ــ الأمن في البلاد التي كانت في ذلك العصر غير مأهولة بعدُ إلا بصنهاجة، ولكنها لن تتأخر عن استقبال الهجرات العربية التي ستؤثر الحياة لفترة تقارب خمسة قرون.

ويقول ابن بطوطة:

"ولما عزمت على السفر إلى مالّي، وبينها وبين إيولاتن مسيرة أربعة وعشرين يوما للمجد اكتريت دليلا من مسوفة، إذ لا حاجة إلى السفر في رفقة لأمنِ تلك الطريق، وخرجت في ثلاثة من أصحابي؛ وتلك الطريق كثيرة الأشجار وأشجارها عادية ضخمة تستظل القافلة بظل الشجرة منها، وبعضها لا أغصان لها ولا ورق، ولكن ظل جسدها يستظل منه الإنسان(1) وبعض تلك الأشجار قد استأنس (2) داخلها، واستنقع

(1) ــ تُعرف في موريتانيا بالتيدوم، وهي صيغة صنهاجية للدّوم، لأنها دومة كبيرة، وفي السودان يُطلقون عليها التبلدي، وبالفرنسية باوباب، لها ثمر يعالج عددا من الأمراض مثل الإسهال.

(2) ــ أي صار آسنا متغيراً.

فيه ماء المطر فكأنها بئر، ويشرب الناس من الماء الذي فيها، ويكون في بعضها النحل والعسل، فيشتاره الناس منها؛ ولقد مررت بشجرة منها فوجدت في داخلها رجلا حائكا قد نصب مرمته [نوله] وهو ينسج فعجبت منه".

وكان اللسان الدارج في هذه الفترة في ولاتة هو لغة الأزير، وهي لهجة مختلطة أساسها السونينكية مع عدد كبير من الكلمات الصنهاجية، ويبدو أنها كانت اللغة الدارجة لدى هذا العرق الهجين من أزناقة والسونيكه، الذي كان يؤلف سكان إمبراطورية غانة، وهذا ما يفسر استنادا إلى "التواريخ" (3) أنها كانت لغة التفاهم في شنقيط وتشيت، وكانت أيضا متداولة ــ على ما يعتقد قبل ذلك بقليل ــ في آودغست وغانة. ولا زالت لغة آزير سائدة في قصور البيضان المهجنين بالسود في ولاتة (لا سيما لدى العنصر الأقدم وهو المحاجيب) وفي النعمة وتشيت وشنقيط، وفي قرى السود المهجنين بالبيضان التي يقطنها گيرگنكه أو تگداوست. (أنظر المجلد الرابع من دراسات الإسلام وقبائل السودان)؛ غير أن هذه اللغة تجنح مع ذلك للتخلي عن مكانتها لدى البعض لصالح العربية ولدى الآخر لصالح السونيكية.

وراحت ولاتة تفقد ازدهارها وتعاني نوعا من الانحطاط الجزئي لمصلحة تنبكتو. وقبل ذلك يقول تاريخ السودان (القرن السابع عشر) إن المركز التجاري كان في بيرو التي كانت تشهد تدفق القوافل من كل البلدان، وكذلك كبار العلماء والشخصيات الدينية، وأناس أغنياء من كل عرق وكل صقع للاسقرار فيها؛ فكان فيها أناس من مصر وأوجله وفزان وغدامس وتوات، ودارات وتافيلالت وفاس والسوس وبيتو .. الخ. وقد انتقل كل هؤلاء إلى تنبكتو تدريجيا إلى أن تمركزوا فيها كليا؛ ومن ناحية أخرى انضمت كل قبائل صنهاجة إلى هذه العناصر، فكان ازدهار تنبكتو حقا دماراً لبيرو.

وفيما بعد نجد في كتاب [عبد الرحمن] السعدي الذي يقدم أسماء العلماء والصالحين البارزين الذين سكنوا تنبكتو بضع شخصيات من الذين ولدوا أو قاموا بدراساتهم أو سكنوا في ولاتة، وكان فيها أيضا حي خاص بأهل ولاتة.

وفي المقابل كان يلجأ إلى ولاتة دائما سكان تنبكتو في الأيام المضطربة من تاريخهم، ولا سيما في فترة استيلاء سني علي عليها (1468) وفترة الحروب الأهلية بين المطالبين بالعرش من آل أسكيا، وأخيرا خلال مختلف الأحداث المأساوية من الحكم المغربي. وقد أدت هذه الهجرات، وهيمنة جماعات أسكيا ببعض السونگاي إلى الاستقرار في ولاتة حيث منحوا المدينة دون ريب، نوعا من طابع حياة هذا العرق لأن مرمول يقول بعد قرن من ذلك "إن هؤلاء الأقوام (أهل ولاتة) يتكلمون لغة السونگاي" وهو ما لا ينبغي أن نفهمه إلا بالمعنى الضيق

---

(3) ــ التاريخ والتواريخ يقصد بها المؤلف حوليات ولاتة وتشيت والنعمة، المسجلة لأحداث السنة.

للكلمة. وقبل أن تندمج ولاتة في امبراطورية السونگاي استقبلت زعيم قبائل موشي [الزنجية] (1480) الذي ارتكب فيها سائر أصناف النهب.

وفي العصر ذاته (حوالي 1480) وكما يقول تاريخ السودان فإن سنّي علي قام بحفر قناة لنقل الماء من "بلدة رأس الماء إلى بيرو (ولاتة)" ولكن الأشغال توقفت على أثر وصول قوات [قبائل] الموشي الغازية. "والمكان الذي كان يوجد فيه الأمير عندما تلقى هذا النبأ يُدعى شنفنش وفيه توقفت القناة".

وقد كان من المفيد أن نرى ميدانيا ما احتفظت به الرواية المحلية عن هذا الحدث الضخم، حيث تنص بشكل واضح على أن الأمير السونگائي لم يقم بأكثر من ترميم قناة كانت تربط في الماضي بين افاگيبين وولاتة أو على الأرجح كانت تسير في اتجاه ولاتة. فلبلوغ هذه المدينة كان هناك حاجزان يستحيل اجتيازهما العكلة (أولمرية) وهي منطقة صحراوية تمتص رمالها كل ماء افاگيبين والدكار الذي يصعب صعوده رغم انحداره النسبي.

وقد جرى إنجاز القسم الأكبر من المشروع، أي حفر وجرف مرتفع أرضي كان يعترض مرور الماء نحو الغرب عند شن فنش أو شين فنسي علي ـ كما يُقال اليوم في شمال غرب گوندام ـ إلى أن أدت التهديدات الآتية من الموشي لتوقف العمل. واستمر الأميرالسونگائي في حفر قناة ثانية تمر بكامابنا قرب افاگيبين تُدعى لامينتاگورو كانت ستتصل بالقناة الأولى خلف تل بانكوري ولكنها أهملت للأسباب ذاتها؛ أما القناة الثالثة فهي قناة داونا التي جرى حفرها من قبل، وكانت تستطيع غمر هذه السهول بعد الفيضانات فقط.

واستنادا إلى رواية قرية انبونا والقرى المجاورة التي استطاع المفتش الزراعي فيتاليس vitalis تدقيقها وتكميلها تمت معرفة الحالة التي كانت عليها قناة سُنّي علي، وذلك عبر وصف طريق القناة:

1 ـ رأس الماء، أو هاريبونگو، و(تعني نفس المعنى) تقع بها بداية القناة في أسفل المخفر العسكري، وفي نقطة تجتاحها النباتات الشوكية.

2 ـ اينوفال، ويدعوه الطوارق "مخيم بولّو اينوفال".

3 ـ شمسي، منخفض يوجد فيه حتى الآن غدير كبير.

4 ـ طبرجان، كثيب كبير يمر الماء عند أسفله.

5 ـ تنتايجاربانگو، ومعناها "غدير أرض الطمي" ويبلغ الماء في هذه النقطة ارتفاع خاصرة الرجل.

6 ـ تن آسونان، غدير جاف تتألف تربته من الطمي ونباتات شوكية حيث يمر المجرى في الوسط.

7 ـ أوروبانگو، غدير يمتد من اثنين إلى ثلاثة كلم وتربته طمي، وكانت القناة تمر من وسطه.

8 ـ آدابوگا، كثبان كبيرة كان الماء يمر من بينها، ويتألف قاع القناة فيها من تربة اطمائية.

9 ـ النّباك، كثبان تغطيها الأشجار وتمر بها القناة.

10 ـ الأرنب، آبار في تقعّر طبيعي مياهها مغنيزية وعندها يكون المنخفض الممتد من رأس الماء مرئيا تماما، ويشكل واديا حقيقيا.

11 ــ آدار، بئر كبيرة في وسط المجرى.

12 ــ باركنّي، آبار أرضها اطمائية وضواحيها حراجية.

13 ــ تبسل ـ كَادير، آبار أرضها إطمائية.

14 ــ بوزْريبة، آبار أرضها اطمائية.

15 ــ الحاسي الطويل بئر تقع في المجرى وتربتها اطمائية.

16 ــ باسكنو تربتها اطمائية مماثلة لأرض داونا.*

وابتداء من هذه القرية كان الماء ينطلق إلى الحوض حتى تگيگي ، وعندما وصل إلى افاگيبين بصورة تمكنه من تجاوز العائق الذي كان سنّي علي يريد جرفه هجر الناس قراهم بعد أن غمرتها مياه المشروع فارتحل سكان قرية بريتا بريتاگوندگو إلى گوريْ فورفونده، وأهل قرية توكابونگو إلى كاينو، وأهل قرية أمبونا إلى كيتوبانگو.

وقد برهنت المقاييس التي قام بها فيتاليس على صحة الرواية، فكانت اينوفال تقع على مستوى سبعة أمتار تحت مستوى الحد الأقصى لفيضان النهر، وكان الحد الأقصى للفيضان في افاگيبين في عامي 1909 و1910: 10,845 أمتار تحت الحد الأعلى للفيضانات.

وإذا ما أنجزنا أعمال ردم لرفع مستوى الماء في افاگيبين بمقدار 10,845 أمتار فإن المياه ستتجاوز كل الكثبان الواقعة في الغرب، ويمكنها أن تغمر منطقة شاسعة ذات مساحة مجهولة؛ ويعود ذلك إلى أن الحوض منطقة منخفضة ومغلقة كما يشير إليه اسمه؛ ومع ذلك حاول حاكم تنبكتو سنة 1916 تموين ولاتة عبر "القناة " مسترشدا بأقوال السكان المحليين، غير أنه تأخر عدة قرون عن الوقت الصحيح!.

ويعطي ليون الإفريقي (الحسن الوزان) الذي وصل [نهر] النيجر حوالي العام 1507 بعض المعلومات؛ ثم بعد قرن من الزمن من ذلك يعطي مرمول المعلومات التالية عن ولاتة، وهو لم يقم بأكثر من تكرار الحسن الوزان وتكميله:

هذه المملكة (ولاتة) قريبة من النيجر (والنيجر المزعوم هو نهر السنغال الأعلى الذي يتصل في الخيال بنهر النيجر الأوسط) حيث تقع مقابل أقوام سنكس في ليبيا (قبائل من أزناقة الصحراء). وإفلان الذين يقطنونها عادة يسمون بْن آيسْ (إدوعيش أولاد إعيش) ومنهم أولئك الذين يوجدون باتجاه ليبيا (الصحراء الكبرى) وهم أقلهم سوادا، ويتميزون بدماثة الأخلاق رغم بعض الغلظة، و[هم] تجار أمناء. وقد اعتادوا على تغطية وجوههم رجالا ونساء. وليس لديهم قضاة ولا حروف كتابة إلا الحروف العربية، ويحصدون نوعي الذرة الخشن والناعم، ولديهم بعض الماشية وبعض النخيل'. وقد قال الحسن الوزان ــ وهو على صواب أكبر ــ إنه لا يوجد لديهم "نخيل".

وفي هذه الفترة بدأت تظهر في الحوض أوائل الجحافل العربية (أولاد داوُود)، ونرى عن طريق كتاب الحسن الوزان أن حسان كانوا يرتحلون في ذلك التاريخ (1500) في الحوض

وموريتانيا الشرقية، ويقول أيضا إن الأودايه (أبناء أوديْ بن حسان) كانوا يضعــون إتــاوة على ولاتن وولاتة.

وابتداء من ذلك التاريخ أو قبله بقليل، ينبغي تقصّي الروايات العائلية المحفوظــة لــدى التجمعات العربية، التي تؤلف العنصر الأرستقراطي الحالي في القصــر، وهــي المحــاجيب وإديلبة والاقلال.

وكان أول من ظهر في البداية من هذا الزحف العربي بنو القاضي، وهو فخذ مــن أصــل مجهول، حيث أقاموا في ولاتة مستودعات للحبوب والأثاث والخيام، وقــد انصــهروا فــي المحاجيب.

وتقول أسطورة ولاتة إنه في أحد الأيام وفي الساعة التي تذهب فيها النسوة عــادة إلــى البئر وصل رجل له ملابس رثة يبدو عليه الإرهاق بعد مسيرة طويلة بحثا عن الماء حيــث أُبعد وطُرد، لكن وجيها سونينكيا أنقذه، ووبخ الخادمات اللواتي رفضن سقايته، وصحبه إلــى منزله حيث عامله بكرم، وشيئا فشيئا أصبح صديق كل سكان ولاتة؛ وبعد أن أُعجب بــحسن الضيافة ذكر أنه جاء من الشمال الغربي حيث ترك أهله وأصحــابه، وسيذهب لاســتدعائهم، ويشيّد مدينة إلى جانب مدينتهم إن قبل السونينكه، وهو مافعلوه، وهكذا نشأت ولاتة الحديثة مع بني القاضي دون ريب أو مع المحاجيب.

وجد المحاجيب هو يحيى بن ينوماس "المحجوبي" (لأن نساءه كن محجّبات) وقد وصل مع أخيه محمد من التل(4) عن طريق سجــلماسة حيث يُعتقد أنهم من الشرفاء أو من الأمويين، وتقول "الرسالة القلاوية" بأنهم أبناء عمومة كنتة، إذن من بني أمية(5)؛ وسنرى فيما بعــد ذرية يحيى هذا.

ومن ذلك الوقت استقر في القصر بضع عائلات من إديلبة الجكنيين، ويبدو أنــهم شــكلوا تجمعا أصبح يرتحل في المنطقة قبل وصول المخيمات الإديلبية ذات الأصــل الواحــد التــي شكلت ــ حسبما تقول الرواية المذكورة آنفا ــ فخذا مستقلا يعيش اليوم في أريــاف ولاتــة إلى الجنوب من افاكَيبين، ويرتبط بدائرة كَوندام؛ وإديلبةِ ولاتة يدّعون أنــهم وحدهــم ذوو الأصل الصميم.

وقد وصلت من بعدهم عائلات أولاد سيدي وأولاد موسى من أقلال تكّانت بعضهم شرفاء، وينحدرون مــن الطالب الوافي مــن أولاد سيدي بربكر بشنقيط، الذي جــاء إلى هنا قبــل

---

(4) ــ يُقصد بالتل الشمال الإفريقي حسب مصطلحات سكان بعض المناطق الموريتانية.

(5) ــ بل من بني فهر، وهم قريش الظواهر.

ستة عشر جيلا، وهو مدفون قرب ضريح [الشيخ] سيدي أحمد البكاي. وجاءت بعد ذلك خيام بارتّيلْ من موريتانيا، وينتسبون إلى بارتّيل (الترارزة) وأخوالهم أهل اشفاغه الخطاط (آدرار).

وعلى أثر قدوم الشرفاء الوافدين من توات إلى المدينة الذي امتد لعدة عصور اكتسب السكان الحضريون أسماءَهم الحالية؛ وكان أول هؤلاء المهاجرين جميعا يحيى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق؛ والشرفاء في هذه البقاع التي تغشاها الوحوش الكاسرة يتمتعون بامتياز استثنائي.

وقد ظلت دائما قيادة ولاتة بشكل أو بآخر في أيدي المحاجيب وهم أوائل السكان بينما احتفظ كل تجمع برئيسه وتقاليده الخاصة.

وفي 1583 سيّر أميرالسونگاي أسكيا قواته العربية الصنهاجية إلى المنطقة لمواجهة أوائل المجتاحين العرب الحسانيين الذين وصلوا الحوض، وأخذوا يفرضون الإتاوة على سكانه. وكان بين الجيوش العاملة في خدمة أسكيا جماعات من مزّيك أجداد ما يعرف اليوم بالمساسكه، وكذلك جماعات مازيغ أو إمازيغن الطارقيين وكلتادمكت، أي طوارق تنچريچف، وإرگناتن وكلتيمولايت، وأخيرا تادعامرت، الذين كانوا عربا من بني عمير و"تطرقوا" وهم اليوم إگلاد كما يقال؛ وقد اشتركت هذه العصائب في الحملة ضد "العرب" ودخلت ولاتة.

وفي 1629 و1648 تلقت ولاتة عصابات عربية جديدة من الشمال، مثل العروسيين الذين كان يقودهم عمر شنّان والتونسي بن إبراهيم ثم إبراهيم ذاته؛ وهذه القبيلة التي نجدها دائما في الجنوب المغربي كانت ترسل حينئذ غزوات على طول الخط السوداني حتى موريتانيا السفلى.

وفي سنة 1688 حدثت هجرة أولاد زعيم (من عرب داوُود) من ولاتة باتجاه [نهر] النيجر؛ وبين عامي 1704 و1715 أقامت جماعة من البرابيش في المدينة ثم جلت عنها سنة 1720، وقد شهد وادي ولاتة في سنة 1733 قمة المعارك التي خاضتها بقايا الفرع الأول من أولاد داوُود وهم أولاد محمد[يا حمد] والأفخاذ الناجية من أولاد بوفائدة وأولاد منصور وأولاد طلحة حيث تمكن المتصارعون من إبادة بعضهم البعض.

ويحدد تاريخ ولاتة عامي 1792 ـ 1793 بداية لوصول فخذ إديلبة إليها؛ وفي سنة 1861 أمضى الملازم علي صال موفَد اقْدَيْربْ بضعة أيام في ولاتة وعاد منها ببعض المعلومات الهامة.

وفي بداية القرن العشرين كانت ولاتة آخر ملجإ لعصابات أولاد دليم والرقيبات والسكارنه وتكنة القادمة من [وادي] نون و[وادي] درعة؛ وكانت القاعدة الرئيسية لعملياتهم تقع في جنوب المغرب والساقية الحمراء ويصحبهم كل الثوار الذين رفعوا السلاح ضد الفرنسيين؛

ومن ولاتة كانوا ينقضون على قبائل أزواد والساحل والحوض وأفلّه، وإليها كانوا يلجــؤون للاستراحة مع غنائمهم قبل العودة إلى مواطنهم.

ولما كان السكان يتعرضون للنهب والإرهاب فلم يكونوا يجرؤون على إعــلان شــكواهم، ويأملون بفارغ الصبر في سيطرتنا ويعبرون عن ذلك في كل أسفارهم التجارية نحو الجنوب.

وعلينا أن نشير هنا إلى محاولة غربية للتغلغل في المدينة قام بها لافون Laffon التــاجر في انيورو؛ فابتداء من عام 1905 حاول الوصول إلى ولاتة، ولكن عداوة مشظوف ولا سـيما علي محمود أوقفته في النعمة، وفي سنة 1908 انطلق عن طريق النعمة والظــهر، ودخــل المدينة بصورة خفية، ونال من بابا بن أخي اكَيگ [يــن عالــه] ومــن الســكان الضيافــة والاستقبال الحار. وقد يسّــر ترحيب محمد المختار رئيس مشظوف هذه الرحلــة إلــى حـد كبير، وكان لافون بذلك أول رحالة أوروبي يرى ولاتة بأم عينيه.

وكان الاحتلال في الحقيقة وشيكا والمعارضة المحتملة من مشظوف غير ذات موضـــوع بفضل سياسة الوالي كلوزيل الحاذقة وقدوم رئيس مشظوف إلى كولوبا في سنة 1911؛ وقـد تم ذلك عندما تقرر إرسال قوتين لاحتلال تشيت وولاتة؛ فانطلق رتل من تجگجه إلى تشـيت بقيادة النقيب بنيو Beugnot وفاجأ في طريقه سيدي أحمد بن أحمد بن عيـــدّة أمــير آدرار فأسرهُ، في حين كان الرتل الثاني ينطلق من تنبكتو مرورا بباسكنو والنعمة، ويحتل ولاتة في يناير سنة 1912.

وقد كانت ولاتة مقر دائرة ومركز سرية هجانة، وكانت تتبع في البداية منطقـــة تنبكتــو، ومن ثم ــ وهذا طبيعي أكثر ــ كانت تتبع كولوبا حتى شهر دجنبر ســنة 1917، حيــث تــم الاعتراف بأنها لم تكن مؤهلة لتكون مركز قيادة إدارية أو عسكرية لوقوعها في زاوية ميتة، ولهذا جرى نقل صلاحياتها إلى النعمة.

وظلت ولاتة تحت حماية فصيل من الرماة مرسل من النعمة، وظل القصر هدفا لزيـــارات متــتالية من جانب قيادة الدائرة وطبيب المركز، وما زالت مستمرة في الحياة والمتـــاجرة، ولكن ربما يؤدي تصاعد أهمية النعمة إلى إلحاق بعض الأذى بازدهارها.

2 ــ الحياة الحضرية والدينية

يضم قصر ولاتة خمسة أحياء، أو علي الأصح خمسة تجمعات، وحتى هذه العبــارة غــير صحيحة أيضا لأن هذه الوحدات الخمس تعيش منفصلة فلا تتشكل من أقسام سكنية، بل مــن أقسام بشرية، وهي المحاجيب والشرفاء وبارتّيل (الذين يُــحسبون إداريا اليوم مع الشرفاء) والاقلال وأخيرا إديلبة، ولا يوجد رئيس عام للمدينة.

3 ـ السكـــان

المحاجيب	483 نسمة
الشرفاء (مع بارتّيل)	690 " "
بارتّيل	(محصون مع الشرفاء)
الاقلال	286 نسمة
ديلوبة [إديلبة]	171 " "

أي مجموع قدره 1630 نسمة (إحصاء سنة 1917). ويدخل في هذا العدد شـرفاء ولاتـة البدو الذين احتفظوا بالعديد من العلاقات مع أقاربهم الحضريين، ولهم مصالح في البلدة، كما يملكون مخازن وبعض البيوت أحيانا؛ ويؤلفون في الحقيقة جزءا منها، وينبغي أن نضيـف إليهم عددا عائما من السكان يقارب 300 نسمة من بيضان الأطراف والمشردين الذين أقبلـوا من كل قبيلة بحثا عن بعض موارد العيش.

(أ) المحاجيب وهم كما رأينا أقدم سكان ولاتة من العنصر الأبيض، ومنهم يُختار زعماؤها حتى هذه الأزمنة الأخيرة ويحكمون المدينة إداريا. وكان آخرهم في زماننا شخصية معروفـة جيدا هي الطالب بوبكر؛ وهذا نسبه الطالب بوبكر بن أحمد المصطف بن محمد بـن الطـالب عبد الله بن اند عبد الله بن علي بن الشيخ بن المحجوب بن سيدي أحمد بن محمد الغيث بـن محمد الفاتح بن عبد الله القطب بن محمد الفقيه بن الفقيه عثمان بن محمد بن يحيى السـابق الذكر.

وقد ولد الطالب بو بكر حوالي 1838 وقام بدراسات عميقة، وسافر في الحوض وحج إلـى مكة [المكرمة] وعاد أخيرا ليقيم في ولاتة حيث رفعه علمه لمرتبة القـاضي، وكـان بيـن 1890، 1900 أكثر العلماء شهرة في الساحل والحوض، وقد عزله أمير مشظوف من القضاء لصرامة أحكامه، كما تعرض بوصفه أكثر الوجهاء تمثيلا للمدينة لكل أنواع المضايقات مـن جانب مشظوف، ففي سنة 1900 طلب مشظوف الذين كانوا يحاصرون ولاتة من السكان دفـع غرامة قدرها 4000 قطعة من الذهب كشرط لرفع الحصار؛ ولما كان الوجهاء يتباطؤون أكـثر من اللازم قام المهاجمون بسحب هذا الشيخ المسن إلى الجامع وأرهبوه بطلقات نارية قريبـة من ساقيه إلى أن تحققت مطالبهم؛ وقد ألف الطالب بوبكر عدة كتب فقهيـة أهمـها شـرح مختصر خليل وحاشية على الدرديري؛ وقد توفي في بداية شهر يوليه سـنة 1917 متـأثرا بذات الرئة تاركا ابنين وابن أخ.

وابنه البكر محمد بويا المولود حوالي 1898 ما يزال في السن الحرج من البلـوغ عنـد البيضان، أما عبد الرحمن المولود حوالي 1905 فيتمتع رغم صغر سنه باعتبار كبير ويتفـق

الناس في ولاتة على الاعتراف بأنه سيكون خليفة أبيه، وفي الوقت الحاضر فإن علاتي ابن أخي الطالب بوبكر هو الشخصية الأكثر إثارة للاهتمام في العائلة.

ومحمد بويا قادري تلقي الورد من الطالب سيدي أحمد الولاتي مريد مرابط ركَاني من الزاوية الكنتية في توات يدعى الشيخ عبد الملك كان قد أقام بعض الوقت هنا ثم عاد إلى موطنه.

ويُختار قاضي المدينة من المحاجيب أيضا وهو الآن محمد الأمين بن عبد الله وأمه تنتمي لمحمد الندا جد بارتّيلْ، وقد ولد حوالي 1850، وهو رجل مستقيم ومحترم، وقد لاحظ الناس أنه يمارس القضاء منذ سنة 1912، ومع ذلك ظل فقيراً مما يبرهن على نزاهته؛ وكان رئيس محكمة الدائرة عندما كانت في ولاتة، وهو إمام الجامع مدة قصور صاحب الحق لأن هذه الوظيفة تُتوارث في الأسرة.

ومحمد الأمين بن عبد الله مقدم قادري حسب السلسلة التالية: والده عبد الله عن والده عثمان عن سيدي بله الركَاني (الذي جاء إلى هنا ليجازي عدّة أشخاص ويعود لبلده) عن والده عبد الملك [سالف الذكر] عن مولاي عبد الله الركَاني .. إلى آخر [السلسلة القادرية].

والشخصية الدينية الأكثر بروزا في ولاتة هي مْحمدي بن سيدي عثمان المنتسب إلى المحاجيب وأمه بوردية.

وقد ولد مْحمدي حوالي 1867 في ولاتة وفيها أتم دراساته، ولم يخرج منها إلا في مناسبتين الأولى من سنة 1891 إلى سنة 1892 لأداء فريضة الحج انطلاقا من مرسيليا إلى جدة حيث عاد من المدينة [المنورة] إلى ينبع، ومنها انطلق إلى بيروت فطرابلس الغرب وطنجة والصويرة واجتاز الجنوب المغربي مرورا بتارُدانت وتيزنيت وكَليميم، ورجع إلى أهله عن طريق تندوف وأروان؛ أما الثانية فكانت حوالي العام 1899 لمّا ذهب إلى تشيت للحصول على إجازة مقدم في الورد التيجاني؛ وهو متجنس ولاتياً منذ أربعة أجيال، وكان جده الرابع سيدي عبد الرحمن التاكَاطي ، أول من جاء إلى هنا من الأسرة في القرن الثامن عشر، وهو محمدي بن سيدي عثمان بن محمد عبد الله بن سيدي عبد عثمان؛ وقد تزوج امرأة من الخارج هي عائشة بنت سيدي محمد من أهل الحاج الحسن (أولاد زيد) ولكن له سراري، وقد رزق بخمسة أبناء هم: محمد الأمين الذي ولد حوالي 1896 وتوفي سنة 1916، وسيدي عثمان المولود حوالي 1905، وسيدي محمد الذي ولد حوالي 1906، وقد أتموا جميعا دراساتهم، وله ابنتان متزوجتان من نبلاء محليين.

ومْحمدي هو المرابط الأكثر احتراما وتقديرا في الحوض، ويبدو حقا أنه يستحق ذلك؛ فهو عالم يحتل مكان الصدارة، كما أن مكتبته المتنوعة جدا تحوي أكثر من مئة مجلد؛ ويملك قطعانا عديدة من الماشية ويمارس التجارة وينال العديد من الهدايا .. الخ، ولكنه يستغل

ثروته في أحسن الوجوه، فكرمه وإحسانه على الناس مضـــرب الأمثـــال، كمـــا أن شـــرفه واستقامته لم يكونا في يوم من الأيام موضع ريبة، ويقال عنه "إنه البيضاني الوحيد في الحــوض الذي لا يكذب"؛ وأصبح الناس اليوم على وشك النظر إليه كولي، وفي الواقع يتصف بطبع مرح ذي دعابة كولد غرير مستخدما في حديثه صيغاً أدبية، وهو أول من يضحك من نفسه، وقـــد فتحت أسفاره نفسيته.

وخلال إحدى محادثاتنا (نهاية دجنبر سنة 1917) مرت غادة حسناء شبه محجبة، فكـــانت سببا لحديث نسوي معه، فإذا به يستغرب ــ نسبيا ــ جرأة نسائنا المعاصرات، ولكنه يعترف عن طيب خاطر بأن المرأة العربية بحاجة لشيء من التحرر؛ واغتنمت مرة الفرصة بتخـــابث لألخص له قصة لافونتين Lafontaine "أسر القديس مال" وسألته عما إذا كان يخشى ــ شـــأن راهب الصحراء الذي أعطاه العرب "راعية" طاهرة وجميلة ــ التمتُّع في الملـــذات الدنيويـــة التي لا تنعدم في ولاتة [حيث يأتي في القصة على لسان الراهب]:

"لقد منحتني يارب في شدة العذاب رفيقة قديسة حقا ولكنها فاتنة"

فأجابني محمدي ضاحكا بأن إله المسلمين أقل تشددا في هذه الناحية من إلـــه النصارى؛ وهذا التسامح في تبادل الآراء وفي النقاش يجعل المرء يتخيل أنه أمام مثقف مراكشي مـــن ما وراء الصحراء، ويذكّرنا محمدي تماما بالشيخ سيديا لكن دون الوقار الخارجي (6).

أما اتجاهنا فقد كان على الدوام منضبطا بشكل صحيح، وهو أذكى من أن يأســـف علـــى الماضي الفوضى، أو أن لا يقدّر حتى من وجهة النظر الدينية فضائل سيطرتنا، وكان دومـــا يبقى في مكانه دون أن يتظاهر بحماس كبير اتجاهنا.

وهو مقدم تيجاني رسمي في الحوض ساهم كثيرا عبر مُثله وشـــهرته فـــي نشـــر هـــذه الطريقة التي تلقاها في تشيت من محمد بن أحمدُ الصغير وهو مرابط ذائع الصيـــت يرتبـــط بانتماء مزدوج بالحاج عمر [الفوتي] وبأحمد بن [الشيخ] محمد الحافظ العلوي(7).

وتعتبر دروسه على درجة من الشهرة يُقبل الناس عليها بكثرة؛ وهنالك بضعـــة معلميـــن يزاولون التعليم القرآني في بيته لأكثر من مئة ولد، ويتولى هو التعليم العالي لمجموعة تضم ما بين 30 و50 من الشباب من البيضان والزنوج وعلى الأخص من مشظـــوف وأولاد

---

(6) ــ يعني الشيخ سيديا بابا بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا الكبير.

(7) ــ هو الشيخ أحمد (ت 1325) بن الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن الحبيب العلوي، مـــن أبـــرز العلماء ومشائخ التصوف، وذلك على خطى أبيه؛ ألف في شتى العلوم. أنظـــر بـــلاد شـــنقيط المنـــارة .. والرباط، مرجع سابق.

داوُود، ونجد ضمنهم بضعة تلاميذ من موريتانيا الشرقية، ولا سيما من إدَوعَلي تكَات وشنقيط (8).

(ب) الشرفاء، وهم يعودون لأصول مختلفة، ويشملون ستة أفخاذ، هي:

ـ أهل مولاي الشريف، وجدهم هو مولاي [الشريف بن محمد] الذي كان أول من وفد منهم إلى ولاتة في القرن السابع عشر.

ـ أهل اباعمر الذين يمثلهم عينينا بن علي بن ديدّه، وجدهم اباعمر [ابن الفظيل] الذي كان تاجرا جاء مع قومه في نهاية القرن الثامن عشر من واحتين تواتيتين هما الخفيف وزاوية كنتة.

ـ أهل مولاي علي، ويمثلهم مولاي الشريف بن سيدي محمد.

ـ أهل الركَاني، ويعودون جزئيا في الأصل إلى [ركَان قرب] واحة توات ومنها يستمدون اسمهم(9).

ـ أهل مولاي عبد الهادي، وقد وصلوا إلى هنا في القرن السابع عشر؛ وتُدعى الأفخاذ الخمسة هذه: أهل سيدي حمٌ بالحاج، وجذورهم من تافيلالت، وبعدها سَكنوا توات.

ـ أهل مولاي عبد القادر بن إبراهيم، وجاءوا مباشرة من تافيلالت إلى ولاتة، ويعيشون حاليا مع العنصر البدوي من شرفاء ولاتة.

وينبغي أن نضيف إلى هذه الأفخاذ المختلفة العديد من العائلات المقيمة أو العابرة المنتمية إلى القبائل الشريفة في الحوض، وإلى بعض الأسر المندمجة في تجمعات أخرى مثل أولاد إدريس الموجودين مع أهل الشريف حماه الله .. الخ؛ وأهل مولاي المهايش الموجودين في الاقلال. ورئيس الشرفاء الذي هو في الوقت ذاته ممثل وجهاء المدينة هو اكَيكَ (محمد الواثق)، وهذا نسبه استنادا إلى النص الذي كتبه بيده:اكَيكَ بن عاله بن ملّوك ابن اباعمر بن الفظيل بن هاشم بن محمد بن عبد المالك بن سيدي حمٌ بن الحسن بن عبد الله ابن محمد بن مولاي علي بن مولاي الشريف بن محمد بن الحسن بن القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن مولاي الحسن بن عبد الله بن محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر ابن مولاي علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن [الإمام] علي [بن أبي طالب كرم الله وجهه].

وهو ينتسب إذن إلى [أهل] اباعمر، وقد ولد حوالي 1878، وهو رجل [غامق] اللون ذو وجه معبر منفتح محاط بطوق من لحية سوداء ومثقف نسبيا؛ وفي سنة 1906 ساهم مثل

(8) ـ توفي مُحمدي في أواخر يوليه سنة 1918 بسبب نزلة صدرية، المؤلف.

(9) ـ ركَان منطقة مشهورة في الصحراء الجزائرية وهي التي ينتسب إليها هؤلاء الشرفاء.

سائر مواطنيه في إرسال 50 قطعة نيلة إلى الشيخ ماء العينين، وفي بداية عام 1918 جاء لاستقبال رتل الاحتلال، ولما كان مفرط الذكاء فقد أدرك بأن ازدهار ولاتة مرتبط بوجودنا، وهو رجل ثمين ليس في إدارة المدينة فحسب بل في القضايا الخارجية لأنه معروف جدا في كل الحوض والساحل وله نفسية متفتحة ومتحررة، ولما كان غنيا وكريما فهو يستقبل الكثيرين وعنده ينزل على الخصوص كل زعماء الحوض وعليه الكثير من النفقات ولهذا فهو يتلقى بعض الهدايا الصغيرة.

واگيگ مريد قادري للطالب بوبكر السالف الذكر عن طريق شيخه محمد يحيى بن ساليمة الولاتي.

(ج) بارتّيل هم أبناء عمومة الفخذ الذي نجده مع أولاد أبييري في الترارزة، ولكننا لا نجد عند هؤلاء ولا أولئك وثائق عن أصولهم، ويقول أهل ولاتة إنهم قدموا من المغرب؛ أما المجموعة الموجودة في أولاد أبييري فيقولون إنهم جاءوا من ولاتة، ويؤكدون انحدارهم من المختار النّدا الذي جاء إلى هنا قبل سبعة أجيال؛ والممثل الرسمي للعائلة هو عبد الرحمن بن يحيى بن محمد المختار بن علي بن محمد بن الطالب عمر بن محمد الندا؛ أما رئيس التجمع فهو ابن عمه محمد الأمين.

(د) الاقلال، ينتمون إلى القبيلة الكبيرة المعروفة المنتشرة في تگانت والعصابة والساحل والحوض [وآدرار] ويتألفون من فخذين هما: أولاد سيدي وأولاد موسى القادمين من تگانت، ويوجد ضمنهم شرفاء يمثلهم مولاي الشريف بن سيدي محمد المولود حوالي 1875، وهو رجل متعلم.

وهنالك شخصيتان من غير الشرفاء تستحقان التنويه هما جدها بن آبه بن المختار، وهو ينحدر من الطالب الوافي السابق الذكر، وقد ولد حوالي 1875، ومارس التجارة في شنقيط وتاودني وآدرار وتنبكتو، وقد غادر مشظوف ليقيم في ولاتة؛ والشيخ محمد بن آبه المولود حوالي 1860.

وتسود الطريقة القادرية في هذا العنصر من الاقلال، ورئيسه قادري عن طريق والده سيدي محمد.

(هـ) ديلوبة، ويسمون أيضا إديلبة، وأصلهم من وادي نون حيث يعودون لأرومة صنهاجية، ويرأسهم دنّان بن أحمد محمود بن عبد الله بن الطالب عثمان بن عبد الله بن علي بن يحيى بن الطالب محم بن الزحاف محمد وهو تيجاني مريد للشيخ مْحمدي، وقد ولد حوالي 1855، وهو رجل عادل ومحترم؛ والشخصية الإديلبية الأكثر بروزا هي البكاي بن الشيخ بن الطالب، المولود حوالي 1870، وهو تاجر سابق ومثقف؛ ويمارس إديلبة أحيانا حياة البداوة حول البلدة.

وإلى هذه التجمعات المختلفة ينبغي أن نضيف لإكمال دراسة سكان ولاتة، عائلتين من أصل داوُودي تعيشان مع المحاجيب، وهما أولاد عروي وأهل أحمد بن الحاج. وإلى هذه العائلة الأخيرة ينتسب [الفقيه] محمد يحيى [ول أهل ابُّ]؛ وهنا ينبغي الإشارة إلى النفوذ الذي اكتسبته تلك الكوكبة من الأساتذة والعلماء من مرابطي أولاد داوود البداة.

وقد ولد [الفقيه] محمد يحيى ول[أهل] ابُّ حوالي 1840، وفي سنة 1893 قام مع ولديه أحمد ومحمد الحسن بأداء فريضة الحج عن طريق وادي نون والرباط وطنجة والبحر الأبيض المتوسط، وعاد إلى المغرب بالطريق الساحلية. وقد أقام في تونس فترة من الزمن يدرّس بتألق في زاوية سيدي إبراهيم الرياحي التيجانية، وغمره الناس بالهدايا والكتب التي حملها معه إلى ولاتة. وعاد إلى المدينة ـ حيث مات ولده أحمد في الطريق ـ مروراً بتندوف والصحراء المغربية واستغرقت رحلته سبعة أعوام؛ وكان تعليمه واسعا جدا وهو ما يعترف به أعداؤه، وكان يتبادل مراسلات مع شيوخ سودانيين يستفسرونه عن المشاكل الفقهية.

وكان يستمتع بطرح أسئلة محرجة على مثقفي ولاتة، وهو ما نجده في كتابه الأجوبة الواضحة، كما ألف شرحا لصحيح البخاري تركه مخطوطا في الزاوية التيجانية في تونس وسلسلة أجداد الرسول [صلعم] وهو كتاب مطبوع في تونس وشرحا لمرتقى الأصول سماه منهج الأصول مطبوع بالقاهرة على نفقة [السلطان] مولاي حفيظ.

وينبغي هنا أن نشير إلى الظروف التي تم فيها طبع هذا الكتاب فقد قصد محمد لقظف بن خَي الوسري مريد القاضي محمد يحيى المغرب حيث منحته مواهبه نوعا من الشهرة، فأصبح مؤدب الشاب الشريف مولاي حفيظ، وكانت معه نسخة مخطوطة من الكتاب؛ وقد أعجب بها التلميذ وقام بطبعها على نفقته في القاهرة؛ ولكن المؤلَّف الأكثر أهمية من وجهة نظرنا لمحمد يحيى هو الرحلة أو قصة سفره إلى الحج، وهي وصف دقيق للطريق التي سلكها سواء في الذهاب أو الإياب، وهو سرد صادق من رجل ذكي ومثقف للأحداث الرئيسية والأمور التي أثارت انتباهه، ولكنها تختلط ـ مع الأسف ـ بعدد من الاستطرادات والمجادلات الفقهية التي ناقشها الرحالة في الزوايا التي مر بها، وهذه "الرحلة" هي الآن قيد الترجمة [إلى الفرنسية] وصيتها عظيم في كل الساحل السوداني(10). وقد توفي محمد يحيى في سنة 1912 تاركا العديد من الأولاد، وهم:

(1) محمد المختار المولود حوالي 1875، وقد قام خلال بعض الوقت بوظائف قاضي مشظوف، حيث اختار الإقامة نهائيا في حلة علي محمود الذي هو رجل ثقته، وهو يمارس

(10) ـ طبع هذا الكتاب تحت اسم الرحلة الحجازية سنة 1990 من قبل د. محمد حجي في الرباط.

اليوم تجارة الماشية وأقمشة النيله والملح، ويملك قطيعا ضخما من الإبل والأبقار والماشية الصغيرة.

(2) أحمد وقد توفي في الرباط أثناء عودته مع أبيه من الحج.

(3) المرواني وهو وجيه وصاحب أملاك في ولاتة.

(4) ابُ وقد ولد حوالي 1885، وهو تاجر تمتد أعماله إلى كل الساحل حتى خاي، ويقدم المثال الحقيقي للتاجر الماهر، وقد أقام مركز أعماله في النوارة لأنها نقطة مركزية.

(5) الحاج بابانا وقد ولد حوالي 1892 وهو تاجر في النعمة.

وكل هذه الشخصيات على درجة عالية من التعليم مشهورة في كل الساحل، وينتسبون جميعا للتيجانية عن طريق أبيهم الذي أخذها عن سيدي الشريف التشيتي، الذي كان ينتسب إلى كل من الحاج عمر الفوتانكي[الفوتي] والشيخ أحمد بن[الشيخ] محمد الحافظ العلوي الشهير.

(و) لا يمكن اختتام دراسة سكان ولاتة دون أن نقول كلمة عن تجمع النمادي الصغير الذي يرتحل في ضواحي المدينة، وقد درس الحاكم الإداري كاربو Carbou نمادي الحوض في مقالة ظهرت في "حولية ومذكرات لجنة الدراسات التاريخية في إفريقيا الغربية الفرنسية" (1917).

وأود أن أقول هنا إن النمادي في ولاتة ينتسبون إلى أصول مختلفة، وتقول المجموعة الأولى منهم عن نفسها إنهم ينحدرون من نمدايْ، وهي كلمة آزيرية (أو گير گنكية أو تگداوسيه) وتعني "صاحب الكلاب" ويقال إن نمداي قدم إلى الحوض من أزواد مع مجموعة من كلاب الصيد صحبة جد أهل عْلي بان (أولاد سالم) الذين ينتسبون إلى الدهاهنة، وهو فخذ من أولاد بلّه؛ وبعد أن انتقل شطر من أهل عْلي بان إلى تنواجيو، انضمت جماعات من أصول صنهاجية وعربية من أولاد بلّه وأولاد زيد والتناگيد والقوانين إلى مخيم نمَدايْ، وشكلوا مجموعة النمادي الذين يؤكد بعضهم أنهم من الشرفاء؛ ترى أين المكان الذي لا نجد فيه الشرفاء؟.

ويؤكد أولاد سالم بحزم أن النمادي كانوا أتباعهم، والواقع أنه في القرن الخامس عشر اتخذ النمادي موطئ قدم لهم في الحوض في زمن ــ كما تقول الرواية ــ كان فيه أولاد بلّه والبرابيش ينتشرون من شمال آدرار [التمر] حتى الباطن.

ويعيش النمادي كليا من صيد وقنص كل أنواع الحيوانات البرية بطريقة المطاردة خلف كلابهم الضامرة؛ ولهذا فهم يأكلون عموما كل ما يقع تحت أيديهم كالخنزير البري،(11)

(11) ــ لايعرف هنا بالخنزير، بل بـ "عَـر" وهو ليس محرما شرعا رغم ما يقوله بعض العامة.

وهذا الوضع الناجم عن البؤس أكثر منه عن الفتور الديني هو الذي جلب إليهم نظرة البيضان الحالية إليهم.

وقد منحتهم الإدارة نوقاً لتكوين نواة قطيع صغير يشجعهم على تحويل نمط حياتهم؛ ورئيس النمادي في ولاتة هو بويا أحمد بن بيتونا بن دقّاقي بن أخيارهم بن موسى بن أخيارهم بن الاهزل بن بوالاقرع .. وأولاده الثلاثة هم: محمد وبابا وإبراهيم؛ وإجمالا يشكلون موضوعاً لمن يبحث في علم الأجناس.

4 ــ الحياة المدنية

ولاتة مدينة قديمة، وهو ما نلاحظه لأول وهلة في الجزء العتيق منها الذي تزدهر فيه مع البساطة الحضارة التي تتجلى في المجالات الثقافية، وسكانها غاية في الانفتاح، فهم حضريون فضوليون مجربون وثرثارون يحبون التجمع في الساحات الصغيرة وفوق المصاطب الحجرية المقامة أمام بيوتهم أو في ردهاتها، ويتسامرون حتى الخلود إلى النوم.

وينتشر التعليم بينهم كثيرا، وليس الديني منه فحسب بل لهم معرفة حقيقية بالعديد من فنون المعرفة التي تشمل مختلف العلوم التاريخية والأدبية التي تكون ــ أحيانا ــ غير مهضومة تماما، فتكثر لديهم التواريخ والنوازل؛ وقد رأينا آنفا أن بضعة مؤلفات ثمينة قد ظهرت هنا منها فتح الشكور(12) الذي هو مصنف يتحدث عن سيرة وحياة كل مشائخ وعلماء الحوض والساحل والمنطقة الواقعة بين نهري السنغال والنيجر التي تحمل اسم التكرور في الجغرافيا العربية؛ وهذا المؤلف الذي قمت بترجمته بالتعاون مع السيد دَلاَفُّوس سيصدر في مجموعة التواريخ السودانية التي تنشرها مدرسة اللغات الشرقية، وقد كتبه الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، وأهم من ذلك تواريخ ولاتة، ونبذ من تواريخ قديمة ستصدر في المجموعة ذاتها، وهي سرد مفصل سنة سنة، وعلى مدى ثلاثة قرون للحوادث الرئيسية في ولاتة والقبائل المجاورة مع وجود ثغرات بالطبع، ولكن هذا العمل يعد ثمينا لتاريخ البلاد لأنه ثمرة جهد بضعة أجيال، وأجداد الطالب بوبكر هم الذين اشتغلوا به حتى تسلم هو المهمة، وابتداء من وفاته تولى مْحمدي بن سيدي عثمان مسئولية كتابته.

أما في المجال الاقتصادي فإن الأمر الذي يدهش أكثر هو وجود تجارة نشطة بصيرة وغزيرة ومتنوعة مع ربا فاحش؛ وقد ساعد وجودنا والغرامات التي تنجم عنه أحيانا، على ازدهار الربا أكثر من أي وقت مضى.

(12) ــ فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تأليف الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، تحقيق الأستاذين المغربيين حجي والكتاني، بيروت 1981.

وتتم الصفقات بالجملة، وتقوم على تبادل النقد أو البضائع، ونجد في بعض الأوقات تـــاجرا لديه ورقة صغيرة من وكيل خاص، تحمل علامة إيداع بمبلغ مئة أو مائتين أو ثلاث مئة مـن ألوف الفرنكات متجها نحو النوارة أو خاي أو بماكو بحثا عن النيلة أو الشاي أو الســكر .. الخ. لكن حضارة هذه المدينة تبدو محسوسة على الخصوص في المجال المادي، فســكانها يلبسون الجلابية والقشابة والقفطان الصوفي أو الحريري الثمين، كمـــا أن عمـــائم النيلـــة الجديدة تتدلى بإسراف على أكتاف الرجال، بينما يلتحف البيضان المجاورون بتنورات بائسة منسولة الخيوط. والبيوت في ولاتة عالية فسيحة تضم العديد من الغرف، وللتاجر الغني فيها منزله الشتوي المحكم الإغلاق والمحصن قليل الفتحات الدافئ المبني في أسفل المدينة، كمـا يملك "فيلا" صيفية مفتوحة لدخول نسيم الهواء مبنية على المرتفع؛ والغرف في ولاتة مزدانة برسوم بيضاء فوق قاعدة حمراء لها تأثير أنيق جدا، وفيها رسومات عربية كبيرة مركزهـا على شكل صليب يوناني كثير التشرشر، بينما تزدان الزوايا برسوم عربية (13) غير محـددة ولكنها دائما موضوعة تحت كتلة مستديرة، لها أحيانا شكل قلب مقلـوب الـرأس، يعلوهـا صليب يجعل الناظر يتصور أنه موجود ضمن الشعار البيزنطي المعروف بالصليب المـهيمن على العالم؛ ترى، أليس في ذلك بقية من النصرانية القديمة في الحوض؟ فمن المعروف فعلا عن أبي عبد الله الزهري أن الصحراويين السودانيين كانوا نصـارى حتـى فـترة 1076 ــ 1077، وهو تاريخ الفتح المرابطي الذي أدى إلى اعتناق السكان الإسلام (14).

والبيوت الحجرية في ولاتة مطلية بالكلس بشكل غاية في النظافة، ومـزودة "بطـارة" أي سرير مرن مبيض كذلك بالكلس مع مباخر وكراســي خشـبية مـن الأبنـوس المنقـوش، وناموسيات منصوبة للحماية من الشمس أو البعوض والذباب مع وجـود قـدور صغـيرة للحليب أو للماء البارد وزرابي من ماسينا أو المغرب وحصر وكوانين متقدة باستمرار خـلال الساعات الباردة من الفصل الجاف ومزاود منقوشة بالشفرات ومصبوغـة بـألوان زاهيـة وأنواع متعددة من غرارات جلدية معدّة لحفظ الأقمشة القطنية وتعاويذ ووسائد جلدية مزدانة أحيانا برسوم وفراء من جلود الخرفان، وأنواع أخرى كثيرة من صناعـة الخشـب والجلـد والحديد، إضافة إلى مصوغات ونسيج، وكذلك منسوجات الحلفاء.

---

(13) ــ (عربسك) عند الغرب.

(14) ــ هو أبو عبد الله محمد بن أبي الزهري (549 ــ 596 هـ) وهو الوحيد الذي يذكر أن تكـاريراً بداة من جوانه (غانة) كانوا يدينون بالنصرانية قبل دخول الإسلام المنطقة على أيدي المرابطين، وقد شكك الباحثون، وخاصة المستشرقين الأوروبيين منهم في ذلك، ولم يعطوه قيمة. (انظر كتاب "المصادر العربيـة عن إفريقيا الغربية" كيوك (باريس) 1975.

ويوجد في ولاتة جامع قديم جدا تقول رواية كنتة إن بناءه تم على يد العاقب بن عقبة بن نافع الفاتح العربي لإفريقيا الشمالية، ويعود إذن لبداية القرن الثامن وفي ذلك مجال للشك؛ تُرى هل كانت بيرو ــ ولاتة موجودة قبل ذلك التاريخ؟ وهل أن قدوم عقبة إلى بلاد التكرور هو حقا واقع تاريخي؟ ويُشار دائما إلى قبر العاقب بجوار المسجد.

وقد ظل هذا المسجد الجامعَ الوحيد في ولاتة رغم اختلاف الطرائق الصوفية وتنافس رجال الدين وهذا ما تعززه الرواية أيضا. وخلال مرة أو مرتين فقط قام شيوخ مستقلون بإقامة مصلى خارجه؛ والجامع عبارة عن بناية كبيرة واقعة في القسم الأسفل من المدينة مما يعرضه لاجتياح الرمال. وفي كل عام تجري أعمال تطوع لاستبعاد الجزء الخارجي منها، ومنذ تحويل مركز الدائرة إلى النعمة عُهد بتلك الأعمال للسكان، مما أدى لصعود الرمال فوق الجدران. ويتألف البناء من جدار كبير على شكل سور يحيط بقاعدة مربعة، وهو مؤلف من أربع مديات طولها 25م وباحة داخلية يُنزل إليها بواسطة درج عريض عال مبني من صخر الشيست؛ أما المنارة فعلى الرغم من ارتفاعها البالغ ثمانية أمتار فلا تكاد تظهر ورسومات التزيين بها حديثة وفيها قناني مقلوبة وبيضات النعام الأربع التقليدية موضوعة فوق أعقاب القناني في الزوايا الأربع من المنارة. والبناء مقام بالحجارة الحمراء المطلية بالطين الأحمر كبقية المدينة.

تلك هي البناية التاريخية التي لا يتناسب مظهرها الخارجي مع شهرتها بسبب موقعها السيّئ؛ فهذا المسجد بحاجة إلى الترميم المستمر نتيجة لأمطار الخريف؛ ويذكر "التاريخ" أنه تهدم في عدة مرات خلال القرون الماضية. وفي عام 1914 انهار بشكل يكاد يكون كاملا، وأعيد بناؤه بسرعة، غير أن البناء الجديد كما سبق أن وصفناه آنفا، لا يشغل أكثر من نصف المساحة القديمة.

وتظل إمامته تتوارث منذ 300 سنة في أسرة أهل الإمام (المحاجيب)، ولما كانت هذه الأسرة غير ممثلة في الوقت الحالي، إلا بالشاب أحمد بن محمد الأمين الذي بدت عليه أعراض مرض نفسي، فإن القاضي محمد الأمين [بن عبد الله] يقوم بهذه الوظيفة، وإذا لم يسترد وارثها صحته مع تقدم العمر فإن مكانه سيؤول إلى واحد من أبناء عمه.

وتوجد في ولاتة قبور مشهورة أولها قبر الشيخ سيدي أحمد البكاي الذي درسناه في مكان آخر وهو جد كنتة الشرق الذائع الصيت (15)؛ وهذا الضريح يحظى باحترام كبير في الحوض؛ والقبر الذي كان أصلا في الوادي نقل إلى عالية المدينة على أثر أحداث سردتُها في كتاب كنتة الشرقيون [مرجع سابق] ويتألف الضريح الذي يقع على حافة المدينة من غرفة

(15) ــ بل كنتة جميعا.

صغيرة مبنية بالحجر والطين يقوم على خاصرتها كوخ صغير لحفظ مـاء الوضـوء، وهـو مرفوع فوق كتف صغير من التراب في حلية بين مهيلات من جلاميد الحجر الكبيرة؛ ويضـم الضريح تابوتا من خشب يعلوه حجاب على شكل ناموسية، وهو مطلي من الداخل بـالكلس، ونرى فيه الكثير من الكتابات اليدوية الصغيرة فوق الطـوب، ويـأتي التلاميـذ للتدريـس والتحصيل حوله، ويتركون فيه ألواحا خشبية وأوراقا تبركاً به.

ويقع قبر عمر لولي بن الشيخ بن محمد بن يحيى جد المحاجيب فوق الظهر، وهو عبـارة عن أگادير بسيط دون بناء ويتردد عليه كثير من ذريته الذين يعتبرونه زعيمـهم الوطنـي؛ وهناك قبر سيدي مْحمد بن بابا أحمد بن الشيخ سيدي المختار، وهو مرابط موقّر لدى كنته.

أما ضريح سيدي محمد بن مولاي علي بن مولاي الشريف (من شرفاء البلدة) فتُـشاهد لديه الخوارق، فسراجه يمتلئ ذاتيا بالزيت في بعض الأيام، كما أن الناموسية تضطرب فـي بعض الأعياد أو لدى زيارة بعض الأشخاص.

وهناك الكثير من القبور الأخرى الموقرة في ولاتة وفي الحوض؛ وقد اعتنقت هذه الأرض كلها الديانة وعمتها "معالم" أو مزارات صغيرة تقصدها النفوس التقية وهكذا تتحقق مقولـة القديس أوغستين "إفريقيا مليئة بالمعالم المقدسة".

ويضم التعليم القرآني في ولاتة مدارس بها 150 تلميذا، هذا عدا التعليم العـالي طبعـا، والذي يتم في ثلاثة أو أربعة أماكن مع 75 إلى 80 تلميذاً كحد وسط؛ ونجد بين التلاميذ شبابا من كل القبائل المجاورة، ويتوقف أبناء إدوعلي القادمون من موريتانيا، والمتجـهون إلـى الحج أو إلى الزوايا المغربية والمصرية عدة أشهر في ولاتة لمتابعة دروس أسـاتذتها ذوي الشهرة الذين سبق لنا ذكر الرئيسيين منهم؛ ومن المناسب أن نضيف إليهم أحمدُ بن محمـد المختار بن عبد المالك، وهو رجل عالي الثقافة مقيم في ولاتة منذ احتلالـها، وهـو مقـدم تيجاني لدى أهل بوردّة والبدو الآخرين المقيمين في الشرق.

ويوجد حاليا القليل من ألولاتيين الذين أدوا فريضة الحج باستثناء ابن القـاضي محمـد يحيى [ول أهل ابٍّ) ومْحمدي اللذين سبق ذكرهما، واحميتي بن أحمدُ البوردي الـذي قـرر الذهاب للإقامة في قبيلته الأصلية، وخطرة بن العتيق المشظوفي النبيطـي المتوفـى سـنة 1916، ولقظف بن خي الوسري، وأخيرا بابا بن الطالب بن أحمد بن عبد المالك المحجوبـي الذي ذهب في سنة 1913 وفوجئ في المدينة [المنورة] بنشوب الحـرب العالميـة الأولـى فمكث فيها. وقد وصلت عدة رسائل منه خلال السنة الأولى ولكن منذ محاصرة الحجـاز لـم تصل منه أية أخبار.

قصـــر النعمـــة

1 ـ لمحة تاريخيـــة

يعود إنشاء قصر النعمة الحالي لعام 1808، ولكن النعمة كانت مأهولة قبل ذلـــك بكثـــير، ويقصد الناس موارد مائها بكثرة(16)؛ ونجد ذكرها لأول مرة في رواية الكَلاكَمة وقد أُشبعت هذه النقطة المثيرة للاهتمام درسا، فقد فرض فتح الطاغية سنّي علي لتنبكتو في 1468 على فقهاء المدينة الالتجاء إلى ولاتة، وكان من بينهم أبناء علي بن شمس الدين بن سيدي يحيى الثلاثة: سيدي يحيى الصغير وبوبكر والطالب بركة الذين قصدوا بعد ذلك النعمة للإقامة فيها حيث بنوا قصرا حوالي 1486؛ وأقام فيها الاثنان الصغيران منهم وماتا فيها ودفنا، ويعتـــبر أحدهما وهو بوبكر جدّ قسم من إجمّان؛ أما الأخ الأكبر وهو سيدي يحيى الصغير فـــهو جـــد الكَلاكَمة وأهل الطالب مختار، وقد نزع عن النعمة قبل وفاته.

وازدهرت النعمة لبعض الوقت ثم هجرها سكانها الذين عادوا إلى ولاتة؛ ويعتقد أن أحـــد أحفاد سيدي يحيى وهو الطالب سيدي بن [الطالب سيدي] أحمد الهيبة قد أعاد بناء القصـــر في نهاية القرن السادس عشر أو بداية القرن السابع عشر وهو مدفون فيها؛ ويحمل شـــاهد قبره تاريخ 1120 للهجرة أي 1708 ـ 1709 ميلادية دون أن نعرف بصورة مؤكـــدة مـــا إذا كانت السنة المذكورة هي سنة وفاته.

وأخيرا وفي سنة 1808 نهضت النعمة من كبوتها للمرة الثالثة ولفترة أكثر طـــولا وذلـــك بفضل شرفاء ولاتة؛ وتسرد تواريخ ولاتة شان تواريخ النعمة هذا الأمر بخشونة لا تشـــرفها لأنها تقـــول إن المدينة أنشئت نتيجة خصومات شرفاء ولاتة وهجرة قسم منهم إليها، وهـــذه رواية تاريخ ولاتة:

"في سنة 1222هـ (1807 ـ 1808) حدثت في ولاتة معركة بين شرفائها، وكان ذلك يوم الجمعـــة 26 رمضان (25 نونبر سنة 1807) في الوقت المخصص لقراءة [صحيح] البخاري. وفي 12 شـــعبان ســـنة 1223هـ (13 أكتوبر سنة 1808) خرج منها أهل مولاي صالح وبصحبهم ابدوكل، ثم لحق بهم إديلبة في 17 من الشهر ذاته، وبنوا قصر النعمة في السنة ذاتها"؛ فإذن يعود تاريخ ترميم القصر إلى أكتوبـــر سنة 1808.

وتظل الرواية الشفهية أكثر وضوحاً نوعا ما حيث تقول إنهم تشـــابكوا لنزاعـــهم حـــول الزعامة فغادرها مولاي عبد الكريم وابن أخيه مولاي إسماعيل بن مولاي عبـــد الله بـــاحثين عن بلاد يكونون سادتها، ولم يغادرها والد الأخير الذي كان طاعنا في السن.

---

(16) ـ هناك رواية تقول إنه بنيت في موقع النعمة الحالي مراكز حضرية قبل الميلاد بمأتي سنة علـــى أيدي سكانها حينئذ وهم السونينكه.انظر كتاب دلافوس "السنغال الأعلى والنيجر" باريس 1972.

وقد سار أهل القصري (إديلبة) وكذلك المرابط البدوكلي المعلوم، في أثر هذين الزعيمين في هجرتهما؛ وأصطحب الشريفان معهما كل عائلتيهما، فمولاي عبد الكريم كان مع أولاده السبعة: مولاي العربي ومولاي محمد ومولاي الدخيل ومولاي علي الشريف ومولاي الشريف ومولاي الحسن ومولاي عبد الله؛ واصطحب مولاي إسماعيل معه أخويه المهدي ومولاي علي وابن أخيه مولاي عبد الله، وقد بدت لهم منطقة النعمة التي كان يرتحل حولها أولاد مبارك، منطقة مضيافة فاستقروا فيها، ولم يلبثوا أن غرسوا النخيل.

وليس هناك حدث بارز يستحق الذكر في النعمة خلال القرن التاسع عشر، إذ كانت البلدة محصورة بين المعارك القبلية الكثيرة محاولة التملص منها دائما بأفضل ثمن؛ ونرى في سجل "تواريخ النعمة" سردا مفصلا وشاملا لكل الأحداث مهما كانت صغيرة.

والنعمة التي استقبلت في مناسبتين سنة 1861 الملازم الصباحي(17) علي صال مندوب اقديرب رأت ظهور الفرنسيين لأول مرة في إبريل سنة 1908، وكانت النقطة القصوى لغزوة لافردير وأدى احتلال ولاتة في يناير سنة 1912 إلى احتلالها؛ وفي نهاية عام 1917 جرى نقل مقر الدائرة من ولاتة إليها لأنها أكثر مركزية وأفضل موقعا بكثير لإدارة القبائل المحلية.

وقد بنيت النعمة في سهل فسيح يمتد على مدى البصر عند حافة ظهر ولاتة على الضفة اليمنى لأحد الأودية؛ وليس للمدينة سور، غير أن بيوتها المبنية كلها بالطين والحجارة وصفائح القرميد تظهر متلاصقة ببعضها البعض من الجانب الخارجي مما يجعل منها مدينة مغلقة.

وينتهي داخلها شارعان صغيران على الواجهة الجنوبية والشرقية، ومدخلهما محمي بمتاريس موضوعة بحذق، وتسمح فتحة من الشمال بمرور الجمال، وهي تغلق عند اللزوم بباب كبير من الخشب؛ وأخيرا ينتهي غربا طريق عريض قصير أصبح الآن مفتوحا لأن الحاجز الذي كان يمنع الدخول في الماضي قد تعرض للخراب، ولم يستبدل منذ احتلالنا؛ والطرق في النعمة ضيقة متعرجة تتسع هنا وهناك لتشكل ساحة صغيرة يأتي السكان إليها كل يوم ليضعوا القمامة.

وكل البيوت مبنية من الحجارة وصفائح القرميد وذات طراز عربي، ولمعظمها طوابق من دور واحد، كما للبعض طابقان في الواجهة الخارجية كما في تنبكتو؛ وأخيرا هناك خاصية أخرى لبيوت النعمة وهي أن المدخل مقسم إلى حجرات جدرانها مزدانة برسومات غليظة.

---

(17) ـ الصباحي كلمة عربية استعملها الأتراك، ونقلها عنهم الفرنسيون بعد احتلال الجزائر، ويطلقونها على نوع من قواتهم المساعدة التي تتألف في غالبيتها من أبناء مستعمرات شمال إفريقيا، ولها ملابس مميزة.

وتتغذى المدينة من آبار تتراوح أعماقها ما بين 5 إلى 10 أمتار محفورة في بطن الوادي، وأكثرها عمقا تلك الواقعة في الغرب، وماؤها عذب وغزير؛ ومن ناحية أخرى فإن كل حديقة نخيل أو مزرعة تبغ لها بئرها أو آبارها الخاصة بها، وإجمالا هناك ما بين 150 إلى 200 بئر.

ويتألف السكان من العرب وصنهاجة وبنباره ومن خدم وعتقاء؛ وكانت النعمة مستقلة لا تدفع الضريبة لأي أحد، ولكنها ملتزمة مقابل ذلك، بتقديم العديد من الهدايا لمشظوف.

ويمارس كل سكانها من الأحرار التجارة في الساحل والحوض، وهي تجارة أقمشة النيلة ومنتجات مصنعة وشاي وسكر يشترونها من خاي ومدينة والنوارة وبامكو وسيگو وچا، هذا بينما ينصرف الخدم لزراعة الدخن الأحمر الرفيع والخشن والدلاع والفونيو وفستق السودان والقمح والبصل والتبغ المستورد من توات والذي تردت نوعيته كثيرا.

وتملك النعمة أيضا بضع حدائق نخيل بديعة (400 إلى 500 نخلة) ويمكن توسيعها، وهو ما يتمناه السكان، غير أنه لم يُقدم لهم أبدا ما يكفي من الدعم لتحقيق ذلك، فقبل احتلالنا كانت المسؤولية توضع على عاتق مشظوف الذين لا مراقبة على مواشيهم التي تشرب على مناهل المدينة، حيث يتركونها تعيث فسادا في البساتين والمشاتل، وتقضم الفسائل الصغيرة، أما اليوم، حيث لم يبق هناك عذر، فيقال إن الشتلات والفسائل ليست جيدة، وعليه فيجب استيراد أخرى فتية ومنتجة دون تأخير، ووفق خبرة جيدة، وذلك من حدائق نخيل موريتانيا، وأن يتم توزيعها على المالكين، ودعوتهم بحرارة للتوسع في مزارع نخيلهم؛ فينبغي أن تُنبت هذه الواحة مئة ألف نخلة خلال 25 سنة إذا ما أردنا ذلك، وسننتج أكثر إذا تم حفر آبار ارتوازية لأن كل الشروط اللازمة لتحقيق ذلك متوفرة.

2 ـ الحياة الحضرية والدينية

تضم النعمة في الوقت الحالي خمسة أحياء أو تجمعات حضرية وبدوية، وهي:

(أ) الشرفاء 418 نسمة.

(ب) إديلبة (أهل بابا 261 نسمة) (أهل القصري 167 نسمة)

(ج) ابدوكل 74 " "

(د) أهل تشيت 102 " "

(هـ) سقيده ويضمون 25 خيمة، بها 150 نسمة أي إجمالا 1172 نسمة.

وتتوزع أعمال السخرة والعمل الإجباري بنسبة 10/4 على الشرفاء، و10/3 على أهل بابا، و10/2 على أهل القصري، و10/1 على ابدوكل.

(أ) الشرفاء هم أول حي في النعمة ورئيسه هو مومنًا (عبد المؤمن) بن سيدي الشيخ، وهو أيضا رئيس البلدة، وقد ولد حوالي 1863، وقام بدراساته محليا وخلف أخاه الأكبر

الشيخ العافية، وهو رجل ذكي وهادئ ظهر أنه يجيد تماما دوره كعامل تقارب بين مدينتي ولاتة والنعمة المنقسمتين على نفسيهما دائما، وهو قادري، شان معظم أهل النعمة، ويرتبط بالشيخ سيدي مُحمد بن[الشيخ] سيدي المختار الكبير عبر السلسلة التالية: أحمد محمود بن عبد الله بن القصري، عن أخيه سيدي محمد، عن عمه هدّينا عن أخيه محمود؛ وله من الذرية أربعة هم: لالّه فاطمة ولالّه عيشه والشيخ العافية والشيخ، ويقوم مومنّا بوظائف أول معاون بمحكمة الدائرة.

أما الشخصيات الأخرى البارزة من الشرفاء فهي إخوته مولاي أحمد المولود سنة 1878 وهو رجل مثقف، ومولاي إسماعيل رئيس الشرفاء البداة ومولاي الحسن المولود سنة 1855 وهو مساعد في محكمة الدائرة، ومولاي عبد الله بن مولاي عبد الرحمن المولود حوالي 1876، وهو ابن عم الزعيم مومنا وخليفته.

(ب) إديلبية النعمة ويشتملون على فخذين يؤلفان حيّين هما أهل بابا خليفة وأهل القصري، وسيدي محمد بن عبد القادر هو رئيس الحي الأول، أما رئيس الباقين فهو أحمدُ المولود حوالي 1860، ولا ينحدر من أوائل إديلبية الذين جاءوا لإعمار النعمة، وأعني بهم محمد الأمين بن المواق والقصري اللذين تعيش ذريتهم هنا، وقد جاء محمد الأمين من ولاتة حوالي 1885 للّحاق بأبناء عمومته، وهو قادري يرتبط بأحمد محمود [ابن عبد الله بن القصري] السالف الذكر، وهو معاون في محكمة الدائرة.

أما الشخصيات الإديلبية الأخرى البارزة، فهي

ـ هدّينا (محمدين) بن حبيب بن أحمد بن القصري، وقد ولد حوالي 1875، وهو معلم مدرسة تحوي 25 طالبا، وقادري بواسطة أحمد محمود السالف الذكر، ويعتبر عالما كبيرا، وهو الوحيد القادر على إدارة مدرسة عليا إذا ما مسّت الحاجة لذلك.

ـ أحمد عينينا المولود حوالي 1875 وهو ابن سيدي محمد بن عبد الله بن القصري وهو معلم مدرسة يساعده أخواه هدّينا ولا سيما أبٍّ المولود حوالي 1870، وهو إمام المسجد؛ وكلهم قادريون بالانتماء السالف الذكر.

ـ ابٍّ [ابن القصري] وهو قاض سابق في النعمة، ويمارس حياة البداوة أحيانا في ضواحي المدينة، وهو الآن رئيس محكمة الدائرة، ويتمتع بصيت ممتاز؛ والعادة المتبعة ـ سواء في النعمة أو ولاتة ـ هي أن لا يُنتخب القاضي من بين الشرفاء.

ـ سيدي محمد بن محمد المصطف بن دحان المولود حوالي 1872، وهو وجيه ذو نفوذ وقادري عن طريق والده الذي كان أحد مريدي عبد الله بن القصري والد أحمد محمود المذكور فوق.

(ج) ايدوكل النعمة، وهي جماعة ليست كثيرة العدد تنحدر من المعلوم الذي لحق بهجرة الشرفاء التي سردناها من قبل؛ ورئيسهم هو محفوظ بن محمودي بن المعلوم المولود حوالي 1875، وهو قادري ينتمي لأحمد محمود [ين عبالله بن القصري] وهو مساعد في محكمة الدائرة.

(د) أهل تشيت وهم ــ كما يشير إلى ذلك اسمهم ــ مهاجرون من تلك الواحة البيضانية الكبرى، ويتبعون فخذين هما الحجاج [وأهل] آغريجيت ورئيسهم هو محمد بن محمد الأمين بن عمر المولود حوالي 1875، ويقيم منذ سنة 1906 في النعمة مع جماعة من الحراطين، وقد طلب سنة 1917 إلحاقه رسميا بوطنه الجديد هذا.

وأعطى إحصاء النعمة في عام 1917 مجموعا قدره 808 من البالغين يندرج فيهم بدو المدينة.

(هـ) سقيده أو بدو المدينة، وهم يقيمون معظم وقتهم في منطقة الابيار وباسكنو، وفي منطقة أولاد علوش، ويعودون لأصل بلاوي، وقد مات جدهم سقيده في ولاتة، وتبع ابنه الخليل منشقي ولاتة بعد رحيلهم إلى النعمة، وهم يتزاوجون فيما بينهم، وكذلك مع أهل النعمة الذين يقيمون معهم دائما أفضل العلاقات.

ويقصدهم أهل النعمة المحرومون من البداوة للتمتع بالهواء النقي والاستشفاء بشراب الحليب وقضاء فترة من الوقت تحت الخيام، ويشملون أهل إبراهيم بن سيدي محمد بن الخليل وأهل محمد بن غبيدي.

وينبغي أخيرا أن نحسب في عداد سكان النعمة قرابة مئة شخص من المعدمين، وهم سكان عائمون يقصدون المدينة بحثا عن بعض الموارد.

ولا يوجد في النعمة وذلك تبعا لتقليد ولاتي، سوى جامع واحد، وهو عبارة عن عمارة كبيرة مغلقة مبنية من الطين بطول 50 مترا، وعرض 25 مترا، والقسم الأعظم منه عبارة عن ساحة كبيرة تقع في وسطها حفرة واسعة تجمع مياه الأمطار وتمتصها؛ أما المسجد نفسه فيتألف من جناحين يمتدان في اتجاه الطول، ولهما عرض إجمالي مقداره ثمانية أمتار.

وترتفع على الجانب الآخر من الباحة منارة صغيرة تقوم على جانبها غرف صغيرة يجتمع فيها المصلون الذين يرغبون في أداء النوافل أو التلاوة أو يجلس فيها الأساتذة غير النظامين الذين يرغبون في إعطاء دروس أو محاضرات أو الحجاج المتجهون إلى الأراضي المقدسة .. الخ.

وعلى الجانبين وخارج الجامع توجد أكواخ متهدمة لم يبق منها سوى الجدران، ولكنها منظمة جيدا من الداخل، وتُستخدم كغرف انتظار للمصلين الذين يجلسون فيها ويستدفئون زمن الشتاء بانتظار إقامة الصلاة.

وهناك بعض جرار الماء الموضوعة في زاوية من الباحة تستخدم للوضوء خلال فصلي الصيف والخريف، أما في الفصل البارد فتُهرق مياهها لأنه من الفروض أن يكون المصلون قد توضؤوا في بيوتهم بالماء الدافئ قبل الذهاب إلى المسجد.

وهنا كما في ولاتة عادة قديمة جدا تقضي بأن لا يكون دفن الموتى إلا ليلا؛ ويوجد في النعمة بضعة أضرحة ذات أهمية، وأكثرها احتراما قبور الصالحين من الشرفاء مؤسسي المدينة، وهم مولاي إسماعيل وأخوه المهدي وولداه الشيخ ومولاي عبد الرحمن، وتقع قبورهم على أطراف الوادي بين القصر والبساتين، وتتألف من عمارة كبيرة ذات ضلع يبلغ ستة أمتار مقسمة إلى حجرات صغيرة بها توابيت خشب مدفونة يقصدها الكثير من الزوار، معهم هدايا صغيرة، ولا سيما أيام الجمعة؛ وفي الماضي لم تكن هذه المزارات تُفتح إلا في يوم محدد، أما الآن، وبعد أن ضاع المفتاح، فتظل الهدايا تحت تصرف كل الزوار.

وخارج المقبرة توجد عدة مزارات أخرى مقصودة أيضا تتألف من بيوت مشيدة أو من حيوط حجرية (آكوادير) سواء كانت[تلك القبور] في المدينة أو خارجها.

ولننوه أخيرا بقبر الطالب أحمد الهيبة بن الطالب عبد الله الكَلكَمي، وهو محيي النعمة في آخر القرن السابع عشر الذي يقع على مسافة مئة متر في سافلة الحاشية الحالية لحديقة النخيل، وكان قبره مميزا بصخرة كبيرة تحمل اسمه مع تاريخ 1120 هـ، ويقصده للزيارة الكَلاكَمة وأهل الطالب مختار، وقد تلاشى الضريح اليوم.

وما نزال نجد في أطراف النعمة، وهذا أمر غاية في الندرة في إفريقيا الغربية الفرنسية، عادة مستجلبة من المغرب تتمثل في إقامة أمكنة مقدسة تُدعى في المغرب كركور، وهي عبارة عن أكوام من حجارة يُلقي كل مار عليها حصاة من قبيل الاحترام، وأكثرها بروزا هو المكان الواقع على مسافة كيلومترين إلى الجنوب من النعمة على طريق كَنون مرورا بأعضاد الظهر، ويتألف هذا الكركور من كومة حصى يبلغ حجمها ـ على الأقل ـ ما بين 20 إلى 25 مترا مكعبا (18).

وسكان النعمة كلهم تقريبا قادريون، ولهم انتماء بعيد بـ[الشيخ] سيدي المختار الكبير الكنتي عن طريق أجدادهم الذين كانوا مريديه، ولا سيما عن طريق عبد الله بن القصوي، أو عن طريق ولده أحمد محمود المتوفى قبل عدة أعوام خلت.

---

(18) ـ هذه الأكوام الحجرية هي عادة معالم للطريق يَرمي الناس عليها الحجارة لتسهيل الاهتداء على سالكيها خاصة منهم الغرباء، وهي موجودة في تكَانت والمناطق الجبلية على الخصوص، وليست لها أية قدسية في موريتانيا، وتسمى الرجم، والجمع أرجام.

شجرة شرفاء النعمة

مولاي عبد الكريم بن سيدي محمد بن مولاي صالح						
	بابا	المستعين		مولاي علي	مولاي	محمد الدخيل
	ذريته	بالله		الشريف	الشريف	
	بالنعمة					محمد
					خالد	محمود
					ذريتهما في النعمة	
مولاي العربي		مولاي الحسن		مولاي عبد الله		
آبه		بابا		أحمد		سيدي محمد
	يسكنون جميعا في النعمة					

شجرة رؤساء النعمة							
سيدي محمد بن مولاي صالح							
مولاي عبد الله							مولاي عبد الكريم
المهدي				مولاي إسماعيل (1)			مولاي علي
		مولاي عبد الرحمن			الشيخ العافية		سيدي محمد
	مومنا		الشيخ العافية		عبد المؤمن		سيدي الشيخ (2)
	محمد الصديق		مولاي عبد الكريم			محمد عبد الله	
	مومنا	بابا	الشيخ العافية				
	الشيخ العافية (3)		مولاي إسماعيل		مولاي أحمد	مؤمنا (4)	مولاي
	ت.سنة 1918					الرئيس	عبد الرحمن
أوداعة الله		مولاي الحسن		جعفر	بيريت		إسماعيل
ذريتهم موجـــودة في النـــعمة							
ذرية بابا الحسن بن مولاي عبد الله بن مولاي الحسن بن مولاي عبد الكريم							
		مولاي	مولاي	سيدي	الشيخ	مولاي عبد الله	
		إسماعيل	المهدي				
ذرية مولاي علي بن مولاي عبد الله بن سيدي محمد بن مولاي صالح							
		مولاي إسماعيل					مولاي زيدان
		مولاي علي			مولاي الحسن		ذريته في النعمة

نسب شرفاء النعمة

مومنّا شريف النعمة بن سيدي الشيخ بن مولاي إسماعيل بن مولاي عبد الله بن سيدي محمد بن مولاي صالح بن مولاي الشريف بن سيدي حمٌ بن الحاج بن مولاي الحسن بن مولاي محمد بن مولاي عبد الله بن مولاي محمد بن مولاي علي الشريف بن مولاي الحسن بن سيدي محمد بن مولاي الحسن (الذي جاء من ينبع إلى تافيلالت، وكان عمره 60 سنة) بن مولاي القاسم بن سيدي محمد بن مولاي بالقاسم بن سيدي محمد بن مولاي الحسن بن مولاي عبد الله بن سيدي محمد بن مولاي عرفة بن مولاي الحسن بن مولاي أبي بكر بن مولاي علي بن مولاي الحسن بن مولاي أحمد بن مولاي إسماعيل بن مولاي القاسم بن سيدي محمد النفس الزكية بن محمد عبد الله الكامل بن الحسن الثاني بن الحسن السبط بن [الإمام] علي [بن أبي طالب كرم الله وجهه] زوج فاطمة[الزهراء] وصهر الرسول [صلى الله عليه وسلم].

الفصل التاسع

الاقلال

1 ـ لمحة تاريخيــة

يؤلف الاقلال اتحادية هامة جدا من الزوايا المحاربين تعود من حيث الأصل إلى تگانت، وبدقة أكثر إلى الحافة الشرقية لتگانت وآدرار في مثلث شنقيط ـ تجگجه ـ تشــيت، وقــد تفرقوا في سائر الحوض والتخوم الموريتانية السودانية وموريتانيا ذاتها. أما فيما يتعلـــق بالحوض والساحل، فنجد بعض الاقلال في دائرة النعمة ـ ولاتة (1041 خيمة بـــها خمســة آلاف نسمة) وفي نواحي بلّه وأعمالها (دائرة النوارة) ودائرة انيورو (2435) نسمة، كما نجد أيضا الاقلال في موريتانيا بمقاطعة كيفه (دائرة العصابـــة) ودوائـــر تگانت وآدرار وأخــيرا قطاع تشيت البدوي. وليس هذا مجال سرد تاريخ الاقلال الذي سنتكلم عنه في مكانه الـــذي هو مجتمع تگانت البيضاني، حيث كانت بداية انطلاق هذه القبيلة، ولكننا هنا ننوه فقط بــأن رواية محلية في الساحل تقول إن الجد الأعلى لهذه القبلة: محمد قلي أو قـــلّي قد عاش فـــي آخر القرن السابع عشر تحديدا، وتربط نسبه بسكان تشيت(1).

وتدّعي روايات ضعيفه أن له صلات قرابة مع ماسنة في تشيت، عن طريق الأمهات، غير أن هذه الرواية تظل ضعيفة، إذ نعرف فعلا من تاريخ السودان وعن طريق مؤلفين عـــرب، وأيضا بواسطة روايات ماسنة الخاصة، أن ماسنة (أو آزير أو تگداوست) كانوا موجوديـــن قبل القرن السابع عشر في تلك المنطقة؛ و يعني هذا بكل بســـاطة ودون ريــب، أن بعــض ذراريه قد اختلطت مع ماسنة الذين يستوطنون عدة قرى في هـــذه المنـــاطق الصحراويـــة، وحتى في الساحل، حيث يُعرفون تحت اسم گيرگنكه. وكان لمحمد قلي ثلاثة أبناء هم موسى ومالك وأحمد، وهم الجدود الأعلون لأفخاذ أولاد موسى (النعمة وبلّه [چيگني]) وأولاد مـــالك (النعمة وكيفه) وأولاد أحمد (بلّه وانيورو) (2). وقد حصل موسى من زواجه بامرأة ســـوداء على ولد واحد هو الحاج الأمين الجد الأعلى لأهل الحاج الأمين [احاج عبد الرحمن] الذيـــن يشتملون على أربعة أفخاذ تُدعى أولاد موسى الكحل (3) وينتسبون كلهم إلى أبناء الحاج

---

(1) ـ يتفق النسابة على أن سلسلة نسب محمد قلي تتصل بالخليفة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه. انظر صحيحة النقل للعلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي.

(2) أبناء محمد قلي هم مالك ومحم وفاطمة أم الشرفاء الهواشم وأولاد سيدي، وعليه فينبغي التنبه إلى ذلك لتصحيح توزيعات المؤلف الذي خلط بين الأبناء والأحفاد.انظر شجرة النسب.

(3) المعروف أن هنالك خولة من إدوعلي البيض وإدوعلي الكحل، ومن ثم انتقلـــت التســـمية: بيــض وكحل.

الأمين: عبد الرحمن وسيدي محمد وجدُّ؛ وهم اليوم أهل عبد الرحمن وأهل سيدي بن الحاج وأهل محمد الحاج الذين يتبعون إداريا النعمة، وأهل جدُّ بن الأمين الذين يتبعون بلّه؛ وقد كان له من زواجه بامرأته البيضاء ولدان، هما محمد، جد أولاد موسى البيض (النعمة) وغُلام جد أهل غلام [بن الحاج الامين] بلّه)؛ ومع الزمن، ذهب عدد من أولاد موسى من بيض وسود للعيش في بادية منطقة انيورو، واتحدوا في فخذين شديدي التهجين يحملان أيضا اسم أولاد موسى.

ويتضح إذن أن مجمل أولاد موسى الحوض ينقسمون بين النعمة وانيورو، ويتبع القسم الأكبر منهم النعمة، وقد كان سلوكهم منضبطا قبل وبعد احتلالنا، ولم يشتركوا في أحداث سنة 1906 (4).

وكان للولد الثاني لمحمد قلي: مالك، ثلاثة أبناء هم: مولود جد أهل عبدي بن مولود (كيفه) وأحْمادُ المعروف بالحاج احْمادُ جد أهل الحاج أحمادُ، ويؤلفون اليوم أولاد مالك (النعمة) وبوقديجه جد أهل بوقديجه (النوارة)، وبذلك يتضح أن أولاد مالك يتوزعون بين النعمة والنوارة وكيفه. أما ابن محمد قلي الثالث أحمد [بل ابن محم] الذي هو في الحقيقة الأكبر أحمد فهو جد أولاد أحمد، كما أن ولديه محم والطالب مصطف هما جدّا أقلال انيورو الذين يطلق عليهم أقلال أولاد أحمد؛ وقد كان سرد هذه المعطيات العامة ضروريا لفهم وحدة الأصل، وصلات القرابة بين مختلف أفخاذ أقلال الحوض، ولتفسير تنقلهم الدائم بين دائرة وأخرى، والذي يسبب قلقا لا مبرر له لدى بعض الحكام الإداريين أحيانا، إذ ليس له أي دافع سياسي، بل لأسباب تاريخية وسلالية تطل برأسها كلما ظهرت صعوبة داخلية أو ضائقة اقتصادية.

ولكي ننهي بحث وضع الاقلال في الحوض، نقول بأننا نجد أيضا بعض الدم القلاوي في تركيبة الأفخاذ المستقلة مثل أهل أحمد الأسود وأهل الحاج أحمد ديدّه وأهل امبتنّي.

وقد جرى تدشين علاقاتنا مع بياضين الساحل وفي طليعتهم الاقلال في بداية عام 1891، وفي السطور التالية نرى كيف يروي الملازم مارشان Marchand ذلك الأمر:

"لقد نشأت علاقاتنا مع البيضان في گونبُ، حيث نظروا إلينا كمكدرين لصفو حياتهم، وكان عزاؤنا اتجاه هذه البداية التعيسة، هو أننا لاحظنا أن محاورينا منهم لم يكونوا سوى تجار، وفي دونگيلي (كولون) صادفنا ممثلين من الصنف الثاني، ومنهم مثلا كهل ذو مظهر وقور محاط بحاشية متوسطة العدد، وعلى قدر لا بأس به من الأناقة، وهو الشريف "مولاي عمر" القلاوي الذي كان يحمل جواز مرور صادر من

---

(4) بل شارك الاقلال في انتفاضة 1906 خاصة في معارك تگانت والعصابة وأفلة وبصورة خاصة معركتي النيملان وتيجكجة، وكذلك عمليات أهل الكدية التي استمرت مدة طويلة، وسيشير المؤلف إلى ذلك لاحقا في الحديث عن أولاد مبارك.

والي السنغال سنة 1884، وبعد أن تبادل هذا الشريف الطيب المجاملات مع [الحاكم] مارشان، سافر بعد ثمانية أيام لينتقل إلى أحمدُ بن الحاج عمر [الفوتي] الذي كانت القوات الفرنسية تلاحقه، آخر وأثمن المعلومات عنا، الأمر الذي مكنه من الهرب'. وقد كانت هذه الحادثة دليلا على الأسلوب البيضاني في التعامل معنا.

وظل الاقلال كمعظم قبائل الحوض يعيشون في استقلال شبه كامل حتى عام 1909، وهي السنة التي اتخذ فيها الوالي كلوزيل أول إجراء سياسي لاحتلال المناطق الصحراوية؛ ففي 18 مايه من نفس السنة حصلنا من الاقلال المجاورين، على توقيع اتفاقية الخضوع التالية:

"يُـقبل خضوع قبيلة الاقلال حسب الشروط التالية:

(1) أن تدفع القبيلة إتاوة خضوع مؤلفة من 300 جمل، و500 ثور أو بقرة، و20 رأسا من الخيل، ويتوزع ذلك على أربعة أقساط سنوية.

(2) تدفع المخيمات كل سنة حق الرعي والعشر وضرائب 'الجولا (5) طبقا للأنظمة المتبعة في إفريقيا الغربية الفرنسية.

(3) يسمح لممثلي السلطة الفرنسية بالوصول إلى المخيمات في أي وقت.

(4) سيساهم الاقلال مثل القبائل الأخرى في تنظيم القوافل، وتموين النقاط العسكرية، وتتوزع إتاوة الخضوع بين الأفخاذ التالية: أولاد أحمد وأولاد مالك وأولاد يبويا، وفي حالة انضمام أولاد موسى إلى الأفخاذ المذكورة أعلاه، فإن الإتاوة لن تزداد بل سيتقاسمونها بينهم.

وللأقلال حق الرعي في المناطق المعتادة، ويخضعون كل عام لعمليات إحصاء، ويتبعون من الناحية الإدارية مقاطعة كيفه. وسيكلف النقيب المقيم بتوزيع عادل عليهم لإتاوة الخضوع، ولن يقبل أي تظلمات عن أمور سابقة لهذا الخضوع، لا لمصلحة الاقلال ولا ضدهم، وتُستثنى من ذلك مخيمات طلبة العبايطة ورئيسهم محمد الأمين بن محمود الذي سيعوض عن المصادرات التي لم ترد إليه بعد."

وعلى أثر ذلك توزع أقلال الشرق بين كيفه وانيورو حسب مناطق بدواتهم، وفي سنة 1912 غداة احتلال ولاتة قدم أقلال النعمة وبلّه خضوعهم دون حادث.

2 ــ أقلال النعمة ــ ولاتة

ينقسم أقلال دائرة النعمة ــ ولاتة إلى ثمانية أفخاذ، خمسة منها من أصل غلاوي نقي كما قلنا ويرتبط أربعة منها بأولاد موسى وواحد بأولاد مالك، وهناك ثلاثة أفخاذ ليست من الاقلال بل شرفاء يعيشون معهم منذ زمن بعيد جدا، ويُعرفون بشرفاء أولاد سيدي؛ وهذه الأفخاذ الثمانية هي:

---

(5) ــ الجولا أو جلاوي توليد لكلمة جولاوي الحسانية، وتعني التاجر المتجول، فهو جوّالٌ وجولاوي نسبة إلى جمع جولات (جولة وجولة) وهو جمع نادر لغة، إذ لا ينسب إلى الجمع، لكنه شائع، ومنه 'فراهيدي' نسبة إلى إمام النحاة؛ والآن جماهيري ومغاربي، وفي هذا دليل أكبر على مدى فصاحة الدارجة الموريتانية الحسانية.

(أ) أولاد موسى البيض ورئيسهم هو محمد عبدي بن إجيّد ويضمون 290 خيمة ويرتحلون في كل الفصول إلى الشرق من ولاتة وإلى تاگلا وكيمي.

(ب) أهل الحاج عبد الرحمن الذين هم مثل الفخذين الآخرين من أولاد موسى الكحل، ويرتحلون في الخريف إلى زَدَّكْ إلى الشرق من ولاتة، وفي الفصل الجاف إلى سايله وإسيل والنعمة وحورية. ولأهل الحاج عبد الرحمن رئيس عام هو سيدي بن خطري، ويشتملون على مخيمين: أهل سيدي ورئيسهم هو سيدي [بن خطري]، وهم 161 خيمة، وأهل محمد الأمين بن الإمام وهم 43 خيمة، ومجموع هذا الفخذ 204 خيمة.

(ج) أهل سيدي بن الحاج، ويرأسهم سيدي بن إجيّد، ويضمون 177 خيمة، وقد عبّروا في سنة 1916 عن نيتهم الانتقال إلى أبناء عمومتهم في كيفه الذين يجتذبونهم، إلا أن هذه العزيمة تلاشت اليوم.

(د) أهل محمد الحاج ورئيسهم هو الباهي بن محمد أحمد ويضمون 52 خيمة.

(هـ) أولاد مالك ورئيسهم هو محمد أحمد القادر الذي ينوب عنه ولده محمد، نظرا لكبر سنه وتعبه؛ وينقسمون إلى مخيمين يشتملان على 140 خيمة، ويرتحلون في منطقة سايله وإسيل وتَنْوَكَرْ.

(و) الكبيتات، ويؤلفون مع الفخذين الآخرين أولاد الحبيب وأهل أحمد بالحبيب، شرفاء أولاد سيدي الاقلال، وينحدرون من شريف جاء من شنقيط يدعى سيدي أو سيدي الشريف، يقع قبره في شنقيط التي عاش فيها في القرن السابع عشر، وما يزال الناس يقصدون هذا الضريح للزيارة. وكان لسيدي ولدان هما الجدان الاعليان لثلاثة أفخاذ من أولاد سيدي، هما اكبيت جد الكبيتات، وحبيب جد أولاد حبيب عن طريق ولده البكر محم وأهل أحمد بالحبيب عن طريق ولده الأصغر أحمد. وقد وصل أولاد سيدي مع أولاد موسى البيض إلى الحوض في بداية القرن الثامن عشر، وبسرعة لحق بهم أولاد موسى الكحل، وهناك أيضا عدد قليل من أولاد سيدي لدى أقلال تگانت.

ورئيس الكبيتات هو سيدي عبد الله بن محمد بن الوافي بن محمد عبد الله بن الأمين بن بلّه بن أحمد هاشم بن اكبيت، ويتألفون من 43 خيمة ويرتحلون مع أهل بْريك (مشظوف).

(ز) أولاد الحبيب ورئيسهم هو محمد بن الأمين بن شيخنا بن الأمين بن إسماعيل بن ثالول بن محم بن حبيب، ويتألفون من ثلاثة مخيمات تضم 90 خيمة، ويرتحلون مع أولاد أحمد بن سيدي (مشظوف).

ورئيس أهل أحمد بالحبيب هو سيدي بن ميّه بن سيدي أحمد بن عبدي بن سيدي المختار بن أحمد بن الحبيب، ويشتملون على 45 خيمة، وينتجعون تارة مع أهل أوبك بن سيدي (مشظوف) وتارة مع بيضان الشرق من [أولاد] علوش وأهل بوردَة.

وليس للأقلال رئيس عام، لأن لكل من الأفخاذ الثمانية استقلاله، والمجموع العام لهم هـو 1041 خيمة تضم حوالي 5000 نسمة.

وحتى عام 1915 كانت الأفخاذ تجتمع في مكان واحد، ولكنه على أثـر حـوادث خطـيرة وقعت بينها في ذلك التاريخ بانْول تفرقت عن بعضها، ولم يحصل التصالح الكامل بينها بعد.

ويملك أقلال النعمة قطعانا عديدة من الإبل والأغنام والقليل جدا من البقـر ممـا يفسـر بداوتهم شبه الدائمة في الحوض.

وقاضي القبيلة هو محمد غلام بن عبد الله بن الحاج المولود حوالي 1850، وهـو رجـل مثقف ومحترم (من أهل سيدي) والمرابطون الأربعة الرئيسيون فيهم هم: محمد فال بن لولي (الكبيتات) المولود حوالي 1868، ومحمد بن سيدي أحمد (أولاد حبيب) وقـد ولـد حوالـي 1860، والجيلي بن سيدي محمد من الفخذ ذاته، وهو مولود حوالي 1850، وهم جميعا معلمو مدارس صغيرة ومُرقُون.

ونلاحظ أن مرابطي الاقلال هم دائما من أفخـاذهم الشـرفاء، لأن الاقـلال الصميميـن لا يُعتبرون طلبة بمعنى الكلمة؛ وهم في معظمهم من حملة الورد الكنتي، ويوجد عـدد منـهم يتبعون الطريقة التيجانية عن طريق مْحمدي بن سيدي عثمان.

وتقع مقبرتهم ومزارهم المفضل في بوعش قرب انول، ففيه قبر محمد بن إسماعيل وهـو الجد الأكبر لمحمد بن سيدي [أحمد] السالف الذكر، وقد كان رجلا صالحا؛ وبجـواره يُدفـن مشائخ الاقلال.

وهناك شيخ عالم وصوفي ذو شهرة، ترك أيضا ذكرى جليلة هو (محمـد عبـد الله) بـن بوبكر بن البشير، ويرتبط عن طريق أبيه بالسلسلة القادرية القلاوية بتگانت، وعلاوة علـى ذلك فهو يرتبط بـ[الشيخ] محمد فاضل، وقد تلقى عنه عددا من العلوم الصوفية المختلفة.

3 ـ أقلال بلّـه

أقلال بلّه هم من أولاد موسى، بعضهم من أهل جدٌ بن الأمين، والآخرون هم أهل غلام؛ وينحدرون من غلام المنحدر من الحاج الامين، وبعد هيمنـة أولاد مْبـارك علـى المنطقـة وسكانها خلال القرن الثامن عشر حل مشظوف محلهم في وسط القرن التاسع عشر واضطـر الاقلال كغيرهم إلى قبول السلطة الجديدة.

وابتداء من ذلك التاريخ هاجروا جزئيا إلى الجنوب وارتحلوا في ضواحـي كاسـاكارى، وعلى أثر احتلال انيورو ذهب رئيسهم عبد الله بن عمر لمقابلة [العقيد] أرشينار وقـدم لـه خضوعه. وبعد سقوط ولاتة ارتبط كل أقلال الحوض الأوسط بالمركز المذكور، ولكن عندمـا تم سنة 1914 تقسيم القبائل بين ولاتة و گونبُ والنوارة ارتبط فخذ أهل غلام ببلـه (دائـرة

گونبُ) نظرا لأنهم لا يكادون يملكون شيئا من الإبل، ولأنهم على علاقات مستمرة مع قرويي الساحل.

4 ـ أهل غلام

ينقسم أهل غلام إلى سبعة أفخاذ هي: أهل غلام الصميمون وأهل اوديدار وأولاد بله وأهل الطالب محمد وأولاد نخلة وأهل علي وأهل جدُّ بن الأمين، وقد اندمج هؤلاء الاخيرون الذين استمروا في التبعية لولاتة حتى عام 1916، في أهل غلام، وكان ذلك خطأ من وجهة نظرنا لأنهم لا يملكون إلا الإبل، ويعيشون في الشمال؛ ويتصرف رئيسهم محمد الأمين بن سيدي محمد باستقلالية.

ورئيس أهل غلام هو عمر بن جدُّ بن عمر بن جدّ بن الطالب أحمد بن الحاج الأمين بن غلام بن موسى بن محمد قلي؛ واجتذبت مزاياه القيادية له محبة أتباعه والقبائل المجاورة مثل بعض خيام أولاد مٌبارك وتنواجيو؛ وهناك خيام أخرى تُنسب إلى أفخاذ [أهل] غلام تطلب الانضمام إلى مخيمه الخاص.

وينتجع أهل غلام في الفصل الجاف قرب سوبوگو، وأحيانا إلى الجنوب قليلا من ذلك، وفي بداية فصل الأمطار يصعدون نحو ترمباني، وينتجعون أواسط الخريف في تنبدغه كي تشرب مواشيهم المياه الصالحة، وقريتهم الزراعية هي ترمباني حيث يقتسم الحراطين المحاصيل مع سادتهم القدامى، ولكنهم يتطلعون الآن إلى استقلالهم الكامل.

وإذا استثنينا أهل جدُّ بن الأمين الذين يملكون إبلا، فإن أهل غلام لا يملكون سوى الأبقار أو ماشية صغيرة ولكن بشكل وفير.

ونجد فيهم شخصيتي دين على قدر من الأهمية هما:

(أ) سيدي محمد بن أحمد معلوم المولود حوالي 1872 وقد أتم دراساته لدى أقلال الحوض وتلقى الورد القادري من شيخهم محمد محمود.

(ب) سيدي محمد بن الطالب أحمد المولود حوالي 1883، وقد أتم دراساته في المخيم ذاته ولكنه أخذ الورد التيجاني من الأدهم [بن هني] (من كينگي)؛ وهذان المرابطان هما معلما مدرسة، ويعلمان مع القرآن مبادئ الفقه كالرسالة وحتى خليل.

ويبلغ التعداد الكلي لأهل غلام 430 نسمة، بمن فيهم 90 من المكفوفين يسكنون القرية التابعة لهم.

5 ـ أقلال انْيورو

يضم أقلال انيورو ثمانية أفخاذ خمسة من أولاد أحمد (الاقلال البيض) والاثنان الآخران هم أولاد موسى (الاقلال الكحل) أو على الأصح المهجنين؛ أما الثامن فلا يعود لأصل غلاوي

بل جاء من ضفة النهر؛ وإجمالا يتألفون من 2535 نسمة، وإذا ما استثنينا الفخذ الخامس ــ وهو أولاد يبويا، الذي يتبع الليوانه ــ فإنهم جميعا يرتبطون بانيورو.

6 ــ التوزيع

يتوزع أقلال انيورو كالآتي:

(أ) ــ أهل بوبّه.

(ب) ــ أهل خلْيفة (أهل الشيخ بن خلْيفة وأهل دخنان).

(ج) ــ أهل سيدي أحمد.

(د) ــ حلة الطالب.

(هـ) ــ أولاد يبويا.

ومن (أولاد موسى):

(و) ــ أهل بيطار.

(ز) ــ أهل الحاج عبد الرحمن.

(ح) ــ أهل الولي وهم من أصل فوتيي.

(أ) ــ أهل بوبّه، ورئيسهم هو گواد بن سيدي عبد الله ين أحمد بوبّه بن الطالب مصطف بن أحمد ويتألفون من 417 نسمة.

(ب) ــ أهل خلْيفة، وينقسمون إلى مخيمين هما:

ــ أهل الشيخ [بن خلْيفة] ورئيسهم هو سيدي أحمد بن خطري بن محمد بن گواد بن الشيخ بن خلْيفة بن الطالب مصطف ويضمون 216 نسمة.

ــ أهل دخنان، ورئيسهم هو سيدينا بن المختار بن سيدي عثمان بن الاقرع، ويضمون 230 نسمة ويعودون إلى أصل مْباركي ويقال إن دخنان كان ابنا لبوسيف بن محمد الزناقي؛ ورئيس المخيم منهم، ولكن رئيس الفخذ هو طبعا غلاوي.

(ج) ــ أهل سيدي أحمد، ورئيسهم هو خطري بن محمد بن بابا بن محمد الأمين بن محم، ويتألفون من 67 نسمة.

(د) ــ حلة الطالب، وهو مخيم الرئاسة لأهل الطالب مصطف، ورئيسهم هو سيداتي بن محمد بن أحمد طالب بن الطالب بن الطالب أحمد جدُّ بن الطالب مصطف، ويضم 152 شخصا.

(هـ) ــ أولاد يبويا، وهم الأكثر عددا، فهم 482 نسمة، ورئيسهم هو محمد فال بن أحمد معلوم بن محمد فال بن أحمد جدُّ بن فال بن سيدي علي بن محم بن أحمد، واكتسبوا اسمهم من جدهم أحمد الذي كان لقبه يابويا؛ ويروى فعلاً أن الشاب محم كان يضرب إخوته دائما، وكان هؤلاء يهرعون لائذين بوالدهم منادين باستمرار "يا أبانا احمنا منه".

(و) ـ أهل بيطار، ويقال لهم أيضا أهل ببيّ، ورئيسهم هو ممادي بن عمر ببي بن موسى، ويضمون 208 نسمة.

(ز) ـ أهل الحاج عبد الرحمن، وهم "من [أولاد موسى] الكحل" ورئيسهم هو عبد الله بن الإمام بن عبد الله بن الأمين بن النية... بن عبد الرحمن بن موسى ويضمون 59 نسمة.

(ح) ـ أهل الولي، ويعودون لأصل فوتي، وجدهم شريف إدريسي هو أحمد الأمين الذي وصل إلى لاوو (الدويرة) وسط القرن الثامن عشر، واستقر نهائيا لدى [إيفلان] إيرالبه، وأصبح منهم، ومات في جو من القداسة، ودفن في تورودي جمرة حوالي 1836. وقد ترك ثلاثة أبناء أولهم محمد الأمين، الذي جاء ليمارس مهنة التعليم لبعض الوقت لدى الاقلال، وترك فيهم عائلة، ثم لحق به أخوه الطالب سعيد الذي استقر أيضا لديهم حيث توجد كل ذريته هنا. أما الأخ الأخير شيرنو الأمين فقد ظل مع الفوتيين، وذريتُه اليوم من التكارير مستقرة في صبٍّ والله (كينگي)؛ وقد عاد محمد الأمين إلى العصابة، حيث نجد قسما من نسله باسم أهل الولي في اميود وفي تجكانت وإدوعيش، وفي تگانت مع إديبُسات، ويضم الفخذ هنا 69 نسمة، وزعيمهم هو محمد الأمين بن سيدنا بن ألفاغه (المولود حوالي 1865) ابن الطالب سعيد.

7 ـ الحياة الدينية

تنتمي هذه التجمعات القلاوية في معظمها إلى تيجانية الشريف [الشيخ] حماه الله وبعضهم قادريون فاضليون مثل رئيس أهل الولي الذي تلقى الورد من عم والده الشيخ البكاي بن سيدي عبد الله بن الطالب سعيد، وهو رجل صالح كبير، انتسب لتلك الطريقة بواسطة [الشيخ] سيديا [الكبير] خلال رحلة له في موريتانيا.

والقبور التي يفضلون زيارتها هي ـ فضلا عن أضرحة أجدادهم الذين سبق ذكرهم ـ قبر الشيخ سيدي محمد الشريف التيجاني ويقع في انيورو، وضريحا [الشيخ] محمد فاضل و[الشيخ] التراد بالنسبة للقادرية؛ والشخصيات الابرز فيهم هي، لدى أهل بوبّه:

(1) بوبّه بن أحمد بن الشيخ، المولود حوالي 1872، وهو إمام فخذه ومعلم مدرسة تضم 15 تلميذا، وهو تيجاني عن طريق سلسلة أهل جدُّ (أقلال) كيفه.

(2) محمد الهادي بن اعلنبيطالب الذي مات بعد بلوغه المئة سنة في يناير سنة 1917 ونال الورد القادري من الشيخ محمد فاضل شخصيا، وكان القاضي الرسمي لأولاد أحمد، كما كان يتمتع عندهم بنفوذ كبير، أما اتجاهنا فيتخذ موقفا كله تحفظ، وقد أرغمه تقدمه في السن على إغلاق مدرسته القرآنية، ولتعمقه في الفقه استمر في إعطاء دروس فيه لخمسة أو ستة من الشبان.

(3) الطالب مصطف بن محمد من أهل الشيخ بن خليفة المولود حوالي 1873، وهو إمام ومعلم مدرسة فخذه، ويرتبط بتيجانية أهل جدُّ (كيفه) الذين يرتبطون بواسطة محمد الصغير التنواجيوي بالشيخ عمر[الفوتي].

(4) سيدي المختار بن علي من أهل دخان، وقد ولد حوالي 1843، وهو قادري وإمام فخذ.

(5) محمد المصطفى بن محمد المختار بن ودّاد من أولاد يبويا، وقد ولد حوالي 1869، وهو إمام فخذه ومعلم مدرسة، وهو تيجاني كسابقيه.

(6) محمد صالح بن سيدي محمد من أولاد يبويا، وقد ولد حوالي 1880، وهو معلم مدرسة مشهور، ومقدَّم قادري بواسطة [الشيخ] التراد بن [الشيخ] الحضرمي، وهو قاضي أولاد يبويا. ورئيس هذا الفخذ تيجاني أيضا يتبع الشريف [الشيخ] حماه الله.

(7) الشيخ بن عمر كيني من أهل الحاج عبد الرحمن، وهو معلم مدرسة قادري، مريد لمشائخ إدوبلال.

(8) محمد البشير بن شيخنا المولود حوالي 1870، وهو معلم مدرسة وينتسب إلى التيجانية الخاصة بـ[الشيخ] سيدي محمد الشريف [التيجاني] المدفون في انيورو.

شجرة الاقلال (6)			
		محمد قلي	
محم		مالك	فاطمة أم أبي بكرالشريف، جد أولاد سيدي بوبكر
			الشريف، وهم أولاد سيدي في النعمة، ومن ذريته
		محم	هاشم جد الهواشم ومقدم جد المقدمين
موسى	أحمد جد		
	أولاد أحمد	أحمد	
			من ذريته: أهل الحاج المصطف: منهم أهل اطالب
فخذ أولاد موسى برئاسة		أهل الحاج الامين، منهم: أهل	سيدي أحمد، وأولاد ببويا. ومن ذرية أحمد أيضا أهل
أهل عبدي ول إجيد		محمد الحاج، وأهل غلام،	الطالب مصطف، ومنهم: أهل خلِيفة، أهل أحمد طالب
		وأهل الحاج عبد الرحمن	وأهل الطالب جدُّ، وأهل بوبّه.
		وأهل سيدي ول الحاج، وأهل	
		محمد الامين ول الحاج	

(6) تم وضع هذه الشجرة دون الاعتماد على ما وضعه المؤلف

الفصل العاشر

أولاد مْبـــارك

1 ــ لمحة تاريخيـــة

أولاد مْبارك هم من أصل عربي، يعودون للفتح العربي الحساني في القرن الخامس عشــر وجدهم الأعلى مْبارك هوالحفيد الثامن(1) لحسان، وذلك استنادا إلى الرواية التاريخية، وهــو بن الفحفاح بن الذيب(2) بن محمد الذي كان يقود الحروب خلال القرن السادس عشـــر فـــي موريتانيا العليا وتيرس، والذي ستتولد عنه قبيلتا أولاد محمد[با حمد] وأولاد مْبارك.

وفي القرن السادس عشر ورث أولاد مْبارك سيطرة أولاد رزق على تيرس؛ وقد وصفتُ في كتابي إمارة الترارزة أحداث ذلك العصر، وإبعاد أولاد مْبارك نحو آدرار على أيدي أبنـــاء عمومتهم الترارزة والبراكنة.

ونجد في روايات آدرار في القرن السابع عشر ذكر المعارك التي جرت بين أولاد مْبـــارك وأزناقه؛ إذ تقول الرواية إن امرأة مْباركية متزوجة من أحـــد الســـكان الوطنييـــن: ماســـنة أوماسين، الذين كانوا يؤلفون أساس سكان شنقيط وتشيت، قد ذهبت لتشـــكو إلـــى قبيلتـــها الأصلية، الإهانات التي ألحقها بزوجها وبسائر ماسنة وزناقة [صنهاجة] آدرار من إديشـــلّي، فنهض أولاد مْبارك ومعهم سائر بني حسان لنجدة المظلومين، وكان ذلك آخر فصل من كفاح المعقل ضد صنهاجة، انتهى بإقامة أولاد يحيى بن عثمان في آدرار، وهم أبناء عمومـــة أولاد مْبارك وأولاد محمد [با حمد].

أما بالنسبة لأولاد محمد[با حمد] فقد كانوا في ذلك التاريخ (النصف الثـــاني مـــن القـــرن السابع عشر) في طريقهم إلى الحوض قادمين من موريتانيا حيـــث تقدمـــوا نحـــو الشـــرق واصطدموا بأولاد داوُود؛ وفي القرن التالي التحق بهم أولاد مْبارك، وهـــم وإن كـــانوا لـــم يصطدموا بهم فقد أرغموهم على الابتعاد نحو الشرق، وهكذا استقرت لأولاد مْبارك من ذلـــك الوقت الأرضية السياسية للحوض لمدة قرن كامل حتى وصول مشظوف (1850) فكـــان أولاد محمد[با حمد] مسيطرين على المنطقة الشرقية من الحوض والساحل، في حين كـــان أولاد مْبارك مسيطرين على غربيها.

---

(1) ــ بل الخامس.

(2) ــ يختلف المؤلف هنا مع الحسوة ومع معظم النسابين، فالذيب هو بن الفحفاح بن مْبارك بن محمد بن عثمان بن مغفر بن أودي بن حسان. وأولاد مْبارك عموما هم ذرية مْبارك بـــن محمـــد، وهـــم الفحفـــاح والقصاص وسلمون وعمر؛ فمن الفحفاح الغويزي وعمر والذيب. ومن الغويزي النبيقة وعمران ومؤمـــن، (أنظر الحسوة).

ولننوه هنا من قبيل الطرفة بأسطورة طوارق الشرق التي تجعل من كاريدنّه ـ أول زعيم لقبيلة إيلمدن ـ ابنا لرجل يُدعى محمد من أولاد مْبارك الحوض، اندمج في كَلْتادْمَكَت وتزوج إحدى نسائهم بفضل شجاعته ونجدته، وبذلك يكون إيلمدن (ومعناها لا أعرفك) لقبا لمحمد الذي خلقته براعة خيال طلبة إيلمدن.

ويبدو أن هبوط أولاد مْبارك إلى الحوض في بداية القرن الثامن عشر كان بتوجيه من زعمائهم الذين تفرقت ذريتهم في تخوم موريتانيا والساحل مثل محمد الزناقي جد [جزء من] أولاد مْبارك والغويزي جد أولاد الغويزي وعمر العبيدي جد العبيدات ولوديكات وأولاد أحمد بن اعمر(3).

وقد ترك محمد الزناقي خمسة أبناء(4) هم:

(أ) يوسيف جد مخيمات الرئاسة سواء أفخاذ بلّه أو انيورو.

(ب) هنون العبيدي الذي خلفه والذي نال من السلطان [المغربي] قرار التنصيب على باقنه بعدما انتزعها من إيفلان، وهذه الرواية التي نقلها م.أ.لشاتليي A.Lechatelier في كتابه الضخم "الإسلام في إفريقيا الغربية الفرنسية" تعطي اسم السلطان المذكور، وتعتبره مولاي إسماعيل، وهو أمر صحيح دون ريب، ولكنه يحدد تاريخ التنصيب في سنة 1672، وهو تاريخ قبل الأوان، لأن هنون لم يحصل على القيادة إلا حوالي نهاية حياة [السلطان] مولاي إسماعيل (1725) (5).

(ج) ممٌ جد أهل ممٌ (منطقة بلّه)

(د) حمٌ جد أهل حمٌ (منطقة بلّه)

(هـ) بهدل جد أهل بهدل، والذين لا يزال قسم منهم يرتحل في بلّه مع أولاد مْبارك، بينما تقرّى القسم الآخر بكوساتا في دگنه.

والمباركي الذي تمت الإشارة لوجوده في حاشية الفوتانكه في سيگو بين 1860 و1890، والذي كان موضوعا لبعض الأبحاث باعتباره من نسل بهدل هو عْلي بن المختار بن أعمر بن علي بن هنون بن بهدل الذي راح يبحث عن الثّراء في مغامرة التكارير السودانية ومات في سيگو (6).

---

(3) ـ جد العبيدات وأولاد أحمد بن أعمر هو أعمر بن الذيب بن أعمر بن الفحفاح، انظر الحسوة.

(4) ـ أولاد محمد الزناقي اثنا عشر وهم هنون العبيدي وحمٌ وممٌ وأعمر الشّماتة وبن عيش وبهدل ودخان وبهدّي والرشيد ويوسيف واللب وسدوم. أنظر المرجع السابق.

(5) ـ بل سنة 1727.

(6) عْلي المذكور هو ابن المختار الصغير بن سيدي أحمد بن المختار الأذكر بن سيدي أحمد بن هنون بن يوسيف بن محمد الزناقي، وكان موته سنة 1314هـ 1897. انظر تاريخ ولاتة و شجرات النسب.

وفي القرن 18 نشهد لأول مرة ظهور اسم أولاد مْبارك في التواريخ المحلية، فيسرد تاريخ ولاتة القديم أنه في عامي 1736 ـ 1737 مات ابن دخنان وكذلك علي بيّه والبيكم في حرب بين أولاد مْبارك وأولاد الزناقي أبناء وإخوة محمد الزناقي.

وتنقل التذكرة (7) أنه في فبراير سنة 1738 اغتال قضاة مغاربة أو بالأحرى رجال من الرمة، منهم مولاي الذهبي، الكاهية (مساعد الباشا) في تنبكتو على عتبة بابه فقرر الباشا نفيهم. "فقصد مولاي الذهبي مخيما من العرب في غرب ولاتة، وتزوج فيه واستقر نهائيا، ثم قصد بعد ذلك بلاد سيدي سعيد، حيث أسس مدينة جديدة لا تزال حتى اليوم قائمة، كما لا يزال هو في حالة عصيان."

ومن العسير الاستناد إلى معلومات بمثل هذا الغموض في تحليل تاريخ هذه القبيلة، ولكن يبدو لنا من الثابت اعتبارا لهذا التاريخ ونطاق السكن والأصل أن المقصود هم أولاد مْبارك.

وقد خلف هنون العبيدي على رأس أولاد مْبارك حوالي 1755 ولـدُه أعمرالـذي احتفظ بالقيادة حتى سنة 1762، ثم خلفه ولده علي(8) الذي كان حكمه غاية في الطول (1762ـ 1808 تقريبا). واعـتُقد أن القيادة أصبحت مستقرة في خيمته نهائيا أو إذا شئنا التعبير البيضاني في خيمة والده أعمر، إذ جرت العادة بالإشارة إلى بيت الإمارة بهذه التسمية؛ وفي هذه الفترة جعل الأوروبيون مثل هوگتن Hougton ومونگو بارك Mungo park من أولاد أعْمر "لودامار"، وأشاروا بهذا الاسم إلى سيادةٍ أو إذا شئنا مملكةٍ يديرها أولاد مْبارك.

ولكن ذكراهم مع ذلك ضاعت بسرعة كبيرة جدا لأنه ابتداء من عام 1865 نجد الملازم الصباحي پيرو perraud موفد افْديرب إلى انيورو يقول "إن هذه القبيلة التي كانت قوية جداً في عصر الرحالة الشهير مونگو بارك لم تعد موجودة، أو على الأقل لم تعد معروفة تحت هذا الاسم."

ولكننا لا نستطيع من ناحية أخرى أن ننسى أن هذا الاسم أي أولاد أعمر (أو عمر) كان موجودا قبلهم بكثير، وكان له تعميم أكثر اتساعا. فمرمول تحدث عن قبيلة بهذا الاسم عندما يقول "ويعيش أولئك: أولاد عـمر في صحراء تگاوست في نومـيديا، ويرتحلون تائهين في إقليم السوس

---

(7) ـ هو كتاب تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان لمؤلف مجهول، غير أنه من أبناء منطقة السودان (إفريقيا الغربية)، وصاحبه مولود سنة 1700، وقد ترجمه من العربية إلى الفرنسية النقيب هوداس، ونشر بباريس سنة 1966.

(8) ـ في هذه الفقرة وما يليها خلط، إذ أن هنّون العبيدي ليس له ابن بهذا الاسم، فأولاده هم: يوسيف وحمُّ ومَمُّ وسيدي أحمد وعثمان الراجل بوعرقوب وبكار وأحمد واللب وديدّه، والذي يعنيه المؤلف بالقيادة هنا هو علي بن أعمر بن هنون بن بهدل، ويقترن مع هنون العبيدي عند محمد الزناقي، والاخـيرون هم أهل هنون امبهدل. وعلي بن أعمر بن هنون امبهدل هو أول من وطّد الملك لهم في باقنه بأرض السودان، وكان من أرفعهم شأنا وأطولهم في الملك مدة. أنظر الحسوة وملحق شجرات النسب.

مبتعدين حتى رأس نون، وباستطاعتهم جمع ثمانية آلاف محارب، منهم ثلاثمئة فارس" (من القرن السادس عشر إلى الثامن عشر)؛ وهو هنا لا يقصد أولاد مُبارك فحسب، بل تلك التجمعات الحسانية التي كانت ما تزال في تشكيلتها الأصلية؛ ومن الممكن أنه تم الانتقال من اسم "لودامار" الأول بصورة غير محسوسة إلى اسم [لودامار] الثاني [المباركي] لأن جغرافية هذا الجزء من الصحراء الكبرى لم تحقق أي تقدم خلال هذه القرون الثلاثة.

وكانت "مملكة لودامار" هذه تمتد نحو الجنوب، وتضم مدينة چاره ذاتها (9)؛ ويقول مونگو بارك إن هذه العاصمة القديمة لچواره كانت مأهولة على الغالب بـزنوج الدول المجاورة الذين كانوا يفضلون الإقامة مع البيضان ودفع إتاوة لهم على أن يظلوا معرضين لغاراتهم المستمرة، وهم يعيشون معهم في خضوع وطاعة لا حدود لها.

وتقع على علي بن أعمر مسئولية توقيف الرائد هوگتن سنة 1791 في صبي إلى الجنوب من انيورو حيث مات بعد ذلك بقليل، إما من المرض أو بأمر من الرئيس المباركي.

وتم في سنة 1796 توقيف مونگو بارك في چاره حيث كان يحاول عن طريق [نهر] النيجر أن يتملص من حروب سكان الساحل بالمرور من الهامش الصحراوي؛ وقد اقتيد من چاره إلى مخيم علي في بونوم، حيث ظل سجينا أربعة شهور من مارس إلى يوليه سنة 1796.

وكان أولاد مُبارك وذلك حسب رواية تعود إلى قرن مضى في حالة حرب مع بنباره في منطقة كرطة، ولما هاجم الزعيم البنباري داسّه كوليبالي چاره في ذلك التاريخ وقع اضطراب شامل في مخيماتهم فاستغل مونگو بارك هذه الفوضى وفر. ومخيم بونوم الذي كان موضوعا لأبحاث عديدة هو المخيم الأميري لأولاد بُونوم الذين يسميهم البعض اليوم أولاد ممون كما سنرى فيما بعد.

وبعد علي بن أعمر (1805) عادت القيادة إلى فرع بوسيف بن[محمد] الزناقي(10)، وكان أول رئيس منه هو عثمان بن هنون بن بوسيف؛ وقد ترك بوسيف بن مَحمد الزناقي (بداية القرن الثامن عشر) ولدين هما: هنون العبيدي الذي أصبح زعيم أهل بوسيف وصارت ذريته

(9) مدينة ومملكة سونينكية صغيرة، استأثر بالسلطة عليها برهة من الزمن زعماء أولاد مُبارك.

(10) ــ في هذا الأمر خلط أيضا، إذ أن السلطة بعد علي انتقلت إلى ابنه أعمر ثم علي بن أعمر ثم ابنه محمد آماش فأخيه هنون فأخيهما المختار (خطري) الذي مات يوم مد الله سنة 1257هـ/1842، فكان آخر سلاطينهم الكبار؛ أما الذين حاولوا إعادة سلطنة أولاد مُبارك بعد ذلك، فهم فعلا أحفاد هنون بن بوسيف بن محمد الزناقي، خاصة زعيمهم آنذاك وهو علي بن المختار الصغير بن سيدي أحمد بن المختار الأذكر؛ وهؤلاء هم رؤساء فرع فاتنغلي من أولاد مُبارك. انظر الحسوة.

رؤساء أولاد مْبارك بلّه، وسيدي أحمد الذي صارت ذريته رؤساء أولاد مْبارك انيورو، ويُدعون أهل الگاشوش (11). وكان عثمان بن هنون بن بوسيف المتوفى عام 1851 هو الذي مارس القيادة في البداية، ثم تبعه خلال حياة والده الذي كان متقدما جدا في العمر، ولده أعمر (النصف الأول من القرن التاسع عشر).

وقبل أن نفرغ من القرن الثامن عشر ينبغي أن نشير إلى أن الروايات المحلية لا تذكر معلومات دقيقة، فهي تشير فقط إلى المعارك التي كانت مستعرة بين هذه القبيلة العربية التي كانت تريد في البداية التوطن في الساحل الغربي والسيطرة عليه وبين الإمارتين السودانيتين: چواره في كينگي، وبنباره في كرطه، اللتين لم تقبلا الخضوع والعار.

وكان أولاد مْبارك ينتجعون في هذه الفترة في كينگي وباقنه، وإلى الشمال من هذين الإقليمين الساحليين. وفي عهد أعمر بن عثمان بن هنون العبيدي بلغت قوة أولاد مْبارك أوجها قبل أن تضمحل مع الاجتياح المشظوفي؛ وأخذ أعمر على عاتقه مهمة شن حروب طويلة على إدوعيش الذين كانوا في ذلك الوقت في أوج توسعهم، فهزم على الخصوص أميرهم بكار بن سويدي أحمد قرب كاسّاكارى. وفي ذلك التاريخ أُطلق على أولاد مْبارك في انيورو اسم الگاشوش (الصدر) لأنهم كانوا يتصدون لقبيلة إدوعيش، وأيضا لمشظوف الذين حصروهم في تگانت، كما كانوا يتصدون لقبائل الزوايا في الحوض، أي أهل الطالب مختار والگلاگمة ولأولاد الناصر، وأخيرا للتكارير.

وكان أولاد الناصر يُدفعون بلا انقطاع نحو الشمال والشرق؛ ويُروى أن غزوا منهم قتل مباركيا في ولاتة فاقسم أعمر أن يبيد منهم عددا يماثل عدد حبات سبحته المئة، وباشر حملته حيث قتل منهم 70 رجلا؛ وخلال تلك الفترة فرض إتاوة على جماعات دوكورى في گونبُ.

وكانت المعارك أكثر قسوة مع الفوتانكه الذين كان وصولهم إلى انيورو يهدد هيمنته، وقد هزم أوائل عصائبهم، ولكنه تعرض لهجوم من الحاج عمر [الفوتي] مما اضطره إلى إخلاء مخيمه في بساخه والاتكفاء نحو منتيوگه.

ومن هنا، وبعد أن تلقى الدعم من إيفلان سنبورو راح أعمر يناوش قوات الفوتانكه إلى

---

(11) ـ ترك بوسيف بن محمد الزناقي: هنون والمختار وعلي بوزگراره، أما هنون العبيدي فهو أخو بوسيف وزعيم أهل هنون العبيدي الفرع الآخر الكبير من ذرية بنيوك، ومنهم فونتي وأولاد العالية وأولاد عيشة. ويبدو أن أسباب الخلط هنا كون المؤلف لا يضع في الحساب تفرق هذه القبيلة الكبيرة إلى بطون ورئاسات متعددة خاصة خلال فترة الانحطاط.

أن تمكن من مهاجمة الحاج عمر [الفوتي] (12) بغتة في سنفاخه فدحره وأرغمه على الفرار إلى چونگوي؛ ولكن الحاج عمر استطاع بعدما تلقى تعزيزات من أخيه ألفا عمر أن يقـــذف بأولاد مبارك نحو باقنه، وبعد مضي وقت قليل أرغمهم على الانسحاب أيضا نحو الشــــمال؛ وبما أن أيا من الزعيمين لم يكن يرى نهاية لهذا الصراع، فقد انتهى الأمر بانسحاب قـــوات الفوتانكه نحو سيگو، ثم بموت أعمر حوالي 1858.

وقد تفرقت تركة الأمير المباركي بين بضعة من أبناء عمومته وأبناء إخوته الذين راحوا يجبون لحساباتهم الرسوم التي كان هذا الزعيم الكبير قد فرضها على قوافل تشيت وولاتـــة والنعمة وسكولو؛ وفي هذا الوقت استردت قبائل لادم والاقلال وتجكانت استقلالها وفرضـــت مشظوف نفسها نهائيا في الحوض.

وإلى ذلك العصر يعود الانشقاق في صفوف أولاد مبارك الذي استفحل بفعل هجمة مختلف الأفخاذ على إقليمي كرطه وباقنه ولكنها اضطرت للجلاء عنهما تحت ضغــط الحـــاج عمـــر [الفوتي] حيث أدى ذلك إلى تبعثر عام للمخيمات.

أما القيادة فقد انشطرت إلى مجموعتين، الأولى تتكون من الفرع البكر أي أهل هنـــــون وأنصارهم، حيث اتخذوا عثمان بن أعمر رئيسا لهم؛ أما الثانية فتــتألف مـــن بقيـــة أهـــل بوسيف وأهل حمٌ وأهل بهدل، ووضع على رأسها المختار بن أعمر بن علي؛ والتحق الأتباع بمن فيهم الزنوج بالمجموعة الثانية، وانسحب أهل هنون عندئذ نحو مدّالله، ولحقـــت بـــهم المجموعة الثانية التي كانت تطاردهم، والتي رغم تفوقها العددي انكسرت، حيـــث قُتـــل المختار مع 40 من وجهاء الفريقين.

وبعد ذلك استتب السلام، ولكن الوقت كان قد فات كي يمكن التصدي للزحـــف المـــزدوج الذي قام به كل من الفوتانكه ومشظوف الذين شكلوا بينهم حلفا، ووجدوا فضلا عــــن ذلـــك دعما لدى المتذمرين الثائرين على السلطة السابقة من أولاد مبارك والاقلال وغيرهم.

وكان بادي هو الذي نهض بأعباء كفاح باسل ضد الغزاة، واستطاع في مناسبات متعددة أن يدمر أرتال الفوتانكه التي أرسلها ضده المصطف (13) زعيم انيورو؛ وقد بلغ به جـــلده الوصول إلى أسوار انيورو وإهانة الطاطا؛ وبسبب تفوق مشظوف اضطر بادي إلى المـــجيء

(12) هو الحاج عمر بن سعيد تال الفوتي (ت 1280هـ/1864م) عالم صوفي أخذ الطريقة التيجانيـــة عن الشيخ سيدي مولود فال، وفي حجته أخذها أيضا عن سيدي محمد الغالي الذي قابلـــه بالحجـــاز قبـــل عودته؛ وكان قائدا سياسيا عظيما خاض كفاحا مريرا لإقامة دولة مركزية في غينيا ثم فـــي مـــالي؛ تـــرك العديد من المؤلفات منها كتابه الرماح.

(13) أحد قادة الحاج عمر الفوتي البارزين، ويعرف بمصطفى 'هوصه' لأنه من شمال نيجيريا.

إلى سيگو طلبا للسلم، وقد مات في طريق العودة.

ومنذ ذلك الوقت أصبح أولاد مٓبارك مدحورين في باقنه، كما أن عددا من الذين التجئــوا منهم إلى تگانت تبعثروا على أيدي قبائلها، ولم يجدوا مأوى لهم إلا عند أهل سيدي محمود، وبعد ذلك بقليل عقدوا السلم مع مشظوف، وتمكنوا من العودة إلى باقنه حيث اضطر هؤلاء وأولئك إلى الاعتراف بسادة الحوض الجدد؛ وما كاد الفرنسيون يظهرون في انيورو ابتداء من سنة 1891 حتى عاد أولاد مٓبارك إلى كينگي مع زعيمهم عٓلي بن المخــتار؛ وقد التف حولهم أهل الگاشوش الذين كانوا قد تفرقوا في القرى واستقروا فيــها وتحضــروا جزئيــا ليضمنوا لأنفسهم استمرار العيش، وقد أعاد[العقيد] أرشينارArchinard تكوين هذا التجمــع في انيورو، واعترف بسيادة عٓلي بن المختار الصغير عليه في فبراير سنة 1893. وقد لعــب هذا الرئيس لعبة مزدوجة، حيث نسي الخدمات المقدمة له ووضع أمامنا صعوبــات كبــيرة لمنعنا من مساعدة قوافل قواتنا، ونسي نفسه بعقد صداقة جديــدة مــع مشــظوف أعدائــه بالأمس؛ وفي أكتوبر سنة 1893 قام بإخفاء عدد من رجال مشظوف في قوافله التــي كــانت تأتي لشراء الدخن من كينگي، أما في معركتنا ضد أولاد الناصر فكان تــارة معنــا، وتــارة ضدنا؛ وقد توفي عٓلي في مارس سنة 1897، وحل مكانه ابن عمه سيدي أحمد بن عــابدين الرئيس الحالي.

وبتاريخ 22 دجنبر سنة 1898 صدر الأمر التالي من قائد المنطقة بشأن أولاد مٓبارك:

"لما كانت قبيلة [أولاد] مٓبارك التي يقودها [سيدي] أحمد بن عابدين قد ردت كلما استولت عليه بالقوة من المواطنين فانه يسمح لها بالعودة إلى المنطقة الخاضعة لنا للإقامة وممارسة التجارة، ويتعهد رئيســها بأن يظل مواليا وحليفا لنا وأن يتبع نصائح قائد المنطقة فيما يخصّ علاقته مع القبائل الأخرى وبأن يتقيــد بكل التعليمات والأوامر المرعية في أرض السودان الفرنسي، وقد أُخطر بأن أي خطإ أو مخالفــة لــهذه القواعد ستؤدي لعقاب شديد القسوة."

أما بالنسبة لأولاد مٓبارك الذين كانوا يرتعون في أوگادو ــ باقنه فقد سُمح لهم بالبقاء في منطقة بَلّه في مارس سنة 1894 على أثر الزيارة التي قام بها عٓلي بن المختار لخاي.

وقد ظل في المنطقة عدد منهم من أصول حراطينية، وأنشأوا قرى سليمان وديريگوني في منطقة النوارة، وقد مارس رئيس هذا التجمع والذي هو منذ سنة 1890 عثمان بن أعمــر قيادته حتى سنة 1915؛ ونظرا لصغر سن ابنه هنون فقد حل مكانه ابن عمه أحمد بن اللّب.

وابتداء من ذلك التاريخ أصبح سلوك أولاد مٓبارك منضبطا تماما؛ ورغم وقوع برودة في العلاقات [مع الفرنسيين] فإن القطيعة لم تقع، وعاشوا هادئين، ولم يشهروا السلاح إلا سنة 1906 لصد الاقلال الذين دفع بهم الشريف مولاي إدريس ضد المواطنيــن المخلصيــن لنــا، وذلك في موقعة بين بلّه وبساخه.

2 ـ التوزيع

يوجد أولاد مْبارك اليوم في تجمعين وذلك إذا استثنينا العديد من الخيام المبعثرة في بضع قبائل من الساحل والحوض (مشظوف والاقلال وكنتة وأولاد محمد[با حمد]) أو في بضع قرى في أقاليم باقنه وأوگادو وچگنه وكينگي، حيث تميل للاقامة فيها، وهما:

(أ) ـ تجمع بلّـه

(ب) ـ تجمع انيورو

أ ـ تجمع بلّه

يتوزع تجمع بله إلى ستة أفخاذ هي أهل بوسيف ورئيسهم هو أحمد بن اللّب وأولاد بلـه ورئيسهم هو سيدي أحمد بن غلات، وفونتي ورئيسهم هو محمد بن عثمان الكوري، وأهـل مَمُّ ورئيسهم هو علي بن محمد فاضل وأولاد عبد الواحد ورئيسهم هو محمـد بـن سـيدي محمد، والرواسيل ورئيسهم هو أعمر بن علي بيّات؛ وينبغي أن نـضيف إليهم قرية العـرش التي أنشئت في عام 1915 على مسافة 15 كم من بَلّــه على يد الحراطين الذين ما يزالـون يتبعون القبيلة، حيث يعود جزء من نتاج عملهم إلى أسيادهم القدامى.

ويبدو أن هذا التجمع يسير في طريق التفكك لأسباب مختلفة؛ ففي البداية يوجد في انيورو التجمع الأكثر مالا وعددا، ثم بسبب ضعف الرئيس الحالي، وأخيرا وعلى الخصوص بسـبب تدخل أهل المحيميد الذين اجتذبوا إليهم خياما عديدة، بل فخذين كاملين: أولاد عبد الوهـاب والرواسيل؛ وسندرس هذين الفخذين هنا مع أنهما يتبعان الآن إداريا لمشـظوف، ولأنـهما عاجلا أو آجلا سيستردان مكانتهما في صميم تجمع [أولاد] مْبارك الذي يرتبط به تاريخـهما وتـقاليدهما العرقية.

ـ أولاد عبد الوهاب ويشتملون على مخيمين: أهل المختار بن سيدي، وأهل محمود بن العيل، وهم لا يملكون أبقارا أو إبلا أو أغناما إلا بأعداد محدودة، ويرتبطون بمشظوف منذ سنة 1915.

ـ الرواسيل، ويُعتقد أنهم ارتبطوا منذ زمن قديم بأولاد مْبارك، واحتفظـوا بـالعديد مـن الصلات بهم، ورئيسهم هو أعمر بن علي بيات الذي استُعيض عنه قبل وقت قريب بسـيدي بن محمد سيدي لأنه تخلى عن مشظوف ليلتحق برئيس أولاد مْبارك. ويتألفون مـن أربعـة مخيمات هي:

ـ أهل أحمد، رئيسهم أعمر بن علي بيّات، وهم 29 خيمة.

أهل مْخيطرات، رئيسهم محمد بن مخيطرات، 511 خيمة.

ـ أهل محمد، رئيسهم آدم بن محمد الأمين.

ـ أهل عليـونا، رئيسهم سيدي بن الرسول.

وهم جميعا موزعون إلى فخذين، يرتبطون بمشظوف منذ سنة 1915.

ويضم تجمع أولاد مْبارك بلّه حاليا فيما عدا تلك المئة خيمة من [أهل] عبد الوهاب والرواسيل ستين خيمة من البدو، و45 بيتا من الحراطين (115 ربّ بيت) في قرية العرش، وهو ما يدل على فقرهم النسبي الحالي، فليست لديهم إلا قطعان من الأبقار والماشية الصغيرة، ولكنها حسنة، وليست لديهم إبل.

ويقع نطاق نجعتهم في باقنه ذاتها وكوساتا مع الترحال باتجاه الجنوب في الفصل الجاف، وغدير چومارا، مع وادي چگراگه هو مداهم الأقصى نحو الشمال، التي يصلونها في فصل الخريف؛ وخلال هذا الفصل ينصرفون لبعض الزراعات في أطراف بلّه.

ورئيس أولاد مْبارك هو أحمد بن اللب المولود حوالي 1880، وهو رجل نشيط وذكي، وعليه مهمة يتابعها بشغف، وهي إعادة تكوين أولاد مْبارك بمنطقة بلّه؛ وقد مات أخواه الكبيران الشيخ الذي قتله أولاد الناصر حوالي 1893، وإبراهيم المتوفى عام 1915، وله ولد هو محمد المولود في عام 1915.

أما الشاب هنون المولود حوالي 1904 وهو نجل عمٍ وسلف أحمد بن اللب: عثمان بن أعمر فليست له شخصية واضحة المعالم بعد.

ب ـ تجمع انيورو

يُعتبر [أولاد] مْبارك انيورو أكبر تجمعات القبيلة، ويُطلق عليهم في العادة اسم أهل الگاشوش، ويتألفون من ستة أفخاذ صميمة وثلاثة أفخاذ من الطلبة منها اثنان من أصل إيفلاني ـ فوتي، والآخر جعفري؛ وكانت أفخاذ الطلبة تعيش تصف مستقرة وبعد احتلال انيورو ارتبطت برئيس أولاد مْبارك بصورة أكثر متانة. وقد أدت الفوضى التي سادت الأوضاع في العالم البدوي في انيورو بين 1898 و1910 إلى التشتت العام، وفي سنة 1914 حدثت إعادة تنظيم حاذقة لمت شمل القبيلة، وذلك على النحو التالي:

(1) ـ أهل أعمر بن علي بيات 29 خيمة.

(2) ـ أهل سيدي بن مخيطرات 41 خيمة.

وتضم الأفخاذ الحسانية الصميمة من تجمع أولاد مْبارك انيورو:(أ) الفتح (الحلـة)، (ب) العبيدات، (ج) لوكرات،(د) المزازگه،(هـ) أولاد ممٌ،(و) أولاد أحمد؛ أما أفخاذ الطلبة فتضم: (ز) أهل الطالب بوبكر، (ح) الخمامدَة، (ط) موديات. ويشير آخر إحصاء إلى مجموع قدره 1842 نسمة و400 خيمة.

(أ) الفتح (المنتصر) أو الحلّةهو مخيم الإمارة، ويرأسه سيدي أحمد [بن عابدين] رئيس القبيلة، ويضم 40 نسمة.

(ب) العبيدات، وينحدرون من أعمر الابن الثاني لمبارك، ورئيسه هو سيدي عثمان بن سيدي محمد بن علّون بن عُبيد بن أعمر بن مُبارك (14) ويضمون 184 نسمة.

(ج) لوكرات، وليسوا من أصل مباركي بل ينتسبون إلى فخذ بني محمد الدليمي، والرجل الأول الذي اندمج منهم في أولاد مبارك هو أحمد الملقب أوكار أو طرفار، وكان سبب هجرته الانشقاق عن أهله أو الفرار من الحرب التي كانت دائرة بين أولاد دليم وأولاد مبارك، الذين كانوا آنذاك في أوج توسعهم؛ ورئيس الفخذ هو علي بن محمد الشريف بن وتّه بن المختار بن أعمر بن روكاس بن محمد بن أوكار، ويتألف من أربعة مخيمات هي:

أولاد محمد، رئيسهم علي بن محمد الشريف	192 نسمة.
أولاد الحسن، رئيسهم إبراهيم بن المعلوم	172 نسمة.
أولاد محمد النعاس، رئيسهم سيدي بن محمد	107 نسمة.
أولاد عثمان، رئيسهم خطار بن محمد	188 نسمة.

(د) المزازگه، وينتسبون إلى [أولاد] مزّوك القدامى(15) الذين احتلوا الحوض والساحل ومنطقة تنبكتو قبل الفتح العربي بكثير، وتكلم عنهم المؤلفون العرب والسودانيون، وينبغي أن نرى فيهم بجلاء زناقة ــ طوارق (امازيغن وإيموشارن).

ولا يدّعي أحد في هذا الفخذ أصولا معقلية، فالرئيس مثلا هو الطالب بن فال بن خميميد بن بوشرقة بن المزوگي؛ وفي المقابل يعترفون بصلات قرابة بعيدة مع گيرگنكه ومع بضع عائلات قرويةٍ في كوساتو، ويتفرعون إلى العوامر، وهم 117 نسمة، ورئيسهم هو الطالب بن فال؛ وأهل مومن، وهم 117 نسمة، ورئيسهم هو إبراهيم بن المختار بن أحمد بن أحمد علي بن موسى بن هنون .. المزوگي؛ وهم إجمالا 50 خيمة بها 434 نسمة.

(هـ) أولاد منوم أو بنوم، وهم من أصل مباركي، ويرتبطون بالفتح، ويضمون 85 نسمة، ورئيسهم هو محمد فال بن إبراهيم بن سيدي بن علاتي بن أحمد بن خيار بن منوم.

(و) أولاد أحمد، وهم أولاد عم العبيدات، وينتسبون إلى أعمر بن مُبارك بواسطة ابنه الثاني أحمد وأخيه المختار، ورئيسهم هو عبد الرحمن بن سيدي بن محمد بن علي بن الحضرمي بن المختار بن الشيخ بن أحمد، ويضمون ثلاثة بطون هي:

(1) امبُخوخه، ويضمون 79 نسمة، ورئيسهم هو عبد الرحمن السابق الذكر.

(2) أولاد تگدي، ويضمون 86 نسمة، ورئيسهم هو المهدي بن إجيد بن بريك بن سيدي

---

(14) عبيد هو بن أعمر بن الفحفاح بن مُبارك.

(15) ــ أشهر الروايات تجعل أولاد مزوك من ذرية عقبة بن عروق بن أودي، وليسوا كما قال المؤلف.

ابن علي بن المختار بن أعمر، وقد استمد الفخذ اسمه من بْريك الملقب تگدي.

(ز) أهل الطالب بوبكر، وهو فخذ طلبة، ويتألفون من 127 نسمة، وجدهم إيفلاني من [فوتا] تورو اسمه بوبكر سيدي جاء إلى أولاد مْبارك وأقام فيهم بصفته معلم مدرسة ومرابطا (بداية القرن التاسع عشر) ورئيسهم الحالي هو الشيخ بابا بن عبيدي بن الطالب بوبكر.

أما فخذا الطلبة فهما:

(ح) الحمامدة، وهم من أصل جعفري ولكنهم تحولوا إلى زوايا، وهذه مثلا سلسلة نسب رئيسهم الهيبة بن محمد بن سيدي أحمد بن الهيبة بن محمد بن بنيوك بن الشين بن الشريف ابن علي بن أعمر بن جعفر الذي في عهده تابوا وتخلوا عن إخوانهم من حسان في الساحل الشرقي. وقد مرت فترة من الزمن اعتُبروا فيها من القرويين، ودفعوا الضريبة الشخصية في دائرة انيورو ـ مدينة، ويتألفون من 270 نسمة.

(ط) موديات، وهم إيفلان رنگا بـ ه اندمجوا منذ قرنين في أولاد مْبارك، ورئيسهم هو سيدي المصطف بن صالح بن الفاغه بن جبريل بن محمد بويا هينه بن مودي، ويضمون 126 نسمة.

والرئيس العام لأولاد مْبارك في انيورو هو سيدي أحمد بن عابدين الذي خلف في مارس سنة 1897 ابن عمه علي بن المختار الصغير، ويلقى بعض المعارضة من جانب بادي بن علي الذي ادّعى بعد إعادة تكوين القبيلة أن تعيين سيدي أحمد لم يتم إلا على أساس مؤقت، لأنه أي بادي كان يومها ما يزال حدثا الأمر الذي منعه من خلافة أبيه ولما استُشيرت الجماعة سنة 1914 أقرت سيدي أحمد في رئاسته.

وبما أن هذا الأخير يعاني من المرض فلم يبق لديه إلا قليل من الحكم، وتركزت السلطة في يد علي بن وتّه رئيس لوكرات، ونتيجة لذلك فإن هذه القبيلة ذات السوابق المعروفة في الخلافات ستكون عسيرة الانضباط.

3 ـ الحياة الدينية

لقد ارتبط أولاد مْبارك دينيا بتنواجيو ويدفع أكثرهم الزكاة إليهم، أما الآخرون فهم حسان أوفياء لطبعهم، ولكنهم يلجأون إلي تنواجيو في حالة الشدة طلبا للرقيا، مثلما يزورون قبور رجالهم الصالحين، ولا يختلف زوايا أولاد مْبارك في هذا الوضع عن إخوانهم من حملة السلاح؛ والذين اختاروا منهم حياة الزوايا لا يحملون السلاح إلا أننا لا نصادف لديهم الورد، شأنهم شأن حسان، وعلى كل حال فإن تناوجيو يمنحونهم إياه.

إذن لقد كان مونگو بارك على خطإ عندما قال بعد أن اغتاظ من الآلام التي قاسى منها خلال أسره مدة أربعة شهور في بنوم "إن البيضان مسلمون متشددون". فمخيم أولاد مْبارك حيث

كان يقيم لم يكن يعمل ما يثبت التشدد في الإسلام، إذ يعترف هو نفسه أن صوم شهر رمضان كان نادرا، وأنه لا يوجد أي مسجد في بنوم، بل يوجد عنبر مسقف مغلق بالحصير .. الخ (16)

والشخصيات الدينية الأكثر بروزا فيهم اليوم هي:

(أ) سيدي بن محمد أحمد بن الطالب المولود حوالي 1870 ، وهو من أصل دليمي بعيد تجنس في تناوجيو، وجاء ليستقر لدى لوكرات، وهو إمامهم ومدير مدرسة صغيرة، وهو قادري بكائي عن طريق سيدي عبد الله بن الشيخ المهدي التنواجيوي (أهل باها).

(ب) بتار بن اتّا وقد ولد حوالي 1868 من لوكرات أيضا وهو إمام، ويتردد على مدرسته عشرة تلاميذ وسمعته طيبة، وهو قادري بكائي عن طريق أحمد ببانا بن باها التنواجيوي (أهل إبراهيم بن الشيخ).

(ج) محمد محمود بن الشواف وقد ولد حوالي 1865 من مزا ز گگ أهل المومن، وهو إمام ومعلم مدرسة، وتيجاني عن طريق محمد التاجيلي من إدَوعْلي تگانت.

(د) الأدهم بن حنّيْ بن الأدهم من همندت، ولد حوالي 1865، وهو تيجاني عن طريق محمد بن المختار من انيورو، وقام بدور مقدم لهذه الطريقة بواسطة محمد بن أحمد الصغير التشيتي، ويتمتع بتقدير كبير.

(هـ) محمد الأمجد بن محمد الأمين من موديات، ولد حوالي 1888، وله شهرة كمعلم مدرسة بها 115 طالب، وهو قادري فاضلي من أتباع آقّه.

(و) سيدي محمد بن محمد الأمين، شيخ صغير من موديات، تيجاني بواسطة محمد الصغير بن البان التنواجيوي (أهل جدُّ).

(ز) سيدي المصطف بن صالح رئيس موديات الذي يتمتع بنوع من المكانة كزاو، وهو إمام فخذه، ولكنه لا يعلم في مدرسة، ويرتبط بتيجانية الشريف [الشيخ] حماه الله.

(ح) الإمام بن إبراهيم بن الإمام، ولد حوالي 1860، ويعود لأصل بعيد من إدوعلي تگانت، ولكنه مندمج منذ بضعة أجيال في أولاد منوم، وهو قاضي القبيلة الرسمي منذ وفاة الطالب أحمد جدُّ بن أوديه التنواجيوي سنة 1916، وهو رجل متعلم ويتمتع بتقدير كبير.

---

(16) ـ مساجد الأحياء البدوية المتنقلة كانت عبارة عن زرائب أو عرائش تقي من الحرة لأن الحي يرحل عنها كلّما قل المرعى.

ملحق شجرات أولاد مُبارك

			مُبارك			
			الفحفاح			
الغويزي						أعمر
النبيقه (بوقرن)، راجع اتهيدينت سدّوم ولد انجرتُ عن ذرية بوقرن						الذيب
عمران				أوديكه		أعمر
الظريب		سيدي علي		بوسيف		سيدي أحمد
قتل يوم شار		(فيهم رئاسة)				
بين أولاد دليم				اللب(1)		أحمد
والمغافرة				أول السلاطين		
سنة 1108هـ 79/1696م						مْحمد
كان أهل الظريب مضرب						
المثل في الشجاعة			أحمد	هنون الكوري(2)		سيدي أحمد
						ت 1190هـ 1776م
			محمد			ممدوح سدّوم
						ول انجرتُ
سيدي أحمد (4)		بوبكر (5)		بوبكر (3) قتل يوم چگم		
			بين أولاد مُبارك -1160-1747			
هنون الكوري (6)			أحمد بو شارب (7)			بو سيف (8)
أعمر12						سيدي أحمد فال9
أحمد 10				الطالب جدُّ 11 رئيس لعدة ليال		

			ذرية أعمر بن الذيب بن أعمر بن الفحفاح بن مُبارك			
	عُبيد جد العبيدات	النمداي	أوديكه الأقرع، جاء ذكره عند دخول أولاد مُبارك أرض القبلة، مات في وقعة اكَيرت بين المغافرة من أولاد العربية، وأولاد الزناقية في القرن 17	بنيوك، راجع ذريته في اتْهيدينت سدّوم ول انْجرتُ: تفرغْ زينه	كيسوم	أحمد جد أولاد أحمد بن أعمر
		المختار				أم النون
		علّي:	كان حيا يوم كساري			

***

			ذرية مُحمد الزناقي بن أعمر بن الذيب بن أعمر بن الفحفاح بن مُبارك					
	بن عيش، جد أهل بن عيش	هنون العبيدي		حمُّ، جدُّ أهل حمّ بن مُحمد الزناقي	ممُّ، جدُّ أهل ممّ بن محمد الزناقي	أعمر الشّماتة، جد أهل أعمر الشَماتة	بهدل	
			هـــؤلاء الستة أشقاء أمهم عُبيدية سمي بهـــا كبير هم: هنون العبيدي، ويدعون فونتي دون غيرهم من ذرية هنون العبيدي					
	دخنان	بَهّدي	بوسيف		سدّوم	الرشيد	اللب	
			الثلاثة الأوائل يدعون أبناء بنت القصاص، والثلاثة الأخيرون يدعون أبناء أم النون بنت أوديكه الأقرع، والكل يدعى فاتنْغلي					

ذرية هنــون العبيدي بن مُحمد الــــــزناقي (أولاد العالية)			
بوسيف	حمٌ، كان	ممٌ جد أهل ممٌ	سيدي أحمد
كان مع	يدعى ببركته	بن هنون العبيدي	قتله أولاد
أخيه عثمان	لحسن سيرته	كان عنده طبل	يحيى بن
رئيسا قومهما	وهو جد أهل حمٌ	أهل محمد الزناقي	عثمان سنة
في زمنهما	بن هنون العبيدي		1176هـ-1762م
سيدي أحمد			
مُحمد المعروف باستقذاره للأشياء			بوسيف، له محمد الكفية قتل بالقرب من شينقيط سنة1277 ــ 61/1860
المختار	ابنة، هي أم المختار (خطري) بن أعمر بن علي		
أبناء هنون العبيدي من عيشه بنت مُحمد بن خــونا الــزناقية			

عثمان الراجل بوعرقوب ت 1162 ــ 1749م	أحمد فيه بيت أولاد مُبارك	اللب أمه ليست عيشه	بكار، ت 1196هـ 1781م	ديدّه هوالذي سبب الحرب مع أولاد بوفائدة وأمه منهم وذلك يوم كساري سنة 1224هـ وهزم فيه أولاد بوفائدة ومن معهم
	بوسيف(1)			
هنون (3) ت1242هـ 1826م				عثمان (2) ت 1206هـ 1826م
عثمان (4)				
محمد الشيخ (5) رئيس أولادمبارك سنة 1260هـ 1852 م تقول الحسوة إنه أشهر بيت في العرب				أعمر ت 1282هـ1866م
				عثمان، ت1333هـ1915م

ذرية بهدل بن هنون بن بهدل بن مُحمد الزناقي هم أهل البقر، وكانوا أعظمهم فضلا ومجدا ورئاسة							
هنون (1) أول ملوك أهل بهدل في باقنه						بو راية	
عثمان الباشا كان حيا يوم چگم وهو سبب الحرب بين أولاد الغويزي				أعمر (2)		علي الشيخ	
وأهل محمد الزناقي							
يوسف الكبش				علي (3)		البيبكر	سيدي أحمد
عثمان				أعمر (4)	عثمان		أعمر
بابونا، تولى الرئاسة فترة بعد موت المختار (خطري) ،نازعه أحمد الشيخ، ففقداها معا.					أحمد اللب		أعمر قتله آماش
محمد آماش (5) مات بعد يوم سمّي، مع أولاد علوش وغيرهم 1236هـ1820م	علي بوسروال (6) اغتاله أخوه هنون سنة 1235هـ1819م			هنون (7) اغتاله أخوه المختار (خطري)وسنة 1245هـ 1829			المختار (8) (خطري) قتل يوم مد الله سنة 1257هـ 1842 م ترك ابنا هو علي

	هنون بن بوسيف (منبوسيف)				
		|			
		سيدي أحمد			
		|			
		المختار الاذكر			
		|			
		سيدي أحمد			
		|			
المختار الصغير، كان رئيس أولاد مبارك يوم فتح چگنه على إفلان سنة 1268هـ1851 م					
قتله الفوتنكة يوم تيسيرين سنة 1274هـ1858م					
بادي		سويدي أحمد		علي ت 1314هـ1897 م	
قاتلُ محمد بن الحاج إبراهيم أمير ايفلان					
يوم فتح چگنه، ت بعد1277هـ1861م					
بوسيف ت 1359 هـ 1940م			سيدي أحمد		اباهي

الفصل الحادي عشر

تنــواجيــوْ

1 ـ لمحــة تاريخيــة

تنواجيو أو تنواجيب عند البعض هي قبيلة هامة من الشرفاء الذين نجدهم في كل الساحل النعمة وبله وانيورو وكذلك في موريتانيا، وهم يعودون أصلا إلى تلك المنطقة الأخيرة، ولهذا السبب سنترك لوقت آخر الاهتمام بمعالجة قضية أصولهم بتفصيل أكثر لنهتم الآن بمختصر تاريخي استنادا إلى الروايات المحلية المنتشرة في الحوض.

وكان تنواجيو قد وفدوا إلى آدرار من المغرب مرورا بالسوس في القرن السابع عشر وسكنوا في أطار وشنقيط ولا سيما في ودان؛ وفي هذا الأخير واستنادا إلى شهادة بعض وجهائه استطاع تنواجيو تكوين بعض معطيات التاريخ الذي يملكونه، فجدهم الذي كان شيخا دينيا ورئيس قبيلة عاش أكثر من عشرين عاما بجوار الإمام الحضرمي الشهير(1).

وينحدر تنواجيو في معظمهم من الشريف سيدي يحيى بن إدريس؛ فمن ابنه مْبارك ينحدر أولاد ما يمتس، ومن ابنه أبدهس ينحدر فخذا إدبدهس وأولاد بومحمد.

وإلى هذا النسب الشريف علينا أن نضيف أصلا آخر هو أصل تنواجيو الجد الأعلى للقبيلة. فقد كان أجنبيا كما تقول الرواية، وفي الواقع فنحن لا نعرف شيئا عن سيرته سوى أنه كان أيضا شريفا تزوج من امرأة من أهل سيدي يحيى، حيث أصبحت ذريته تشكل الجزء الأكبر من القبيلة لدرجة أنها تسمت باسمه، أما فخذ إدوأحمد وهم بطن من أهل بومحمد فهم من أحفاده المباشرين ظلوا مجتمعين في مخيم واحد مع وجود مجموعة خيام متفرقة في أفخاذ القبيلة الأخرى تستطيع أن تثبت نسبها المرتبط بتنواجيو.

ويبدو أن سيدي يحيى قد وصل إلى آدرار في بداية القرن السادس عشر وبعد خمسة أو ستة أجيال من ذلك أي نهاية القرن السابع عشر قادت الهجرة تنواجيو إلى تادرت مع أحمد بن عثمان، ومنها انطلق ابنه الشيخ إلى ودان ليدرس على [الإمام] الحضرمي؛ وقد عاد من عنده حاملا كما تقول الرواية وثيقة مكتوبة تؤكد نسبه الشريف، ثم مات في ودان ودفن فيها إلى جوار والده؛ وقد ترك أربعة أبناء كان الثلاثة الأوائل منهم الجدود الأعلون لأفخاذ ثلاثة موزعة بين دوائر النعمة وبلّه وانيورو وكيفه .. الخ ؛ في حين ترك الابن الرابع ذرية لم

---

(1) الإمام الحضرمي هو إمام دولة المرابطين الجنوبية، وأحد قادتها البارزين في حاضرة أزوگي القريبة من مدينة أطار عاصمة آدرار اليوم، وقد جاء به الأمير أبو بكر بن عمر (عامر) من أغمات في المغرب الأقصى بعد أن أسس لدولة المرابطين الشمالية، وتركها بيد بن أخيه يوسف بن تاشفين؛ وكان الإمام الحضرمي منظّرا ومنظما لشؤون الدولة خاصة الديني منها (ت 489هـ/1096م).

تكوّن فخذا خاصا بها وانصهرت في الأفخاذ الثلاثة الأولى؛ وكان أبناء الشيخ الثلاثة الكبار هم: جدُّ وإبراهيم وسيدي.

وإلى جانب هذه الأصول المختلفة للقبيلة ينبغي أن نضيف أصلا رابعا، ذلك أن نسل أبناء إديدهس ما عدا أگد كنتة، قد تحدر منه فخذ أهل حبيب الكبير، حيث يتبع الشطر الأكبر منهم كيفه، في حين يتبع الآخر النعمة؛ وخلال الفترة التي وقع فيها تفرق تنواجيو انفصل أهل حبيب بدورهم واستردوا استقلالهم(2).

---

(2) – توضيحا للخلط الواضح بين أصول القبيلة الذي أورده المؤلف يجدر بنا أن نذكر أن قبيلة تنواجيو يجمعها الجد سيدي يحيى بن إدريس بن زكرياء بن منصور، وقد ذكر سلسلة نسبه أبو بكر السيوطي في الكتابة عن أنساب بعض الصحابة، وبعض الشرفاء الأدارسة وغيرهم؛ فذكر سلسلة نسب الجد الثاني لسيدي يحيى حتى أوصلها لأحمد بن إدريس الصغير بن إدريس الكبير بن عبد الله الكامل، على الصفة التي نقلها صاحب الكتاب ونقلها عنه أهل ودان.

وقد قدم سيدي يحيى من أرض السوس في المغرب التي كان بها مقر أجداده من نسل أحمد بن إدريس، وهنا ينبغي التنبيه إلى أن مجموعات من الشرفاء الأدارسة وصلت إلى السوس في القرن الرابع الهجري بعد سقوط دولة الأدارسة، ومن بينها مجموعة من نسل أحمد بن إدريس الصغير، واستمرت إقامتها هناك إلى زمن متأخر فرجع البعض إلى فاس مقر الأدارسة الأصلي، وبقي البعض بالسوس إلى الآن، وخصوصا في الناحية الجنوبية الموالية لحدود صحراء الملثمين (ولتنظر لذلك مؤلفات الشريف المختار السوسي، كالمعسول وأليغ عند حديثه عن الأمير يحيىى أمير تارودانت وحفيده أحمد بن إدريس بجنوب السوس.)

كانت هجرة سيدي يحيى من أرض السوس في آخر القرن التاسع الهجري (السادس عشر الميلادي) وسببها رفضه تولي الإمارة خلفا لعمّه سيدي علي بن زكرياء الذي كان أميراً على مجموعة من الناس منهم بنو عالية. فعندما طُلب منه أن يحل محل عمه في الإمارة امتنع وقال إنها شجرة لا تغرس إلا بسفك الدم، وارتحل هو وأخوه سيدي علي إلى بلاد شنقيط؛ وكانت أول بلدة وصلاها ودان التي كانت في ذلك الوقت تحت سلطة المزّوكيين (من بني حسان).

وكان سيدي يحيى يُعد من أهل العلم والورع، فتبعه خلق كثير من سكان تلك الناحية ممن كانوا يدفعون مكوسا لرئيس أولاد مزوك عمر المزوكي؛ ولما أرسل يطلبها من أتباع سيدي يحيى أخبروه بالأمر، فسألهم هل هذه الأموال كانت تدفع على دين سابق تحملوه؟ أو عن دماء لزمتهم ديات بسببها؟ فقالوا لا، فكان فتواه أن غير ذلك أكل لأموال الناس بالباطل، وعندها جهز المزوكي جيشا للإغارة عليه وعلى أتباعه. ويقال إنهم لما أخبروا سيدي يحيى بالأمر خرج عنهم مسافة ميل، ودعا الله أن يكفيه شره، ولما قرب منهم جيش المزوكي مثّل الله في أعينهم كتائب على خيل شهب مندفعة نحوهم، فقالوا (تنوجيو) أي أصحاب الخيل الشهب، وفروا دون أن يلحقوا أذى بسيدي يحيى، فصارت كلمتهم لقبا على نسله هو ومن انضم إليه، هذا هو المعروف عن أصل التسمية. ويقول البعض إن الاسم أصله لأبناء أحمد المعروفين الآن بـ(إدظهم) وهم شرفاء حسينيون يسكنون مع أبناء سيدي يحيى (تنواجيو) منذ قدومه إلى اليوم. وما دام أبناء سيدي يحيى شرفاء حسينيون، و(إدواحمد) أو (إدظهم) شرفاء حسينيون أيضا، فالأمر واضح؛ ثم إن =

= سيدي يحيى بعدما بدا له من انحراف سيرة حكام ودان، ارتحل عنهم إلى بلاد مسومة، وقد تزوجت منهم ابنته مريم وابنة أخيه زينب.

ولتنواجيو أيام مشهورة مع من أرادوا هتك حرمتهم أو حريم السنة بجانبهم؛ ومن اشهرها حربهم مع الرمّه حكام تنبكتو السابقين، الذين حاولوا أن يجعلوا عليهم بعض المغرم في آخر المئة الحادية عشرة الهجرية، فكان لهم معهم أيام متعددة من أشهرها يوم قلب لمدنّه سنة 1107هـ ويوم تيشسيليت العظام. وموضع قلب لمدنّه يقع بين كيفه والطينطان شرق قرية الزرافية، وعنده مدفن يقال إن فيه بُومحمد وابنه ابوبك وابنه عثمان أجداد غالبية أولاد بومحمد.

وفي زمن الاحتلال شاركت مجموعة منهم مع أهل عبدوكه، وقد استشهد منهم الداه بن عالي بن الشيخ بن أحمد بن عثمان، وكان قائدا لمن معه من قومه، وقد وصف أهل عبدوكه أفراد جماعته بأنهم أبطال.

وقد أنجبت القبيلة رجالا مشاهير في العلم، سنقتصر على سبعة منهم كرموز للمعرفة والصلاح، وهم سيدي عبد الله بن أبي بكر، صاحب الإجازات القرءانية العشر، الذي تمر به الآن جميع إجازات الشناقطة، والطالب أحمد بن محمد راره، وابن عمه بييّه، والشيخ المهدي بن سيدي مُحمد وابنه أقّاه، والشيخ بتار بن أحمد بن عثمان، وحفيده محمد الصغير بن محمد سيدي دفين ولاتة، عن محفوظ بن محمد الأمين، مع تصرف.

2 ـــ تنواجيو النعمـــة

3 ـ التوزيع

يتوزع تنواجيو دائرة النعمة ـ ولاتة إلى أربعة أفخاذ يشتملون على مجموع قدره 416 خيمة، وليس لهم رئيس عام، وهم:

(أ) أهل علي بن البان	23 خيمة
(ب) أهل سيدي بن الشيخ	149 خيمة
(ج) أهل إبراهيم بن الشيخ	201 خيمة
(د) أهل حبيب	41 خيمة

(أ) أهل علي بن البان، هم من أهل جدُّ بن الشيخ، ورغم قلة عددهم فهم مبعثرون بشكل عجيب، والقسم الأعظم منهم يسير في ركب [أولاد] علوش، ويرتحل بين دنداره وباسكنو، ولكننا أيضا نجد خيامهم في كل أنحاء دائرة النعمة، وحتى في بلّه، بل وفي انيورو أيضا؛ وقد شاهد النقيب كاربو في سنة 1917 قطعانا تابعة لأهل علي بن البان تشرب في افاگيبين؛ وفي التاريخ ذاته وجدتُ في وادي السنغال الأدنى في مدينة چوربل، وفي حاشية أمدُ باها شخصيات من الفخذ نفسه؛ ورئيس هذا الفخذ هو محمد الصغير بن أحمد بن علي بن البان. وقد خلف في سنة 1916 أخاه محمد الأمين الذي تورط باتصالاته مع أولاد بالسبع؛ وكان لمحمد الصغير سلوك مناسب جدا في مختلف الحملات التأديبية، ولا سيما في نونبر ودجنبر سنة 1913.

(ب) أهل سيدي بن الشيخ، وهم فخذ ذو بقر، ولديهم أيضا الإبل، ويرتحلون حول النعمة في الفصل الجاف، ويذهبون في الفصل الماطر نحو انول والأبيار؛ وقد استعيض عن رئيسهم سيدي محمد بن إبراهيم ـ بعد انتخاب الجماعة بتاريخ 17 يناير سنة 1917 في لمبيدره ـ بعمه أحمد جدُّ بن الشيخ. ويضم الفخذ تسعة مخيمات هي أهل الطالب عمر وأهل عمر بن الشيخ وأهل عمر بن الناصري وأهل الجوّه وأهل عبد الواحد وأهل عبدي بن أحمد وأهل عبد الله وأهل محمد مْبارك وأهل إبراهيم بن عمر، ولم يكن لأهل سيدي بن الشيخ سلوك صحيح في عام 1916 فقد انطلق بضعة رجال منهم للّحاق بجماعات أهل عبدوكه في تمردهم [على الفرنسيين].

(ج) أهل إبراهيم بن الشيخ، وهم فخذ ذو بال، ويرتحلون خريفا في الابيار ومباركة، وإبان الفصل الجاف في اعوينت الظل وذيبة، ورئيسهم هو ببانا بن محمد الشيخ بن محمد الصغير بن إبراهيم، ويضم الفخذ ثمانية مخيمات هي أهل الطالب الزين وأهل إبراهيم بن سيدي علي

وأهل أحمد الشيخ وأهل سيدي بن المختار وأهل أحمد بن علي وأهل بابا وأهل بُوسنطيلة وأهل القلاوي.

(د) أهل حبيب، وهم فخذ ذو بقر وغنم، ويرتحلون في الفصل الجاف إلى قْريجه والعين الدخنه، وفي فصل الأمطار إلى الابيار ومباركة، وكثيرا ما نجدهم مع قطعانهم في الجنوب، على حافة خط القرى. ورئيسهم هو محمد الأمين بن سيدي محمد بن عبد الله بن بابا بن محمد عبد الله بن .. إدبدهس، وقد حل مكانَ والده المتوفى في 13 نونبر سنة 1917 بعد انتخاب الجماعة له؛ وهو معارَض من وجيه آخر هو آبه بن محمد المختار.

وكان أهل حبيب يعيشون في القرن الماضي مع مسومة، ويُعتبرون من أكثر تلاميذ [الشيخ] المهدي حماسة، ولما كانوا معرضين دائما لنفوذ أولاد الناصر هاجر بعضهم مع مسّومة في حين هاجر الآخرون نحو الغرب، غير أن الاتفاق مع مسومة لم يكن طويل الأمد، فطلبوا في شتنبر سنة 1914 بعد قدومنا بقليل الارتباط بأهل الطالب مختار، ولكنه تم أخيرا الاعتراف باستقلالهم.

ويؤلف تنواجيو النعمة أربعة أفخاذ مستقلة، لكل منها زعيمه الخاص به، وليس لهم رئيس عام؛ وقد كان موقفهم دائما غاية في الاستقلالية اتجاهنا، كما أن مراقبتهم صعبة بسبب تبعثرهم، ومما لا ريب فيه أنهم على علاقات مستمرة مع كل الغزوات، ولا سيما مع أولاد بالسبع الذين يلقون لديهم المأوى وإسعاف الجرحى، كما يزوجونهم بناتهم؛ وتمكنهم من ذلك عزلتهم في مثلث رأس الماء ودنداره وياسكنو.

4 ـ الحياة الدينية

تتمتع قبيلة تنواجيو وهم مرابطون (زوايا) ومحاربون عند اللّزوم ببعض السلطة الدينية في الحوض، ويظهر نفوذهم بصورة محسوسة على أولاد مْبارك الذين يقدمون لهم عددا كبيرا من القضاة ومعلمي المدارس؛ ومنهم أسر بالغة الاحترام لدى جيرانهم كما هي لديهم. وتعتبر أضرحتها مزارات للعديد من الناس، وأهمها أضرحة الشيخ بن أحمد [بن عثمانَ] السابق الذكر وزوجته مريامة المدفونة في اندقم بركة (بئر في آوكار)، وتُدعى "أم تنواجيو"، وكذلك والدها سيدي بن الحاج، وهو شيخ غلاوي كبير مدفون في بلدة الاقلال قرب ترمسّه، ومحمد المهدي (أهل حبيب) وكان شيخا صالحا وزعيما دينيا توفي حوالي 1903.

وهناك شيخ يجذب الانتباه إليه بمعارفه وهو سِداتي بن إبراهيم المولود حوالي 1875، وتضم مدرسته عشرة من الشبان الذين يتابعون دروسا عليا.

وتنواجيو في معظمهم قادريون، فالمدارس الكنتية والفاضلية موجودة لديهم، ولكنهم يتبعون على الخصوص مدرستهم الخاصة بهم؛ فقد كان جدهم الشيخ مريدا لمرابط ذي شهرة كبيرة هو الشيخ سيدي أحمد الحبيب اللمطي المتخرج من الزوايا المغربية؛ وقد أعطى الشيخ

الورد لثلاثة من أولاده حيث ما نزال نلاحظ زعامتهم الصوفية إلى أيامنا هذه؛ والمقدم البارز اليوم منهم هو محمد ببانا؛ وتبدو هذه المدرسة القادرية قديمة جدا، وعلى الرغم من أنها لا تملك صيت جاراتها، فإن القائمين عليها يفاخرون بأقدميتها، ويصرحون بأنها أعلى وأرقى من سائر المدارس الأخرى.

وقد بدأ العثور على بعض أتباع التيجانية بين تنواجيو وذلك بتأثير من محمد بن سيدي عثمان.

وأخيرا نجد شخصيات مثل الشيخ جدُّ (من أهل سيدي بن الشيخ) الذين ليس لهم أي انتماء صوفي. وقد احتفظ تنواجيو النعمة بعلاقات مع أبناء عمومتهم في انيورو وحتى في موريتانيا السفلى، ويتبادلون معهم الزيارات كما يعقدون معهم الزيجات.

5 ــ تنواجيو بلّــه

<u>مقدمــة</u>

لا يستحق تنواجيو بلّه أي تنويه إلا من قبيل التذكير، فهم لا يؤلفون كالسابقين أو اللاحقين أفخاذا أو بطونا من قبائل قائمة، لأنهم عبارة عن خيام هاجرت من انيورو حوالي 1890، واجتمعت هنا لأن لها أصلا مشتركا، ولا يؤلفون أكثر من عشر خيام يضمون 50 نسمة، ويعيشون على الدوام مع أهل غلام (الاقلال)، ويطلبون بإلحاح أن يرتبطوا بهم.

وقد أقاموا في سيلنگورى قرب بساكارى بعض أكواخ من القش مع القيام ببعض الزراعات مع ميل إلى الاستقرار والتحضر بسبب ضعفهم، كما نجد بعضا منهم يقيم في أكواخٍ في كصنباره؛ ويدفعون الضريبة الشخصية، كما أن ارتباطهم بفخذ [أهل] غلام يُدمجهم في قبيلة كبيرة حية، ويعيد لهم شخصيتهم، ويحول بينهم وبين الانصهار في العنصر الأسود.

6 ــ تنواجيو انيورو

أ ــ التوزيع

يضم تنواجيو انيورو ثمانية أفخاذ تم توزيعها على مجموعتين حسب أصولها السلالية وحسب نطاق سكنها، ويقال إنهم سلاليا إما من إدبدهس أو من إچاچ بركة أولاد مايمتس، وذلك تبعا لانتماء العائلات المنحدرة إما من إدبدهس أو من أحمد (مايمتس) وهما من ذرية سيدي يحيى الجد المشترك؛ وهذا هو التوزيع السلالي لهم:

(أ) ــ إدبدهس:

ــ آل ينتَتْ أهل إبراهيم بن الشيخ وأهل جدُّ بن الشيخ.

ــ إدبوبك (أو أهل حبيب).

ــ أولاد بومحمد أهل بابا أولاد عثمان (أهل محمياي أهل سيدي بن جدُّ).

(ب) ــ أولاد مايمتس، إچاج بركة.

واستنادا إلى أراضي رعيهم فهم ينقسمون إلى:

1 ــ أولاد مايمتس التليين [الشرقيين] (انيورو) ويتألفون من:

(أ) ــ أهل إبراهيم بن الشيخ.

(ب) ــ أهل جدُّ بن الشيخ.

(ج) ــ إچاج بركة (أولاد مايمتس التليين)

2 ــ تنواجيو القبليين [الغربيين] وسندرسهم فيما بعد.

(أ) أهل إبراهيم بن الشيخ كما يشير اسمهم هم من أحفاد إبراهيم الابن الثاني للشيخ [بن أحمد] المرابط السابق الذكر؛ ورئيسهم هو حمادي بن أحمد بن ببانا بن إبراهيم، وقد نشأ تجمع ثان في هذا الفخذ في سنة 1914، ويرأسه ببانا أخو حمادي.

ولفخذ انيورو الذي هبط نحو الساحل قطيع من الغنم والأبقار، في حين يملك إخوانهم في النعمة الإبل، ويرتحلون في فصل الخريف في أجامْره، ويردون آبار النخيلة، وزوبري وتادّرت وگدي وفي الفصل الجاف يرتحلون في وادي چگراگه وتادّرت وگادل وچاماوال، ويندإجا (قرية بنبا گيدى شمال شرق چواره) واترنگمبو وكرى؛ ويتألفون من 100 خيمة تضم 426 نسمة.

(ب) ــ أهل جدُّ بن الشيخ، وهم منذ بداية احتلالنا موزعون إلى ثلاث مجموعات هي مجموعة محمد الصغير بن إبراهيم بن سيدي، ومجموعة موسى بن إبراهيم بن سيدي، ومجموعة بونا بن محمد الصغير بن البان؛ وقد عادوا من جديد إلى تشكيلتهم السابقة سنة 1914 تحت قيادة محمد الصغير، وظل الآخران رئيسين لمخيميهما، ويشتملان على شخصيات بارزة، ويعتبر أهل جدُّ بن الشيخ إخوة لأهل علي بن البان (بن جدُّ بن الشيخ) في النعمة، وهم أيضا غير موحدين.

وقد حدث الانفصال بينهم حوالي 1850 بعد أن تنازع علي بن البان مع إخوته، فقصد بإبله الحوض ومكث هناك، وينتجعون في منطقة المسيلة (غرب أجامْره) وليجيجي وتنرفيگه وحاسي بناهي وبوطّليحية.

(ج) فخذ إچاج بركة ــ أولاد مايمتس، ويتوزع بين تنواجيو الشرق وتنواجيو الغرب، ويشتق اسمهم من مايمتس (أحمد) بن مْبارك بن سيدي يحيى (الجد المشترك). ويطلق عليهم أيضا إچاج بركة لأنه كان لقب مْبارك بن مايمتس، وهذا مثلا نسب زعيم إچاج بركة الشرق: الشريف بن الشيخ بن الشريف بن إسماعيل بن عمر بن علي أبوبك بن مايمتس؛ ويضم هذا الفخذ 1727 نسمة، تشملها 300 خيمة، ويتركب من سبعة بطون هي إچاج بركة ورئيسهم هو الشريف السابق الذكر ويتألفون من 536 نسمة، وأهل ابوبك ورئيسهم هو إبراهيم بن محمد

الأمين ويضمون 115 نسمة، وأهل اجه الذين يستمدون اسمهم من جدهم عمر بن علي والذي لقّبه أحفاده اجه، ورئيسهم هو محمد بن أحمد وعددهم 152 نسمة، وأهل أحمد جدُّ ورئيسهم هو محمد بن أحمد جدُّ بن الشريف وعددهم 136 نسمة، وأهل حوبه ورئيسهم هو محمد الأمين [بن حوبه] وعددهم 224 نسمة وأهل اوچه ورئيسهم هو حمادي بن سيدي يحيى وعددهم 467 نسمة، وأهل الطالب موسى ورئيسهم هو الحاج بن محمد المختار وعددهم 97 نسمة، وهذا البطن الأخير ينتجع غرب الدائرة، ويميل بشكل بارز للانفصال عن بقية الفخذ.

وينتجعون خريفا في أجامره، وصيفا حول اترنگمبو وبوداجه ومينو ـ مينو وغيتامي وبين چواره وبلّه.

2 ـ تنواجيو القبليين [الغربيين] ويتألفون من (أ) ـ إدبوبك، (ب) ـ أهل بابا، (ج) ـ أهل محمياي، (د) ـ أولاد بومحمد، (ه)ـ إچاچ بركة (أولاد مايمتس القبليين).

(أ) إدَبوبك، ورئيسهم هو فاليلي بن محمد أحمد، وهم 50 خيمة تضم 219 نسمة، وينتجعون صيفا كما في الخريف بالمسيلة.

(ب) أهل بابا وأهل حبيب وهم أبناء عم أهل حبيب (النعمة) ويرأسهم القاسم بن الشيخ المهدي، ويشتملون على 400 خيمة، تضم 1984 نسمة؛ وقد ولد القاسم حوالي 1848، وخلف في دجنبر سنة 1914 أخاه [سيدي]عبد الله الذي كان له نفوذ كبير بسبب تقواه، ويساعد القاسم أخوه سيدنا المولود حوالي 1860، كما يساعده عبدي بن سيدي عبد الله الذي ليس مطاعا بسبب أصله الفوتي[!].

وعلى الرغم من أن أهل بابا وكذلك أهل محمد وسائر [أولاد] بومحمد من الطلبة، فعندما تعرضوا في سنة 1909 في موقع تنچبنه لغزو هائل من الرقيبات وأولاد بالسبع أفلحوا بمعونة بعض المحاربين السودان في أن يلحقوا بهم هزيمة كاملة ويقتلوا منهم ثلاثين رجلا، ويستولوا على عشر بنادق سريعة الطلقات مع كل الأسلاب؛ وكان للقاسم نصيب وافر في هذا النجاح اللامع، وفي سنة 1911 اتُّهمت هذه الأفخاذ ذاتها بأنها قامت بتموين "أمجبور" من أهل حُجور وأولاد غيلان أغار على قرى بولولي ـ بوگوندي؛ وموطن هذه الأفخاذ هو المسيلة خلال كل الفصول.

(ج) أهل محمياي، ويتألفون من 125 خيمة، تضم 592 نسمة ورئيسهم هو سيدي أحمد الحبيب بن محمد الصغير المولود حوالي 1874 الذي استلم القيادة سنة 1904، وله سلطة حقيقية على فخذه الذي يتعلق به كثيرا؛ ولم يقدم لنا أية خدمة ويميل إلى الإبقاء على أقل ما يمكن من العلاقات معنا. أما والده محمد الصغير فقد كان رئيس المخيم الذي استقبل الملازم

على صال موفد اقـديرب في حملة استكشاف سنة 1861؛ ولأهل محمياي قطعان حسان من الأبقار والأغنام.

(د) أهل بومحمد، وينحدرون أيضا من إدبدهس، ولكنهم تخلوا عن هذا الاسم لصالح اسم بومحمد (يحيى) وهو حفيد إدبدهس ويندرج تحت اسم أولاد بومحمد أحيانا أهل محمياي وأهل بابا وإدبوبك الذين سبق أن رأيناهم وذلك لأنهم ينحدرون جميعا من بومحمد.

أما أولاد بومحمد الخلّص فيشكلون أكبر فخذ من تنواجيو أي 450 خيمة بها 2031 نسمة، وينقسمون إلى تسعة بطون، الأربعة الأولى منها من أصل تنواجيوي صميم، في حين تعتبر الخمسة الأخرى دخيلة وهي:

أهل الشيخ أحمد	408 نسمة
أهل خوياتي	406 نسمة
أهل أحمد بن الحاج	205 نسمة
أهل الحاج	42 نسمة.

أما الآخرون فهم

ـ أهل الشهلاوي وعددهم 53 نسمة، كان أول من جاء منهم هنا في بداية القرن التاسع عشر هو سيدي صالح بن الشهلاوي، وهو من أصل بوكار (أولاد مزوك) وتجنس منهم بسبب تحالفه معهم.

ـ إدَظهم، وعددهم 325 نسمة، وهم مختلطون منذ زمن بعيد جدا بتنواجيو، وهم من أصل زاوي، وجدهم الطالب حبيب الله بن الطالب عثمان كان يعيش في حظيرة سيدي يحيى جد تنواجيو؛ والطالب عثمان هو الذي كان يحمل لقب إدظهم الذي أصبح اسما للبطن.

ـ أهل أوباتي، وعددهم 377 نسمة، وجدهم هو سيدي هاشم الذي ينتسب لشرفاء أقلال أولاد سيدي وقد وفد على تنواجيو نهاية القرن السابع عشر؛ والرئيس اليوم هو الطالب أحمد بن عمر بن الطالب أحمد بن علي بن أوباتي بن محم بن سيدي هاشم.

ـ أهل عمر بن عيسى، وعددهم 99 نسمة، وجدهم عمر أصله كَلكَمي.

ـ أهل دهموش، وعددهم 206 نسمة وجدهم دهموش كان ـ كما يعتقد ـ حسانيا تائبا اندمج في تنواجيو في القرن الثامن عشر(3) والرئيس الحالي هو الشيباني بن محمد إبراهيم بن محمد الأمين بن الشيخ بن عبداوه بن إبراهيم بن دهموش.

وقد كان أولاد بومحمد الخلّص الذين يطلق عليهم أولاد عثمان نسبة لجدهم عثمان بن

(3) ـ ذكرت الحسوة أهل دهموش هم من أولاد بوكار بن عقبة بن عروق، وكانوا بأرض السودان، واندثر ذكرهم بعد تغلب أولاد مْبارك عليهم.

بومحمد يعيشون منذ زمن بعيد جدا بقيادة رئيس واحد ومعهم تلاميذهم المقيمون في القرى وعند دخولنا إلى انيورو سنة 1891 كان ذلك الرئيس هو الشيباني بن عثمان بن البان، وكان ذا حق في الرئاسة عن طريق الإرث، وقد ظل في مكانه حتى سنة 1911، وهي الفترة التي حدث فيها التفرق العام.

وسنسرد هنا الطريقة التي وقعت فيها أعمال نهب في يونيه سنة 1911 فقد قام قسم من أهل خجور و[أولاد] غيلان بالاستيلاء على ماشية قريتي بولولي وبوگنده (انيورو)، واتضح أن الغزاة وجدوا الملجأ والتموين والأدلاّء من شرفاء أهل بوبكر وتنواجيو(أهل بابا وأولاد بومحمد) وكانت هذه الأفخاذ قد أُنذرت بلزوم إعادة القطيع المنهوب، ودفع دية أربعة من سكان القرى، وقد وزع الشيباني النصيب المطلوب منه بين البطون، ومن ذلك الوقت أضمروا له عداوة عميقة، وانفضوا عنه جميعا باستثناء مجموعة صغيرة من أهل الشيخ أحمد.

وقد تمت بشق النفس إعادة تكوين الفخذ في نهاية سنة 1914، وكان ذلك بفضل تدخل المرابط صالح بن الرشيد؛ وقد بدا كما لو أن الأمور عادت إلى نصابها، إلا أن الفوضى رجعت نوعا ما على أثر معارضة عنيفة من جانب التاتي بن خوياتي ابن عم الرئيس؛ وقد هدأ كل شيء اليوم بعد استتباب الأمور في يد التاتي ذي القبضة الشديدة.

ومن المفيد أن نصف هنا هذا الرجل المراوغ، فالتاتي بن محمد بن خوياتي رئيس بطن أهل خوياتي رجل مشاكس خطر ومعاد لسيطرتنا، وكان في ثلاث مرات متواطئا مع عمليات غزو.

وابتداء من عام 1904 قام بإعطاء معلومات خاطئة لقيادة الدائرة ثم عوقب لعدم انضباطه؛ وفي سنة 1906 عوقب بسبب التستر على موضوع الرعي، وفي سنة 1907 استقبل في مخيمه غزاة من إديبُسات وأقام اتصالات مع أهل سيدي محمود، وانهمك في الوقت ذاته في شتى أنواع الدسائس في قبيلته.

وفي سنة 1909 تورط في سطو مسلح، ومنع مجموعة من لادم من الشهادة فحُكم عليه بغرامة قدرها 200 فرنك، وفي سنة 1915 ساعد على هرب سارق ينتسب إلى مخيمه مما جلب عليه دفع غرامة مقدارها 100 فرنك.

وفي سنة 1912 وقع اغتيال اثنين من حرس الدائرة في الليوانه على يد غزو، واتُّهم التاتي بأنه هو الذي اجتذبهما نحو كمين ويسّر الجريمة ونظرا لفقدان براهين قطعية لم تمكن ملاحقته، إلا أن كل الظروف كانت تدينه، وبلغ مسامعنا فيما بعد أنه كان يتباهى بما ارتكب.

وفي دجنبر سنة 1914 انقضت زوجته وأولاده وأتباعه على عبد الله بن الإمام رئيس أهل الحاج عبد الرحمن (الاقلال) وكانوا ينادونه "تبًا لخدم الفرنسيين عبيد الإدارة .. الخ".

وفي إبريل شجعه تصرف مشظوف على توسيع ميدان شغبه فقصد كولوبا، وراح يطالب الوالي برد نصيب من التعويض إليه، وبرد الغرامات التي أخذت منه في أعقاب تواطئه مع أولاد بومحمد في نهب القرى الثلاث في كينيارينه وجواره؛ وقد أجيب بأن "القضية قد انتهت" ولما عاد إلى أهله أعلن للجميع بأنه ربح القضية وأهاج فخذه مما جلب إليه عقابا تأديبيا(4) ويعيش التاتي اليوم في فخذه، وبما أنه يشعر بمراقبة خاصة فهو يلتزم السكينة.

ويرتحل أولاد بومحمد في المسيلة في كل الفصول.

(هـ) إجاج بركة ـ أولاد مايمتس القبيلين [الغربيين] هم الوحيدون من تنواجيو الذين يتبعون الليوانه (دائرة انيورو) وهم ينقسمون إلى:

ـ أهل السلطان (أهل بابيه وأهل أحمد لوليد).

ـ أهل الدين (أهل تحميد وأولاد مايمتس).

وينحدر أهل السلطان من السلطان بن مايمتس، فرئيس أهل بابيه مثلا هو أحمد الشيخ بن عبد الرحمن بن.. بابيه بن السلطان بن مايمتس ورئيس أهل لوليد هو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد لوليد .. بن السلطان بن مايمتس.

وينتسب أهل الدين أو على الأصح أهل تحميد إلى الدين بن أبوبك بن مايمتس، ورئيسهم هو محمد محمود بن المختار .. بن تحميد بن الدين.

والفخذ الثاني من أهل الدين يلقب بأولاد مايمتس أو أهل الطالب عمر ورئيسه هو سيدي بن بوبكر بن الطالب عمر، وهو فخذ شديد الاختلاط، فنجد فيه جماعات من بقية أفخاذ القبيلة ارتبط بأهل الدين في أعقاب العديد من الزيجات، ويرتحلون خريفا في ترمسّه وأجامره، وفي الفصل الجاف حول اترنگمبو وبوظه.

ب ـ الحياة الدينية

يُعتبر تنواجيو في مجملهم قادريون ومدرستهم هي أقدم المدارس المجاورة أي الفاضلية والگلگمية وحتى الكنتية كما يقولون، وكانت دائما من أكثر مثيلاتها ازدهارا وقدمت مشائخ لهم سمعة كبيرة وردت أسماء بعضهم آنفا في معرض الكلام عن الحياة الدينية لدى تنواجيو النعمة، ويدّعون أنهم يرتبطون بمختلف دعاة وتلاميذ الإمام الحضرمي وبالزوايا المغربية عن طريق الشيخ أحمد بن سيدي جدُّ والشيخ سيدي عبد الرحمن الطلابي، والشيخ المختار من أهل إبراهيم بن الشيخ.

---

(4) ـ كل هذا التركيز يشعر القارئ بمدى قسوة الاستعمار وخبث أساليبه في التنكيل بأعدائه أو معارضي سيطرته الغاشمة.

وينبغي أن نكرر هنا ذكر اسم الشيخ المهدي [بن سيدي مْحمد] آخر ممثلي هذه المدرسة وأكثرهم شهرة المدفون بالركيز في أفلّه، وهو والد القاسم الرئيس الحالي لأهل بابا.

وهذه هي سلسلته الصوفية: والده سيدي مْحمدْ (وهو ولي وعالم كبير متوفى حوالي 1850 ومدفون في بوالأنوار) (الرقيبة) ثم الطالب أحمد بن محمد راره عن الطالب سيدي بن محمدي عن أخيه الحبيب بن محمدي بن عبد الله بن بابا عن والدهما عبد الله، ثم والده بابا أحمد بن أبي محمد، عن الشيخ [محمد بن عبد الكريم] المغيلي رائد القادرية في السودان والذي لا يحتاج إلى تعريف؛ وفيما بعد ذلك نجد أفراد السلسلة مسجلين في كل كتب الصوفية [حيث لا يُحتاج إلى ذكرهم هنا].

ومعظم مرابطي تنواجيو ينتسبون إلى الشيخ المهدي وهم:

(أ) لدى أهل بابا محمد المهدي بن محمد عبد الدايم المولود حوالي 1870، وهو معلم مدرسة مزدهرة، وسيدي محمد بن سيدي عبد الله المولود حوالي 1872، وهو رجل متعلم وقاضي وإمام الفخذ، وينشر التعليم العالي بين بضعة من تلامذته، وأخيرا القاسم بن الشيخ المهدي نفسه وإخوته وأكثرهم وجاهة هو سيدنا.

(ب) لدى أهل محمياي، يحيى بن علي عمٌّ بن ناجم المولود حوالي 1873، ويتمتع بصفته معلم مدرسة بسمعة كبيرة جدا في هذا الفخذ الهام الذي هو إمامه.

(ج) لدى أولاد بومحمد، المهدي بن بوبكر بن سيدي من أهل خوياتي المولود حوالي 1850، وهو معلم مدرسة وإمام البطن، وعبد الله بن اللّوه بن سيد ابّه من إدبظهم المولود حوالي 1872 وهو إمام ورئيس بطن ويرتبط عن طريق عمه عثمان بن سيدي أويه بالشيخ المهدي.

(د) لدى إچاچ بركة الشرقيين عمٌّ بن النانه بن سيدي أحمد من أهل الطالب موسى المولود حوالي 1865، وهو إمام ومعلم مدرسة.

(هـ) لدى أولاد مايمتس في الليوانه محمد المهدي بن بوبكر، وهو معلم مدرسة مشهور يعطي دروسا في التعليم العالي لبعض التلاميذ.

وإلى جانب الشيخ المهدي هناك شخصية أخرى مشهورة يجدر ذكرها وهي الشيخ أحمد ببانا والد رئيس أهل إبراهيم بن جدٌ، ويرتبط عن طريق والده، ثم بأجداده بالإمام الحضرمي؛ وأهم مريديه هم:

(أ) لدى أهل حوبه، محمد لاچه بن سيدي محمد المولود حوالي 1878، وهو رجل متعلم يتمتع بنفوذ حقيقي على تنواجيو الشرقيين ولا سيما على فخذ [أهل] حوبه الذين يؤمهم، وله بضعة تلاميذ يتلقون عليه تعليما عاليا.

(ب) لدى أهل بومحمد، سيدي أحمد بن عبد الله من أهل أوباتي مولود حوالي 1870، وهو قاضي وإمام ومعلم مدرسة في فخذه الفرعي.

(ج) ولدى أهل الدية، الشيخ ين سيدي أحمد عمٌ بن كبادي المولود حوالي 1852 وهو معلم مدرسة، ومحمد الأمين بن حويه المولود حوالي 1872 وهو زعيم بطن [أهل حويه] ومحمد بن الدية المولود حوالي 1878 وهو إمام.

وللفاضلية أيضا بعض الممثلين لدى تنواجيو وأكثرهم بروزا هو الشيخ بن إسماعيل بن الشيخ من إجاج بركة وقد ولد حوالي 1882 وهو إمام فخذه وتلميذ ومريد [الشيخ] التراد.

ويجدر بنا أن نشير إلى مدرسة صغيرة شاذلية قليلة العدد ولكنها مغلقة جدا ومؤسسها هنا شخصية ينبغي أن نتعرف عليها، وأعني بها الشيخ بن سيدي أحمد بن يوسف من أهل بابا، وقد ولد حوالي 1870 في دائرة النوارة، ودرس في فخذه وفي العجيلات (أهل سيدي محمود) ولم يعد إلى مخيمه إلا حوالي 1903، وبعد ذلك لم يغادره إلا من أجل رحلات قصيرة في الحوض وأفلّه وهو متزوج من امرأة من أهل محمياي وهو رجل ذو مظهر جذاب وقد اكتسب شهرة بالتقوى واجتذب إليه أساسا النساء والأطفال الحساسين جدا لنفوذه؛ وقد بدأ الحياة الصوفية بالورد القادري الذي تلقاه من الشيخ محمد بن الطالب صالح التنواجيوي (أهل بابا)، ثم أخذ الورد التيجاني عن أحمد بن التلاميد من الزبيرات (أهل سيدي محمود) حوالي 1896، ولم يبق له سوى الحصول على الورد الشاذلي وهو ما ذهب لطلبه من الشيخ المسومي الكبير الذي رأيناه فيما سبق [محمد] محمود بن بيّه.

وقد أقام في مخيمه شبه زاوية بدوية يقصدها اثنا عشر من شباب تنواجيو وأهل سيدي محمود حيث يعلمهم الطريقة الشاذلية.

وقد سبق له أن اجتذب إلى جملة أتباعه بعض شخصيات مرموقة من تنواجيو، ولا سيما لدى أولاد بومحمد نذكر منهم سيدي الأمين بن محمد بن علي من أهل الشيخ أحمد المولود حوالي 1860، وهو مرابط على درجة عالية من التعليم، ومعلم مدرسة وإمام بطن، وسيدي صالح بن أحمد درجه من أهل الشهلاوي المولود حوالي 1872، وهو رئيس وإمام بطن؛ بقي أن ننوه ببعض أتباع التيجانية النادرة هنا وذلك لأن هذا الورد لا يتمتع بإقبال تنواجيو وأهمهم

(أ) الشريف بن الشيخ رئيس إجاج بركة عن طريق الشيخ الأدهم بن هني من أهل الطالب بوبكر (طلبة أولاد مْبارك) عن الشيخ سيدي محمد الشريف التيجاني المتوفى في انيورو.

(ب) الشيباني بن [عثمان] بن البان رئيس أولاد بومحمد مريد محمد الحسن الجكني الآفطوطي عن الشريف [الشيخ] حماه الله.

(ج) البان بن الشيخ بن عليوه المولود حوالي 1875، وهو إمام ومعلم مدرسة لدى أهل

اوچه.

وهناك بعض أمكنة توجد بها أضرحة لرجال صالحين تعتبر مزارات لتنواجيو دون تمييز لانتماءاتهم الصوفية، وهي:

ـ تادرت (ترمسّه) حيث يوجد ضريح الشيخ بن أحمد بن عثمان وأجداده وبعض أولاده.

ـ بوالاكلال (ترمـــــسّه) حيث توجد أضرحة كل من اوچه إسماعيل والشريف، جدي إچاچ بركة، ومحمد بن اوچه وأخيه البان.

ـ لايم (أجامره) حيث يوجد ضريح إبراهيم بن الشيخ وكل ابنائه.

ـ آمباي (رْكيز أفلّه) حيث يوجد ضريح الشيخ المهدي [بن سيدي مْحمد].

ـ بوالأنوار (الرقيبه) حيث يوجد ضريح سيدي مْحمدْ والد الشيخ المهدي.

ـ حاسي عين البركة (أفله) وبه قبر سيدي بن جدُّ.

ولا يشتمل أي من هذه القبور على أضرحة (بالمعنى المعماري) بل هي عبارة عن "آكوادير" أو حيطان من حجارة كبيرة.

شجرات تنواجيو

أولاد بومحمد

إدبدهس

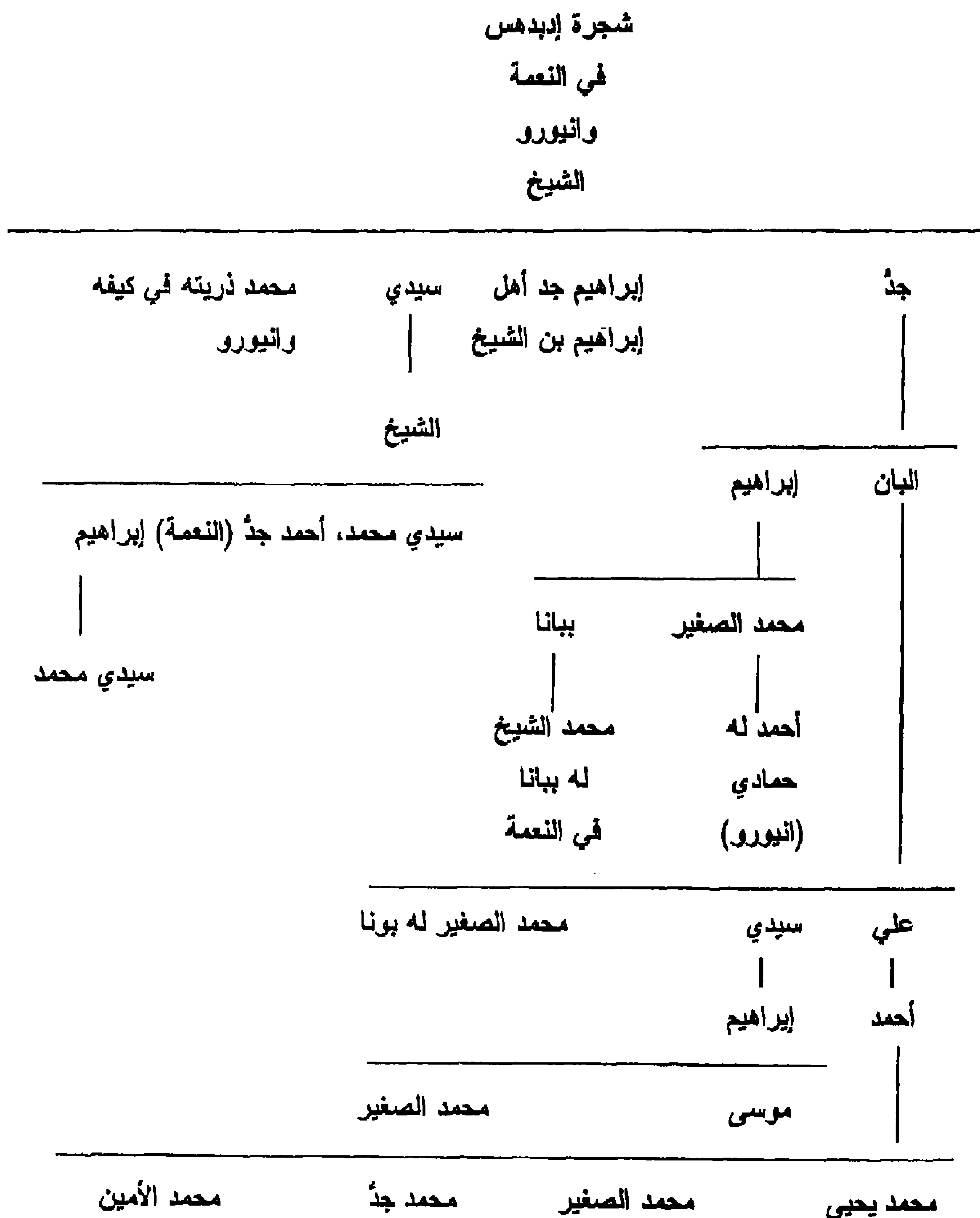
محمد

بومحمد (يحيى)

عثمان		بابا جد أهل بابا	أبوبك جد أهل أبوبك
الولي		عبد الله	مُحمد
عبدايه	بوبكر	افّاه	سيدي
الحاج علي	محمو يايه	محمد	بيبه
محمد	محمد	سيدي مُحمدً	البان
جدُّ	محمو يايه	الشيخ المهدي	أحمد
سيدي	إبراهيم		محمد
الشيخ أحمد	محمد الصغير		فاليلي رئس أهل أوبك
البان	سيدي أحمد		
الشيباني رئيس أهل بوحمد	الحبيب رئيس أهل محمويايه		

أبناء الشيخ المهدي: القاسم — سيدنا — سيدي عبد الله — الشيخ أحمد الأمانة — افّـاه — سيدي المصطف — علي — آسية — مريم — أم ودّاجه

شجرة إدبدهس
في النعمة
وانيورو
الشيخ



الفـصل الثانـي عشر

أولاد النـاصـر

1 ـ لمحــة تاريخيــة

لقد درسنا حتى الآن القبائل التي تتوزع بين الساحل الأوسط (النوارة والنعمة) والسـاحل الغربي (انيورو)؛ ومع أولاد الناصر نجتاز نهائيا خط الطول الذي يفصل هذين السهلين لننفذ إلى دائرة انيورو حيث نبقى فيها نهائيا.

أولاد الناصر هم عرب من حسان الخلَص، وجدهم الأعلى ناصر هو أخو عمـران(1) جـد الترارزة والبراكنة .. الخ، وهو أخو يحيى جد أولاد يحيى بن عثمان (آدرار) وأخو رحّال جد الرحاحلة؛ وهؤلاء الأربعة هم أبناء عثمان بن مغفر بن أودي بن حسان جد ورئيس وربمـا رمز بني حسان أو العرب الحسانيين الذين اجتاحوا موريتانيا العليا في القرن الرابع عشر.

وعاش ناصر في القرن الخامس عشر، وكان له ابن هو عنتر(2) والد بضعة أفخاذ أخـرى يُدعون العناترة، وربما لهذا السبب تجعل بعض الروايات ولا سيما في موريتانيا من عنتر أباً لناصر وليس ابنه؛ أما لدى أولاد الناصر فإن عنتر هو الابن، وهو الذي من نسـله معتـوق وبَالريش وغراب؛ وهكذا تتأكد رواية [أولاد] الناصر تماما، وبصورة أفضل باعتبار عيسُـى جد فخذ العيسات أخا لعنتر.

وأبناء معتوق الخمسة هم أجداد أفخاذ [أولاد] الناصر الحاليين، وإلى القرن الخامس عشر كما أسلفنا تعود وقائع الرواية الكنتية عنهم، إذ عقد [الشيخ] سيدي مُحمد الكنتي الكبير والـد [الشيخ] سيدي أحمد البكاي حلفا مع أولاد الناصر، واستقبلهم في مخيمـه بشـمال تـيرس ومنحهم باسم هيبته الدينية السلطة على القبائل الصنهاجية، واشترط لذلك التعـهد التـالي: "عندما تكون لكم الهيمنة لدرجة تجعلكم لا تخشون معها شيئا منهم، تضعون نهاية لهجماتكم".

---

(1) ــ الصحيح أن ناصر هو بن مغفر، ومن ثم فهو أخو عثمان جد أولاد يحيى بن عثمان، وعم عمران بن عثمان والد هداج الذي منه تروز وبركني.

(2) ــ ناصر له ابنان هما عيسى وعنتر، فمن عيسى العيسات، ومن عنـتر معتـوق وبـالريش جـد البرارشة، وغراب جد الغرابة، وكمر جد الكمامرة، وفنجار جد الفناجير، وحسين جـد أولاد اهنيـت فـي الزخيمات؛ ولمسعود بن عنتر بوخروفة، ولهذا عيسى والد شُبيشب وولدان آخـران لـم تذكـر الحسـوة اسميهما، وهما جدا أولاد عبيد وآفاشيل.

أما أبناء معتوق فهم يحيى بن معتوق، ومنهم ايكدشات (في أولاد زيد) وأولاد كادّة وأولاد مـالك وأولاد عبد الله وأهل تگدي وغيرهم. ومن أحمد بن معتوق أولاد تگدي والخدايع وغيرهم. ومن أعمر بن معتـوق أهل توگله وغيرهم. ومن محمد بن معتوق أولاد عبد الكريم.

وقد صمد هذا العهد بصورة جيدة رغم خوف [بني] حسان الذين كانوا منبهرين من كثرة صنهاجة وتضامنهم.

وقد قضى هذا الحلف في نهاية القرن الخامس عشر على هيمنة لمتونة في هذا القسم من موريتانيا العليا، ومهّد للفتح العربي في الصحراء الكبرى الغربية والوسطى.

وسنعود الآن إلى القول بأنه كان لمعتوق ابن هو مسعود الذي خلفه ابنه بوخروفة الذي ترك ثلاثة أبناء هم: (أ) شبيشب، وهو جد أولاد شبيشب مخيم إمارة أولاد الناصر، ويطلق الاسم أحيانا على ذرية مسعود. (ب) سعيد وهو جد أولاد سعيد. (ج) أقُوشال وهو جد آقَاشيل (3)؛ وقد خلف شبيشب ابنه الشعري الذي استمرت القيادة في أحفاده.

ولا تنقل لنا الرواية شيئا عن تاريخ أولاد الناصر خلال القرون الثلاثة السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر، إلا أننا نعرف أنهم هبطوا من آدرار حيث اقتطعوا مكانا لهم بين أولاد مْبارك وإدوعيش، ووطدوا سمعتهم كقوم تُخشى عاقبتهم.ويروي لنا تاريخ ولاتة القديم أنه في سنتي 1727 ـ 1728، حدثت معركة تندنيت بين أولاد بلّه وأولاد الناصر.

وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر أضاف مْحمد بن بكار الحفيد الخامس للشعري لشهرته كمحارب ـ فرض الإتاوة على أولاد مْبارك وإدوعيش ـ شهرة رجل عادل يشبه في سلوكه رجال الدين فضلا عن شيء خارق أكثر وهو أنه كان يرد المسلوبات التي يأخذها أتباعه إلى أصحابها .

ومما لا ريب فيه ـ وذلك إذا ما وثقنا من تطابق التواريخ ـ أن الشيخ الكنتي الكبير [الشيخ] سيدي المختار قد استغل سلوكه وورعه لردع أولاد بلّه الذين كانوا يتميزون بسلوكهم العنيف في الحوض والساحل.

وقد ذكرتُ في الفصل الخاص بكنتة تقلبات ذلك الصراع، ولا سيما حسن تصرف إحدى أميرات أولاد شبيشب في إحدى مراحله؛ حيث تُوجت تلك السياسة الحكيمة التي ترمي حسان بحسان بالنجاح[!]؛ وقد مات هذا الأمير الكريم موتا طبيعيا في نهاية القرن الثامن عشر، ترك خمسة أبناء(4) هم: الحبيب وأحمد الملقب امبرح (مشتق من اسم أخ من الرضاعة) وإبراهيم فال وآغراج [أعمر] وهم أجداد الخيام الحالية الموجودة في مخيم الإمارة الناصري.

---

(3) ـ أنظر الحاشية السابقة لتصحيح هذه التوزيعات الخاطئة.

(4) ـ هم أربعة كما عدّهم المؤلف هنا، وليسوا خمسة كما ذكر في الأسطر السابقة أنظر شجرة النسب.

وقد وقع الشقاق بين الحبيب وأخيه أحمد بن امبرح (5)؛ ويبدو أن التقليد كان قد استقر على أن تكون القيادة في القبيلة دورية بين الأبناء الذكور الأوائل لكل من هاتين الأسرتين؛ غير أن ذلك لم يتبع مما أدى إلى حدوث عدة اغتيالات متبادلة. ولم يتوقف الصراع حتى أيامنا هذه مما أدى إلى تمرد عدد من الخيام، ولا سيما بين أهل امبرح، وخيام الطلبة الناصريين في مشظوف، وظل أهل الحبيب سادة الزعامة الزمنية.

وقد اندلع الخلاف أيضا بعد ذلك بجيلين (حوالي 1870) بين أحمد وسيدي أحمد، وكليهما من أبناء عثمان بن الحبيب، وأدى أيضا إلى هجرات سواء لدى مشظوف أو أهل سيدي محمود.

وفي 9 يناير سنة 1861 شهد الملازم البحري ماج Mage فوق تلال جريبه لقاء بين بكار [بن سويدي أحمد] زعيم إدوعيش، أو بصورة أكثر صحة زعيم أبكاك [من إدوعيش] وبين رئيس أولاد الناصر، وكيف فشلت محاولتهما إقامة حلف مشترك.

وقد استمر الملازم الصباحي علي صال الذي كان يرافقه في طريقه إلى ولاتة، وأمضى بعد ذلك بقليل خمسة عشر يوما في مخيم ناصري آخر قرب أم الخز، وقد وصفهم بأنهم أكثر البيضان في هذه الأصقاع قدرة على الهجوم، وأنهم كانوا ينتظرون مرور القوافل للاستيلاء عليها.

وبعد أن استمر أولاد الناصر بداية القرن الماضي في خوض معارك دامية مع إدوعيش وأهل سيدي محمود الذين كانوا يحاولون التملص من سيطرتهم، راحوا يشنون بدءا من 1850 هجمات عنيفة على مشظوف الذين كانوا يتسللون إلى الحوض؛ وتسرد الروايات المحلية ومختلف التواريخ هذه الحملات التي تصل حتى ولاتة وما وراءها. وأدت الانشقاقات الداخلية التي كانت تتم في آن واحد في أولاد الناصر ومشظوف إلى هبوط مكانة بعض الأفخاذ، وإلى تحالفات بين تجمعات متعادية ضد شقيقاتها.

ومن الممكن أن نقرأ في "تواريخ" ولاتة المكتوبة مع نوع من التسلسل الزمني، سرداً لعمليات الغزو التي لا تحصى؛ وقد ارتدعت أكثر من مرة فرائص سكان هذه المدينة الوديعين أمام غارات هؤلاء العرب الذين كانوا ينصبون خيامهم في الوادي ويبتزون السكان.

وقد شن أولاد الناصر الغارات على بعضهم البعض حتى آخر يوم، وعلى أبناء عمومتهم الحسانيين، مثل [أولاد] علوش، فضلا عن مشظوف.

---

(5) ـ كانت البداية مع فال بن محمّادة بن أحمد بن امبرح الذي اغتال ابن عمه أعمر بن عميره بن الحبيب، وقد مات فال أيضا في نفس الليلة. وتقول الحسوة إن الحرب بقيت بين بابا بن بكار وأحمد بن امبرح وإبراهيم بن الحبيب.

وبالنسبة للأخيرين فقد انتهى الأمر إلى إلحاق الهزيمة بهم، وذلك جزئيا على الأقل إذ تؤكد الرواية فعلا أن مشظوف قد انكسروا عند غدير قرچوگه؛ ورغم أنهم ظلوا مسيطرين على الحوض إلا أنهم اضطروا لمجاملة أولاد الناصر حتى سيطرتنا على المنطقة.

وعند احتلالنا انيورو كان رئيسا شطري أولاد الناصر هما بكار بن أحمد [بن الحبيب] وعمه سيدي أحمد [بن عثمان بن الحبيب]؛ ولما كانت السلطة الفرنسية مشغولة بتسوية قضية التكارير فلم يُوجّه أي انتباه نحو السكان البداة في العام الأول، ولكن المصاعب بدأت من عام 1892.

ففي نونبر من تلك السنة، وصل نبأ يقول إن أولاد الناصر استولوا على إبل وأغنام من بيضان شمال كينگي، وفي دجنبر قاموا بأخذ قافلة قرب كاساكارى، وقطيع تابع لقرية داوودا كوليه، وسار النقيب سانساريگ Sansarric والملازم اكريتيان Cretient في حملة ضدهم، ولقّناهم درسا قاسيا نتج عنه وصول وفد ناصري إلى انيورو بقيادة سيدي بن سيدي بوبكر أكثر الشيوخ وجاهة بين الطلبة. وجاء بكار ذاته إلى انيورو بناء على دعوة من قائد الدائرة بتاريخ 23 إبريل سنة 1893 مع حاشية مؤلفة من 300 رجل و500 فرس، وكانت هذه أول مرة يقابل فيها الفرنسيين، ووعد بوقف النزاعات مع المختار الشيخ [بن أحمد محمود بن المحيميد] رئيس مشظوف كما وعد بان "يحسن سلوكه"، ولم تكن هنالك حاجة لتوقيع معاهدة؛ وكان لهذا الخضوع صداه الكبير في المنطقة ولكن ديمومته لم تكن طويلة، ففي يناير سنة 1894 أقام بكار مخيماته على طول الحدود إلى الشمال من كاساكارى حتى گونبُ، ولم تلبث القوافل أن توقفت عن القدوم إلينا نتيجة الخوف؛ وفي الوقت نفسه قام أولاد الناصر بالاستيلاء على قطعان أولاد أحمد (أولاد مْبارك)، وبادرت سلطة انيورو إلى منعهم من دخول الأراضي الخاضعة لفرنسا حتى إعادة القطعان إلى أهلها وأساء بكار استقبال حامل الرسالة التي تبلغه ذلك، ولم يجب عليها.

وفي هذا الوقت، جاء أنصار الحزب المعادي، بقيادة سيدي أحمد[بن عثمان بن الحبيب]، الذين كانوا يعيشون في أهل سيدي محمود مع قوافل مضيفيهم بطريقة سرية لشراء الدخن المحظور بيعه، ثم توجهوا إلى كيرانه حيث تصالح رئيسا الحزبين.

غير أن الوحدة الداخلية لم تعد مع ذلك لسابق عهدها فالطلبة كانوا يؤيدون السلام مع فرنسا ولكن المحاربين يرفضونه لأنهم يجدون في الاستيلاء على القوافل وغزو القرى فائدة أكثر؛ وهكذا استولوا في إبريل سنة 1894 على قافلة تابعة لإدوَعلي كانت عائدة من كينياريمه؛ وفي شهر مايه استولوا على بضع قوافل على طريق گونبُ، ثم انطلقوا من جانب النعمة وولاتة ونهبوا دون تمييز كلّ الجيران، كما أنهم تحاربوا فيما بينهم بعدما لم يجدوا أحدا يغزونه.

وفي دجنبر جاء سيدي أحمد[ابن عثمان بن الحبيب] الذي تم اعتراض قافلة هامة تابعة له قرب دائرة مدينة على طريق انيورو طلبا للسلام، وانفصل من جديد عن بكار، وبدأت المفاوضات معه؛ وقد عاد في يناير سنة 1895 مع الرهائن والحصان والجمال المطلوبة كعرابين على صدقه وإخلاصه، وفي 13 فبراير وقّع عقد الخضوع الرسمي التالي الذي نال إجازته النهائية بتصديق الوالي اگرودى Grordet في21 إبريل:

"المادة الأولى إنّ سيدي أحمد [ابن عثمان بن الحبيب] ومعه جماعات أولاد الناصر المحاربين بعد أن سئموا عمليات النهب، وأدركوا أن مصلحتهم هي أن يكونوا على علاقة طيبة مع الفرنسيين الراغبين بشغف في ممارسة التجارة يعاهد باسم الأفخاذ التالية الممثلة اليوم في انيورو كما كانت في 21 يناير الماضي وهي أولاد شبّيشب (ثلثا الفخذ) رئيسهم [سيدي] أحمد [ابن عثمان بن الحبيب] أولاد عبد الكريم رئيسهم صنيه بن صنّيه، أولاد يحيى بن معتوق رئيسهم القاسم بن عبيد الله، أولاد بوبكر رئيسهم محمد بن سيدي الأمين، والبطون التي تتعلق بها وهي [أهل] الشعري، وأهل القنفود رئيسهم بوما، وأهل بوزيد رئيسهم بن گفگف، (يتبعون أولاد يحيى بن معتوق).

المادة الثانية ابتداء من هذا اليوم 13 فبراير سنة 1893 يعترف السكان الذين يشكلون الأفخاذ المذكورة وللأبد بسلطة الحكومة الفرنسية واستبعاد أية سلطة أخرى ويعطون بذلك ميثاقا بلسان سيدي أحمد [بن عثمان بن] الحبيب.

المادة الثالثة يعتزلون أي نهب وأي عنف وأي هجوم ضد قرى الدائرة وقوافل الجولا وغيرها، وضد الأفراد المنعزلين وقوافل البيضان أصدقاء الفرنسيين الذين يتجولون في الدائرة قادمين من الساحل، أو عائدين إليه.

المادة الرابعة يقومون بحماية هذه القوافل بكل الوسائل الممكنة ضد الهجمات التي قد تكون هدفا لها من جانب البيضان المتمردين.

المادة الخامسة يقدمون كل أنواع العون والحماية والنجدة للبعثات والرحالة أو المكتشفين الموفدين من جانب الحكومة الفرنسية، أو المدعوين من قبلها، وعليهم أن يقدموا لهم الأدلاء.

المادة السادسة عندما ترى الحكومة الفرنسية نفسها ملزمة باللجوء لاستخدام السلاح ضد القبائل النهابة؛ ومهما كانت هذه القبائل فإن أولاد الناصر سيكونون جاهزين لتقديم المعونة للقوات الفرنسية بكل الوسائل الممكنة.

المادة السابعة وفي المقابل لا يحق لهم طلب شيء من الحكومة الفرنسية عندما تكون في حالة حرب مع القبائل المعادية.

المادة الثامنة سيدفعون مقدما واعتبارا من اليوم ضريبة سنوية تتألف من حصان أصيل ومئة من الغنم أو حصانين أصيلين.

المادة التاسعة فيما يتعلق بالتجارة في الدائرة يلتزمون بكل الإجراءات المفروضة على القبائل البيضانية التي لها حق التجول الحر فوق الأرض الفرنسية، ويعلنون أنهم يعترفون بهذه الالتزامات بكاملها.

المادة العاشرة يُقسم سيدي أحمد [ابن عثمان بن] الحبيب والوجهاء الممثلون للقبائل المذكورة أعلاه على المصحف بأن يطبقوا بكل أمانة التعهدات التي أخذوها على أنفسهم.

المادة الحادية عشرة تمنحهم الحكومة الفرنسية مقابل هذه التعهدات حقوق التجارة الممنوحة للبيضان الأصدقاء.

المادة الثانية عشرة يتعهدون صراحة بعدم تقديم أية بضاعة أو نجدة للقبائل البيضانية المتمردة.

المادة الثالثة عشرة كضمان لإخلاصهم ورغبتهم في التمسك بتعهداتهم يلتزمون بالشروط التالية التي فرضها قائد الدائرة في انيورو باسم والي السودان الفرنسي

(أ) تسليم قائد الدائرة أربعة وجهاء (واحد عن كل من الأفخاذ الأربعة الواردة أسماؤها في البند الأول) كرهائن.

(ب) دفع القسم الأول من الضريبة السنوية.

(ج) بانتظار عودة أول قافلة كبيرة تُترك مجموعة مؤلفة من عشرين جملا مع ركابها كرهينة، ويحق لقائد الدائرة أن يستعملها حسب رغبته.

(د) الالتزام بأن تنقل القافلة القادمة بين مراكز مدينة والليوانه وانيورو المؤن مجانا للعام 1895.

المادة الرابعة عشرة يفرض قائد الدائرة في انيورو على أفخاذ سيدي أحمد [بن عثمان بن] الّحبيب سوق انيورو دون غيره في الدائرة كمكان للتجارة ويحدد لهم من ناحية أخرى طريق الوصول إلى سوق انيورو، وهو الطريق القادم من الساحل مرورا بتورورو وكوركاديو."

وفي هذا الوقت كان بكار يبحث مع مشظوف إقامة حلف مشترك لكنهم رفضوا، ومن ثم قصد سيدي المختار(6) الذي لم يكن حظه معه أحسن، واستمر في غارته؛ وكان أتباعه المتحالفون مع مشظوف يغيرون على أغنام البيضان المقيمين في بلّه.

وفي شهر يوليه استأنف معاركه مع سيدي أحمد [بن عثمان بن] الحبيب، حيث انكسر وترك أتباعه الذين اختاروا عندئذ رئيسين هما حمادة بن فال وصنبه بن صنيبه اللذين أقبلا طالبين معونة قيادة انيورو التي لم تكن راغبة في التدخل في قضاياهم إلا أنها نصحتهم بالتحالف مع سيدي المختار، بينما كان بكار حليف لحمنات يُغِير في أطراف ولاتة.

وبناء على توجيهات من انيورو قام صنبه وحمّادة باستدراج بكار إلى جهة تَرنـي، حيث كان ينتظره أولاد مْبارك التابعين لعْلي بن المختار، والسونينكة التابعين لداما جواره، والذين كان يوجههم الملازم باسى Basset حيث وقع في الفخ، وخسر 1000 جمل، و100رأس من الضأن، و200 حمار، و50 رأساً من البقر، و20 من الخيل، و400 من الخدم؛ وقد وزعت هذه الغنائم بين المنتصرين، وقام الاقلال ومشظوف وأهل سيدي محمود وأولاد مْبارك ولادم بالقدوم رسميا لتقديم الشكر لقيادة انيورو على هذا الدرس القاسي الذي لقن لبكار.

وقد أدى ذلك إلى خضوعه الفوري تقريبا وكذلك إلى خضوع كنتة وأهل العتيق الذين كانوا معه؛ وقد انسحب أولا إلى الرق إلا أن تعدد خذلان أنصاره حمله إلى الذهاب إلى انيورو في 18 مارس سنة 1896 وتوقيع العقد التالي:

---

(6) ـ هو سيدي المختار بن محمد محمود بن عبد الله بن المرابط سيدي محمود.

"البند الأول يقدم بكار خضوعه ويعترف بالسلطة الفرنسية.

البند الثاني يتعهد بالسماح للقوافل القادمة من كل الاتجاهات بالتجول بكامل حريتها في كل الولايات والتجارة في السودان الفرنسي، ويتعهد بالسماح لها بالعودة لمخيماتها في الساحل دون إزعاج بعد القيام بتجارتها في المنطقة الفرنسية .

البند الثالث تعترف السلطات الفرنسية بثلاثة رؤساء لأولاد الناصر مستقلين تماما عن بعضهم البعض، وهم 1 ـ بكار بن أحمد بن الحبيب، 2 ـ صنبه بن صنّيبه، 3 ـ حمّادة بن محمد بن امبرح.

البند الرابع سيعرض كل خلاف يقع بين بكار والقبائل الأخرى على السلطة الفرنسية التي تقوم بتسويته بطريقة نهائية.

البند الخامس تُفتح أرض السودان لقوافل أولاد الناصر التابعين للرئيس بكار، وستنفذ هذه القوافل إلى الأراضي الفرنسية عن طريق تومباكارا، وفي العودة يكون بمقدورها المرور بنيورو، ويحظر عليها التدخل في قضايا الأفخاذ الناصرية الأخرى، والتي تمر من كيرانه ـ انيورو وگونبُ.

البند السادس لا يعتبر فخذ لحمنات جزءا من أولاد الناصر، وتكون أرض السودان الفرنسي محظورة عليه، كما يتعهد الرئيس بكار بعدم الاعتراض على التدابير الزجرية التي قد نتخذها سواء ضد الفخذ المذكور أو ضد أية قبيلة أخرى.

البند السابع على قوافل أولاد الناصر أن تدفع ما عليها من رسوم العُشر المفروضة على القوافل عادة، وذلك عند دخولها أرض السودان الفرنسي.

البند الثامن سيسمح لقطعان أولاد الناصر بالرعي في الأرض الفرنسية على شرط دفع رسوم الرعي، ولا يمكنها الإقامة إلا فوق الأراضي التي تخصص لها من قيادة المنطقة.

البند التاسع ستتعرض القوافل التي تدخل السودان الفرنسي خلسة دون دفع العُشر، وكذلك القطعان التي تحاول التملص من ضريبة الرعي للمصادرة كليا مع رفض أي تظلم.

البند العاشرعلى أولاد الناصر عند دخولهم الأرض الفرنسية أن يتركوا أسلحتهم في القرى الحدودية، وستودع هذه الأسلحة عند رئيس القرية الذي يختارونه حتى خروجهم.

البند الحادي عشر يتعهد بكار بأن يترك وجيهين يُنتقيان من بين أعضاء أسرته كرهائن في انيورو، وذلك كبرهان على حسن نيته."

وبعد أن أصبحت أفخاذ أولاد الناصر في سلام معنا تفرغت لاستئناف الحرب فيما بينها، فوجد بكار حلفاء لدى لحمنات بينما وجد صنبه وحمّادة حلفاء لدى مشظوف، والمختار الشاهي حلفاء لدى أولاد مْبارك، وراح بكار المنتصر يغير على أولاد مْبارك، وعندما طالبته سلطات انيورو بالعودة للنظام تخلى عن القيادة لأخيه أعمر واعتزل السلطة وأقام لدى مشظوف حيث توفي بعد عدة شهور من ذلك في بداية سنة 1897 في ظرف غامض خلال معركة مع جزء من قبيلته. وجرت محاولات للمصالحة بين أولاد الناصر وأولاد مْبارك قامت بها قيادة انيورو ولكنها لم تفلح؛ واستمرت أعمال النهب في أوجها، وهكذا تم توقيف حمّادة مع خمسة من وجهائه وأودع السجن؛ وقد طارد [الضابط] جبريل گي عصابة منهم كانت تتحرك في منطقة كيرانه فقتل رجلا وأسر آخر أُعدم رميا بالرصاص في انيورو.

وخلال هذه الوقائع مات صنبه[بن صنيبه](7) وانقسمت القبيلة نهائيا إلى جزأين، الأول بقيادة أعمر [بن الحبيب] الذي ظل في مراعيه التقليدية في انيورو، والآخر مع حمادة بن فال الذي استقر في منطقة بلّه، وراح تدريجيا يدخل في مسار مشظوف (نهاية سنة 1897)؛ وقد استمرت المنازعات بين هاتين الفئتين اللتين وجدت أنصارا لدى مشظوف، غير أن أعمر قطع المفاوضات معهم عندما علم بأننا سنعامله كعدو إذا ما ربط علاقات صداقة مع مشظوف (1898).

وقد كانت الفترة ما بين 1898 و1900 مليئة بتطورات مملة عن معارك وتحالفات أولاد الناصر وأولاد مبارك ومشظوف، وأحيانا أهل سيدي محمود وإدوعيش.

وشيئا فشيئا ومع احتلالنا الوطيد للساحل توضح الموقف؛ فعلى أثر إقامة حمّادة [بن فال] ومتمردين ناصريين في مشظوف وتحالفهما معهم كان هذا التجمع الناصري يتخذ موقفا عدائيا منا، في حين كانت مجموعة أعمر المعادية له تقترب منا، وتصبح حليفة لنا بشكل ما.

وقد عمل احتلال ولاتة على تخفيف حدة هذه الخصومة، فعاد الكثير من المتمردين إلى أراضيهم التقليدية؛ ومن ناحية أخرى، ولما كانت الطمأنينة قد عادت نوعا ما إلى الشمال، فقد استطاعت القبيلة أن تستعيد تشكيلها في ظروف ممتازة نهاية سنة 1914، ولكنه بقي بالفعل بعض من أولاد الناصر سواء من العرب أو الطلبة لدى مشظوف؛ ومن المحتمل أن يصروا على العيش في أرض غريبة ولدى أعداء قدامى بدلا من أن يخضعوا لإخوانهم في القبيلة؛ وقد عرف آباؤنا تلك المنافسات بين الفرعين البكر والصغير، وليس لنا الآن أن ننحاز بل ينبغي أن نتحاشى أي ضغط حتى ولو كان معنويا كي نعيد انضمام هؤلاء المتمردين إلى قبيلتهم الأصلية، إذ أن السلم لن يتحقق بشكل كامل بتباعدهم؛ ومن المهم على كل حال أن نحسن استقبال الخيام الراغبة في العودة، وأن نحول دون تعرضها لأية مضايقات.

وقد أصبح أولاد الناصر جميعا خاضعين اليوم، حيث أمكن تسليحهم لمواجهة حملات الغزو القادمة من الجنوب المغربي.

ولكي يمكن تحقيق حماية البدو التابعين لدائرة انيورو بصورة ناجعة، تم اتخاذ تدابير تتمثل في إعطاء أولاد الناصر تحت قيادة زعيمهم أعمر [بن الحبيب] خمسين بندقية من نوع "كرار" مع تكليفهم بتأمين الدفاع عن قطاع عيون العتروس ــ وادي چگراگه؛ في حين سيتصدى لادم المسلحون بدورهم عند الاقتضاء للغزوات التي قد تمر بين عيون العتروس وكيفه؛ وقد عرض رؤساء هاتين القبيلتين خدماتهم طواعية.

---

(7) ــ توفي صنبه بن صنيبه بسبب الجدري سنة 1897 حسب تاريخ ولاتة.

وإذا ما تمكن غزاة الشمال من اجتياز ذلك الخط الدفاعي الأول فسيواجهون أربعة مراكز للقوم يغطي نشاطها كل الخط الشمالي من الدائرة وهي تشمل 115 رجل؛ وتبدو هذه التدابير كافية لوضع البدو والحضر في هذه الدائرة في منجى من محاولات السلب فيما إذا نجحت في التملص من هجانة تشيت وولاتة و"القوم" البيضانيين في انيورو؛ وعند عودة غزاة الشمال أولئك إلى مواطنهم عليهم أيضا أن يجتازوا الحواجز ذاتها، وسيكون حظهم قليلا في النجاة من كل هذه المجموعات التابعة لنا.

وقد كان أولاد الناصر في الماضي يسيطرون على كل شمال دائرة انيورو ابتداء من الرقيبة حتى الحوض، ومن سيد أبوك حتى وادي چگراگه، ولكن طموحاتهم أصبحت اليوم أقل، حيث تحددت إقامتهم في مناطق المسيلة وأجامْره وترمسّه.

2 ـ التوزيع

يضم أولاد الناصر مجموعتين تعيشان أحيانا منفصلتين، وأحيانا أخرى مجتمعتين، وهما العرب والطلبة، فالعرب كلهم تقريبا من أصل ناصري، أما الطلبة فهم إما من أولاد الناصر، أو من خيام من(أصل أجنبي تعيش) في القبيلة منذ بضعة قرون، وتنتسب إليها بالمصاهرة حيث تشكل جزءا منها، وعددهم قليل.

ويضم أولاد الناصر إجمالا مجموعا قدره 1100 خيمة ، فيها 5086 نسمة (1915) وكانوا يعيشون بشكل مبعثر جدا قبل سنة 1914 بين الحوض والرقيبة، وكان للرئيس أعمر حينئذ بضعة خيام تسكن معه من [أولاد] شبيشب؛ وكانت إعادة تكوين القبيلة سنة 1914 عسيرة نوعا ما بسبب معارضة أولاد يحيى بن معتوق؛ أما بالنسبة للطلبة الذين لا يخضعون منذ زمن طويل لنفوذ العرب، فقد كانوا أيضا أكثر عداوة وتمردا على الوضع الجديد، غير أن حكمة ولباقة الرئيس أعمر ودور صالح بن الرشيد أكثر مشائخ القبيلة وجاهة قد عملت على تهدئة الاستياء تقريبا.

أ ـ أولاد الناصر العرب

يضم أولاد الناصر العرب الأفخاذ التالية:

(أ) آفاشيل
(ب) العيسات
(ج) العناترة
(د) أولاد عبد الكريم
(هـ) أولاد يحيى بن معتوق
(و) أولاد سَعيد
(ز) أولاد شْبيشب

(أ) آفاشيل، ينحدرون من أفوشال بن بوخروفة الحفيد الخامس لناصر، ويشملون 140 نسمة، ورئيسهم هو بكار بن أحمد بن هنون.

(ب) العيسات، ينحدرون من عيسى بن ناصر، ويشتملون على 194 نسمة، ورئيسهم هو علي بن محمد.

(ج) العناترة، ينحدرون من بالريش وغراب ابني عنتر، وينقسمون إلى فخذين، البرارشة ورئيسهم هو محمد بن سيدي أحمدات ويتألفون من 182 نسمة؛ والغرابة ورئيسهم هو عابدين بن محمد بن عابدين، ويضمون 203 نسمة.

(د) أولاد عبد الكريم، ينحدرون من عبد الكريم حفيد مْحمد الابن الثاني لمعتوق بن عنتر بن ناصر، ورئيسهم هو فال بن صْنيبه بن بكار، وينقسمون فرعيا إلى:

- أولاد حمات، وهم 109 نسمة، ورئيسهم هو أيضا فال السابق الذكر.
- أولاد مالك، وهم 40 نسمة، ورئيسهم هو علي محمود بن سيرة بن بو امّيس.
- العبابدة، وهم 37 نسمة، ورئيسهم هو عثمان بن مْبارك.
- الخدايع، وهم 150 نسمة، ورئيسهم هو علي فال بن حمادي.

(هـ) أولاد يحيى بن معتوق، ينحدرون من يحيى بن معتوق بن عنتر بن ناصر، وليس لهم رئيس عام، وينقسمون إلى:

- أهل تگدي، وهم 287 نسمة، ورئيسهم هو أعمر بن القاسم بن عبيد الله.
- أهل بوزيد، وهم 164 نسمة، ورئيسهم هو سيدي محمد بن الشيخ.
- أولاد عبد الله، وهم 130 نسمة، ورئيسهم هو سيدي محمد بن حنوشه.
- أولاد حله، وهم 100 نسمة، ورئيسهم هو حمادي بن الشيخ.

ولما كان أولاد يحيى [بن معتوق] أقوياء بعددهم فقد شكلوا دائما نوعا من عصبة منفصلة، وأظهروا نوعا من الاستقلال تجاه مخيم الإمارة في أولاد شْبيشب وأولاد عبد الكريم.

وفي سنة 1898 أغار الفخذ على ماشية العناترة، وخلال المطاردة لحق بهم سيدي أحمد [بن عثمان بن] الحبيب في تگدمت ، وقتل منهم رجالا بينهم ويّوه بن ماونو، وبعد عدة أعوام من ذلك أدى رد فعل أولاد يحيى [بن معتوق] المتحالفين مع مشظوف إلى هزيمة أولاد الناصر.

وخلال إحدى تلك المعارك أصيب بكار في فخذه وسقط من حصانه حيث أجهز عليه محمد بن ماونو ومثل به، وكان ذلك انتقاما لموت أخيه سنة 1898 الذي ذكرناه آنفا.

وكانت سن أحمد نجل الأمير القتيل [بكار] في ذلك الوقت عشرة أعوام، لكنه أقسم بأن يقتل محمد [بن ماونو] الذي التجأ إلى مشظوف، ولم يعد للقبيلة إلا سنة 1913 عندما جعله نجاح الاحتلال الفرنسي يأمل في عودة السلام، غير أن توقعاته كانت عبثا، فوقعت معركة عامة في6 مايه بعين الدرگني.

وقد سقط في الساحة عدد من الوجهاء (8).

(و) أولاد سْعيد، وينتسبون إلى سعيد الابن الثاني لبوخروفة(9) وينقسمون إلى أربعة أفخاذ فرعية هي:

ـ أولاد حرمة الله، وهم 93 نسمة، رئيسهم سيدي بن أحمد بن أعمر.

ـ أولاد حبيب الله، وهم 92 نسمة، رئيسهم حمود بن حمادي بن التومي.

ـ أولاد معتوق، وهم 25 نسمة، رئيسهم الشيخ بن حمادي.

ـ أهل نالله وهم 58 نسمة، رئيسهم سيدي بن محمد.

(ز) أولاد شْبيشب، وهم الفخذ الأميري للقبيلة، ويرتبطون بشْبيشب الابن البكر لبوخروفة (10) الحفيد الخامس لناصر، ورئيسهم العام هو أعمر بن أحمد بن عثمان بن الحبيب رئيس القبيلة، وينقسمون فرعيا إلى أربعة بطون هي:

ـ أهل الشعري، وهم 263 نسمة، رئيسهم أعمر.

ـ أهل شنّوف، وهم 93 نسمة، رئيسهم سيدي بن محمد.

ـ أهل عْلي بوزومه، وهم 71 نسمة، رئيسهم محمد فال بن الشيخ.

ـ أهل العزة، وهم 38 نسمة، رئيسهم محمد فال.

وينبغي أن نلاحظ أن أهل العزة هم الناصريون العرب الوحيدون الذين ليسوا من صميم أولاد الناصر وهم قليلو العدد جدا حيث جاءوا قبل بضعة أجيال، ووجدوا الملجأ لدى رئيس القبيلة، وظلوا يسكنون معها على الدوام.

وهكذا نلاحظ أن القبيلة احتفظت بنقاوتها، وتلك حالة كل القبائل الحسانية، ولكن الأمر هنا أكثر بروزا، ويمنح طابعا أرستقراطيا معترفا به حيث يُعتبر الزواج بالنساء الناصريات من طرف رجال القبائل المجاورة أمرا مشرفا.

وتنتجع القبيلة جميعها في الخريف في أجامره وترمسّه، وفي المنطقة الوسيطة من شمال وشمال شرق انيورو، وصيفاً في المويلح شمال غرب انيورو.

وهم يشربون من الموارد المائية التالية أجامره، عيون العتروس، أم اكريات، عيون المقفى، مكانت، عقلة أم إيمخولن، امبيس، بوزريبة، أغجرت، بوبطحة، فوگس، توروجي، الملحس، مول هبه، عين إبراهيم، ترمسّه، صوانة، تادّرت، عيدي، كدّيمرغي، تيمزين، مد

(8) ـ قام أحمد بن بكار بقتل محمد بن ماونو عندما مرّ به راكبا جمله ومعه ابن عمه علي غنوة، وقام هذا الأخير بقتل أحمد بن بكار في الحال.

(9) ـ بل لبوخروفة بن مسعود.

(10) ـ بل هو بن عيسى بن بوخوفة.

الله، العوينات، البْييه، مْقيرينة، العين الدخنه، تاعوو، بد الكحال، صيره، أم ازنين، قْريجـــه، چگرايه، گادل، تدنيت، معيليمه، عين الزامل، مطيريحة؛ وعندمـــا يكونـــون فـــي المنطقـــة الوسيطة بين أجامره وترمسّه، يشربون من مياه النخيله، زولر، المبيركـــه وترنّـــي. وفـــي منطقة المويلح يشربون من مياه ترگيگه، حاسي هـــبره، الغيلاســـيه، بوكنـــدوز، بوبتييـــه، التمرفيقة، إچكان، حاسي بناهي، وتنگميو.

ولبعض الأفخاذ فضلا عن ذلك موارد ماء خاصة بها؛ فللعناترة وأولاد عبد الكريـــم وأولاد [يحيى بن] معتوق كوبنّي في فصل الخريف، وكامينا وســـينوالي فـــي كينگي ــ چواره فـــي الفصل الجاف؛ ولأهل [يحيى بن] معتوق وأولاد سْعيد وأولاد شْبيشب مورد تندو گ ي، بوتنّي واره، بوكامي، گونكل، وأخيرا لأولاد شْبيشب على الخصوص طلي والطرطيگه إلى الجنـــوب من ترنّي.

وأخيرا نراهم في كثير من الأحيان مجتمعين في شكل مخيمات في مختلف مراعي المسيلة؛ وليس لأولاد الناصر ــ ككل حسان ــ ميسم محدد يضعونه على الماشية.

ب ــ طلبة أولاد الناصر

يضم طلبة أولاد الناصر الذين أصولهم ناصرية:

(أ) ــ أهل عبد الوهاب.

(ب) ــ أهل أعمر بيُّ.

(ج) ــ أهل محمد بن أعمر طالب.

(د) ــ أهل بوبكر بن أعمر طالب.

(هـ) ــ أهل الهادي.

(و) ــ أهل العتيق.

(ز) ــ أهل جغدان.

(ح) ــ أهل محمد الصغير.

أما الذين أصولهم أجنبية وأصبحوا جزأ من القبيلة فهم:

(ط) ــ أهل النافع

(ي) ــ أهل الجدي.(11)

(أ) يضم أهل عبد الوهاب 292 نسمة، وينحدرون من عيسى بن ناصر، وهذا مثلا نسب رئيسهم صالح بن الرشيد بن صالح بن عبد الوهاب(12) بن أحمد بن الحاج عبد الوهاب بن عبد الله بن أعمر بن عيسى بن ناصر.

(ب) أهل أعمر بيُّ، لهم نفس الأصل الذي للفخذ آنف الذكر، وهم ينحدرون من أحمد بن

---

(11) ــ ليس صحيحا أن هاتين العائلتين من غير صميم أولاد الناصر.

(12) ــ محمد صالح بن عبد الوهاب (ت 1271هـ/1854م) مؤرخ ونسابة ورحالة زار معظـــم بـــلاد البيضان وأحد أكبر العلماء في زمنه، له عدة مؤلفات في مختلف العلوم، منها الحســـوة البيســـانية فـــي الأنساب الحسانية.

الحاج عبد الوهاب، عن طريق ولده الثاني الخديع، ومنه جاء اسم الخدايع الذي يطلق أحيانا على هذا الفخذ، وكذلك على أهل محمد الصغير الذين لهم الأصل ذاته، ويضمون 211 نسمة، ورئيسهم هو الحسن بن علّي صافي.

(ج) أهل محمد بن أعمر طالب، ويرتبطون بعيسى بن ناصر، ويضمون مخيمين مستقلين، الأول يتألف من 272 نسمة، ويقوده سيدي أحمد بن سيدي أحمد بن سيدي بوبكر، والثاني يضم 628 نسمة، ويقوده ابن أخيه سيدي بونا [بن سيدي] وهو من الذين أبدوا معارضة حادة لإعادة تكوين القبيلة في عام 1914.

(د) أهل بوبكر بن أعمر طالب، ولهم الأصل ذاته الذي رأيناه للأفخاذ السابقة، ويضمون 275 نسمة.

(هـ) أهل الهادي، ويرتبطون بشْبيشب؛ وهذا مثلا نسب الرئيس محمد بن ابّوه بن شْبيشب بن علي هادي بن إبراهيم بن شْبيشب، ويضمون 162 نسمة.

(ز) أهل العتيق، وهم في معظمهم يرتبطون ببالريش بن عنتر بن ناصر، ولكن توجد أيضا بينهم بعض خيام من أولاد سْعيد والعناترة و[أولاد] شْبيشب، ورئيس الفخذ هو الحبيب بن حسّان بن الطالب العتيق بن سيدي محمد الحنبلي، وهو ليس من أصل ناصري، فجده الطالب العتيق ينتسب إلى تشمشه (إداشفاغه)، وجاء إلى القبيلة في بداية القرن التاسع عشر حيث جلب له علمه وفضله محبة وإعجاب الكثيرين كما زوجه أحد رجال أولاد الناصر وهو الشيخ أحمد ابنته؛ وقد تشكل حوله مخيم مؤلف من أصول مختلفة يشكل الآن وحدة مستقلة؛ والحبيب رجل مسن، وهو رئيس محترم ومحبوب ومصلح؛ وقد صحب بكار أثناء أول زيارة له إلى خاي، وعمل على تسهيل التواصل معنا، ويضم الفخذ 286 نسمة.

(ح) أهل جغدان، هم من أولاد يحيى بن معتوق، ورئيسهم هو خوياتي بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن علي بن الحاج بن جغدان بن مالك بن الشين بن يحيى، وعددهم 255 نسمة.

(ط) أهل محمد الصغير، وينتسبون إلى خْديع السالف الذكر، ورئيسهم هو بابا بن الحسن بن علّي محمود بن محمد الصغير بن المحجوب بن خديع، وعددهم 199 نسمة.

(ي) أهل نافع، ويشكلون مخيما صغيرا مؤلفا من 23 نسمة، ورئيسهم هو إبراهيم بن نافع بن عْبيدي الذي هو أول من جاء إلى هنا وتجنس ناصريا وأصله من المحيردات (لادم).

(ك) أهل الجّدي، وهم ليسوا من أصل ناصري، فهم أولاد سْعيد ـ أولاد حبيب الله، ورئيسهم هو حمون بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الجدي الذي هو أول من تاب منهم، وعددهم 26 نسمة.

ويرتحل طلبة أولاد الناصر في فصل الأمطار حول أگجرت وصوانـــة وبويطحـــه، وفـــي الفصل الجاف حول صوانة والنخيلة والحس، ويهبط أهل العتيق من جهة أخرى خلال الفصل الجاف حتى آبار أمّات التّـيكّاتن إلى الشمال من منطقة كينگي ــ چواره.

والرئيس العام لأولاد الناصر هو أعمر بن الحبيب، وقد ولد حوالي 1860، واشترك في كل المعارك التي خاضها أولاد الناصر ضد مشظوف، وكذلك ضد قبيلتي إدوعيش وأهل ســـيدي محمود، وقد أصيب بجروح في عدة معارك، وهو معروف بالجرأة والإقدام، وقد خلف ســـنة 1896 أخاه أعمر (13)، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت له علاقات طيبة معنا. وعلى أثر حصـــار تجگجه سنة 1906 رفض نكاية بمشظوف الذهاب في الصّـــربه [الوفـد] المرسـلة إلـــى الشريف، وقد أجاب حرفيا محمد المختار [بن الحامد] رئيس كنتة تگانت (14) الـذي أراد أن يختبره نيابة عن [الشريف] مولاي إدريس "لقد أعطيت عهدا للفرنسيين ولن أخونهم، كما لن أخـون مولاي إدريس فيما لو كنت أعطيته العهد نفسه."

وأولاد أعمر هم: الشيخ أحمد وقد ولد حوالي 1897، وهو شاب ذكي ومنفتح، وعثـمان وقد ولد في سنة 1904، وسيدي محمد المولود في سنة 1910. ولديه ــ إضافة إلى ذلـــك ــ بضع بنات دون سن البلوغ، ولكنهن وذلك طبقا للعادة الناصرية لن يتزوجن إلا مـــن أبنـــاء عمومتهن من [أولاد] شبيشب أو من طلبة أولاد الناصر أو من زعماء عـــرب مـــن قبـــائل أخرى. ولأعمر ثلاثة إخوة أصغر منه وهم عثمان المقتول خطأ في رحلة صيد ســـنة 1897، وكان زعيما حربيا له مكانته العالية، وسيدي أحمد، المولود حوالي 1884، ومحمد، المولـــود سنة 1887.

ولا يمكننا الفراغ من دراسة تفرع أولاد الناصر دون أن نقول كلمة عن تجمع صغير فـــي حالة تمرد لدى مشظوف يبلغ تعداده 40 خيمة، وينتسب أفراده إلى فخذين هما أهـــل أعمـــر وأهل أحمد بن أحمد بن امبرح، وهم يعيشون حول منطقة كصنباره فـــي حالـــة بـــؤس، ولا يملكون أكثر من بضعة قطعان صغيرة من الأغنام.

---

(13) ــ بل أخاه بكار.

(14) ــ هو محمد المختار [خويا] بن الحامد بن امّينوه (1845 ــ 1915) زعيم سياسي لكنتـــة تگانت وشيخ صوفي، كان أحد القادة البارزين في مقاومة الاستعمار، أراد قائد حملة الاحتلال الفرنسي كـوبولانـي Xavier Copolani تنصيبه أميرا لتگانت، غير أنه رفض، رغم تظاهره بقبول التعاون مع الفرنســـيين الذين سلموه العديد من الأسلحة، ليكون ظهيرا لهم، لكنه كان على صلة بأقطاب المقاومة، كما كـــان أحـــد المساهمين البارزين في الانتصار في معركة النيملان (14 أكتوبر 1906)، ثم شارك فـــي معركـــة تجگجه (14 نونبر 1906)، هاجر إلى المغرب مع مجموعة من أنصاره، بعد تدمير الرشيد سنة 1908، حج إلـــى بيت الله الحرام، وتوفي عند أم البرك على طريق مكة ــ المدينة القديم. انظر كنتة الشرقيون مرجع سابق.

وترتحل بضعة خيام منهم ولا سيما أهل موسى في حلّة عْلي محمود ورئيسهم هو الطيب بن سيدي عثمان بن الديْ؛ ويطالب أولاد الناصر في انيورو بإلحاح بعودة هؤلاء المنشقين إلى الحظيرة، وكان رئيسهم العام حمّادة بن فال، وبعد وفاته سنة 1913 حل محله ابنه فال.

3 ـ الحياة الدينية

يمارس أولاد الناصر الدين كباقي عمومتهم حسان، وترتعد خوفا منهم فرائص الزوايا أو كانت كلما شاهدوهم في الأفق.

وعلى كل فإن الحياة الدينية تظل حيوية فيهم من طرف مجموعة من أفخاذ ذات أصول متعددة نذرت أنفسها للتدين وهي التي يطلق عليها اسم طلبة أولاد الناصر(15).

ونصادف في هذه الأفخاذ العديد من الشخصيات الدينية اللامعة من أمثال صالح بن الرشيد بن عبد الوهاب المولود حوالي 1868 رئيس الفخذ. وقد قام بدراساته محليا، ثم ذهب لتكميلها في الحوض، ولا سيما لدى كنتة، وهو أكثر المشائخ البيضان تعليما ونفوذا في الساحل الغربي، وتأثيره على القبائل المحاربة والزاوية معترف به، ويمتد نفوذه لما وراء الدائرة أي في الرقيبة وأفلّه (كيفه) وكذلك في الحوض ولا سيما في حلة عْلي محمود؛ وزوجة صالح هي من أولاد يحيى بن معتوق؛ وهو قادري مقدم من قبل الشيخ بن عابدين رئيس أهل الشيخ (كنتة) في النعمة.

وقد عاش صالح دائما في معزل نوعا ما، وتعاون بكثير من النزاهة لإعادة تكوين القبيلة سنة 1914، وبذلك استطاع أن يكتسب الاحترام؛ وهو رجل ذكي مثقف وجذاب، وباعتباره قاضيا رسميا وشبه رسمي فهو يتمتع بنفوذ كبير على هؤلاء البدو المحاربين؛ وهناك الكثير من الغرباء الذين يقصدونه للحصول على أحكام وفتاوى، وخيمته عبارة عن زاوية بدوية صغيرة، حيث يقوم ثلاثون شابا فيها بإكمال تحصيلهم من التعليم العالي، ويقوم محمد بن الحسن بن محمد أحمد التنواجيوي (كيفه) إلى جانبه بالإشراف على المدرسة الخاصة بالمرحلة الأولى، وتحوي مكتبته مئة مجلد؛ وهو كسائر الزوايا يمارس الرقيا، ويتلقى العديد من الهدايا. وبعده ينبغي أن نذكر ابن عمه ومريده الخليفة بن صالح الذي توفي في سنة 1916، والذي كان يتمتع أيضا ببعض التقدير.

وهناك أيضا سيدي أحمد بن سيدي محمود بن صالح المولود حوالي 1865، وينتسب إلى أهل سيدي أعمر، ومعظمهم يسكن مع علي محمود؛ ويعيش سيدي أحمد مع أهل تگدي (أولاد يحيى بن معتوق) وهو طالبهم الرسمي وقاضيهم، ومدرسته مقصودة نوعا ما حتى من أبناء أولاد الناصر العرب، وهو مقدم قادري تلقى إجازته من والده الذي هو تلميذ لكنتة الحوض،

(15) ــ قد يُـتوهم من هذا القول أن طلبة أولاد الناصر هم غرباء عليهم، والصحيح أنهم من صميمهم.

وكذلك عن سيدي محمود بن أعمر طالب الذي ينتسب إلى السلسلة التالية محمد بـــن علـــي (من أولاد سيدي بن داوُود) عن [سيدي] عبد الله بن الحاج إبراهيم (16) من إدوَعلي تجگجه عن [العالم] الشهير المختار بن بونا [الجكني] (17) إلى محمد البناني شيخ فاس (18).

كما ينبغي أن نذكر ابُّ بن عبد الوهاب بن محمد الهادي المولود حوالي 1874، وقد ظـــل مدة أربع أو خمس سنوات قاضيا وطالبا رسميا لشرفاء أسكره (أهل مـــولاي الزيـــن) فـــي الليوانه، ثم اختلف مع رئيسهم وعاد إلى تجمعه [أهل] عبد الوهاب، وهو مريد صـــالح بـــن الرشيد ويسير على خطاه، ويبدو أنه سيخلفه، وهو رجل على درجة عالية من التعليم، ويملك مكتبة بديعة.

ومحمد المختار بن محمد الرقاق من أهل أعـــمر طالب، وهو قاضي وإمام فخذه، وقد ولـد حوالي 1845، ويدير مدرسة تضم خمسة عشر تلميذا.

ومحمد بن سيدي المختار من أهل بوبكر، وقد ولد حوالي 1850، وهو إمام وطالب فخـذه، ويرتبط بقادرية [أهل] زهو العين (إدوبلال الحوض). وعلي محمود بن سيدي من أهل محمـد الصغير المولود حوالي 1888، وهو إمام ومعلم مدرسة فخذه، وهو رجل متعلم يتمتع بتقدير، ويعد من تلامذة صالح بن الرشيد النجباء. ومحمد محمود بن عبد الله من أهل الجّدي المولود حوالي 1860، وهو مريد قادري لوالده، وله قدر من النفوذ على رئيس أولاد الـــناصر أعمـــر بن الحبيب الذي يلازمه بالدعاء، وكان في الماضي إمام أولاد يحيـــى بـــن معتـــوق ومعلّـــم مدرستهم.

وكل هذه الشخصيات كما رأينا قادرية، لأن طلبة أولاد الناصر ينتسبون إلى القادرية، غير أنه يوجد بينهم مع ذلك بعض التيجانية، وأهمهم محمد الأمين بن سيدي بـــن أعمـــر إمـــام وقاضي العناترة، وهو عالم ذو شهرة ومقدم تيجاني للشريف [الشيخ] حماه الله، ويابـــا بـــن

---

(16) ـــ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي عالم كبير يعتبر مجددا في عصره (1152ـــ 1233هـــ /1739 ـــ 1818م) حج إلى بيت الله الحرام ولقي العديد من العلماء الذين أخذ عنهم وأخذوا عنـــه، تـــرك مؤلفات كثيرة منها نشر البنود ومراقي السعود في الأصول.

(17) ـــ هو المختار بن بونا الجكني (1080 ـــ 1220هـــ/1669 ـــ 1805م) كان بحر علوم، اشـــتهر خصوصا بالسبق في النحو، كانت مدرسته أشهر مثيلاتها في العقيدة والنحو، من أشهر مؤلفاته احمـــرار الألفية، والوسيلة في العقيدة، ترجم له العديد من المؤلفين، منهم الخليل النحوي في بلاد شنقيط.. المنـــارة والرباط ، مرجع سابق.

(18) ـــ هو أبو عبد الله محمد بن الحسن البناني الفقيه المعروف الذي قرأ عليه في فاس العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، كما أخذ هو عنه، وقد توفي سنة 1194هـــ ـــ 1780م.

الحسن رئيس فخذ أهل محمد الصغير ولديه مكتبة جيدة، وينتسب لمدرسة تجكانت بتگانت، ومحمد الأمين بن علي بن صالح من أهل عبد الوهاب المولود حوالي 1890 وهو رجل ذكي ومتعلم وجذاب، وهو مريد الشيخ مْحمدي [بن سيدي عثمان] الولاتي الذي درس عنده مدة ثمانية أعوام.

ولدى أولاد الناصر بعض الاحترام لأضرحة كل من سيدي الحسين بن سيدي محمود قرب تگبه وسيدي الزويكر بن سيدي في مكانت وسيدي جغدان وسيدي عبد الرحمن في أفله(19).

(19) ـــ هو عبد الرحمن بن الحاج مولود الذي يقال إنه من تلاميذ الشيخ سيدي المختار الكنتي، حيث يُحكى أن الشيخ سيديا مرّ به في إيابه من أزواد إلى موطنه، بعدما ذكره له الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار؛ ومكانُه معروف اليوم باجْوْج.

شجرة أولاد الناصر ناصر بن مغفر						
عيسى جد العيسات						عنتر
مسعود	بالريش جد البرارشة	فنجار جد الفناجير	معتوق	كمر جد الكمامرة	غراب جد الغرابة	خسين جد أولاد اهنبت
بو خروفه	أعمر جد أهل توگله	يحيى جد أولاد يحيى بن معتوق		أحمد، جد أهل تگدي	محمد، جد أولاد عبد الكريم	
عيسى						
						مالك
						حمات
إبراهيم	أعمر	شبيشب	لهم خمسة إخوة			محمد
						صنيبه
		الشعري				المختار
		علي				إبراهيم
		موسى				صنبه
		أعمر				بكار
		بكار				صنبه ت1897

أدخلنا تصحيحاً على هذه الشجرة بحيث تلائم رواية الحسوة والرواية الشفهية.

ذرية محمد (1) بن بكار بن أعمر

إبراهيم فال (2)	أعمر(آغراج)		أحمد (بن امبيرح) (3)			الحبيب (4)
محمّادة ت. 1897	فال	بكار				
			عثمان(5)	محمدصالح	إبراهيم	أعمر
فال		بابا				
						غميره
						أعمر
أحمـــد (6) ت1888					سيدي أحمد (7) ت 1900	
بكار (8) ت1897					أعمر (9) ت 1924	
عثمان (10) ت 1971 له		محمد المختار أول بيضاني تخرج من مدرسة تكوين المعلمين	الشيخ أحمد (10) لثلاث سنوات ثم أبعد إلى النيجر ومات فيها		سيدنا	وغيرهم
محمد المختار ت 1990 له ذرية			بكار، لم يعقب		منبينه ت. بن شيخنا	1958 أم اباه بن محمدلقظف

أدخلنا تصحيحاً على هذه الشجرة بحيث تلائم رواية الحسوة والرواية الشفهية.

الفصل الثالث عشر:لادم

1 ـ لمحـــة تاريخيــة

تعتبر قبيلة لادَم أكثر القبائل الصنهاجية قدما في الصحراء الجنوبية، حتى أنهم بدلا من أن يكونوا قبيلة كانوا أول طبقة صنهاجية انتشرت من [المحيط] الأطلسي حتى خط طول گاوو، وهم ينتسبون دون ريب لاتحادية لمطة، وهذا فعلا ما يصرحون هم به؛ ونجد منهم اليوم بقايا مبعثرة في تلك المنطقة الشاسعة الممتدة على مسافة 3000 كم؛ فنجـد لادم في معظم قبائل موريتانيا سواء كانوا مندمجين على شكل أفخاذ صغيرة تحمل هـذا الاسم، أو منصهرين على شكل خيام منعزلة في سواد القبيلة؛ وهم موجودون في كثـير من قبائل الساحل والحوض (مشظوف وأولاد محمد[يا حمد] .. الخ)، وهناك البعض منهم لدى كنتة والبرابيش إلى الشمال من تنبكتو، وإگلاد (أو العرب الطـوارق) في المنطقة النهرية، ولدى طوارق عقفة النيجر، وفي گاوو؛ كما يعتقد أنهم يوجدون في بعض قبائل إفلان، وأخيرا هناك عدد منهم في دائرة انيورو؛ وبين كل لادم المبعثرين أو المنصهرين، هناك قبيلـة صغـيرة تنبعث اليوم إلى الوجود، وتتشكل من جديد، بفضل جهودها ؛ وقد بدأت تجـذب المخيمـات الصغيرة المنتمية إلى الأصل ذاته والمتفرقة في كل مكان، وربما ستتمكن من تكويـن نـواة لقبيلة لادم الكبرى، التي كانت مزدهرة وناجحة يوما ما. وقد كانت قبيلة لادم انيورو متحالفة مع أولاد الناصر؛ ويقول لادم إن أصولهم تعود إلى تگانت، وهم ينحدرون من ثلاثة رجـال: جوال والمحيرد والنعاج، وهم أجداد منحوا أسماءهم لثلاثة أفخاذ هي الجواولة والمحـيردات والنعاج؛ وكان لهؤلاء الرجـال الثلاثة ــ دون أن يكونوا إخوة ــ نفس الأصـل، لانتمائـهم لجد بعيد واحد، هو مظان بن لادم؛ وقد تكون هذه الرواية محل نقـاش، وإن كـانت تُـروى باهتمام بالغ. وقد جاء لادم إلى انيورو من تگانت في نهاية القرن الثامن عشر، وفي طريقهم استقروا في الرقيبة و أجَامْره والمسيلة، وتعود إلى ذلك التاريخ روابطهم بأولاد الناصر.

ويروي تاريخ ولاتة لسنتي 1836 ــ 1837 أنهم تحاربوا مع أولاد علوش في وادي ولاتة؛ وعلى أثر استقرار التكارير في منطقة انيورو عقدوا معهم حلفا، وساروا بالتـالي فـي كـل حملات شيخُ أحمدُ، والمنتقى [ابني الحاج عمر الفوتي] وبعد سـقوط انيـورو فـي أيـدي الفرنسيين، قدموا خضوعهم حيث برهنوا على ولاء مطلق وعلى الخصوص رفضوا قطعيـا الاستجابة لدعوات مولاي إدريس سنة 1906. (1).

وقد ظلت قبيلة لادم خلال السنـوات الأخيرة مبعثرة على شكل مجموعات صغيرة مستقلة، ووقع في سنة 1907 حادث داخلي أكمل التفتت؛ ففي ذلك التاريخ وقع خلاف حـاد حـول

(1) انظر عنه الحاشية رقم 16 في المدخل.

تركة أحد رجال المحيردات ، بين رئيس القبيلة محمد محمود [بن عبد الله] ورئيس المحيردات سيدي بن محمد مْبارك ؛ وكان مع الأخير ــ إضافة إلى فخذه الخاص الذي يكاد يعادل أهمية الجواولة وهو فخذ رئيس القبيلة ــ أهل أحمد سلوم من الجواولة، وأهل دُوسُو من النعاج فخذ القبيلة الثالث، ولم يلبث الخلاف أن استفحل، فهاجم [محمد] محمود المدعوم من 200 محارب من أولاد الناصر خصومه عند غديرقمنگات . ومنذ ذلك الوقت أصبح الانفصال كاملا، وانسحب محمد محمود الذي لحقت به أفخاذه الوفية له باتجاه الرقيبه (كيفه) وبعد بضعة أعوام من ذلك عاد إلى ظهير دائرة انيورو، ولكنه استقر في الجزء الغربي من "جل محل"، في حين ظل المحيردات وأهل أحمد سلوم وأهل دُوسُو في الشرق؛ واستمر الوضع على هذا المنوال حتى نهاية عام 1914، وهو التاريخ الذي أدت فيه سياسة الحاكم ديسيمه الماهرة إلى تصالح عام؛ وبعد استعادة تكوين القبيلة، وُضعت قيادتها من جديد بيد محمد محمود بن عبد الله، وظل سلوك سيدي [بن محمد مْبارك] رئيس المحيردات صحيحا مهما كانت عواطفه الداخلية.

ومحمد محمود المولود حوالي 1870 هو بن محمد بن محمد محمود بن مْحمد بن عبد الله بن علي بن عميرات بن تاشا بن بالخير بن حميمه بن جوال حفيد مظان بن لادم (2) وهو رجل وسيم ذكي منفتح ومحبوب، وقد كانت قضية قمنگات درسا سليم العاقبة له، وقد استرد سلطته اليوم على مجمل القبيلة بفضل رزانته وكرمه تجاه أتباعه.

2 ـــ التوزيع

يضم لادم انيورو مجموعا قدره 2726 نسمة (إحصاء سنة 1916) ويتوزعون إلى ثلاثة أفخاذ هي (أ) ـــ الجواولة، (ب) ـــ المحيردات، (ج) ـــ النعاج.

(أ) الجواولة، رئيسهم هو رئيس القبيلة العام، ويشتملون على ستة بطون ترتبط بأبناء جوال الستة، وهم اهمينه، اغجيت، هبّاز، أحمد سلوم، المش، وتگدي؛ والبطون الستة هي:

ـــ أهل عبد الله وهو فخذ الرئاسة، ورئيسهم هو محمد محمود [بن عبد الله] وهم 417 نسمة.

ـــ أغجيت، الرئيس هو الأمين بن مْبارك بن علي گانب.. بن اغجيت، وهم 95 نسمة.

ـــ أهل الشريف، الرئيس هو سيدي أحمد بن الشريف بن هباز بن جوال وهم 199 نسمة.

ـــ أهل أحمد سلوم، الرئيس هو علي بن محمد محمود .. بن أحمد سلوم بن جوال، وهم 305 نسمة.

---

(2) المعروف أن عائلة أهل عبد الله بن علي هي من أولاد دليم.

ـ أهل المش، ويتوزعون على مخيمين أهل أحمد بن المش وهم 225 نسمة، ورئيس الفخذ هو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن محمد (الملقب المش) بن جوال؛ وأهل الطيب بن المش وهم 72 نسمة، ورئيسهم هو إبراهيم السالف الذكر.

ـ أولاد تگدي، ورئيسهم هو إبراهيم بن عاشور بن محمد بن مُعيلم بن بالرقابي بن تگدي ابن جوال.

(ب) المحيردات، وليست لهم بطون رغم كثرة عددهم، حيث يبلغون 711 نسمة، ورئيسهم هو سيدي بن محمد مُبارك بن عمر بن محمود بن المحيرد الجد الأعلى المنحدر من مظان بن لادم.

(ج) النعاج، ويشتملون على بطنين، هما أهل دُوسو وعددهم 306 نسمة، ورئيسهم هو محمد المختار بن محمد بن علي بن دوسو بن النعاج، الجد الأعلى للفخذ، وهو من ذرية مظان بن لادم؛ ودوسو هو اسم امرأة زنجية ربت ابن النعاج بعد موت أمه حيث احتفظ الولد باللقب. وأهل اسيوده وهم 170 نسمة، ورئيسهم هو حمودي بن إبراهيم بن عبد الله بن اسيوده بن محمد بن عبد الله بن الدحال بن النعاج.

3 ـ الحياة الدينية

للادم شخصيات دينية تستحق التنويه وهي:

ـ محمد محمود بن محمد بن أحمد بن الولي المولود حوالي 1855، ويعود من حيث الأصل لأهل سيدي محمود، ونتيجة زيجاته مع نسوة من الجواولة تجنس فيهم، وهو إمام وقاضي الفرع الأول، وهو أهم شخصية دينية في القبيلة، ويمارس بعض النفوذ على رئيسها محمد محمود [ابن عبد الله] كما يقوم في بعض الأوقات بإلقاء بعض الدروس القصيرة في التعليم العالي يواظب عليها بعض التلاميذ، ومنهم البعض القادم من أهل سيدي محمود، وهذا الشيخ تيجاني ينتمي للشريف [الشيخ] حماه الله.

ـ سيدي المختار وهو من تجكانت تگانت، وقد ولد حوالي 1860، وبعد أن درّس بعض الوقت في الفخذ الأول عاد لموطنه.

ـ همّي بن محمد التنواجيوي (انيورو) ومدرسته قائمة حاليا في الفخذ الأول، وتضم ما بين 5 إلى 6 تلاميذ.

ولدى الفخذ الثاني المحيردات، المدرسة الثانية التي يشرف عليها الشيخ بن السالك بن بوديّه القوانيني، وهو الإمام والطالب الرسمي، ويقول إنه ينتمي لتيجانية الشريف [الشيخ] حماه الله. أما الفخذ الثالث: النعاج، فليست لديهم الآن مدرسة، وكان محمد صنبه القلاوي يعلم فيهم القرءان. وكما نرى، فإن لادم يتجهون للخضوع لنفوذ الشريف [الشيخ] حماه الله،

ومن المؤكد أن هذا المرابط كبير الصيت يعمل بقوة بواسطة دعاته، لنشر طريقتـــه ونشـــر الإسلام الصحيح.

ويقصد لادم للزيارة ضريح شيخهم الروحي الشيخ سيدي محمـــد [الشـــريف التيجـــاني] المتوفى حوالي 1907، وهذا الضريح الواقع بجوار انيورو هو عبارة عن أگادير بسيط [حائط مربع من الحجارة].

هذا ويطوف أحيانا عدد من رجال إدوالحاج (أهل سيدي محمود) من كيفـــه بأحيـــاء لادم، لجباية الزكاة.

الخـــاتمـــــــة

لا يرمي هذا المؤلف لأكثر من عرض الدراسة الوثائقية لقبائل الحوض والســاحل، ويبدو أن الهدف قد تم إدراكه، وكخاتمة ونظرا للعديد من الموضوعات التي لا تزال تتطلب المعالجة وتتطلب مؤلفا جديدا يبدو مستحيلا عليّ ألا أقول كلمة عن بعض تلك الموضوعات وخاصـــة منها الأكثر أهمية، وأعني بها الضريبة المفروضة على البيضان ومكافأة الرؤساء وتربيـــة الإبل والتنظيم الإداري والتوجيهات السياسية.

ففي الماضي كان البيضان يخضعون لضرائب مختلفة هي العُـشر وضريبة الرعي وبطاقة التجول .. الخ، أما اليوم فهم يخضعون للزكاة فقط.

وقد فرضت ضريبة العُشر على يد [العقيد] أرشينار بتاريخ 20 يناير سنة 1891 على أثـــر الاستيلاء على انيورو وهو مكس بنسبة 10% على كل البضائع المستوردة بواسطة القوافــل عبر تخوم الساحل الشمالية.

وابتداء من سنة 1891 أصبحت حدودنا تتراجع يوما بعد يوم حتى تخوم الصحراء، ولـــم تعد ضريبة العُشر نافذة المفعول إلا على الملح المستورد من تاودنّي ومن سبخة الجل.

وحق الرعي كان رسما ثابتا على قطعان الشـــمال التي تأتي لترعى في الأراضي الساحلية، وهو 1/40 على الماعز والضأن، و1/60 على الأبقار والحمير والخيل، و1/100 على الإبـــل، وكان ثمن الحمار يقدر بثلاثين فرنكا، والحصان بـــ200 فرنك، والجـــمل بـــ75 فرنكا، والشاة بين 2 إلى 5 فرنكات حسب قيمة التسعيرة الأسبوعية، وهذا المقياس لم يكن صالحا للتطبيـق على حيوانات النقل التي تأتي لترعى بضعة أيام، وتُترك لتستريح قبــل أن تســتأنف رحلـــة العودة.

وكانت جباية هذه الضريبة عسيرة جدا، ومصدرا لأكثر عمليات الغش تنوعا، والتـــي مـــا تزال مستمرة بشكل عجيب. فالسكان الرحل يتركون قسماً من ماشيتهم في القرى خلال كـــل الفصل الجاف حيث يقوم سكان تلك القرى بالتستر عليها مقابل الحصول على مؤونتهم مـــن الحليب والزبدة؛ وفي الخريف يعيد السكان الحضر للبيضان البدو ماشيتهم لإبعادها حتـــى لا تتلف مزارعهم، وهكذا تتم اللعبة؛ كما أنهم يلجؤون أيضا إلى التستر على البـــدو الآخريـــن حيث لا يلاحظ ممثل الإدارة سوى مخيمات قليلة لها قطعان توازي عددها.

وقد تم إلغاء رسم الرعي الوقت ذاته في 31 دجنبر 1917، بموجب قرار من الوالي العـــام، والزكاة ضريبة واردة في القرآن، إضافة إلى أنها موضوعة على الدخل، وتجـبـــــى فـــي بعض الدوائر ومعممة في كل أراضي الساحل التي يسكنها البيضان والطوارق الرحل، ولذلـك يتم في كل عام إحصاء شامل للمواشي؛ فالإبل تخضع لرسم مقداره (1ر5) فرنـــك للـــرأس، والأبقار والحمير لـــ(1) فرنك، والخيول لـــ(0ر5) فرنك، والأغنام لـــ(0ر1) فرنك.

وقبل زمن قصير كان البيضان لا يزالون خاضعين، مثل كل أبناء إفريقيا الغربية، لنظام بطاقة التجول التي يتم الحصول عليها مقابل رسم مقداره (0ر25) فرنك للتجول داخل الدائرة و(1) فرنك للتجول داخل مستعمرة السودان، و(1ر5) فرنك لكل تنقل خارج هذا النطاق، وقد أُلغي نظام بطاقات التجول، بموجب قرار من الوالي العام بعد اجتماع للحكومة بتاريخ 31 دجنبر سنة 1917.

وفي التاريخ نفسه جرى إلغاء رسم التجول على الماشية المعدّة للتصدير، وهو رسم حديث، وكان يشكل ضريبة جمركية داخلية تخضع لها الماشية المصدرة من المستعمرة، وكان تطبيقه غاية في الصعوبة.

أما المداراة لدى قبائل الحوض والساحل فتقترب من الحرمة الأكثر شهرة لدى قبائل البيضان فقد كانت في البداية كالحرمة أي رسم يدفعه التابع أو حتى المرابط الزاوي لسيده، مقابل الحماية.

وبينما كانت القبائل السائدة والمسودة في موريتانيا تحتفظ بحياتها الخاصة المستقلة فإن الوضع هنا كما شرحنا سابقا كان عبارة عن انصهار، حيث استوعب سادة الساعة الأفخاذ المغلوبة، وهذا الوضع هو الذي يمنح "المداراة" سمتها الخاصة؛ وابتداء من الآن لم تعد هذه الضريبة مفروضة على مغلوب من غالب، بل هي عبارة عن رسم يحصل عليه الرئيس أو على وجه الدقة أعضاء خيمة الرئاسة في القبيلة من سائر الأفراد التابعين.

وقد تم تقدير هذا الرسم بعشر دخْل رب العائلة، والواقع أنه لم يكن ثابتا، لأن هذا الرقم يتفاوت إلى حد كبير حسب القبائل والأمكنة والظروف، وهناك قبائل تقبل بدفعه دون تململ، وأخرى تقبل به مع بعض التحفظات، وأخرى ترفض بتاتا تسديده.

ولهذا، ألا يمكن طرح مبدإ ثابت مثل "افتداء المداراة بالضريبة" كما تم في موريتانيا بالنسبة للحرمة؟؛ وهناك عدد كبير من الحالات النوعية التي يجب مواجهتها وتسويتها بصورة منفصلة.

ولا يمكن الرفض ولا التنكر مبدئيا للمداراة، بعد أن سبب ذلك خيبة أمل خطيرة للرؤساء في مناطقنا، وعلى الخصوص في منطقة الطوارق أو إكّلاد، حيث نحن أبعد ما نكون من السيطرة عليهم بإحكام، مما أدى إلى نفورهم منا.

وفضلا عن ذلك فمن المستحيل أن نلغي بمبادرة منا وبصورة ستكون ظالمة جدا موارد هؤلاء الرؤساء الذين يكلفهم التمثيل والقيادة نفقات ضخمة جدا.

كما لا يمكن أبدا جباية هذه الموارد رسميا كما حدث وهذا هو المثال الوحيد في دائرة انيورو، بالنسبة للأفخاذ الصغيرة المشظوفية الخمسة المنفصلة عن القبيلة الكبرى، والتي تعيش هنا منعزلة؛ وقد أدت طريقة التصرف هذه، إلى تعقيدات خطيرة مما جعلنا مشبوهين

في نظر الدافعين والمستفيدين معا، وتورطنا كل عام في نزاعات محلية؛ وكان الجباة يسيئون استغلال تأييدنا دفع ضريبة مقبولة عند الناس، حيث اعتُبر ذلك تكريسا رسميا لها؛ وبالإضافة إلى ذلك أعلنت السلطات المحلية وكررت في كثير من الأمكنة أن الزكاة التي فرضناها حلت محل المداراة، وأن القبائل لن تدفع شيئا لرؤسائها، والكثير من الناس يواجهوننا الآن بأقوالنا تلك.

وليس هناك سوى حل وحيد عقلاني، وهو الحل الذي سبق عرضه، والذي جرى تطبيقه بنجاح في بعض الدوائر، وهو التعامل مع كل حالة حسب اتفاق بين الجماعة ورئيس القبيلة يحدد قدر المداراة وأساس الضريبة، وكيفية توزيعها والمهلة وطريقة جبايتها وإيداعها.. الخ، وكذلك ضرورة أن تكون موضوع نقاش باتفاق مشترك حسب التقاليد الخاصة بالتجمع القبلي، ثم إثبات ذلك بعقد يُنقل إلى قيادة الدائرة التي تقوم بتدوينه في سجل لهذا الغرض.

ولا شيء يمنع عندما يكون الفرقاء متفقين لافتداء المداراة نهائيا من أن نُقرّ ونوافق على هذا الاتفاق، وربما تتطلع القبائل التي أصبحت غنية والراغبة في طمس كل أثر للتبعية إلى هذا الحل البعيد نسبيا.

وتشكل الماشية الثروة الرئيسية إن لم نقل الثروة الوحيدة لدى البدو، لذلك فتربيتها أساسية، وفي هذه البقاع من الساحل والحوض فإن التنمية التي يجب أن تجتذب انتباهنا بصورة خاصة هي تنمية الإبل.

وعلينا أن نعرف أن الإبل لا تعيش إلا في المناطق الصحراوية لأن المفاهيم السائدة في الرواية وفي الأدب ترى ذلك؛ فهذا الحيوان لا يمكن وصوله دون خطر إلى بلاد الجنوب، فذبابة (التستسي) أو مثيلاتها تُلحق به مرض "التابوريت" بسرعة كبيرة جدا، وفي خلال فصل الأمطار وعندما يزهر الأثل كما يقول المثل البيضاني ـ أي بين فبراير وإبريل تكون الذبابة مخيفة لمدة ثلاثة أشهر، وكل جمل مصاب بها هو نافق.

وتعيش في كل أرض ماشية ملائمة للضرورات المحلية، فإذا كان نوع من الماعز أو صنف من الأبقار الصغيرة والخنزير يعيش على الوجه الأكمل في غابات المستعمرات الساحلية بما في ذلك الكونغو، فإن أغنام وأبقار السودان تضنى وتفنى بسرعة كبيرة جدا فيها، والجمل هو حيوان التخوم الصحراوية، كما أن الجاموس هو حيوان مزارع الرز، والرنة هي حيوان المناطق القطبية.

ففي الساحل والحوض يتألف نطاق تربية الإبل من هضبة النعمة ـ ولاتة، ومن المنطقة التي تمتد إلى الغرب من تلك الهضبة والتي يحدها شمالا ظهر ولاتة ـ تشيت، وجنوبا خط عرض بلّه والمنطقة التي تمتد إلى الشرق من هذه الهضبة وتحاذي من الجنوب غدير كاوصه كنقطة قصوى.

وينبغي حصر قبائل الإبل بكل صرامة في هذا النطاق، ورفض الحجة الزائفة بعدم الرغبة في ارتكاب مخالفات غير شرعية بينما هناك تدابير تعسفية لتحديد رقعة تحرك الجماعات البقرية وحصر سكن الزنوج؛ وبسبب الإذعان لمشيئة مشظوف وهي القبيلة الرئيسية الأكثر ثراء، الراغبة في التملص من كل عمل إداري جدي وصلنا إلى نتائج يرثى لها فقد أصيبت قطعان إبل مشظوف برمتها ومعها القسم الأعظم من قطعان القبائل الأخرى بعدوى "التابوريت"؛ وبعد أن كان في الحوض ما بين مئة ألف إلى مئة وعشرين ألف رأس من الإبل سنة 1914، لم يبق الآن أكثر من خمسين ألفا إلى ستين ألف رأس أي النصف.

وتميل هذه القبائل ذات الإبل إلى أن تصبح فقط مالكة أبقار وأغنام، وراحت اندفاعة البدو نحو الجنوب تزداد حدة، في حين يجب أن تتجه جهودنا نحو تشجيع صعود الفلاحين الزنوج نحو الشمال.

ويجب أن نتوقع حدوث النتائج المحزنة التالية إذا لم تُتخذ تدابير سريعة وحازمة

(1) ـــ فناء القسم الأكبر من قطان الإبل في هذه البلاد.

(2) ـــ نزوح أهل الشمال المختصين بتربيتها، مما يؤدي إلى هجران البلاد ودمارها.

(3) ـــ استفحال اندفاعة البدو باتجاه الجنوب واستئصال الغابة وتخريب المزروعات، وتقهقر الزنوج المزارعين إلى الجنوب.

ويتفق الجميع على الاعتراف بأن التنظيم الحالي للساحل قاصر، وأنه لا غنى إطلاقاً عن إنشاء منطقة لتوحيد الاتجاهات والعمل الإداري والحماية العسكرية والنهضة الاقتصادية والأساس المالي .. الخ.

ولكن هل هي منطقة مدنية أو منطقة عسكرية؟ تلك نقطة النزاع، وإذا كانت عدّة مناطق فأين سيجتمع الحضر والبدو؟ أوهي منطقة محدودة خاصة بالبدو وحدهم؟.

وعلى أثر تجربة طويلة تم في إفريقيا الشمالية الاقتناع بأنه من الواجب الفصل تماما بين إدارة البدو وإدارة الحضر، وما يصح بالنسبة لإفريقيا الشمالية يصح بالأولى في إفريقيا الغربية، فكل قادة الدوائر الذين مروا بالساحل متفقون على الاعتراف بصعوبة إدارة البدو.

ولما كان البيضان مشاغبين لا نظير لهم [!] فهم يمضون عن طيب خاطر أياما كاملة في شغل قائد الدائرة بقضاياهم الخاصة وهي قضايا غاية في التعقيد بسبب سوء النية والمهارة في تصفية الحسابات. وتتعقد الأمور أكثر بسبب مشكلة المسافات الشاسعة وترحال المخيمات.

فإذن يبدو من العسير جدا إن لم نقل من المستحيل إقامة إدارة جيدة للحضر والبدو في آن واحد، ويجب أن يكون حاكم البدْو منصرفا إليهم كليا، فهناك فائدة من تحقيق فصل واضح بين الجانبين، ولكن كيف سيكون الحد بين نطاق البدو في الشمال والحضر في الجنوب؟

ولأول وهلة يبدو تحقيق ذلك عسيرا، أما من الناحية العملية فهو على خلاف ذلك تماما؛ وحتى هذا اليوم جرى رسم هذه الحدود باختيار خط آبار أو نطاق حدّي للمزروعات، وينجم عن ذلك كل الخطإ إذ لا يجوز الاعتقاد بأنه من الواجب تحديد بلاد للرعاة، وتمييزها عن بلاد للفلاحين تفصلهما القرى الأكثر ابتعادا نحو الشمال من دوائر انيورو و گونبُ وسُكولو؛ فهذا المفهوم لا يتناسب إطلاقا مع الحقيقة؛ فالبيضان وهم من صغار البدو كانوا ينتجعون في تخوم دوائر انيورو و گونبُ وسُكولو قبل احتلال ولاتة وتشيت في سنة 1912 الذي قادنا إلى تخوم الأراضي القابلة للسكن، وقد اكتسبوا منذ زمن بعيد عادة إقامة قرى زراعية إلى الشمال من هذه الدوائر المذكورة، وهذه القرى المأهولة بخدمهم أو معتوقيهم قد احتفظت معهم بصلات وثيقة جدا حتى في الوقت الحالي.

وعلى الرغم من أن هؤلاء الخدم السابقين تحرروا، فقد استمروا في الزراعة لحساب سادتهم القدامى. فهم يعطونهم في كل عام جزءا من محصولهم مقابل بعض البقرات الحلوبة والنعاج التي تعطيهم منتجات الألبان التي هم بحاجة إليها ليتم التكامل بين الجانبين؛ إذن لا يمكن أن نفكر دون أن نرتكب خطأ إداريا جسيما بفصل هذه القرى عن البدو الذين يرتبطون معهم بعلاقات حميمة جدا. وهكذا تكون حافة دوائر انيورو و گونبُ وسُكولو، ما عدا بعض الاستثناءات النادرة، متشكلة على هذه الصورة، ولكيلا نسرد سوى بعض الأمثلة فإن القرى التالية نرى والنبّالة وبودوبادي وكوسانه وخليفة ومدالله الواقعة إلى الشمال من سُكولو، وقرى باسكنو وگيرل والنوارة وفيرگناري من دوائر النوارة .. الخ مأهولة تقريبا بخدم البيضان القدامى وهم لا يتكلمون سوى العربية الحسانية.

ويقودنا ذلك إلى معالجة التوطين فقد تكلم البعض أحيانا عن توطين البدو، ولا شيء أقل صحة من هذه المقولة. وعلى كل فإن بعض العقول الأقل تجربة وخبرة قد تعرضت للانخداع بذلك عن طيب خاطر باعتبار هؤلاء بيضانا مستقرين في حين أنهم لم يكونوا في الحقيقة سوى خدم قدامى للبيضان. وبما أن بعض البيضان الصميمين يعيشون بين ظهرانيهم فإنّ الوهم الحاصل لدى العابر لهذه المنطقة يكون كاملا، ولكن بعد فحص واع تظهر الحقيقة؛ ومن المستحيل نكران أن المستقرين المزعومين الذين يعملون في الأرض هم خدم سابقون، وأن البيضان الصميمين هنا هم كما في كل مكان آخر رعاة وتجار؛ وإذا عاد الخدم لزراعة الأرض وتزايد عددهم في المستقبل فذلك أمر منطقي لأنه عودة إلى الطبع ومرغوب لمصلحة المستعمرة.

وكل أرض زرعت هي انتصار في المعركة مع الصحراء ورد فعل نحو الشمال، ولكن الاعتقاد بأننا سنتوصل عن طريق أسلوب معين لتحويل الراعي إلى فلاح وهمٌ لن نراه يتحقق إطلاقا. إذن يجب من أجل تحديد منطقي للحافة الجنوبية لمنطقة الساحل الجديدة أن نأخذ

بعين الاعتبار هذه الحيثيات إذا ما أردنا تحاشي الخيبة؛ وهكذا ستضم دواخل المنطقة السوداء كل القرى المأهولة بزنوج حقيقيين من بنباره والسونينكة والتكارير، وكل ما سيكون شمال ذلك الحد سيتبع الساحل البيضاني.

تلك هي ــ حسب رأينا ورأي الاستعماريين الصحراويين البارزين من أمثال الحاكم الإداري العقيد مانجو والنقيب كاربو ــ أسس إعادة تنظيم الساحل.

فالمنطقة ستكون بدوية مع التحفظات المذكورة أعلاه، كما ستكون أيضا عسكرية، والإدارة فيها تحت قيادة ضابط معه رؤساء وحدات، وسيكون العمل السياسي والإداري في القبائل منفصلا عن قيادة القوات، ومهمة الحماية العسكرية، إلا أن الجميع سيكون في اليد ذاتها تحت السلطة العليا التي لا معقب لأمرها أي سلطة الضابط الأعلى قائد المنطقة، وربما نتوصل عن طريقِ التجربة، وليس عن طريق النصوص إلى تخصص الضباط الصحراويين الذي نفتقر إليه كثيرا في إفريقيا الغربية الفرنسية.

ولا أتصور أن هناك عملا أفضل من أن أقدم في النهاية توجيهات سياسية من أجل القبائل الصحراوية في منطقتي الساحل والحوض التي تهيأت لي بعد بضع جولات في هذه البلاد، وبالتنسيق مع الضباط والإداريين المحليين الأكثر كفاءة

1 ــ الاحتفاظ بالخطوط الكبرى للكيان السياسي والاجتماعي لشعب البيضان.

2 ــ الاحتفاظ (أو إعادة التكوين إذا اقتضى الأمر) بالقيادة الوطنية وتوطيدها باستعمال أحد المبدأين أي الاختيار عن طريق الجماعة أو الوراثة، أو كما هي العادة خلط الاثنين أي الاختيار عن طريق الجماعة في خيمة تكون القيادة فيها وراثية.

3 ــ حظر مغادرة القبيلة الأم على كل فخذ أو عصيان الرئيس، وحظر مغادرة المخيم العائلي على كل فئة أو خيمة، ومنعها من الالتحاق بأي مخيم مجاور.

4 ــ الاحتفاظ بالمراتب الاجتماعية

(أ) الطبقات التقليدية حسان زوايا حراطين.

(ب) الضرائب العرفية الحرمة أو الإتاوة الشخصية (أو ما يعادلها كالمداراة، وحتى أحيانا الهدية) التي يمكن افتداؤها، مع تشجيع التسوية بعد اتفاق بين ذوي العلاقة.

(ج) الباخ أو الرسم الزراعي الأرضي (أو ما يعادله) أي الإتاوة المدفوعة من قبل المزارع إلى مالك الأرض بموجب حق الفتح أو التقادم أو بكل سبب تاريخي أو عرفي .. الخ.

(د) وكنتيجة للحفاظ على الطبقات الاجتماعية وتوطيد القيادة بعمل ثابت جدا ومتابع جدا وبصورة منهجية جدا ستُعطى كل طبقة الحدّ الأقصى من المردود الاقتصادي ليظل أزناقة جزئيا، والحراطين والخدم القدامى كليا، مرتبطين بأعمالهم الزراعية، بل سيتطورون أكثر من أي وقت مضى.

4 ـ إقامة مخطط تقريـــبي إجمالي يضم مسارات نجعات قبائل الدائرة.

5 ـ حصر الرعاة البدو الخلّص في نطاق المراعي الصحراوية وشبه الصحراوية، وإيجاد خط لا يمكنهم تجاوزه جنوبا.

6 ـ حل مختلط بالنسبة لمخيمات أو عائلات قدامى الخـــدم والـــهجناء الســـائرين نحـــو الاستقرار الذين سيضمّون إلى جانب تربية الماشية بعض الأعمال الزراعية، مع اتخاذ تدابير لحماية المزارع من الرعاة البدو.

7 ـ إلزام القبائل والأفخاذ أو المخيمات بعدم الخروج إطلاقا من دوائرها دون الحصـــــول على ترخيص من قيادتها يُمنح بتفاهم مع قائد الدائرة المجاورة، ويضم أســـماء المخيمـــات وعدد ونوع الماشية ونطاق الرعي وموارد الماء التي سيقصدونها وتاريخ الانطلاق والعودة وكل المعلومات الأخرى المفيدة.

8 ـ حق الملاحقة أي إمكانيتها بالنسبة لقـــائد الدائـــرة أو مندوبـــه، ويجـــب أن يكـــون أوروبـــيا حصرا وأن يذهب بنفسه لزيارة البدو في الدائرة المجاورة، وحسْم المشكلات فـــي هذه القبائل بشكل قطعي.

9 ـ تأمين الاتصال بين قائد الدائرة والقبائل البدوية ذات النجعات الكبرى، وذلـــك عـــبر وجود ممثل لهذه القبائل في الحاضرة يكون رجلا ثقة لدى رئيس القبيلة (نائب).

مراجـــع المؤلف

- مخطوطات دوائر سكولو والنوارة والنعمة وولاتة وانيورو.
- حولية السنغال لسنة 1864، وكتابات ماج Mage وعلي صال، نشرة لجنة إفريقيا الفرنسية وفهرستها ومراجعها.
- تواريخ ولاتة والنعمة.
- دلافوس Delafosse [كتاب] السنغال الأعلى والنيجر . لنز Lenz تنبوكتو . فري Frey حملات في السنغال الأعلى والنيجر الأعلى - ليون الإفريقي Leon L'africain وصف إفريقيا نشر شيفر - مرمول Marmol إفريقي - پولى Poulet بيضان إفريقيا الغربية الفرنسية - التواريخ السودانية ترجمة هوداس ودَلافوس و وپل مرتي.
- معلومات من تقديم العقيد مانجو، وحكام المستعمرات الإداريين، وهم ديسميه وكاربو وبلان، وارگلن، وربيى، ويپاپون، وديشاتو، ونموس، وباجي، ولوزت والدكتور هنري مرسييه من القوات الاستعمارية والسيد بونل دمزيير مكتشف.

مراجع المعرب

(أ) المراجع العربية

(1) ـ المنهل، قاموس فرنسي ـ عربي تأليف الدكتور جبور عبد النور، والدكتور سهيل إدريس، إصدار دار العلم للملايين ودار الآداب، الطبعة السادسة مايه سنة 1980.

(2) ـ معجم عبد النور، عربي ـ فرنسي تأليف جبور عبد النور، إصدار دار العلم للملايين، الطبعة الأولى بيروت سنة 1983.

(3) ـ المنجد في اللغة والأعلام الطبعة الثالثة والعشرون، بيروت دار المشرق 1973.

(4) ـ تاريخ ابن خلدون كتاب العبر، الطبعة الثانية إصدار مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت سنة 1979.

(5) ـ كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية، تأليف اللواء محمد مختار باشا، تكملة وتحقيق الدكتور محمد عمارة، إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى سنة 1980.

(6) ـ تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش أكابر الناس، تأليف القاضي الفغ محمود كعت مع ذيل لبعض حفدته، تحقيق هوداس ودلافوس المدرسين بمدرسة اللغات الشرقية بباريس، إصدار اليونسكو سنة 1964.

(7) ـ تاريخ السودان، تأليف عبد الرحمن السعدي، تحقيق هوداس المدرس بمدرسة اللغات الشرقية بباريس، إصدار اليونسكو سنة 1964.

(8) ـ فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تأليف أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، تحقيق إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، إصدار دار الغرب الإسلامي بيروت سنة 1981.

(9) ـ الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، تأليف أحمد بن الأمين الشنقيطي، الطبعة الثالثة، إصدار مكتبة الخانجي بمصر والوحدة العربية بالدار البيضاء بالمغرب سنة 1961.

(10) ـ بلاد شنقيط المنارة والرباط، تأليف الخليل النحوي، طبعة تونس سنة 1987.

(11) ـ المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب لأبي عبيد البكري، مطبعة الجزائر سنة 1857.

(12) ـ الصحراء الكبرى، تأليف ريمون فيرون، ترجمة الدكتور جمال الدين الدناصوري، نشر مؤسسة سجل العرب بيروت.

(13) ـ كنتة الشرقيون، تأليف وپل مرتي، تعريب محمد محمود ودادي، إصدار مطبعة زيد بن ثابت، دمشق سنة 1985.

(14) ـ البرابيش تأليف وپل مرتي، تعريب محمد محمود ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق سنة 1985.

(15) ـ تاريخ إدوعيش لبابا بن الشيخ سيديا ،مخطوط حققه حديثا إزيد بيه بن محمد محمود 1994.

(16) ـ الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسانية، تأليف الشيخ صالح بن عبد الوهاب الناصري (مخطوط) .

(ب) المراجع باللغة الفرنسية:

1 -Haut-Senegal-Niger par Maurice De la Fosse, Paris g.p Maisonneuve et La Rose, 1927.

2 -La Penetration en Mauritanie par Commandant Gilier.

3- Marty (Paul) etudes sur l'Islam et les Tribus du Soudan:4me t.la Region de Kayes, Le pays Bambara, Le Sahel de Nioro. Paris Leroux 1920.

4 -Marty (Paul) etudes sur L'islam et les Tribus Maures : les Brakna Paris : leroux 1921.

5 -Marty (Paul) Le Sahara Espagnol (Rio D'oro).in. Revenue du Monde Musulman (paris) ,46

6 - Les Chroniques De Oualata et Nema (Soudan Francais). traduction effectuee par Paul Marty. in. Revue Des Etudes Islamiques, (Paris), 1927

7 - Desire - Vuillemin (Genevieve): Contribution a L'histoire De La Mauritanie de 1900 a 1934. Dakar : ed. Clairafrique,1962.

8 - Un Corse D'Algerie chez des Hommes Bleus par Robert Rando, Alger 1939.

9 - Dvid Rodinson: La guerre sainte d,al-Hajj Umar, Karthala 1985.

فهارس الكتاب

فهرس الأعلام البشرية

(أ)

ب

ت

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

فهرس القبائل والأفخاذ والعائلات

أ

ب

ت

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ص

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

فهرس الأعلام الجغرافية

القارات والبلدان والبحار

والأنهر والبحيرات والآباروالمدن والقرى

أ

ب

ت

ج

ش

ص

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

فهرس الطرق الصوفية

Avant-propos

Nous aurons, par ce livre, achevé de réaliser, avec l'aide d'Allah, l'engagement que nous avons pris de faire mieux connaître l'Islam et les Arabes de la région de l'Afrique de l'Ouest, aussi bien en Mauritanie même, que dans les pays voisins, par la traduction en Arabe des livres du chercheur français Paul Marty, qui a une vaste compétence dans ce domaine.

Malgré l'expérience que nous avons acquise par le passé, nous avons ,encore rencontré pour ce livre un certain nombre de difficultés particulièrement pour ce qui concerne le respect du texte. En dépit de notre engagement pour ce respect du texte, à la lettre, dans les livres précédents, nous avons, cette fois-ci, pris le parti d'omettre un certain nombre de points de vue et d'extrapolations que nous avons jugés inconvenants, en tant que jugements très durs à l'égard de certaines tribus et de leurs chefs, portés sur eux à cause de leur désaccord avec le colonisateur, ou même de leur opposition déclarée à celui-ci. Nous avons également omis des passages relatifs à des questions purement administratives, qui n'avaient de l'importance que par rapport à l'Administration Coloniale Française, comme nous avons omis certains passages, répétés ailleurs. Mais, nous avons toujours veillé au respect de la substance du texte, que nous avons renforcé .[ ] parfois par des rajouts que nous avons placés entre crochets: Nous avons choisi de transcrire les noms propres, dans la plupart des cas, en nous conformant à leur origine arabe. Pour les noms non arabes nous les avons écrits selon leur prononciation, en l'absence d'une terminologie unifiée sur l'ensemble du territoire mauritanien. Nous avons délibérément opté pour telle forme d'écriture de certains mots, du fait qu'elle est largement usitée.

Nous avons utilisé le ((kaf)) surmonte d'un tire ((گ))، **qui se prononce comme un ((jim)) égyptien, a la place de la lettre latine ((G)), dans les noms d'origine non arabe.**

Nous avons également divisé le livre en chapitres, crée des tables dematières pour les noms de personnes, pour les tribus, les fractions et .les familles, pour les noms géographiques et les confréries religieuses Nous avons aussi corrigé, selon les informations dont nous avons pu disposer, des arbres généalogiques, dont nous avons développé et détaillé certains, comme celui des Oulad M'Bareck et celui des Ehel Baba.

Ahmed ibn Cheikh Sidi El Mokhtar

Préface du Traducteur

Au nom d'Allah, Clément et Miséricordieux

Le livre, " Les Tribus Maures du Sahel et du Hodh ", fait partie d'unesérie de onze livres et de trente études consacrés par Paul Marty àl'Islam et à l'histoire des populations musulmanes dans la région ,comprise entre " Ouad Noun ", au Nord, et les fleuves Niger et Sénégal au Sud, région dans laquelle l'auteur a vécu pendant huit ans, entre et 1920.1912

L'introduction de l'ouvrage porte sur l'histoire des tribus maures, sur leurs origines, leurs généalogies, leur migration vers la partie occidentale du Grand Sahara, leurs luttes internes pour le pouvoir et la domination, ainsi que sur leurs relations avec leurs voisins, en particulier avec les tribus noires et les tribus touaregs auxquelles elles se sont plus particulièrement mêlées. Ce brassage et le métissage qui en a résulté ont constitué, sous l'aile de l'Islam et de la langue .arabe, de solides bases pour la coexistence et pour la stabilité Dans son étude de la période qui va du quatorzième siècle (siècle des grandes migrations arabes) au début de ce siècle, l'auteur s'est appuyé sur plusieurs sources importantes, constituées, pour l'essentiel, par les œuvres d'explorateurs et d'historiens arabes, de même qu'il a eu recours à des sources locales, telles que les " annales " de villes historiques, comme Walata, Néma et Tichitt, qui enregistraient les événements quotidiens dans toute la région. Il a également consulté divers manuscrits, riches en informations diverses relatives à la généalogie des tribus, des familles et à d'autres sujets, et a fait .appel aux sources orales L'ouvrage étudie les tributs dans le détail. Il donne le nombre des membres de chacune, sa subdivision en fractions et en familles, ses richesses, ses zones de pâturage, ses points d'eau, ses chefs spirituels et temporels, ses notables, dont il évalue l'influence politique et religieuse. Certaines tribus ont été, néanmoins, délibérément ignorées.

C'est le cas d'Ehel Sidi Mahmoud et de Ideiboussat, dont l'omission tient au fait que la majorité de leurs membres vivaient alors dans la colonie de Mauritanie.

L'ouvrage traite aussi des relations entre les autorités coloniales du Soudan Français, après l'occupation de celui-ci, et les populations du Hodh, parlant de cette époque durant laquelle ces populations se sont ,trouvées prises entre les tenailles des forces coloniales françaises qui occupaient le

nord et l'ouest de la Mauritanie depuis huit ans et les régions situées aux confins sud et sud-est de " trab al-bidhane" depuis vingt ans, en prélude à la prise de Walata en 1912 et à la .domination de la quasi totalité de l'ensemble des territoires maures Les populations du Hodh se sont trouvées ainsi coupés de leurs racines en Mauritanie, privés de leur liberté de mouvement sur leurs espaces de parcours traditionnels, qui s'étendaient entre le Sahara, au nord, et les terres fertiles proches des rives dus fleuve Sénégal et du fleuve Niger, au sud, et empêchés de s'adonner à des échanges libres et .fructueux avec les populations de ces zones Le livre fait également cas, mais de façon remarquablement brève, de la résistance qui a été opposée à l'occupation française du Hodh, en particulier la révolte d'Ehel Sidi, dirigée par les Ehel Abdouka, et le soulèvement de 1906, qui a concerné tous les territoires maures, de Ouad Noun au nord, jusqu'aux rives du Sénégal et du Niger au Sud, et de .l'océan atlantique à l'ouest, jusqu'à la colonie du Niger à l'est La conclusion du livre a porté sur les leçons tirées des premières années de l'expérience coloniale française, sur l'avenir des populations de la région, qui relevaient d'un grand cercle appelé " le Hodh et le Sahel ", et sur la nécessité d'un nouveau découpage administratif de ce cercle, découpage qui s'est d'ailleurs réalisé un quart de siècle plus .tard, par le retour de la plus grande partie du Hodh à la Mauritanie.

En fait, le colonisateur français a procédé au découpage de l'Afrique de l'Ouest, après sa conquête de celle-ci, selon ses propres intérêts, et sans prendre en compte d'autres considérations. Il a même, dans certains cas, sciemment éparpillé des communautés entre plusieurs colonies, pour les affaiblir, après que celles-ci aient voulu opposer une résistance armée, puis culturelle, par leur attachement à l'Islam et à la langue arabe, le boycott de l'enseignement français et la fidélité aux institutions éducatives populaires, qui avaient à leur tête les." Mahadras " Et comme aussi bien les populations arabes et noires se sont rangées sous la bannière de la résistance, armée et culturelle, elles ont été ,les grandes victimes de ces politiques de découpage. Un autre peuple ,frère et voisin, pas moins attaché à sa religion et à son authenticité le peuple Touareg, a été lui aussi victime de ces politiques, qui l'ont .morcelé entre plusieurs pays ,Conséquences de ces découpages injustes, les frontières artificielles dont les peuples de la région ont hérité, après le départ de l'occupant en 1960, ont crée des problèmes innombrables, pour lesquels il n'y a pas de solutions en vue. Les deux régions du Hodh et du Sahel, qui ont été d'abord coupées de la Mauritanie et rattachées au Soudan Français, ont été par la suite scindées en deux en 1945. Le Hodh a de nouveau réintégré la Mauritanie, mais le Sahel est resté partie intégrante du ,Soudan (aujourd'hui le Mali), malgré le fait, reconnu par l'auteur que les centres de Nara, Nioro, Goumbou et Sokolo et bien d'autres étaient bien soumis à l'influence des tribus du Hodh. Seuls quelques .centres comme Bassiknou et Fassala Néré ont pu réintégrer la Mauritanie En dépit de cette séparation,

l'intensité des relations qui existent toujours entre les deux régions, la préservation par les populations de la région du Sahel de leur langue et de leur culture, attestent encore aujourd'hui du passé commun et de la vigueur des liens de sang, malgré .la rupture de ces populations avec leurs racines mauritaniennes Comme nous l'avons signalé auparavant, le Hodh a été réintégré à la Mauritanie en 1945. Il se subdivise aujourd'hui en deux grandes wilayas " qui sont le Hodh Oriental et le Hodh Occidental, dont les" .capitales sont, respectivement, Néma et Aioun El Atrouss La Wilaya du Hodh Oriental compte environ 370.000 habitants (estimation de 1997), vivant sur une superficie de 250.000km2 et rattaches a plusieurs entités administrative, Subdivisions (Mouqataat), et arrondissements (Maraqiz), notamment, Wlata, Timbedgha, Amourj, Bassiknou et Djiguenni.

,Le Hodh Occidental, comprend, quant à lui, en plus de sa capitale ,plusieurs villes et centres, dont les plus importants sont Tamchekett Tintan, Koubonni, Twil et Aïn Varba. Sa population est de 300.000 habitants, environ (estimation de 1997).

" appelée la route de l'espoir "Pour désenclaver le Hodh, une route, dont les travaux on commencé en 1975, a été achevée au début des .80années Elle relie Nouakchott, la capitale du Pays, à Néma, en passant par Tintan, El Aioun et Timbedgha. Beaucoup de centres urbains se sont crées le long de cette route, rendant réel le risque que les régions situées au nord de celle-ci se dépeuplent. Il convient de mentionner que la route de l'espoir a aussi contribué à désenclaver le Nord-Ouest du Mali.

La région du Hodh revêt une grande importance pour la Mauritanie, du fait de ses populations nombreuses, des ses pâturages abondants, de ses potentialités animales et agricoles et de sa position stratégique, comme zone de contacts humains et civilisationnels entre l'Afrique du Nord et ,les pays situés au sud-ouest du Grand Sahara. Elle est, néanmoins confronté à des défis réels, qui ont pour noms l'exode de ses populations vers les nouveaux centres urbains, le désintérêt nouveau manifesté par ces mêmes populations à l'égard de l'élevage, pourtant réputé de qualité, la sécheresse et de la désertification qui la .menacent de plus en plus dans sa totalité

Addis-Abéba, le 15/5/1420 - 23/12/1999

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الفصل الثاني

الأفخاذ الجكنية

الموضوع | الصفحة

الفصل الثالث
أولاد محمد [باحمّد]

الفصل الرابع
مشظوف ولحمنات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الفصل الخامس
كنتة الحوض

الموضوع الصفحة

الفصل السادس

اللامة وأهل الطالب مختار وإجمّان

الفصل السابع

الأفخاذ الزاوية الصغيرة

الموضوع | الصفحة

الفصل الثامن

قصرا ولاتة والنعمة

الفصل التاسع الاقلال

الفصل العاشر
أولاد مبارك

الفصل الثالث عشر
لادم



ISBN 9959 - 28 - 029 - 2